

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

أسباب الوقوع في البدع

دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب

سعود بن سعد بن نمر العتيبي

إشراف

الدكتور/أحمد البناني

١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : سعود بن سعد بن نمر العتيبي كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((أسباب الوقوع في البدع دراسة على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٩ / ٨ / ١٤٢١هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : د/ أحمد بن محمد البناني	الاسم : أ/د محمد حسان كسبه	الاسم : أ.د/ محمد عمر
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : د/ عبدالله بن محمد القرني .

التوقيع :

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده . أما بعد :

فهذه رسالة علمية مقدمة لنيل درجة التخصص الأولى "الماجستير" بعنوان : "أسباب الوقوع في البدع ــ دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة" .

منهج الرسالة :

لقد عالج الباحث موضوعه في البحث من خلال مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

ولقد تعرض الباحث في الرسالة إلى المسائل التالية :

١- الجهل بالمنهج الصحيح في فهم نصوص الكتاب والسنة .

٢- الجهل بمقاصد الشريعة .

٣- الجهل باللغة العربية .

٤- تبني المبتدعة لقواعد بدعية .

٥- حب الرئاسة والتصدر .

٦- الجدال والمراء في الدين بالباطل .

٧- ترجمة كتب أهل الكفر المخالفة للإسلام .

٨- النشأة في المجتمعات الكفرية والبدعية .

وغيرها من المسائل الموجودة في ثنايا البحث .

وقد انتهى الباحث إلى نتائج من أهمها مايلي :

١- حرص السلف رضي الله عنهم في التحرز من الوقوع في البدع وذلك من خلال بيانهم لخطر البدعة والمبتدعة وكذلك نهي الناس عن مجالستهم وأخذ العلم عنهم والصلاة على موتاهم وغير ذلك .

٢- كان للمبتدع دور في إضلال نفسه وذلك من خلال أمرين :

أ- إما بسبب جهله بالفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة أوبمقاصد الشريعة الإسلامية أو بما هو ثابت من الأدلة أوباللغة العربية أوبأهمية العلم وماهيته وحملته .

ب- أو بسبب اتباعه لهواه ورده للحق وذلك عن طريق تبنيه لقواعد بدعية مضلة أو اتباع حب الرئاسة والتصدر أوالتعصب أوالجدال والمراء في الدين بالباطل .

٣- كانت هناك عوامل عديدة خارجة غالبا عن إرادة الإنسان وقدرته ساهمت في إضلاله وإيقاعه في البدع فمن ذلك :

أ- تزيين أهل البدع لبدعهم بما هو باطل .

ب- نشأة المبتدع في مجتمع بدعي .

ج- ترجمة الكتب المخالفة للإسلام .

د- تولي المبتدعة لأمور المسلمين.

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
سعود بن سعد بن نمر العتيبي	د.أحمد بن محمد البناني	د. عبد الله بن عمر الدميجي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . أما بعد :

فلا يخفى على أهل العلم أن العلم بأسباب أي مرض من الأمراض هو أول الطريق لعلاج ذلك المرض ، ومن الأمراض الخطيرة والفتاكة التي ابتليت بها الأمة الإسلامية قديما وحديثا هو مرض انتشار البدع وفشوها بين الناس مما نتج عنه انحراف في العقائد والبصائر والمفاهيم ، ولم يقتصر ذلك الأثر السيئ للبدعة على عقائد الناس بل امتد إلى أن لامس أمور معاشهم وحياتهم ، فالإنسان لايتحرك في هذه الحياة ولايسير حياته إلا وفق عقائده ومبادئه وأفكاره ، ولما لمعرفة أسباب الوقوع في البدع لدى من وقع في البدعة أهمية عظمى في علاج تلك البدع والقضاء عليها ، فإن الله سبحانه وتعالى يسر لي اختيار موضوع **"أسباب الوقوع في البدع دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة"** كرسالة علمية لمرحلة الماجستير .

والذي دعاني لاختيار هذا الموضوع مايلي :

أولا : أن من منهج السلف بيان أسباب الزلل عند الفرق المبتدعة ، وذلك لتسهيل مهمة طالب العلم في معرفة طرق الوقاية منهم ، كما فعل ذلك الإمام ابن تيمية في رده على الفلاسفة والباطنية والصوفية وغيرهم من أهل البدع .

ثانيا : أن العلم بالأسباب الداعية للوقوع في البدع هو طريق لعلاج هذه البدع ، فلا يمكن علاج مرض من الأمراض إلا بعد معرفة أسبابه ودواعيه ، ومن ثم يكون العلاج ناجعا ومثمرا ، وكما هو معلوم فإن الوقاية خير من العلاج .

ثالثا : أن الأمة الإسلامية اليوم قد عانت من زيادة انتشار البدع ، وهي بحاجة إلى تبصيرها إلى مواطن الخلل وأسباب انتشار هذه البدع وفشوها في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، وذلك لنشر الوعي الديني بين أبناء الأمة الإسلامية والحذر من الوقوع في مخالفة المنهج العقدي الصحيح .

رابعا : أن كثيرا من هذه الأسباب الداعية للوقـــوع في البدعـــة مـــازالت موجودة اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية نعايشها ونشاهدها ، فالجهل بالفهم السـليم لنصوص الكتاب والسنة مازال موجودا ، والتعصب والهوى والجهل بعلوم السلف وغير ذلك كثير .

خامسا : أنه كتب في البدع رسائل علمية مثل كتـــاب "حقيقـــة البدعـــة وأحكامها" للسعيد بن ناصر الغامدي ، تناول في بحثه هذا تعريف البدعة وأقسامها وأحكام المبتدعة والكتب المصنفة قديما وحديثا في البدعة ، وكتاب "موقف أهـــل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" لإبراهيم الرحيلي ، تناول في بحثه هـــذا لموقف أهل السنة والجماعة مع أهل البدع من حيث الحكم عليهم والتعامل معهم من بيع وشراء ومناكحتهم وأكل ذبائحهم وعيادة مرضاهم وشـــهود جنـــائزهم وأخذ العلم عنهم وغير ذلك . وحيث لم يتناول أحد موضوع أسباب الوقوع في البدع (فيما أعلم) في رسالة علمية موثقة ، مع أهميته وحاجة الأمة الإسلامية اليوم إليه ، فإني اخترت عنوانا لهذا البحث .

خطة البحث

أما خطة البحث فهي كالتالي :

تتكون من مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة .

- أما **المقدمة** فتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث وماقام به الباحث من عمل .

- أما **التمهيد** فيتضمن مبحثين :

المبحث الأول : في تعريف البدعة لغة واصطلاحا والفرق بينها وبين المصالح المرسلة .

المبحث الثاني : في بيان منهج السلف في التحرز من الوقوع في البدع .

أما الباب الأول فهو بعنوان :

الأسباب الذاتية لدى المبتدع التي ساهمت في وقوعه في البدعة .

وقد اشتمل على فصلين :

الفصل الأول : الجهل . واشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : الجهل بالمنهج الصحيح في فهم نصوص الكتاب والسنة .

المبحث الثاني : الجهل بمقاصد الشريعة .

المبحث الثالث : الجهل بما هو ثابت من الأدلة .

المبحث الرابع : الجهل بأهمية العلم ، وماهيته ، وحملته .

المبحث الخامس : الجهل باللغة العربية .

الفصل الثاني : الهوى . واشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : تبني المبتدعة لقواعد بدعية .

المبحث الثاني : حب الرئاسة والتصدر .

المبحث الثالث : التعصب .

المبحث الرابع : الجدال والمراء في الدين بالباطل .

الباب الثاني بعنوان :

الأسباب الخارجية التي كانت وراء وقوع المبتدع في البدعة .

ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : تزيين البدعة من قبل أهلها .
الفصل الثاني : النشأة في المجتمعات البدعية أو الكفرية .
الفصل الثالث : ولاية المبتدعة لأمور المسلمين .
الفصل الرابع : ترجمة كتب أهل الكفر والضلال .
الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث .

وهذا التقسيم للبحث من حيث الأبواب والفصول والمباحث هو اجتهاد من الباحث مع العلم أن هناك تلازما بين كثير من المباحث في سائر الأبواب ، ففي الغالب ألا يستقل سبب من أسباب الوقوع في البدعة في إيقاع من وقع في البدعة ، ولكن هنالك أسباب أخرى تساعد في الوقوع في البدعة ، ولكن يلاحظ أن بعضها أظهر من بعض وأقرب فهو الذي نعنون له بعنوان بارز كباب أو فصل أو مبحث .

أما الأعمال التي قام بها الباحث في البحث بعد جمع المادة العلمية وصياغتها فهي كما يلي :

(١) تخريج الآيات القرآنية .
(٢) تخريج الأحاديث النبوية ، فإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بهما أو كان عند أحدهما خرجته و لم أذكر غيره ، وإن كان عند غيرهما خرجته حسب الاستطاعة وذكرت حكم أهل العلم على ذلك الحديث كلما أمكنني ذلك .
(٣) تخريج الآثار المنسوبة إلى السلف رضي الله عنهم من كتب السلف المعتمدة .
(٤) ترجمت لبعض المذاهب والمصطلحات التي ليست لها شهرة واسعة بالإضافة إلى بعض الكلمات الغريبة .
(٥) ترجمت للأعلام الغير معروفين ، وهذا أمر نسبي ، وجعلت ذلك في ملحق في آخر الرسالة .
(٦) كما قام الباحث بإعداد الفهارس التالية :
أ- فهرس الآيات القرآنية .
ب- فهرس الأحاديث النبوية .

ج- فهرس الآثار .
د- فهرس المذاهب المصطلحات والكلمات الغريبة المترجم لها .
هـ- فهرس للمصادر والمراجع .

وفي ختام هذه المقدمة لايسعني إلا أن أشكر كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ممثلة في قسم العقيدة الذي أدين له ولسائر أعضائه من أساتذتي الكرام الذين قاموا بتعليمي على مدار مراحل دراستي بذلك القسم المبارك ، وأخص بالشكر المشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ الدكتور أحمد البناني على ماقدمه لي في هذا البحث من الإرشاد والتوجيه والنصح ، بل وإعارة كتبه فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أشكر كلا من الشيخين الفاضلين : فضيلة الأستاذ الدكتور محمد حسان كسبة ، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد مصطفى عمر على مابذلاه من جهد في قراءة هذه الرسالة ومناقشتها ، مع دعائي بأن يبارك الله لهما في علمهم وأوقاتهم وذرياتهم .

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم لا لنيل الشهادات والدرجات العلمية ، فما كان لله فإنه يبقى ، وماكان لغيره فإنه يزول ويذهب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

سعود بن سعد العتيبي

١

التمهيد

فيه مبحثان :

المبحث الأول :

تعريف البدعة لغة واصطلاحا .

والفرق بينها وبين المصالح المرسلة .

المبحث الثاني :

منهج السلف في التحرز من الوقوع في البدع .

المبحث الأول
تعريف البدعة لغة واصطلاحا
والفرق بينها وبين المصالح المرسلة

أولا : تعريف البدعة لغة واصطلاحا :

(أ) تعريف البدعة في اللغة :

البدعة في اللغة : اسم هيئة من الابتداع وهو الشئ المخترع لاعلى مثال سابق ، ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾[1] أي ماكنت أول من أرسل ، قد ارسل قبلي رسل كثير . وقوله تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾[2] وبديع السموات والأرض صفة من صفات الله تعالى لإحداثه لها لاعن مثال سابق لقوله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3] .

وقد ذكر صاحب مقاييس اللغة معنى ثانيا لكلمة "بدع" فقال :

"الباء والدال والعين أصلان لشيئين :

أحدهما : ابتداء الشئ وصنعه لاعن مثال سابق مثال والله بديع السموات والأرض .

الثاني : الانقطاع والكلال ، كقولهم : أبدعت الراحلة إذا كلّت وعطبت"[5] .

وهذا المعنى الذي ذكره صاحب معجم مقاييس اللغة إذا تأملته وجدته يدخل ضمنا في المعنى الأول ، وأشار إلى ذلك ابن الأثير رحمه الله فقال : "يقال أبدعت الناقة إذا انقطعت عن السير بكلال أو ضلع كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعا ، أي : إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها"[6] .

---

(١) سورة الأحقاف : آية (٩) .

(٢) سورة الحديد : آية (٢٧) .

(٣) سورة البقرة : آية (١١٧) .

(٤) انظر : لسان العرب لابن منظور (٦/٨) .

(٥) معجم مقاييس اللغة (١/٢٠٩) .

(٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/١٠٧) .

فظهر بذلك أن كلمة "بدع" إنما تطلق على الشيء المحدث المخترع أو الطارئ بعد أن لم يكن .

(ب) تعريف البدعة اصطلاحا :

لايوجد في الشرع تعريف واحد للبدعة بحيث أنه لايزاد عليه ولاينقص منه ، قال الإمام الشاطبي رحمه الله : "لم يأت في الشرع في البدعة حد لايزاد عليه ولاينقص منه"(١) .

ولذلك كثر كلام العلماء رحمهم الله في تعريف البدعة ووضع حد لها وضابط يميزها عن غيرها ، ومن أفضل من عرف البدعة ووضع لها حدا وضابطا الإمام الشاطبي رحمه الله .

تعريف الإمام الشاطبي للبدعة :

ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله للبدعة تعريفين :

الأول : على رأي من لايدخل العادات في معنى البدعة وعرفها بقوله :

"طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"(٢) .

والثاني : على رأي من يدخل العادات في معنى البدعة فقد عرفها بقوله :

"البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها مايقصد بالطريقة الشرعية"(٣) .

أما شرح التعريف وبيان محترزاته فقد ذكره الإمام الشاطبي رحمه الله فقال في بيان محترزات تعريفيه :

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/١٧٥) .

(٢) الاعتصام (١/٣٧) .

(٣) الاعتصام (١/٣٧) .

"فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هما بمعنى واحد وهو مارسم للسلوك عليه وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تخترع وإليه يضيفها صاحبها وأيضا فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كإحداث الصنائع والبلدان التي لاعهد بها فيما تقدم .

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم ــ فمنها ماله أصل في الشريعة ومنها ماليس له أصل فيها ــ خص منها ماهو المقصود بالحد وهو القسم المخترع ، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع إذ البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع ، وبهذا القيد انفصلت عن كل ماظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأصول الدين وسائر العلوم الخادمة للشريعة فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع"[1] .

كما ذكر أن الاختراع في الدين يكون في العقائد والأقوال والأفعال والتروك للمشروع تدينا[2] .

وقوله في التعريف "تضاهي الشرعية" يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضاده لها من أوجه متعددة :

"منها : وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لايقعد ، ضاحيا لايستظل والاختصاص في الانقطاع للعبادة ، والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة .

ومنها : التزام الكيفيات والهيئات المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيدا .

ومنها : التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته"[3] .

---

(١) الاعتصام (٣٧/١) .

(٢) الاعتصام (٤٢/١،٤٤) .

(٣) الاعتصام (٣٧/١،٣٨،٣٩) .

هذا الشرح السابق يشترك فيه التعريفان للبدعة سواء لمن قال بدخول العادات في البدعة أو لمن لم يقل بذلك .

أما باقي التعريف الذي انفرد به من قال بعدم دخول العادات في البدعة فهو قوله : "يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى" .

فقال رحمه الله في شرحه : "هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ، فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى ولم يتبين له أن ماوضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف ، فرأى من نفسه أنه لابد لما أطلق الأمر فيه من قوانين منضبطة ، وأحوال مرتبطة مع مايداخل النفوس من حب الظهور أو عدم مظنته ، فدخلت في هذا الضبط شائبة البدعة ... وقد تبين بهذا القيد أن البدع لاتدخل في العادات فكل مااخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد فقد خرج عن هذه التسمية كالمغارم الملزمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقدر مخصوص مما يشبه فرض الزكوات ولم يكن إليها ضرورة ، وكذلك اتخاذ المناخل وغسل اليدين بالأشنان ومأأشبه ذلك من الأمور التي لم تكن قبل"[2] .

وأما باقي التعريف الذي انفرد به من يرى دخول العادات في البدعة فقال في شرحه رحمه الله : "وأما الحد على الطريقة الأخرى فقد تبين معناه إلا قوله : يقصد بها مايقصد بالطريقة الشرعية : ومعناه أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته . لأن البدعة إما أن تتعلق بالعادات أو العبادات ، فإن تعلقت بالعبادات فإنما أراد بها أن يأتي تعبده على أبلغ مايكون في زعمه ليفوز بأتم المراتب في الآخرة في ظنه .

وإن تعلقت بالعادات فكذلك لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها فمن يجعل المناخل في قسم البدع فظاهر أن التمتع عنده بلذة الدقيق

---

(١) سورة الذاريات : آية (٥٦) .

(٢) الاعتصام (١/٤٠،٤١) .

المنخول أتم منه بغير المنخول ... ومثله المصادرات في الأموال بالنسبة إلى أولي الأمر وقد أباحت الشريعة التوسع في التصرفات فيعد المبتدع هذا من ذلك"[١] .

أي أنه يدخل ماذكره الشاطبي من التلذذ بالدقيق المنخول ومصادرة الأموال من الدين ، وذلك لأنه يرى أنها من جنس ماأباحته الشريعة وأجازت التوسع فيه .

ولقد رجح الإمام الشاطبي التعريف الثاني للبدعة الذي تدخل فيه العادات فقال رحمه الله : "ثبت في الأصول الشرعية أنه لابد في كل عادي من شائبة التعبد ، لأن مايعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبدي ، وماعقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي . فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدي ، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والإجارات والجنايات كلها عادي ، لأن أحكامها معقولة المعنى ، ولابد فيها من التعبد إذ هي مقيدة بأمور شرعية لاخيرة للمكلف فيها ... فإن جاء الابتداع في الأمور من ذلك الوجه[٢] صح دخوله[٣] في العاديات كالعبادات وإلا فلا"[٤] .

وهذا التعريف الذي اختاره الشاطبي رحمه الله ورجحه من دخول الابتداع في العادات والعبادات يمكن شرحه تفصيليا بأن معناه :

"مافعل أو ترك بقصد القربة لله تعالى مما ليس له أصل في الشريعة سواء كان ذلك في العقائد أو الأحكام وفي العبادات أو العادات"[٥] .

لكن يجب أن ننبه أن الإمام الشاطبي رحمه الله قيد دخول العاديات في تعريف البدعة فيما إذا كان في تلك الأمور العادية شائبة التعبد وإن لم يكن فيها شائبة تعبد فلا تدخل العاديات في تعريف البدعة .

---

(١) الاعتصام (٤٢/١) .

(٢) يقصد : وجه تقييد العاديات بالأمور المشروعة .

(٣) يعني : الابتداع .

(٤) الاعتصام (٧٩/٢،٨٠) .

(٥) حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي (٢٦٢/١) ففيه استيعاب وافي بالنسبة لتعريف البدعة من حيث اللغة والاصطلاح ومسائل أخرى مهمة .

ولقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعريفات أخرى للبدعة هي موافقة لتعريف الشاطبي السابق للبدعة ، ومن أولئك العلماء على سبيل المثال :

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فلقد قال في تعريف البدعة بأنها :

"البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ، وهي ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب فأما ماأمر به أمر إيجاب أو استحباب وعلم بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله ... سواء كان هذا مفعولا على عهد النبي ﷺ أو لم يكن"[١]. ومن أمثلة ذلك تصنيف كتب الحديث والفقه وقبل ذلك جمع القرآن الكريم في مصحف واحد .

وقال أيضا رحمه الله : "والبدعة ماخالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد ، والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشية"[٢] .

وقال أيضا : "فإن البدعة ما لم يشرعه الله من الدين فكل من دان بشيء لم يشرعه الله فذاك بدعة وإن كان متأولا فيه"[٣] .

وعرف ابن رجب الحنبلي رحمه الله البدعة بقوله :

"والمراد بالبدعة ماأحدث مما لاأصل له في الشريعة يدل عليه أما ماكان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة ... فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريئ منه وسواء في ذلك الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة وأما ماوقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية"[٤] .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٧/٤-١٠٨) .

(٢) المصدر السابق (٢٤٦/١٨) .

(٣) الاستقامة لابن تيمية (٤٢/١) .

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص٢٥٢) .

وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في تعريف البدعة : "والمحدثات ... جمع محدثه والمراد بها ماأحدث وليس له أصل في الشرع ويسمى في عرف الشرع بدعة وماكان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة ، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة . فإن كل شئ أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما"[١] .

فكما أن التعريفات السابقة موافقة من حيث الجملة لمعنى تعريف الشاطبي رحمه الله ، إلا أن هناك تعريفات أخرى مناقضة لتعريف الشاطبي — ومن وافقه من العلماء على تعريفه — جملة وتفصيلا ومن ذلك تعريف الإمام عز الدين بن عبد السلام فلقد قال في تعريفه للبدعة : "البدعة فعل مالم يعهد في عصر رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى بدعة واجبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة وبدعة مكروهة وبدعة مباحة ، والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة ، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة ، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة ، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة"[٢] .

ولقد اتبع العز بن عبد السلام في تعريفه السابق للبدعة وأقره بعض العلماء فمنهم الزركشي[٣] ، وابن حجر الهيثمي[٤] ، والقرافي[٥] وغيرهم .

وهذا التعريف عليه مؤاخذات عديدة منها :

(١) أن هذا التعريف لايوجد عليه دليل شرعي يصححه .

(٢) أن هذا التعريف مخالف لنصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الناطقة بذم البدعة على مختلف أقسامها وأشكالها .

(٣) أن هذا التعريف فيه من التناقض مايفيد بطلانه وعدم صحته .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٢٥٣/١٣-٢٥٤) .

(٢) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام (١٧٢/٢-١٧٤) .

(٣) المنثور في القواعد للزركشي (٢١٨/١) .

(٤) الفتاوى الحديثة للهيثمي (ص١٥٠) .

(٥) الفروق للقرافي (٢٠٢/٤،٢٠٥) .

ومن بين تناقض هذا التعريف الإمام الشاطبي رحمه الله فقال : "إن هذا التقسيم أمر مخترع لايدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع لأن من حقيقة البدعة أن لايدل عليها دليل شرعي لامن نصوص الشرع ولامن قواعده ، إذ لو كان هناك مايدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ، ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها ، فالجمع بين عد تلك الأشياء بدعا وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين"[١] .

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي (١/١٩١-١٩٢) .

ثانيا : الفرق بين البدعة والمصالح المرسلة :

كثيرا مايدعي المبتدعة الضلال بأن المصالح المرسلة هي من قبيل البدع ونسبوها إلى الصحابة والتابعين وجعلوها حجة فيما ذهبوا إليه من البدع التي أحدثوها عن طريق أهوائهم وأذواقهم .

ولكن قبل أن نبين صحة أو بطلان هذه المزاعم والدعاوى لابد لنا من تعريف المصالح المرسلة .

تعريف المصالح المرسلة :

عرف الإمام الشاطبي رحمه الله المصالح المرسلة بقوله :

"مافهم رعايته في حق الخلق من جلب المصالح ودرء المفاسد على وجه لايستقل العقل بدركه على حال" ، فإذا لم يشهد الشرع باعتبار ذلك المعنى بل يرده كان مردودا باتفاق المسلمين[١] .

إذا كل مافيه مصلحة للخلق وفيه أيضا درء المفسدة عنهم ـــ والعقل لايستقل بتحديد ماهو مصلحة أو مفسدة ـــ لابد أن يشهد الشرع المطهر له بذلك فإن لم يشهد له فإنه لايكون من المصلحة المرسلة بحال .

أما كون المصلحة المرسلة تعتبر من البدع أم لا . فإن الإمام الشاطبي رحمه الله بين أن المصالح المرسلة ليست من البدع فقال رحمه الله :

"إن المصالح المرسلة ليست من البدع في ورد ولاصدر"[٢] .

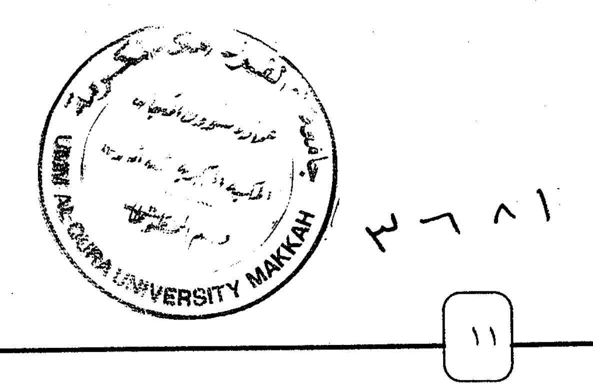
والشاطبي رحمه الله انطلق في هذا القول من خلال أنه ميز بين ماهو مصلحة مرسلة وماهو بدعة وضلالة وذلك من خلال إظهاره للفروق التي هي بين المصلحة المرسلة والبدعة .

فمن أهم الفروق بين المصلحة المرسلة والبدع مايلي :

---

(١) الاعتصام (١١٣/٢) .

(٢) الاعتصام (١١٢/٢) .



(١) أن موضوع المصالح المرسلة ماعقل معناه على التفصيل ، وهذا يوجد في العادات والمعاملات ، أما العبادات فلا يعقل معناها على التفصيل ، وفيها تكون البدع ، أما من ناحية دخول البدع في العادات والمعاملات فإنما يدخلها الابتداع من جهة مافيها من التعبد لا بإطلاق .

(٢) - أن ماثبت كونها من المصالح المرسلة فإنما يصح اعتبارها عند عدم معارضتها لنص في خصوص أو عموم أو في منطوق أو مفهوم قطعي أو ظني ، جلي أو غير جلي ، وبحيث تكون ملائمة لمقاصد وكليات الشريعة في حين أن البدع معارضة للنصوص الكثيرة القاطعة الجلية ومضادة لمقاصد الشريعة وأصولها وكلياتها .

(٣) تعود المصالح المرسلة عند ثبوتها إلى حفظ منفعة وجلب مصلحة أو درء مفسدة ورفع حرج فتكون من الوسائل لا من المقاصد وهي وسائل تعود إلى تحقق مقاصد الشرع . أما البدعة فإنها — وإن تخيل فاعلها المنفعة فيها — فإنها تعود على دين معتقدها وفاعلها بالمفاسد العظيمة والمخاطر الجسيمة ، ثم إنها في عامة أحوالها تناقض مقاصد الشرع الحنيف .

(٤) أن أي وصف لعمل من الأعمال فإنه يتعلق به أحد ثلاثة أحكام :

١- أن يشهد الشرع بقبوله ، وهذا متفق على أعماله .

٢- أن يشهد الشرع برده ، وهذا متفق على إهماله .

٣- ماسكتت عنه الشواهد الخاصة لم تشهد له باعتبار ولا بإلغاء ، فإن كان ملائما لتصرفات الشرع أو يوجد له معنى من جنسه اعتبره الشارع في الجملة بغير دليل معين ، ولم يناقض أصلا أو دليلا أو قياسا صحيحا فهو مايسمى بالمصالح المرسلة .

ولو قيل على سبيل التجوز : إن في البدعة وصف يمكن أن يعلق به حكم بالوجوب أو الندب أو الإباحة فإن هذا الوصف لايمكن أن يكون إلا من القسم الثاني وهو ماشهد الشرع ببطلانه ، والذي اتفقت الأمة على إهماله ورده وعدم إعماله .

(٥) دلت الأدلة الكثيرة من النقل والعقل وكلام السلف على اعتبار المصالح المرسلة ، في حين أن البدع بخلاف ذلك تماما ، إذ الأدلة العقلية والنقلية والمأثورة عن السلف على ذمها جميعا من غير استثناء وكذلك فتاوى أئمة الإسلام كلها متضافرة على ذم البدع والتحذير منها وسد طرقها وذرائعها[1].

(١) انظر : الاعتصام للشاطبي (١/٣٨) ، (٢/١١١،١٢٩) ، الموافقات للشاطبي (٣/٢٨٥) ، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد بن ناصر الغامدي (٢/١٨٧-١٨٨) .

المبحث الثاني
منهج السلف في التحرز من الوقوع في البدع

التمهيد :

لقد كان للسلف رحمهم الله منهج واضح في التحرز من الوقوع في البدع والضلالات ، ويمكن لنا معرفة واستنباط هذا المنهج من خلال موقفهم من البدع والمبتدعة وذلك من خلال عدة طرق منها مايلي :

الطريقة الأولى :

حثهم رضي الله عنهم الأمة على التمسك بالكتاب والسنة وعقيدة السلف .

إنه لاأفضل من أن يعرف الإنسان مذهب السلف المبني على الكتاب والسنة ثم يتمسك به لئلا يقع في البدع فهذه الطريقة من أفضل الطرق للتحرز من الوقوع في البدع .

فمن أقوال السلف رضي الله عنهم في حثهم على التمسك بالكتاب والسنة واتباع مذهب السلف قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "اتبعوا ولاتبتدعوا فقد كفيتم كل ضلالة"[(١)] .

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : "اتبعوا سبلنا ، ولئن اتبعتمونا لقد سبقتم سبقا بعيدا ، ولئن خالفتمونا لقد ضللتم ضلالا بعيدا"[(٢)] .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في جوابه على كتاب عامل له أرسله إلى عمر يسأله عن الأهواء فكتب إليه عمر : "أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنته وسنة رسوله ﷺ وترك ماأحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ماهو دليل عليها ، وعبرة فيها ، فإن السنة إنما سنها من علم مافي خلافها من الخطأ ، والزلل والحمق ، والتعمق .

---

(١) البدع لابن وضاح (ص٣٧) .

(٢) المصدر السابق (ص٣٨) .

فارض لنفسك مارضي به القوم لأنفسهم فإنهم السابقون وإنهم عن علـــم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى وبفضل فيه لـــو كان أحرى ، فلئن كان الهدى ماأنت عليه ، فقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلت : إنما أحدث بعدهم ماأحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد تكلمـــوا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه مايشفي ، فما دونهم مقصر ، ومافوقهم محصر ، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا ، وطمح عنهم آخرون فغلوا ، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم"[١] .

هذه هي بعض آثار السلف رضي الله عنهم الدالة على وجوب التمسك بما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، فبالاستنان بهم يهتـــدي الإنســـان وبمخالفتهم يضل ويقع في الخسران .

الطريقة الثانية : ذمهم للبدع والمبتدعة :

للسلف رضي الله عنهم أقوال كثيرة في ذم البدعة والمبتدعة فمن ذلك :

(١) جعلهم البدع أعظم الذنوب التي عصي الله بها بعد الشرك :

قال الإمام الشافعي رحمه الله : "لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك أحب إلي من أن يلقاه بشئ من الأهواء"[٢] .

وعن أبي بكر بن عياش قال : كان عندنا فتى يقاتل ويشرب وذكر أشـــياء من الفسق ثم أنه تقرأ[٣] فدخل في التشيع فسمعت حبيب بن أبي ثـــابت وهـــو يقول:

"لأنت يوم كنت تقاتل وتفعل ماتفعل خير منك اليوم"[٤] .

فانظر رحمك الله كيف جعل السلف رضي الله عنهم الدخـــول في البـــدع أعظم ذنبا وأفظع جرما ممن يسفك الدماء ويشرب المسكر وهو على حالته تلـــك برئ من البدع .

---

(١) المصدر السابق (ص٦٦) .

(٢) عقيدة أصحاب الحديث للصابوني (ص٦٩) .

(٣) أي قرأ كتب الشيعة .

(٤) البدع لابن وضاح (ص٧٧) .

(٢) إظهارهم البدع وأهلها في شر الصور وأخسها :

قال أبو إدريس الخولاني : "لأن أسمع بناحية المسجد بنار تحترق أحب إلي من أن أسمع فيه ببدعة ليس لها مغير ، وماأحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله بها عنهم سنة"[١] .

وقال أبو الجوزاء رحمه الله : "لأن يجاورني قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني أحد منهم ـــ يعني أصحاب الأهواء"[٢] .

الطريقة الثالثة : سد الذرائع الموصلة إلى البدعة :

من حرص السلف رضي الله عنهم على صيانة عقائد الناس من البدع والضلالات قطع كل وسيلة وذريعة وحبل وسبب يوصل إلى البدعة والوقوع فيها وذلك عن شعور منهم بعظم الأمانة التي وضعها الله في أعناقهم من حماية جناب الدين من البدع والضلالات ، ومن الأمثلة على ذلك مافعله عمر رضي الله عنه من قطعه للشجرة التي كانت تحتها بيعة الصحابة للنبي ﷺ أي بيعة الرضوان ، قال الإمام محمد بن وضاح المالكي :

"سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس يقول : أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة"[٣] .

وعن الشعبي رحمه الله قال : "إن عمر بن الخطاب كان يضرب الرجبيين الذين يصومون رجب كله"[٤] .

وقد علل الإمام ابن وضاح فعل عمر هذا بأنه خاف أن يتخذوه سنة مثل رمضان[٥] .

---

(١) المصدر السابق (ص٧٨) .
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٣١/١) .
(٣) البدع لابن وضاح (ص٨٨) .
(٤) المصدر السابق (٩٠) .
(٥) المصدر السابق (ص٩٠) .

الطريقة الرابعة : معاقبة المبتدعة لما هم عليه من البدع :

لقد اتخذ السلف رحمهم الله بعض العقوبات ضد أهل البدع والضلال ، وهذه العقوبات لم يتخذها السلف لأجل ذات العقوبة وإنما لحكم عديدة منها :

١- لعل المبتدع يرجع عندما يرى أنه منبوذ من قبل المجتمع الإسلامي .

٢- فإن لم يرجع فلعلها تكون كفيلة بحصر وقصر شر بدعته عليه فلا يتأثر به أحد من المسلمين فيجتنبونه عندما يرون مانزل به من الإنكار والتشنيع عليه فيحذروه .

ومن هذه العقوبات التي اتخذها السلف مايلي :

(١) النهي عن مجالستهم :

عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال : "لاتجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك"[(١)] .

وعن أبي قلابة رحمه الله أنه قال : "لاتجالسوا أهل الأهواء ، ولاتجادلوهم فإني لاآمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، أو يلبسوا عليكم ماكنتم تعرفون"[(٢)] .

وعن سفيان الثوري رحمه الله : "من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث إما أن يكون فتنة لغيره ، وإما أن يقع في قلبه شئ فيزل به فيدخله الله النار ، وإما أن يقول والله مأبالي ماتكلموا ، وإني واثق بنفسي فمن آمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه"[(٣)] .

وقال مجاهد رحمه الله :"لاتجالسوا أهل الأهواء فإن لهم عرة كعرة الجرب"[(٤)].

(٢) منع المبتدعة من الكلام في بدعهم :

وقال أيوب رحمه الله لرجل من أهل الأهواء أراد أن يسأله عن كلمة : "لا ولانصف كلمة . مرتين يشير بإصبعه"[(٥)] .

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص٩٥) .
(٢) المصدر السابق (ص٩٩) .
(٣) المصدر السابق (ص٩٦) .
(٤) التنبيه للملطي (ص١٠٠) .
(٥) اللالكائي (١/١٤٣) .

وذكر الملطي رحمه الله أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله منع غيلان الدمشقي عن الكلام في القدر وقال له عمر : "والله لئن بلغني أنك تكلمت في شيء منه لأجعلنك للناس أو للعالمين نكالا فلم يتكلم في شئ حتى مات عمر رحمه الله ، فلما مات عمر سال فيه سيل الماء ، أو سيل البحر"(١) .

(٣) عدم قبول شهادتهم :

ومن ذلك رد شريك بن عبد الله القاضي رحمه الله لشهادة حماد بن أبي حنيفة فقال شريك لحماد : "لاأقبل شهادتك قال لم ترد شهادتي؟ فقال : أما إني لاأطعن عليك في بطن ولافرج ولكن متى تدع الخصومة في الدين أجزت شهادتك"(٢) .

وسأل الخليفة هارون الرشيد رحمه الله الإمام معاذ بن معاذ حين قدم عليه عن قوم رد شهادتهم وماسبب ذلك فقال له الإمام معاذ : "ياأمير المؤمنين قدرية ، ومعتزلة فقال هارون : أصبت وفقك الله"(٣) .

وقال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله عن صنف من المبتدعة وهم القائلون "إن القرآن مخلوق" : "لاتقبل شهادتهم"(٤) .

(٤) ضربهم :

ومن ذلك ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لصبيغ بن عسل العراقي : فعن نافع : أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، فلما أتاه الرسول بالكتاب ، فقرأه قال : أين الرجل؟ قال : في الرحل . قال عمر : أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة .

فأتاه به فقال عمر : تسأل محدثة ، فأرسل عمر إلى أرطاب من الجريد فضربه بها حتى ترك ظهره خبزة ، ثم تركه حتى برئ ثم عاد له ، ثم تركه حتى برئ ،

---

(١) التنبيه للملطي (ص١٧٨) . .

(٢) اللالكائي (١/١٢٩-١٣٠) .

(٣) اللالكائي (٢/٧٣٤) .

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص٣١) .

فدعا به ليعود له ، فقال له صبيغ : إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا ، وإن كنت تريد تداويني فقد والله برئت ، فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب أن قد حسنت هيئته فكتب إليه عمر أن يأذن للناس يجالسونه"[(١)] .

(٥) قتلهم إن لم يندفع أذاهم وشرهم إلا بذلك :

ومن أكبر الأمثلة على ذلك وأعظمها وأكثرها شهرة قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج ، وإحراقه للسبئية[(٢)] .

ومن الأمثلة أيضا قتل خالد بن عبد الله القسري للجعد بن درهم . قال الإمام الدارمي رحمه الله بسنده إلى حبيب بن أبي حبيب أنه قال : خطبنا خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم الأضحى فقال : "أيها الناس ارجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه"[(٣)] .

ومن الأمثلة أيضا قتل المسلمين للحلاج عندما ظهر كفره زندقته وعظيم شره وباطله وانتشر ضلاله وغيه[(٤)] .

(٦) ترك الصلاة عليهم :

ومن الأدلة على ذلك ماقاله بعض السلف رضي الله عنهم :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ذكر القدرية فقال : "أولئك شرار هذه الأمة لاتعودوا مرضاهم ولاتصلوا على موتاهم"[(٥)] .

---

(١) البدع لابن وضاح (ص١١١-١١٢) ، ذم الكلام للهروي (٢٤٢/٤) .
(٢) الاعتصام للشاطبي (١٧٦/١) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤٦/٥-٤٧) .
(٣) الرد على الجهمية للدارمي (ص٢٠٩) .
(٤) الاعتصام للشاطبي (١٧٥/١) .
(٥) اللالكائي (٦٤٣/٢) .

وعن الإمام مالك أنه قال في القدرية والأباضية : "لايصلى على موتاهم ولاتتبع جنائزهم ولاتعاد مرضاهم"[١] .

وعن الإمام أحمد أنه قال في الرافضي : "أنا لاأشهده يشهده من شاء قد ترك النبي ﷺ على أقل من ذا : الدين ، والغلول ، والقتيل لم يصل عليه و لم يأمرهم .. وقال له رجل أرأيت إن مات في غربة ليس فيها إلا نصارى من يشهده قال : أنا لاأشهده يشهده من شاء"[٢] .

فمن خلال هذه النصوص يظهر أن السلف رضي الله عنهم لايرون الصلاة على أهل البدع وشهود جنائزهم من باب زجرهم وإعلام الناس أنه ماتركت الصلاة عليهم وشهود جنائزهم إلا لما كانوا عليه من البدعة فيحذر الناس البدع وأهلها .

ومن الأمثلة على ذلك ترك سفيان الثوري رحمه الله الصلاة على عبد العزيز بن أبي رواد لأنه كان على بدعة الإرجاء .

قال مؤمل بن إسماعيل : "مات عبد العزيز فجيئ بجنازته فوضعت عند باب الصفا ، وجاء سفيان الثوري فقال الناس : جاء سفيان ، جاء سفيان . فجاء حتى خرق الصفوف وجاوز الجنازة و لم يصل عليها ، لأنه كان يرى الإرجاء ، فقيل لسفيان فقال : والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي ولكن أردت أن أري الناس أنه مات على بدعة"[٣] .

هذه هي بعض العقوبات التي اتخذها السلف رضي الله عنهم ضد المبتدعة ذكرنا بعضا منها ، ومن أراد المزيد فعليه أن يرجع إلى كتب السلف رضي الله عنهم ليعرف ماكان عليه السلف من التعامل مع البدعة وأهلها[٤] .

---

(١) المدونة (١/١٨٢) ، (٢/٤٨) .

(٢) السنة للخلال (١/٤٩٩) .

(٣) السير للذهبي (٧/١٨٦) .

(٤) لمزيد من التوسع انظر إلى رسالة دكتوراه بعنوان "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" للدكتور إبراهيم الرحيلي ففيها تفصيل جيد .

الباب الأول
الأسباب الذاتية لدى المبتدع
التي ساهمت في وقوعه في البدعة

وفيه :

تمهيد وفصلان :

الفصل الأول :
الجهل .

الفصل الثاني :
الهوى .

التمهيد

إن الناظر في الأسباب الذاتية التي كانت وراء وقوع المبتدع في البدعة يجدها في الحقيقة أسبابا كثيرة ومع كثرتها فهي بينها نوع من الترابط والتلازم ، فبعضها يفضي إلى البعض الآخر ، بل إنه يتولد منها كتولد الفرع عن الأصل ، وهذه الكثرة من الأسباب تجعل الباحث في هذا الموضوع يبحث عن قواسم مشتركة وقواعد وأصول وأسس يرد إليها كل هذه الأسباب الذاتية الكثيرة والمتنوعة .

وقد ذكر العلماء رحمهم الله مايلم ويجمع شعث هذه الأسباب الكثيرة ويردها إلى أسباب رئيسية نبعت منها في الحقيقة هذه الأسباب الكثيرة المتنوعة فوجدت أنه يمكن ردها إلى سببين رئيسين هما :

الأول : الجهل .　　　　الثاني : الهوى .

وعند التأمل فإننا نجد أن هذين السببين هما فعلا وراء كل أسباب الضلال والشر ولخطرهما وفاعليتهما في الإضلال ذكر الله في كتابه الكريم أنهما سبب ضلال من ضل من بني آدم فقال تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[1] .

قال ابن القيم رحمه الله في حديثه عن أقسام الناس بالنسبة لما بعث الله به رسوله ﷺ بعدما ذكر القسم الأول : أهل الهدى والبصائر :

"القسم الثاني : أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به والظلم باتباع أهوائهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ..."[2] .

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه : ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾[3]"[4] .

---

(١) سورة النجم : آية (٢٣) .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص٥٥) .

(٣) سورة الأحزاب : آية (٧٢) .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١٣٢/١) ، وانظر : مجموع الفتاوى (٣٤٨/٣) .

فالإنسان بطبعه جاهل ظالم لنفسه باتباع هواه ، وهذه الصفات الطبيعية في الإنسان هي التي تقوده دوما إلى كل شر وشرك وبدع وضلال ، إلا إذا قهر هذه الصفات المتأصلة فيه بالإيمان والاستمساك بما أنزله الله على رسوله ﷺ نهجا اعتقاديا ونهجا عمليا عندئذ يضمحل أثر هاتين الصفتين : الجهل والهوى .

وبعد أن عرفنا أن الجهل والهوى هما وراء الأسباب الذاتية الكثيرة التي أوقعت المبتدع في البدعة وعرفنا خطرهما وأهميتهما في الإضلال والابتداع ، فلهذه الأهمية أفردنا لكل منهما فصلا مستقلا نبحث فيه مظاهر وصور كل من الجهل والهوى وأمثلتهما ، وكيف أوقعا في البدعة من وقع من المبتدعة ومن ضل عن طريق الحق والهدى .

الفصل الأول
الجهل

وفيه :

تمهيد وخمسة مباحث .

المبحث الأول :
الجهل بالمنهج الصحيح في فهم نصوص الكتاب والسنة .

المبحث الثاني :
الجهل بمقاصد الشريعة .

المبحث الثالث :
الجهل بما هو ثابت من الأدلة .

المبحث الرابع :
الجهل بأهمية العلم ، وماهيته ، وحملته .

المبحث الخامس :
الجهل باللغة العربية .

التمهيد

تعريف الجهل :

لقد ذكر أهل العلم باللغة أن للجهل استعمالات عديدة ولكنها تعود في مجملها إلى معنيين اثنين هما :

(١) عدم العلم والمعرفة .

(٢) الخفة وخلاف الطمأنينة .

قال ابن فارس رحمه الله : "جهل : الجيم والهاء واللام أصلان : أحدهما : خلاف العلم ، والآخر : الخفة وخلاف الطمأنينة .

فالأول : الجهل نقيض العلم ويقال للمفازة التي لاعلم بها مجهل .

والثاني : قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر مجهل ، ويقال استجهلت الريح الغصن إذا حركته فاضطرب ، ومنه قول النابغة [من الطويل] :

دعاك الهوى واستهجلتك المنازل   وكيف تصابي المرء والشيب شامل

وهو من الباب لأن معناه استخفتك واستفزتك"[١] .

وإذا نظر الناظر في كلام ابن فارس يرى أنه يحصر كلمة "جهل" في معنى عدم العلم أو الخفة ، والمعنى الثاني الذي هو الخفة هو في الغالب لايتبادر إلى الذهن عندما تذكر كلمة الجهل وإنما يتبادر المعنى الأول الذي هو عدم العلم وهو مقصودنا بهذا الفصل ، والغالب حقيقة في لغة العرب هو استعمال كلمة الجهل في معنى عدم العلم ، وهذا ماأشار إليه أئمة اللغة .

قال في لسان العرب : "والمعروف في كلام العرب جهلت الشئ إذا لم تعرفه تقول : مثلي لايجهل مثلك"[٢] .

وأما مقصودنا بالجهل في هذا الفصل فهو الجهل الذي بسببه يموت الدين والعلم والنور والهداية ، ولذلك سنبحث من خلال مباحث هذا الفصل مظاهر الجهل وصوره وأمثلته التي تسببت في وقوع المبتدع في البدعة ، بل إنها أماتت الدين والعياذ بالله .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ص٢٨) ، وانظر : مختار الصحاح (ص٤٩) .

(٢) لسان العرب (١٢٩/١١) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "والدين إنما يقوم بالعلم والعدل المضاد للجهل والظلم وبذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله"[١] .

فذكر رحمه الله أنه بذهاب العلم والعدل ـــ اللذين بهما يقوم الدين ـــ يموت الدين عند وجود الجهل والظلم .

أقسام الجهل :

قسم أهل العلم الجهل إلى قسمين :

الأول : الجهل المركب .

الثاني : الجهل البسيط .

أما معنى الجهل المركب فهو ادعاء العلم مع مخالفة مايدعيه لحقيقته التي هو عليها عنادا منه واستكبارا .

أما الجهل البسيط : فهو أن يجهل الإنسان الشيء المعين فإذا سئل عنه اعترف بجهله .

قال ابن القيم رحمه الله متحدثا عن أقسام الجهل بعدما تحدث عن أهل الجهل: "وهؤلاء قسمان :

أحدهما : الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل جهل وضلال ، فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله وينصرون الباطل ويوالونه ويوالون أهله وهم يحسبون أنهم على شئ ألا إنهم هم الكاذبون فهم لاعتقادهم الشئ على خلاف ماهو عليه بمنزلة رائي السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ماهو إليه .

والقسم الثاني من هذا الصنف : أصحاب الظلمات وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلا ، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة بل بمجرد التقليد واتباع الآباء من غير نور من الله تعالى"[٢] .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/٩٠) .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص٥٥-٥٧) .

المبحث الأول
الجهل بالمنهج الصحيح في فهم نصوص الكتاب والسنة

وفيه :

تمهيد ومطلبان .

المطلب الأول :
إسقاط حرمة الكتاب والسنة .

المطلب الثاني :
الخلل في منهج الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة .

التمهيد

هذا المبحث هو أول مظاهر الجهل وصوره التي ستمر معنا في هذا الفصل ، فبسبب الجهل وغياب العلم بالمنهج الصحيح لفهم نصوص الكتاب والسنة المطهرة لدى المبتدعة أوقعهم سوء فهمهم للنصوص في البدعة والضلالات ولو أنهم علموا المنهج الصحيح لفهم النصوص الذي هو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين لنجوا من الوقوع في تلك البدع .

ولكن لسوء فهم أولئك المبتدعة عوامل وأسباب عديدة ساعدت في تخبطهم في ضلالاتهم حتى صار سوء الفهم سمة من سماتهم لاتنفك عنهم بأي حال من الأحوال .

ومن خلال النظر في مادة هذا المبحث وأمثلة سوء الفهم لدى أهل الابتداع بنصوص الكتاب والسنة تبين لي — والعلم عند الله — أن أسباب الجهل بالمنهج الصحيح في فهم نصوص الكتاب والسنة لدى أهل الابتداع نابعة من شيئين اثنين :

الشئ الأول : هو إسقاطهم لحرمة الكتاب والسنة .

فهذا الإسقاط البدعي لحرمة الكتاب والسنة لايشك فيه من عرف أقوال وآراء أهل الابتداع ، ومن الأمثلة على إسقاطهم لحرمة الكتاب والسنة هو زعم أهل الابتداع من المتكلمين ونحوهم أن نصوص الكتاب الكريم هي نصوص متشابهة ، ومعانيها ليست واضحة ، وهي مشتملة على اللبس والغموض والدليل يجب أن يكون واضح المعنى مفهوم الدلالة موافقا لما يستدل به ، وهذا الوضوح في المعنى والموافقة للدليل على المدلول ليست متوفرة في نصوص الكتاب لما اشتملت عليه من التشابه ، فكان لزاما تجنب ماهذه صفته من الأدلة المتشابهة ووجوب الأخذ بالأدلة البعيدة عما يخل بها ، وذلك الدليل الذي يمكن أن نستغنى به عن نصوص الكتاب هو كما زعموا الدليل العقلي وذلك لوضوح معناه ، ولأنه مضمون النتائج .

هذا هو خلاصة كلامهم في هذه الصورة ، وسيأتي لها إن شاء الله مزيد بيان في مطلب إسقاط حرمة الكتاب والسنة[1] .

---

(١) انظر فيما يأتي تفصيلا في ذلك (ص٤٦) .

ونحن إذا تأملنا هذه الصورة فإننا سنرى فيها إسقاط حرمة الكتاب من قبل أهل الابتداع فهم أهدروا دلالات نصوص الكتاب وجعلوها كأنها طلاسم لاتفك رموزها بل كأنها بدل أن تهدي إلى الهدى والحق تهدي في نظرهم إلى التشابه والإضلال .

- ولقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى دور المبتدعة في إسقاط حرمة الكتاب والسنة والتلاعب بهما فقال : "وماخالف قولهم من القرآن تأولوه على مقتضى آرائهم واستخفوا بالكتاب والسنة وسموها ظواهر ، وإذا استدلوا على قولهم بمثل قوله : ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[1] ، وقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] ، أو قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3] ونحو ذلك لم تكن هذه النصوص هي عمدتهم ولكن يدفعون بها عن أنفسهم عند المسلمين .

وأما الأحاديث النبوية فلا حرمة لها عندهم بل تارة يردونها بكل طريق ممكن وتارة يتأولونها ثم يزعمون أن ماوضعوه برأيهم قواطع عقلية ، وأن هذه القواطع العقلية ترد لأجلها نصوص الكتاب والسنة : إما بالتأويل وإما بالتفويض ، وإما بالتكذيب"[4] .

فأي إسقاط لحرمة كتاب الله أعظم من هذا الإسقاط وأي تجني تجناه أهل الابتداع أعظم من جنايتهم على نصوص كتاب الله وتشبيهها بطلاسم السحر والشعوذة .

فإذا هانت منزلة النصوص لدى أهل الابتداع فأصبحت لاقيمة لها عندهم ولاإعزاز ولاإجلال لها ، فنفوس هذه منزلة النصوص عندها لايستغرب منها سوء فهمها لنصوص الكتاب والسنة ، فحينئذ لاغرو أن نرى طامات من طوام أهل البدع عندما يستدلون بنصوص الكتاب والسنة حسب أفهامهم وعقولهم وأذواقهم

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٠٣) .

(٢) سورة الشورى : آية (١١) .

(٣) سورة الحديد : آية (٤) .

(٤) التسعينية لابن تيمية (٣/٩٨٢) .

بل إنهم أصبحوا يتلاعبون بالاستدلال بها فظهر لديهم خلل كبير هو مانسميه (بالخلل في منهج الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لدى أهل الابتداع) ، وهذا الخلل في منهج الاستدلال إنما نشأ عن إسقاط حرمة الكتاب والسنة فعرفنا حينئذ أن إسقاطهم لحرمة النصوص مهد للشئ الثاني أو للسبب الثاني الذي أوقعهم في سوء القهم لنصوص الكتاب والسنة ، ألا وهو :

الخلل في منهج الاستدلال بالنصوص .

ومن صور الخلل في منهج الاستدلال بالنصوص لدى أهل الابتداع أننا نجدهم حين يستدلون على مسألة معينة لايجمعون بين النصوص في تلك المسألة حتى يخرجوا منها برأي صحيح بل إن بعضهم يأخذ ببعضها ويترك الآخر لأنه لايوافق ماعليه من البدعة ، أو أنه على الأقل يجهله .

ومن أمثلة ذلك عندما يستدل القدرية على أن الإنسان هو الذي يخلق فعله بنفسه وأن الله ليس له في ذلك فعل البتة بقوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1] ، ثم يأتي الجبرية القائلون بأن الإنسان ليس له فعل ولاتصرف ولااختيار ولامشيئة ، وأن الله هو خالق الإنسان وعمله وأنه ليس للإنسان أدنى تصرف وفعل في ذلك فيستدلون مثلا بقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] ، فظهر لنا كيف أن كل طائفة أخذت بجانب من جوانب النصوص وتركت الآخر مما أوقعهم في البدعة فهم لم يجمعوا بين النصوص كما فعل السلف رضي الله عنهم الذين قالوا إن الإنسان له فعل وقدرة وإرادة ومشيئة لكنها لاتخرج عن إرادة الله ومشيئته ، قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[3] .

فمن خلال هذا المثال يتضح لنا كيف أوقع الخلل في منهج الاستدلال بالنصوص المبتدعة في البدعة كما مر معنا في مثال القدرية والجبرية .

---

(١) سورة المدثر : آية (٣٨) .

(٢) سورة الصافات : آية (٩٦) .

(٣) سورة الإنسان : آية (٣٠) .

وهنا قضية مهمة وهي أننا عندما نرى من يستدل من أهل الابتداع بنصوص الكتاب والسنة على بعض المسائل العقدية يجب أن لانظن أن صنيعهم ذلك يبطل القول بأن أهل الابتداع أسقطوا حرمة الكتاب والسنة ، أو أن فيه دليل على تعظيمهم للنصوص وإعزازهم لها ، كلا إنهم على خلاف ذلك وفهم مازالوا مسقطين لحرمة الكتاب والسنة ، غير معظمين لهما ، وإنما هم عندما استدلوا بتلك النصوص استدلوا بها لأنها توافق عقولهم وأهواءهم ومذاهبهم ولو أنها كانت تخالف عقولهم وأهواءهم ومايعتقدونه لما استدلوا بها ولما قبلوها ولردوها وطعنوا فيها بشتى الطعون كما هو حالهم وصنيعهم دائما وأبدا .

ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الميزان الذي به يقبل المبتدعة نصوص الكتاب والسنة أو يردونها فقال رحمه الله : "فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ماظنوا أن عقولهم عرفته ويجعلون ماجاءت به الأنبياء تبعا له فما وافق قانونهم قبلوه وماخالفه لم يتبعوه"(١) .

فإذا المبتدعة لم يجعلوا النصوص هي الأصل في استدلالاتهم ، بل جعلوها تابعة وعاضدة لأدلتهم العقلية التي هي فعلا عليها مدار الاستدلال عندهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فالأدلة السمعية لم يردها من ردها لضعف فيها وفي مقدماتها لكن لاعتقاده أنها تخالف العقل بل كثير من الأدلة السمعية التي يردونها تكون أقوى بكثير من الأدلة السمعية التي يقبلونها وذلك لأن تلك لم يقبلوها لكون السمع جاء بها لكن لاعتقادهم أن العقل دل عليها ، والسمع جعلوه عاضدا للعقل وحجة على من ينازعهم من المصدقين بالسمع لم يكن هو عمدتهم ولاأصل علمهم كما صرح بذلك أئمة هؤلاء المعارضين لكتاب الله وسنة رسوله بآرائهم"(٢) .

---

(١) الدرء (٦/١) .

(٢) الدرء (١٧٥/١) ؛ المنهاج (٣٧/٧) .

ولذلك عد أئمة السنة رحمهم الله من أصحاب البدع من لم يستدل بالنصوص إلا ليقوي بها رأيه ومذهبه قال الإمام وكيع بن الجراح رحمه الله : "من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة ومن طلبه ليقوي به رأيه فهو صاحب بدعة"[١] .

(١) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٤) .

المطلب الأول
إسقاط حرمة الكتاب والسنة

وفيه مسائل :

المسألة الأولى
ماأعده الله من الفضل العظيم
لمن عظم نصوص الكتاب والسنة

لاشك أن الله سبحانه وتعالى لايسوي بين من يعظم كتابه وسنة رسـوله ﷺ وبين من يسقط حرمة الكتاب والسنة ، فالأول أعد له الأجر العظيم والثاني معـرض لعذابه الأليم ، أما الأجر الذي أعده الله لمن عظم نصوص الكتاب والسنة فهو ثـابت كثبوت الشمس في رابعة النهار ولكن قبل أن نخوض في ذكر ذلك الأجر علينـا أن نعرف كيف يمكن لنا أن نكون معظمين للنصوص أو كيف يمكن للمـرء أن يكـون معظما للنصوص؟

إن تعظيم النصوص إنما يكون بتسليم المرء التسليم الكامل لما ثبـت عـن الله ورسوله ﷺ مع العمل به وفق ماأراده الله ورسوله ﷺ ولايتحيل الإنسان الحيل لكي يفر من العمل بماأراده الله ورسوله ﷺ فلايقدم على أمر الله ورسوله ﷺ إذا صـح وثبت عنده ذوقه أو عقله ولاقول كائن من كان فحينئذ يصبح المرء معظما للكتـاب والسنة ويستحق الأجر والثواب إن أخلص في كل ذلك وداوم عليه ، ومن هذا الأجر مايلي :

١- محبة الله له ومغفرته ، قال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[(١)] .

٢- البشارة من الله بالهداية ، قال تعالى : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[(٢)] .

٣- إنه يؤجر أجر خمسين صحابيا . قال أبو عثمان الصابوني[(٣)] رحمه الله : "ومن تمسك اليوم بسنة رسول الله ﷺ وعمل بها واستقام عليها ودعا إليها كان أجره أوفر وأكثر من أجرى من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة إذ الرسول المصطفى ﷺ قال : "له أجر خمسين فقيل خمسين منهم قال بل منكم"[(٤)] .

فهذا بعض ماأعده الله من الأجر لمن عظم كتابه وسنة رسوله وعمل بهما ولقد حرم المبتدعة أنفسهم هذا الفضل بسبب اتباعهم لمناهج شتى غير منهج الله ورسوله ، ولذلك ضرب رسول الله ﷺ مثلا بين فيه مثل من قبل ماأتى به ﷺ وعمل به وبين من لم يرفع بذلك رأسا فقال ﷺ : "إن مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة فقبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت طائفة منها أجادب أمسكت الماء فنفع شربها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى هي قيعان لاتمسك ماء

---

(١) سورة آل عمران : آية (٣٨) .

(٢) سورة الزمر : آية (١٨) .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، تحقيق بدر البدر (ص١٢٥) .

(٤) ونص الحديث : "إن من ورائكم أيام الصبر ، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم ، قالوا : يانبي الله أومنهم؟ قال : بل منكم" .
وأخرجه الطبراني في الكبير (١١٧/١٧) ، وله شاهد عند أبي داود برقم (٤٣٤١) ، والترمذي (٣٠٥٨) وقال فيه حديث حسن غريب ، وابن ماجه (٤٠١٤) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٤) .

ولاتنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولاتقبل هدى الله الذي أرسلت به"[١] .

فانظر يارعاك الله كيف ضرب الرسول ﷺ ذلك المثل مثل الخير لمن فقه دين الله وعلم ومثل السوء وهو من لم يقبل كتاب الله الذي جاء به النبي ﷺ .

وعدم القبول هنا يشمل عدم الاعتراف به أنه من عند الله ويشمل تحريف أدلته وتقديم العقول وآراءها عليه فكل يختار لنفسه مثل الخير أم مثل السوء والحمد لله الذي جعل السلف الصالح أصحاب مثل الخير وليس لهم مثل السوء .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم برقم (٧٩) ، ومسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٢٨٢) .

المسألة الثانية
نماذج من تعظيم السلف لنصوص الكتاب والسنة

لقد ضرب السلف رضوان الله عليهم أروع الأمثلة وأسماها في تعظيمهم لكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ كيف لا وهم حملة هذا الدين ورعاته ومبلغوه بلغونا كتاب الله كما أنزل على خليله ومصطفاه ﷺ كما بلغونا سنة نبيهم ﷺ بل وسيرته وحياته ، ومع هذا لم تكن مهمتهم فقط مبلغين وحماة للدين وإن كانت هي بحد ذاتها مسئولية عظيمة وأمانة جسيمة بل إنهم كانوا معظمين لتلك الأمانة عاملين بما تضمنته من عقيدة وشريعة بل مثلوها على أرض الواقع الحي فكانوا قدوة للناس جميعا ومشاعل هداية للعالمين ، والحق يقال أنا لو أخذنا نستعرض مواقف السلف من تعظيمهم لنصوص الشرع المطهر لطال بنا المقام فهم كانوا كلهم رضي الله عنهم نماذج صادقة دالة على تعظيم نصوص الوحي ولكن سنأخذ بعضا من مواقفهم الدالة على ماقصدنا ، من تعظيمهم لنصوص الكتاب والسنة فمنها :

(١) التسليم لكل مأتى من عند الله ورسوله :

هذا التسليم لأمر الله ورسوله وماجاء من عندهما هو الذي ميز السلف عن المبتدعة في قضية صحة المنهج في فهم نصوص الكتاب والسنة حتى أصبح التسليم لكل ماجاء من عند الله ورسوله سمة من سمات أهل السنة والجماعة من السلف الصالح رضي الله عنهم .

يقول الإمام أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله : "ومن مذهب أهل السنة أن كل ماسمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله نحو حديث النبي ﷺ "خلق الله آدم على صورته"[(١)] وأشباه ذلك فعليه التسليم والتصديق والتفويض[(٢)] والرضا لايتصرف في شئ منها برأيه وهواه ، من فسر من ذلك شيئا برأيه وهواه فقد أخطأ وضل"[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الاستئذان برقم (٦٢٢٧) ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٤١) .

(٢) أي تفويض كيفيات الصفات إلى الله سبحانه وتعالى لاتفويض معناها فالمعنى معلوم .

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للإمام الحافظ قوام السنة أبي القاسم الأصبهاني (٤٣٥/٢) ، تحقيق محمد أبو رحيم .

و يؤيد ماقاله رحمه الله قول ابن المبارك رحمه الله : "إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له"[١] .

هذا هو مايقرره أهل السنة والجماعة في كتب اعتقادهم من وجوب التسليم لله ولرسوله ولكل ماجاء من عندهما ، ولذلك يقول بعض السلف رحمهم الله : "قدم الإسلام لايثبت إلا على قنطرة التسليم"[٢] .

فعندما لم تثبت وتستقر أقدام المبتدعة على قنطرة التسليم زاغت بهم الأهواء عن الصراط المستقيم وأوردتهم موارد الهلكة والضلال ، وهذا الداء الذي أصاب أهل الأهواء والبدع هو الذي جعل أئمة السلف رضي الله عنهم يحثون على التسليم لله ولرسوله والاعتصام لما جاء من عندهما .

قال الإمام الزهري رحمه الله : "الاعتصام بالسنة نجاة"[٣] ، كما حثوا على الرد إلى الله ورسوله عند الاختلاف ، عن ميمون بن مهران في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٤] قال : إلى كتاب الله والرد إلى رسول الله ﷺ إذا قبض إلى سنته"[٥] .

(٢) إنكارهم على من لم يسلم لما جاء من عند الله ورسوله ولو في مسائل الفروع ، لقد أنكر السلف رضي الله عنهم على من يتأول في ترك بعض ماجاء عن الرسول ﷺ ، ومن أمثلة ذلك مايلي :

أ- عن سليمان بن يسار قال : "بينا أنا عند ابن عباس دخل علينا أبو سعيد الخدري فدخل رجل من الصيارفة فقال ياأبا عباس ماترى صرف الذهب وزنا بوزن والورق بالورق زيادة ، فقال ابن عباس : ليس بذلك بأس إذا كان يدا بيد فقال أبو سعيد : ليس كذلك . نهى عن هذا رسول الله ﷺ فقال ابن عباس : نحن أعلم بهذا منك ، إنما كان الربا لنا ، فقال أبو سعيد : أحدثك عن رسول الله ﷺ

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص٤٨) .

(٢) المصدر السابق (ص٧١) .

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للإمام أبي القاسم الأصبهاني ، تحقيق محمد المدخلي (١/٢٤٦).

(٤) سورة النساء : آية (٥٩) .

(٥) ذم الكلام لأبي إسماعيل الهروي ، تحقيق عبد الرحمن الشبل (٢/٦٧) .

وتحدثني عن نفسك؟ لايجمعني وإياك سقف بيت أبدا"[١] .

ب- وعن عبد الله بن مغفل قال نهى النبي ﷺ عن الخذف وقال إنها لاتصطاد صيدا ولاتنكأ عدوا ولكنها تفقأ العين وتكسر السن ، فقال رجل لعبد الله بن مغفل ومابأس هذا؟ فقال : إني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا والله لاأكلمك أبدا"[٢] .

فانظر يارعاك الله كيف إنكارهم رضي الله عنهم على من كان بعهدهم من الصحابة والتابعين عندما يتأولون في رد بعض المسائل الفرعية ، فكيف بالله عليك لو أنهم رأوا من يهدم عقائد الملة ودينها الذي سيلقون الله عليه غدا كيف تراهم يصنعون بهم أو ماذا يقولون فيهم فحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله بعدما ذكر هذين المثالين وذكر مثلهما عن عبادة بن الصامت وأبي الدرداء :

"فاعتبروا ياأولي الأبصار فشتان بين هؤلاء العقلاء السادة الأبرار الأخيار الذين ملئت قلوبهم الغيرة على إيمانهم والشح على أديانهم وبين زمان أصبحنا فيه وناس نحن منهم وبين ظهرانيهم هذا عبد الله بن مغفل صاحب رسول الله ﷺ وسيد من ساداتهم يقطع رحمه ويهجر حميمه حين عارضه في حديث رسول الله ﷺ وحلف أيضا على قطيعته وهجرانه وهو يعلم مافي صلة الأقربين وقطيعة الأهلين ، وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء سماه رسول الله ﷺ حكم هذه الأمة وأبو سعيد الخدري يظعنون عن أوطانهم وينتقلون عن بلدانهم ويظهرون الهجرة لإخوانهم لأجل من عارض حديث رسول الله ﷺ وتوقف عن اتباع سنته فياليت شعري كيف حالنا عند الله عز وجل ونحن نلقى أهل الزيغ في صباحنا والمساء يستهزئون بآيات الله ويعاندون سنة رسول الله ﷺ حائدين عنها وملحدين فيها سلمنا الله وإياكم من الزيغ والضلال"[٣] .

---

(١) ذم الكلام لأبي إسماعيل الهروي ، تحقيق عبد الرحمن الشبل (١٣٣/٢) .

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة الحنبلي ، تحقيق د. رضا نعسان (٢٥٩/١) .

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة الحنبلي ، تحقيق رضا نعسان (٢٥٩/١-٢٦٠) .

هذه هي بعض المواقف الدالة على تعظيم السلف عليهم رضوان الله ، وكيف أنهم لم يجاملوا قريبا ولاحبيبا في جانب من يرد نصوص الكتاب والسنة ولو متــأولا وذلك لإدراكهم خطورة هذا المنهج في رد نصوص الكتاب والسنة ، حتى قال الإمام الحميدي رحمه الله :

"والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردون حديث رسول الله ﷺ أحب إلي مــن أن أغزو عدتهم من الأتراك"(١) .

فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم أجمل الجزاء فيما بذلوه من نصح للأمة ودفاع عن دينها .

والآن وبعد أن عرفنا موقف السلف من تعظيم نصوص الكتاب والسنة ننتقــل إلى فريق آخر وهو فريق أهل الابتداع لنقف عن كثب على كيفيــة تعــاملهم مــع نصوص الكتاب والسنة وأمثلتهم على إسقاط حرمة الكتاب والسنة .

---

(١) ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل الهروي ، تحقيق عبد الرحمن الشبل (٧١/٢) .

المسألة الثالثة
صور من إسقاط المبتدعة لحرمة الكتاب والسنة

لقد تفنن المبتدعة في إسقاط حرمة الكتاب والسنة أيما تفنن ، وقطعوا شوطا بعيدا وسبقوا سبقا عظيما في إهدار نصوص الكتاب والسنة وتجريدها من دلائلها وماتضمنته من معان وعقائد حتى أصبحت تلك النصوص كأنها أرض بلقع أو قصور خاوية على عروشها فلا يمر عليها أهل الابتداع إلا كمرور المسافر على الأرض البور الخراب ، هذا هو مايمكن أن نصور به حال النصوص مع المبتدعة بعد إسقاط المبتدعة لحرمة الكتاب والسنة .

ولقد كان لهذا الإسقاط مظاهر وصور عديدة نذكر منها على سبيل المثال لاالحصر مايلي :

أولا : إسقاطهم لحرمة الكتاب الكريم وذلك من خلال الصور الآتية :

الصورة الأولى :

قول المعتزلة أن القرآن مخلوق وليس هو بكلام الله .

إن مذهب السلف في القرآن واضح أشد الوضوح ، فالقرآن عندهم كلام الله المعجز ، تكلم الله به حقيقة ، وأنزله على محمد ﷺ منه بدأ وإليه يعود ، وعلى هذا عامة المسلمين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله لكنه وجد أناسا ممن ينتسبون إلى أهل الإسلام وجدناهم يطعنون في كتاب الله ويصفونه بأنه مخلوق كأي مخلوق من مخلوقات الله ليس له حرمة فإذا كان مخلوقا وليس هو بكلام الله بل هو كلام جبريل أو محمد أو شخص ما فلا عجب أن يستخف به ويضرب بدلالته وآياته عرض الحائط فهو مخلوق من خلق الله كالشجر والحجر والتراب فإهانة هذه الأشياء ليس فيه حرج فكذلك القرآن الذي هو مخلوق مثلها .

والقول بخلق القرآن قول أحدثه الجهمية ووافق عليه المعتزلة .

ولهذا يقرر القاضي عبد الجبار قول المعتزلة أن القرآن مخلوق بقوله : "وأما مذهبنا فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وهو مخلوق محدث"[١] .

ووافق المعتزلة في القول بخلق القرآن بعض متأخري الأشاعرة ، يقول شارح المواقف الشريف الجرجاني : "وهذا الذي قالته المعتزلة لاننكره نحن بل نقول به ونسميه كلاما لفظيا ونعترف بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى"[٢] .

وهؤلاء القائلون بأن القرآن مخلوق وأنه من عند جبريل أو محمد ﷺ لهم شبه بمن قال في القرآن ﴿إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[٣] ويخشى أن يلحقهم عقاب الله الذي توعد به من قال أن القرآن كلام بشر أو ملك كما قال تعالى : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[٤] .

ولقد بين أئمة الإسلام حقيقة قول هؤلاء الجهمية من معتزلة وأشاعرة ومايترتب عليه ومايلزمهم القول به إن أصروا على قولهم أن القرآن مخلوق .

قال الإمام الدارمي رحمه الله عمن قال إن القرآن مخلوق : "فمن ذلك ماأخبر الله تعالى في كتابه عن زعيم هؤلاء الأكبر وإمامهم الأكفر الذي ادعى أولا أنه مخلوق وهو الوحيد واسمه الوليد بن المغيرة فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه ثم أنكر عليه دعواه وردها عليه ووعده النار إن ادعى أن قول الله قول البشر وقوله ﴿إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[٥] وقول هؤلاء الجهمية "هو مخلوق" واحد لافرق بينهما فبئس التابع وبئس المتبوع"[٦] .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله واصفا مذهب متأخري الأشاعرة "وأن القرآن معنى قائم بذات الله فقط وأن الحروف ليست من كلام الله تعالى بل خلقها الله في الهواء أو صنفها جبريل أو محمد فضموا إلى ذلك أن المصحف ليس فيه إلا مداد وورق وأعرضوا عما قاله سلفهم من أن ذلك دليل على كلام الله فيجب

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ، تحقيق د. عبد الكريم عثمان (ص٥٢٨) .

(٢) شرح المواقف في علم الكلام للشريف الجرجاني ، تحقيق أحمد المهدي (ص١٤٩) .

(٣)،(٥) سورة المدثر : آية (٢٥) .

(٤) سورة المدثر : آية (٢٦) .

(٦) الرد على الجهمية للدارمي (ص١٨٤) .

احترامه لما رأوا أن مجرد كونه دليلا لايوجب الاحترام كالدليل على الخالق المتكلم بالكلام فإن الموجودات كلها أدلة عليه ولايجب احترامها فصار هؤلاء يمتهنون المصحف حتى يدوسوه بأرجلهم ومنهم من يكتب أسماء الله بالعذرة إسقاطا لحرمة ماكتب في المصاحف والورق من أسماء الله وآياته ، وقد اتفق المسلمون على أن من استخف بالمصحف مثل أن يلقيه في الحش أو يركضه برجله إهانة له أنه كافر مباح الدم فالبدع تكون في أولها شرا ثم تكثر في الأتباع حتى تصير ذراعا وأميالا وفراسخ"[١] .

فهذا الذي ذكره شيخ الإسلام من وصفه لحقيقة قول القائلين بخلق القرآن وكيف قادهم هذا الاعتقاد إلى الاستخفاف بالمصحف ، فهو مع وجوده وخطورته وتمزيقهم للقرآن تمزيقا حسيا إلا أن هناك تمزيقا للقرآن أشد من التمزيق الحسي ألا وهو التمزيق المعنوي ، وهذا هو الذي أصبح سمة للمبتدعة ، فإذا كان القرآن هو من ألفاظ جبريل أو محمد ﷺ فإن ألفاظه ليست ملزمة لي فأنا أفهم القرآن بعقلي ،وإن خالف القرآن عقلي أخذت بما يمليه علي عقلي مادام أن ألفاظه من عند جبريل أو محمد ﷺ ، ولهذا كثيرا مايقولون هذا مما يحيل العقل الإيمان به وبالتالي أصبح كتاب الله ألعوبة لأهل البدع يتلاعبون بآياته كيف شاءوا وعلى أي وجه أرادوا .

الصورة الثانية :

دعوى الرافضة وجود النقص في كتاب الله :

إن أهل الإسلام قاطبة أولهم وآخرهم ، عالمهم وجاهلهم ، ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم يقرون ويعتقدون أن الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن من النقص والتحريف والتبديل كيف لا وهو سبحانه الذي تكفل بحفظه فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢] ولم يخالف في ذلك إلا كافر أو رجل مغموس في النفاق ، ومازالت عقيدة الأمة الإيمان بأن القرآن حفظه الله من النقص

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم (٤٢٥/٨) .
(٢) سورة الحجر : آية (٩) .

والزيادة حتى خرج الرافضة الاثنا عشرية فقالوا بفرية مفادها أن القرآن حذف منه وأنقص منه ، وهذه الخرافة التي ترددها الرافضة هي موجودة في كتبهم ويقرها أئمتهم ، ولدينا على ماقالوه أمثلة كثيرة جدا .

فممن يقر بهذه الفرية الخطيرة من أئمتهم الكليني صاحب الكافي الذي يقول "إن القرآن الذي جاء به جبريائل إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية"[١] ، وآيات القرآن كما هو معروف لاتتجاوز ستة آلاف إلا قليلا فهذا يقتضي سقوط مايقارب ثلثي القرآن[٢] .

وأيضا ذكر العياشي في تفسيره رواية عن أبي جعفر تفيد النقص في القرآن فقال أبو جعفر : "لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ماخفي حقنا على ذي حجي"[٣] .

ولقد صرح الخراني في مقدمة تفسيره بذلك فقال : "واعلم أن الحق الذي لامحيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في الدنيا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شئ من التغييرات وأسقط الذين جمعوه بعده كثيرا من الكلمات والآيات"[٤] .

بل إن الأمر لم يقف عند إثبات التحريف للكتاب الكريم ، بل جعلت الرافضة القول بتحريف الكتاب من ضرورات المذهب ، قال الجراني في تفسيره : "وعندي في وضوح صحة هذا القول[٥] بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع"[٦] .

---

(١) أصول الكافي (١٣٤/٢) .

(٢) أصول الشيعة (٢٤٤/١) .

(٣) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير (ص٣٨) .

(٤) المصدر السابق (ص٥٧) .

(٥) أي القول بتحريف القرآن .

(٦) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير (ص٥٨) .

قلت : ولكي تصبح هذه العقيدة مقررة لدى معتنقي المذهب الرافضي فقد ادعى الإجماع عليها شيخهم المفيد فقد سجل في كتابه أوائل المقالات إجماع طائفته على هذا المنكر[١] .

ومن الكتب التي اعتنت بذكر ذلك التحريف كلا من كتاب الكافي للكليني الذي هو عندهم من أصح كتبهم وبمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة ، وكذلك شيخ الكليني علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ، والعياشي في تفسيره ، والطبرسي صاحب الاحتجاج وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها كثير .

ولكن جاء في آخر القرن الثالث عشر الهجري شيخ الرافضة في عصره حسين نوري الطبرسي فألف كتابا بعنوان "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" فجمع فيه روايات من سبقه من أئمة الرافضة الضلال فجمع مئات الروايات من كتبهم المعتمدة ليثبت تحريف كتاب الله سبحانه وتعالى .

أمثلة لتحريف الشيعة لكتاب الله :

- عن أبي جعفر[٢] قال : نزل جبريل بهذه الآية على محمد "بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله (في علي) بغيا"[٣] فزاد كلمة في علي .

- وقال القمي[٤] : وأما ماهو محرف فمنه قوله "لكن الله يشهد بما أنزل إليك (في علي) أنزله بعلمه والملائكة يشهدون"[٤] فزاد كلمة (في علي) .

- عن أبي جعفر في قول الله تعالى : ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع﴾[٥] :

---

(١) أصول الشيعة (١/٢٣٠) .
(٢) أصول الكافي (١/٤١٧) .
(٣) سورة البقرة : آية (٩٠) .
(٤) تفسير القمي (١/١٥٩) .
(٥) سورة النساء : آية (١٦٦) .
(٦) سورة المعارج : آية (١-٢) .

سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولاية علي قال هكذا نزل بها جبريل[١] .

- وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قرأ "أن عليا للهدى وأن له للآخرة والأولى" وهذا تحريف لقوله تعالى في سورة الليل : ﴿إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى﴾[٢][٣] .

هذه هي بعض الأمثلة الدالة على مابلغه الرافضة من التلاعب بكتاب الله وتحريفه والزيادة فيه ، وهي خير دليل وشاهد على مدى إسقاط حرمة الكتاب العزيز لدى أولئك الزنادقة .

الصورة الثالثة :

زعمهم أن آيات الاعتقاد في القرآن هي من المتشابه لامن المحكم .

زعم المبتدعة أن آيات الاعتقاد في القرآن هي من المتشابه لا من المحكم ، هو قول تنقصه الدلائل الثابتة . وقبل أن نعرض لعرض كلامهم في ذلك مع الرد عليه فإننا سنبين أولا موقف السلف رحمهم الله من الإحكام والتشابه المذكور في القرآن.

معنى التشابه والإحكام عند السلف :

عندما ننظر في كتاب الله نجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر أن القرآن كله محكم ، كما ذكر أنه كله متشابه ، ثم إنه ذكر في مواضع أيضا أن بعضه محكم وبعضه متشابه ، لكن ماالمراد بكونه محكما كله أو متشابها كله أو محكما أو متشابها بعضه؟

بين لنا علماء الإسلام من السلف الصالح رضي الله عنهم أن المراد بالإحكام العام الوارد في قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ﴾[٤] ، وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[٥] بأنه بمعنى الإحكام في الألفاظ والتفصيل في المعاني والصدق في الأخبار .

---

(١) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير (ص٣٢٢) .

(٢) سورة الليل : آية (١٢-١٣) .

(٣) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير (ص٣٢٤) .

(٤) سورة هود : آية (١) .

(٥) سورة يونس : آية (١) .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير آية سورة هود : "وأما قوله ﴿أحكمت آياته ثم فصلت﴾ أي محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى"[١] .

ويقول ابن تيمية : "فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره وتمييز الرشد من الغي في أوامره والقرآن كله محكم بمعنى الاتقان"[٢] .

فتبين لنا أن كون القرآن محكما أي أن ألفاظه ومعانيه متقنة وأن المعاني المرادة بألفاظه ظاهرة بينة لاخلل فيها ولااختلاف[٣] .

وأما معنى كون الله وصف القرآن بأنه متشابه كله كما في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[٤] فهو بمعنى تناسب الكلام وتصديقه لبعضه البعض وعدم معارضته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته ، وإذا نهى عن شئ لم يأمر به في موضع آخر بل ينهي عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته إذا لم يكن هنا نسخ ، وكذلك إذا أخبر بثبوت شئ لم يخبر بنقيض ذلك ... وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ ، فهذا التشابه العام لاينفي الإحكام العام ، بل هو مصدق له فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا لايناقض بعضه بعضا"[٥] .

وأما ماوصف الله به القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه وذلك في قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[٦] فهذا هو المسمى بالإحكام الخاص والتشابه الخاص ومعناهما كما

(١) تفسير ابن كثير (٢/٦٧٥) .

(٢) التدمرية ضمن الفتاوى (٣/٦٠) .

(٣) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضا ونقدا ، د. سليمان الغصن (١/٣٦٩) .

(٤) سورة الزمر : آية (٢٣) .

(٥) التدمرية مع الفتاوى (٣/٦١-٦٢) .

(٦) سورة آل عمران : آية (٧) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن التشابه الخاص هو مشابهة الشئ لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله وليس كذلك والإحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لايشتبه أحدهما بالآخر[(١)].

ولقد وافق كلام شيخ الإسلام عن معنى الإحكام الخاص والتشابه الخاص كلام الإمام أحمد رحمه الله بأن المحكم مااستقل بنفسه وظهر معناه ولم يحتج إلى بيان والمتشابه مااحتاج إلى بيان ويدخل في هذا قول من عرف المحكم بأنه مالم يتحمل من التأويل غير وجه واحد ، والمتشابه مااحتمل من التأويل أوجها .

ثم إن التشابه بهذا المعنى أي الخاص هو أمر نسبي فليس هنالك آيات بعينها تتشابه على كل الناس بحيث لايعرفها أحد فإنه قد تكون بعض الآيات متشابهة عند بعض الناس دون بعض ، وأيضا ذلك التشابه النسبي إذا عرف معناه فإنه يصير حينئذ غير متشابه ، هذا هو رأي شيخ الإسلام رحمه الله في قضية التشابه النسبي ملخصا[(٣)] .

وهذا التشابه بالمعنى الخاص هو الذي يعممه أهل الابتداع على آيات الاعتقاد في القرآن وجعلوه مدخلا لهم إلى رد ماتضمنته آيات الاعتقاد من إثبات للصفات والقضاء والقدر والإيمان وغيرها من مسائل الاعتقاد .

معنى التشابه عند أهل الابتداع :

لقد وضع أهل الابتداع معاني من عندهم لما وجد منصوصا عليه في الآيات من أن القرآن متشابه كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[(٤)] وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[(٥)] فذكروا أن المراد بالتشابه هنا هو بمعنى الالتباس والاشتباه والإشكال والإيهام في نصوص الكتاب الاعتقادية بحيث تصيب الإنسان الحيرة في

---

(١) التدمرية مع الفتاوى (٦١/٣-٦٢) .

(٢) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٣٧١/١) .

(٣) الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام مع الفتاوى (١٤٤/١٣) .

(٤) سورة الزمر : آية (٢٣) .

(٥) سورة آل عمران : آية (٧) .

تمييز هذه الآيات ، فكان من الأولى على الإنسان حينئذ رده ماتضمنته من المعاني العقدية للمحافظة على العقيدة القطعية الثبوت والوضوح وترك المتشابه ، هكذا زعموا .

ومن الأمثلة على هذه الصورة ماذكره أبو المعالي الجويني من أن آيات الاعتقاد وخاصة آيات الصفات هي من المتشابه الذي أعرض عنها في زعمه أهل السنة و لم يتكلموا عليها و لم يشتغلوا بها ، ثم هو يعيب على بعض أئمة السنة الذين ذكروا في تصانيفهم فصولا وأبوابا لبعض الصفات وذكروا فيها آيات وأحاديث مثبتة لهذه الصفات ، ويزعم أن هذا خلاف منهج السلف في التصنيف ، وذكر من هؤلاء السلف الإمام مالك والشافعي وغيرهما .

قال أبو المعالي الجويني : "ولكنهم[1] لما بلغتهم أخبار متشابهة وألفاظ مشكلة لم يستبعدوا أن يكون في الأخبار البين الظاهر والمجمل والمشكل فإن الله أخبر أن كتابه العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد منه آيات محكمات وأخر متشابهات وأعرضوا عن ذكرها و لم يشتغلوا بها ، والدليل عليه أن أئمة السنة وأخبار الأمة بعد صحب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم لم يودع أحد منهم كتابه الأخبار المتشابهات فلم يورد مالك رضي الله عنه في الموطأ منها شيئا مما أورده الآجري وأمثاله ، وكذلك الشافعي وأبو حنيفة ، وسفيان ، والليث ، والثوري و لم يعتنوا بنقل المشكلات ونبغت ناشئة ضروا بنقل المشكلات وتدوين المتشابهات وتبويب أبواب ورسم تراجم على ترتيب فطرة المخلوقات ورسموا بابا في ضحك الباري وبابا في نزوله وانتقاله وعروجه ودخوله وخروجه"[2].

ولقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كلام طويل على أبي المعالي بخصوص هذه المفتريات التي افتراها أبو المعالي والمغالطات التي غالط بها نفسه أولا وقارئ كلامه ثانيا .

---

(١) يقصد بهم أتباع المذهب الأشعري .
(٢) التسعينية لابن تيمية (٩٠١/٣) .

قال شيخ الإسلام في معرض رده على كلام أبي المعالي السابق :

إن "تسمية الأخبار التي أخبر بها الرسول عن ربه أخبارا متشابهة كما يسمون آيات الصفات متشابهة وهذا كما يسمي المعتزلة الأخبار المثبتة للقدر متشابهة وهذه حال أهل البدع والأهواء الذين يسمون ماوافق آراءهم من الكتاب والسنة محكما وماخالف آراءهم متشابها"[١] .

وكما ذكر شيخ الإسلام كذب دعوى أبي المعالي أن السلف لم يذكروا آيات وأحاديث الصفات التي يسميها متشابهات في كتبهم ، وبين أن تصانيف السلف مشحونة بآيات وأحاديث الصفات وأنهم تكلموا عليها إقرارا لها ولما تضمنته من المعاني الصحيحة ، وذكر أيضا أن الآجري الذي يعيب عليه أبو المعالي تصنيفه في مسائل الصفات إنما يروي تلك الأحاديث وشروحها عن طريق أولئك الأئمة الذين أنكر أبو المعالي أن يكونوا تكلموا على هذه النصوص المتشابهات ، بل ذكر أن الإمام مالك بنفسه ذكر في موطئه كثيرا من أحاديث الصفات وتكلم عليها ومنها حديث النزول ، ولكن شيخ الإسلام علل مغالطات أبي المعالي تلك بجهله بكتب السنة كالبخاري ومسلم والسنن فضلا عن الموطأ[٢] .

ولو أننا سألنا هؤلاء المبتدعة ماالضابط في وصفهم لبعض الآيات بأنها من المتشابه فلا يؤخذ بها والأخرى بأنها من المحكم فيؤخذ بها لقالوا كلهم بملء أفواههم العقل هو الفيصل في هذه القضية وهو المميز للمتشابه من غيره ، لذلك يقول القاضي عبد الجبار : "يجب أن يرتب المحكم والمتشابه جميعا على أدلة العقول"[٣] .

ووافق القاضي في الاعتماد على الدليل العقلي الرازي في كتابه أساس التقديس ، بل إنه أبطل أي ميزان يمكن الرجوع إليه إلا ميزان العقل لأن ماسواه

---

(١) التسعينية (٣/٩١٠) .

(٢) التسعينية (٣/٩١٣-٩١٤-٩٢٢) .

مقدمات ظنية والظنون لايجوز التعويل عليها في المسائل العقلية القطعية[١] .

فإذا تبين لنا أن الفيصل في الفرق بين المحكم والمتشابه عند أهل الابتداع هو العقل عرفنا ماجرته عقولهم المنحرفة على الكتاب الكريم من الويلات وتجريده من مضامينه الاعتقادية بزعم أنه متشابه ، وهذا كله يدور في دائرة إسقاط حرمة الكتاب العزيز .

ويمكن أن نبين ذلك من خلال مايلي :

(١) أن الأخذ بمنهج المبتدعة في تعريفهم للمتشابه يجعلنا لانعرف المحكم من المتشابه لأنه جعل مدار التفريق بينهما هو العقل .

والعقول مختلفة ومتعارضة فأصبحت هذه العقول تتلاعب بآيات الله فتجعل منه ماتشاء محكما إذا وافق هواها ومتشابها إذا لم يوافق هواها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير مايجعل الفريق الآخر مشكلا فمنكر الصفات الخبرية الذي يقول إنها لاتعلم بالعقل يقول نصوصها مشكلة متشابهة بخلاف الصفات المعلومة بالعقل — عنده بعقله — فإنها — عنده — محكمة بينة ، وكذلك يقول من ينكر العلو والرؤية نصوص هذه مشكلة ومنكر الصفات مطلقا يجعل مايثبتها مشكلا دون مايثبت أسماءه الحسنى ، ومنكر معاني الأسماء يجعل نصوصها مشكلة ، ومنكر معاد الأبدان وماوصفت به الجنة والنار يجعل ذلك مشكلا أيضا"[٢] .

وفي هذا الذي ذكره الشيخ رحمه الله عن أهل الابتداع من ضربهم لكتاب الله بعضه ببعض هو مما يوقع الشك في القلوب ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "لاتضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشك في القلوب"[٣] .

فإذا وقع الشك في القلوب وكان ذلك هو حال المبتدعة مع الكتاب العظيم فإنه يلزمهم أن يكون القرآن حينئذ كتاب ضلال وغي وحيرة لاكتاب هدى ورحمة.

---

(١) أساس التقديس للرازي مع مقدمة للدكتور محمد العربي (ص١٣٢) .

(٢) الدرء (١٦/١) .

(٣) ذم الكلام للهروي (١٣/٢) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "إن لازم هذا القول ألا يكون في القرآن هـدى ولابيان ولاشفاء بل ذلك كله في الدليل العقلي والقرآن إن وافقه فالاعتماد على الدليل العقلي لا على القرآن ، وإن خالفه أخذنا به لابالقرآن وماكان مخالفا للدليل العقلي فإما أن يفوض أو يؤول وعليه فليس للقرآن عند أصحاب هذا المنهج من حرمة ولافائدة"[1] .

(٢) إذا كانت كل فرقة ترى أن مايعارض عقلها يعد من المتشابه ، فحينئذ يصبح كتاب الله كله متشابها لاإحكام فيه .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "أن أصحاب هذا المنهج جعلوا دلالة القرآن ظنية ودلالة العقل قطعية والأدلة الظنية لايجوز الاحتجاج بها على المسائل الأصولية بل تكون من قبيل المتشابه الذي بينه الدليل العقلي ، فعلى هذا لايكون القرآن منقسما إلى محكم ومتشابه بل كله متشابه"[2] .

ولاشك أن هذا من أعظم الضلال والإسقاط لحرمة الكتاب فكيف يوصف القرآن الذي قال الله فيه ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[3] وغيرها من الآيات بأنه متشابه يورث الحيرة والشك وأنه ضلال لاهدى فيه فماذا بقي للقرآن من حرمة؟

---

(١) نقض التأسيس لشيخ الإسلام (٢/٣٠٥-٣١٠) بواسطة موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١/٣٨٥) .

(٢) نقض التأسيس لشيخ الإسلام (٢/٣٠٥-٣١٠) بواسطة موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١/٣٨٥) .

(٣) سورة البقرة : آية (٢) .

ثانيا : إسقاطهم لحرمة السنة النبوية المطهرة وصور ذلك :

لقد حذر الله في كتابه الكريم من رفع أصوات المؤمنين على صوت رسوله ﷺ أو أن يجهروا له بالقول فقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾(١) .

ففي هذه الآية توعد الله من يرفع صوته على صوت النبي بعد نزول هذه الآية بحبوط الأعمال ، وهذا هو غاية الخسران والعياذ بالله فكيف إذا عرفنا أن سبب نزول هذه الآية في أفضل خلق الله بعد الرسل والنبيين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند رسول الله عندما قدم وفد تميم فأشار كل منهم برجل ليؤمره النبي ﷺ على ذلك الوفد(٢) ، فانظر ماذا كان جواب الله لهما ولمن صنع بعد ذلك صنيعهما ، فهذا كله في حق من يرفع صوته على صوت الرسول ﷺ ، فكيف بالله عقاب من لايعظم رسول الله ولايتأدب معه ويصفه بأنه محمد البادي ويبخل عليه بوصف الرسالة ، هل هذا إلا دليل على سوء أدبه مع رسول الله ﷺ .

قال ابن كثير رحمه الله في ترجمة محمد بن عمر بن الحسين المشهور بالفخر الرازي المتكلم والمعروف أيضا بابن خطيب الري الفقيه الشافعي بأنه "قامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله : قال محمد البادي ، يعني العربي يريد به النبي ﷺ ، نسبة إلى البادية . وقال محمد الرازي يعني نفسه"(٣) .

فما هو ياترى عقاب الله لمن هذه حاله إن مات و لم يتب من تلك المقولة الساقطة؟ (٤)

أم كيف يعاقب الله من رد السنة كلها أو بعضا منها بذرائع سخيفة وعلل واهية ضعيفة ، كل ذلك صنعه أهل الابتداع والضلال ، وذلك يظهر جليا من خلال صور إسقاطهم لحرمة السنة النبوية الشريفة ، فمن هذه الصور مايلي :

---

(١) سورة الحجرات : آية (٢) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣١٦/٤) .

(٣) البداية (٦١/١/٦) .

(٤) أوماعلم الرازي أن الله نهى المؤمنين دعاء الرسول ﷺ باسمه المجرد كما يدعو بعضهم بعضا فقال : ﴿لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ سورة النور : آية (٦٣) .

الصورة الأولى :

طعنهم في السنة من خلال عدم اعتبارهم لها إذا خالفت عقائدهم .

تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر الدين الإسلامي ، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة عند علماء الإسلام قاطبة من الصحابة والتابعين وسائر أهل الإسلام . كيف لا والسنة النبوية تعتبر وحيا من وحي الله ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1] .

قال أبو الطيب القنوجي رحمه الله : "أي ماهذا الذي ينطق به من القرآن وكل أحواله وأقواله وأفعاله إلا وحي من الله يوحيه إليه"[2] .

وقال ﷺ مبينا منزلة السنة من الدين : "إلا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"[3] .

فإذا ثبت بنص الكتاب والسنة أن السنة من الوحي فحينئذ يجب على كل مسلم أن يعتقد أن السنة مصدر من مصادر الدين والتشريع الإسلامي ، وأنه منها تؤخذ العقائد والأحكام والآداب وكل مايمس حياة المسلم في أمور دينه ودنياه ، وهذا هو الحق الذي كان عليه عامة المسلمين إلى أن أطلت البدع على المسلمين فظهرت رؤوس أهل الابتداع حاملين معهم أخبث البدع وأشدها مروقا من الدين فطعنوا في سنة النبي ﷺ بردها جملة وتفصيلا وعدم اعتبارها مصدرا من مصادر الدين ، ولقد حمل لواء هذه البدعة كلا من :

(أ) الخوارج (الحرورية) :

تعتبر الخوارج من الفرق التي شذت في كثير من مسائل اعتقادها ، ومن تلك المسائل التي شذت فيها هو ردها لسنة النبي ﷺ التي زعموا أنها تخالف القرآن

---

(١) سورة النجم : آية (٣-٤) .

(٢) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان القنوجي (٢٤٥/١٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة برقم (٤٦٠٤) .

واعتمدوا على عقولهم الساذجة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "أن الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم ويدعون اتباع السنة التي زعموا أنها تخالف القرآن"[١] .

بل إن شيخ الإسلام رحمه الله بين أن رد السنة عند الخوارج يعتبر من خصائصهم المشهورة عنهم فقال رحمه الله : "ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم إحداهما : خروجهم عن السنة وجعلهم ماليس بسيئة سيئة أو ماليس بحسنة حسنة ... وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة فقائلها لابد أن يثبت مانفته السنة وينفي ماأثبتته السنة ويحسن ماقبحته السنة أو يقبح ماحسنته السنة ... والخوارج جوزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سنته و لم يوجبوا طاعته ومتابعته وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ماشرعه من السنة التي تخالف بزعمهم القرآن"[٢] .

ومن خلال كلام شيخ الإسلام رحمه الله السابق نلمس أن سبب رد الخوارج للسنة إنما هو اعتقادهم بعدم وجوب طاعته ومتابعته ﷺ إضافة إلى أنهم جوزوا عليه أن يضل في سنته .

ولقد ذكر أهل العلم سببا آخر لرد الخوارج لسنة النبي ﷺ وهو أنهم كانوا يكفرون عليا وعثمان رضي الله عنهما وأصحاب الجمل والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم ، وهذا طبعا معناه تكفير للصحابة رضي الله عنهم أو لأكثرهم ولسوادهم الأعظم .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩١) ، وانظر : الخوارج لناصر السعوي (ص١٧٦) .

(٢) المصدر السابق (١٩/٧٢-٧٣) ، الخوارج لناصر السعوي (ص١٧٦) .

قال صاحب كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : "وبذلك ردوا أحاديث جمهور الصحابة بعد الفتنة لرضاهم بالتحكيم واتباعهم أئمة الجور على زعمه فلم يكونوا أهلا لثقتهم"[١] .

بل إن الإمام البغدادي حكى عن شيخه أبي الحسن الأشعري إجماع الخوارج على هذه العقيدة فقال : "وإنما الصواب فيما يجمع الخوارج كلها ماحكاه شيخنا أبو الحسن رحمه الله من تكفيرهم عليا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم"[٢] .

إذا تبين لنا أن سبب إسقاط الخوارج لحرمة السنة من خلال ردهم للسنة جملة وتفصيلا إنما هو :

١- تجويزهم الضلال على النبي ﷺ مع عدم وجوب طاعته واتباع أمره .

٢- تكفيرهم لحملة حديث النبي ﷺ من الصحابة والتابعين وتابعيهم وذلك لأنهم لايكفرون الصحابة ويترضون عنهم وهم من الراضين بالتحكيم .

هذا هو اعتقاد الخوارج في سنة النبي ﷺ ، وعلى هذا القول برد السنة النبوية كلها جميع الخوارج ــ فيما أعلم ــ إلا ماكان من الأباضية وهم من فرق الخوارج التي تحتج بالسنة النبوية وتستدل بها في كتبها علىمسائل العقيدة والشريعة[٣] .

(ب) الرافضة (الإثنا عشرية) :

لقد ذهب الرافضة الاثنا عشرية إلى رد سنة النبي ﷺ ردا مبطنا و لم يصرحوا ظاهرا بذلك فهم لايقبلون من السنة النبوية إلا ماثبت عن أئمتهم المعصومين من أهل البيت أو ممن نسبوهم إلى الرفض زورا مثل سلمان الفارسي وعمار بن ياسر

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي (ص١٣٠) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص٧٤) .

(٣) انظر : الخوارج لناصر السعوي (ص١٧٧) ، زوابع في وجه السنة قديما وحديثا لصلاح الدين مقبول أحمد (ص٥٢) .

وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وآخرين من الصحابة لايتجاوز عددهم العشرة[١]
.

فالرافضة ردت جميع مايروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن عمر وعائشة وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة المكثرين من رواية الحديث .

وهذا الفعل من الرافضة يعود في الحقيقية إلى سببين :

الأول : أن الرافضة أصلا كفرت صحابة رسول الله ﷺ كلهم أجمعين و لم يستثنوا إلا أشخاصا معدودين . فبتفكيرهم الصحابة وطعنهم فيهم امتنعوا عن الأخذ عنهم لكفرهم وردتهم عن الدين كما زعموا ــ قبحهم الله ــ وتكفير الرافضة للصحابة هو اعتقاد الرافضة جميعا وبه تطفح كتب الرافضة وعلى رأسها الكافي أوثق كتبهم الأربعة ، ورجال الكشي عمدتهم في كتب الرجال وغيرهما من كتب الرافضة التي تبلغ المئات ، ومما يدل على مصداق ماذكرناه عن الرافضة ماترويه كتب الرافضة عن أبي جعفر في تكفيره للصحابة رضي الله عنهم "عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان الناس أهل الردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت ومن الثلاثة؟ فقال : المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفار ، وسلمان الفارسي"[٢] .

فهذا نص في أن الناس ارتدوا عامتهم بعد النبي ﷺ بما فيهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إلا من استثنت الرافضة .

الثاني : اعتقادهم أن قول أئمتهم المعصومين كقول الرسول ﷺ بل هو كقول الله ــ تعالى الله عن زعمهم ــ ولو نظر الناظر في تعريف السنة لدى الرافضة لوجد أنهم يعرفون السنة بأنها "كل مايصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير"[٣] .

---

(١) دراسات عن فرق وتاريخ المسلمين الخوارج والشيعة لأحمد جلي (ص٢٤٠) .

(٢) رجال الكشي (ص٦) ، الكافي للكليني (٢/٢٤٤) ، وانظر : أصول الشيعة للقفاري (٢/٥١٧) .

(٤) أصول الشيعة للقفاري (١/٣٠٨) .

وقصدهم بالمعصوم أئمتهم فهم استغنوا بما يرويه أئمتهم عن سائر الأحاديث التي يرويها صحابة رسول الله ﷺ ، لذلك فماترويه الأئمة عندهم صحيح لايشترط إيصال سندها إلى النبي ﷺ وذلك لأن الإمامة عندهم هي استمرار للنبوة ، والأئمة كالرسل قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله وأنهم لم ينطقوا إلا عن الله تعالى وعن وحيه[1] .

لذلك يروي صاحب الكافي عن أبي عبد الله أنه قال : "حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل"[2] .

من خلال هذا النص عرفنا سبب زهد الرافضة في قبولهم للسنة التي لم تأت عن طريق أئمتهم ولماذا ردوا أحاديث النبي ﷺ التي تعد بالآلاف واقتصروا على قول أئمتهم ، فهم ـ أي أئمتهم بالطبع يغنون في نظر الرافضة عن البحث وراء حديث رسول الله ﷺ لأن قول أئمتهم وحديثهم هو حديث رسول الله ﷺ ، بل بلغ بهم الشطح مبلغا عظيما عندما ادعوا أن قول أئمتهم هو قول الله فبالتالي لاحاجة لهم لابحديث محمد ﷺ ولابمحمد نفسه ﷺ مادام أنهم يستطيعون أن يأخذوا من المعين الذي يأخذ عنه محمد ﷺ مباشرة ، فعرفنا حينئذ كيف أسقط الرافضة ليس فقط حرمة السنة المطهرة بل كذلك حرمة صاحب السنة محمد ﷺ وزعموا مشاركته في أخص خصوصياته وهي رسالته وتلقيه الوحي عن الله تعالى .

الصورة الثانية :

رد بعض المتكلمين لحديث النبي ﷺ في باب العقائد .

لقد قام بعض المتكلمين بدور مهم في إسقاطهم لحرمة السنة النبوية وذلك عندما أبطلوا الاحتجاج بحديث النبي ﷺ والاستدلال به في باب العقائد ، سواء كان الحديث متواترا أو آحادا .

---

(١) أصول الشيعة للقفاري (٣٠٨/١) .
(٢) الكافي (٥٣/١) .

ولكن قبل أن نبين كلامهم في هذا لابد أن نعرف كلا من المتواتر والآحاد .

يقسم علماء الحديث والأصول حديث النبي ﷺ إلى :

(أ) متواتر .

(ب) وآحاد .

فأما المتواتر فهو مارواه جماعة يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم وأنسدوه إلى شئ محسوس .

وأما الآحاد : فهو مالم يجمع شروط التواتر[(١)] .

موقف المتكلمين من الحديث المتواتر والآحاد :

أولا : المتواتر :

إن بعض المتكلمين يقررون في كتبهم وجوب العلم والعمل بالخبر المتواتر .

فمن ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي الذي يقرر في تقسيمه للأخبار أن منها "مايعلم صدقه اضطرارا كالأخبار المتواترة"[(٢)] .

وكما أن المعتزلة يعتقدون وجوب العلم في الأخبار المتواترة بل اضطرادها وصدقها فكذلك الأشاعرة فهذا الباقلاني يدلل على أن الخبر المتواتر يوجب القطع بصدق ناقليه واستحالة الكذب عليهم[(٣)] .

وقال البغدادي : "المتواتر هو الذي يستحيل التواطؤ على وضعه ، وهو موجب للعلم الضروري بصحة مخبره"[(٤)] .

---

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر (ص١٤-٢٦) ، شرح الكوكب المنير (٣٢٣/٢، ٣٢٤، ٣٤٥) ، إرشاد الفحول للشوكاني (ص٤٦-٤٩) ، الأحكام للآمدي (١٤/٢-٣١) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص٧٦٨) ، الانتصار للخياط (ص٢٣٠، ٢٣١) ، المعتمد لأبي الحسين البصري (٥٤٦/٢، ٥٦٦) .

(٣) تمهيد الأوائل للباقلاني (ص٤٣٦، ٤٣٧) .

(٤) أصول الدين للبغدادي (ص١٢) .

ويقرر الجويني بأن المتواتر : "إذا توافرت شرائطه وتكاملت صفاته استعقب العلم بالمخبر عنه على الضرورة"[١] .

وقال الآمدي : "اتفق الكل على أن خبر التواتر مفيد للعلم بمخبره"[٢] .

والمقصود أن أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة قالوا بإفادة خبر التواتر للعلم القطعي[٣] .

هذا كله يقرره بعض المتكلمين نظريا ولكن عند التطبيق الواقعي نجد أنهم يخالفون ماقرروه من إفادة الخبر المتواتر للعلم القطعي وذلك بردهم للأخبار المتواترة في المسائل الاعتقادية التي لايثبتونها .

فمن ذلك :

إنكار المعتزلة لشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر :

فمن المعلوم أن شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته من الأخبار المتواترة كما صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من أهل العلم[٤] ، إلا أننا نجد المعتزلة من أهل الكلام ومن وافقهم أطبقوا على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ، وقد صرح القاضي عبد الجبار بذلك فقال : "على أن أصحاب الكبائر يفعل بهم مايستحقونه وأنه تعالى لايغفر لهم إلا بالتوبة والإنابة"[٥] .

وقال عن حديث النبي ﷺ "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[٦] : "إن هذا الخبر لم تثبت صحته أولا ، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ﷺ ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به"[٧] .

---

(١) الإرشاد للجويني (ص٤١٢) .

(٢) الأحكام للآمدي (١٥/٢) .

(٣) انظر : موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضا ونقدا للدكتور سليمان الغصن فلقد أطال وفقه الله في مناقشته لهذه القضية وأجاد (١٢٥/١) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/١٨) ، شرح العقيدة الطحاوية (٢٩٠/١) .

(٥) شرح الأصول الخمسة (ص٦٧٨) ، رسائل العدل والتوحيد (ص٢٨٣) ، مقالات الإسلاميين (١٦٦/٢) ، نهاية الإقدام للشهرستاني (ص٤٧٠) .

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (٢٤٣٥) وقال فيه هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة برقم (٤٧٣٩) ، وابن ماجه في كتاب الزهد برقم (٤٣١٠) ، وأحمد برقم (١٢٧٤٥) .

(٧) شرح الأصول الخمسة (ص٦٩٠) .

وهكذا يصرح المعتزلة بكذب أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر والتي بلغت مبلغ التواتر وذلك إمعانا منهم في إسقاط حرمة السنة فكيف يقررون العمل بالمتواتر ثم إذا جاءهم خبر متواتر قلبوا له ظهر المجن وتلمسوا الحيل والمعاذير في رده ، فأي ميزان هذا الذي يزنون به مايقبل ومايرد ، إنه العقل والهوى أعاذنا الله من الهوى .

ثانيا : أحاديث الآحاد :

من صور إسقاط المتكلمين لحرمة السنة ردهم لأحاديث الآحاد وعدم اعتبار الاستدلال بها في باب العقائد وذلك بسبب زعمهم أن خبر الآحاد لايفيد العلم مطلقا وإنما يفيد الظن سواء احتفت به القرائن أم لا ، وذلك نابع من حرصهم كما زعموا أن لايكون في الاستدلال على مسائل الاعتقاد إلا ماهو قطعي الثبوت لأن العقيدة من مهمات الدين فلا يستدل لها إلا بما هو ثابت قطعا ، وعلى هذا القول المتكلمون من المعتزلة وبعض الأشاعرة وغيرهم .

وممن رأى هذا الرأي من أئمة المتكلمين الباقلاني[١] ، والبغدادي[٢] ، وابن فورك[٣] ، والجويني[٤] ، والغزالي[٥] ، والقاضي عبد الجبار[٦] ، والرازي[٧] ، ونسبه جماعة[٨] إلى الأكثر من أهل الأصول ونسبه ابن حزم إلى الحنفية والشافعية وجمهور المالكية وإلى جميع المعتزلة والخوارج[٩] .

---

(١) تمهيد الدلائل (ص٤٤١) .

(٢) أصول الدين للبغدادي (ص٢٢) ، الفرق بين الفرق (ص٣٢٥) .

(٣) مشكل الحديث لابن فورك (ص٥) .

(٤) البرهان للجويني (ص٥٩٩،٦٠٦) .

(٥) المستصفى للغزالي (١/١٤٥) .

(٦) شرح الأصول الخمسة (ص٦٧٢،٦٩٠،٧٧٩) .

(٧) أساس التقديس (ص١٢٣) .

(٨) شرح الكوكب المنير (٢/٣٤٨) .

(٩) الإحكام لابن حزم (١/١١٩) .

وهذا الذي يذكره بعض المتكلمين من أن خبر الواحد لايفيد العلم مطلقا هو قول باطل لاصحة له ، بل القول الصحيح في هذه المسألة هو أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن ، وهو مذهب عامة الفقهاء وأكثر المتكلمين ، وبه قال الآمدي وابن حزم والقاضي أبو يعلى والموفق وابن حمدان والطوفي وابن الزاغوني ، ونصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وابن القيم رحمه الله ، فقال ابن تيمية : "جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له أو عملا به أنه يوجب العلم وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك ولكن كثيرا من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك ، وهو قول أكثر الأشعرية ، وأما الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك وتبعه على مثل ذلك أبو المعالي وأبو حامد وابن عقيل وابن الجوزي وابن الخطيب ونحو هؤلاء"(١) .

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله : "إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم ، هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لايفيد العلم بحال ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شئ اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول"(٢) .

هذا هو معتقد أهل السنة في أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن وهذه القرائن كثيرة منها :

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥١/١٣) ، وانظر : موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١٧٢/١) .

(٢) صون المنطق للسيوطي (ص١٦٠-١٦١) ، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١٧٥/١) .

١- تلقي الأمة للخبر بالقبول فإن هذا يوجب القطع بصحة ذلك الخبر لأن الأمة لاتجتمع على ضلالة فإجماعهم على تلقيه بالقبول دليل على علمهم بصحته ، ويدخل في ذلك قبول الأمة لجمهور أحاديث الصحيحين فإنها قد تلقاها الأمة والأئمة بالقبول وهم يعلمون علما قطعيا أن النبي ﷺ قالها ، وقد قرر هذا أئمة الحديث كابن الصلاح وابن حجر وغيرهما .

٢- من القرائن كذلك كون الحديث مشهورا مستفيضا إذا كانت له طرق متباينة سالمة من ضعف الرواة والعلل .

٣- كون الحديث مسلسلا بالأئمة الحفاظ المتقنين كالحديث الذي يرويه مالك عن نافع عن ابن عمر مثلا[١] .

وبعد معرفتنا لمذهب المتكلمين والسلف في خبر الواحد هل يفيد العلم أم لا؟ لماذا ياترى نرى بعض المتكلمين يصرون على موقفهم من أن خبر الواحد لايفيد العلم مطلقا؟

بعد النظر في هذا الأمر تبين لي — والعلم عند الله — أن ذلك يعود لأمرين :

الأول : تقديمهم الدليل والقياس العقلي على الدليل النقلي وذلك عند التعارض حسب زعمهم .

قال ابن القيم رحمه الله : "وإنما أتى منكر إفادة خبر الواحد للعلم من جهة القياس الفاسد فإن قياس المخبر عن رسول الله ﷺ بشرع عامة للأمة أو بصفة من صفات الرب تعالى على خبر الشاهد على قضية معينة ، ومابعد مابينهما فإن المخبر عن رسول الله ﷺ لو قدر أنه كذب عمدا أو خطأ و لم يظهر مايدل على كذبه لزم على ذلك إضلال الخلق"[٢] .

---

(١) انظر : شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي (ص٢٠) ، شرح النخبة لابن حجر (ص٢٨) ، مجموع الفتاوى (٤٨/١٨) ، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١٧٦/١،١٨٠) .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٥٣٢/٢) .

ومن الأمثلة على من رد حديث النبي ﷺ بسبب أنه لم يناسب عقله أو ذوقه مايذكر عن عمرو بن عبيد قال في رده لحديث سمعه : "لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته .. ولو سمعت رسول الله يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت ليس على هذا أخذت ميثاقنا"(١) .

فانظر كيف قاد تقديم العقل والأهواء على حديث رسول الله ﷺ إلى الجرأة على مقام النبوة والألوهية نعوذ بالله من الخذلان والخسران .

ولوجود مثل هذه النماذج السيئة التي تسقط حرمة السنة حذر السلف رضي الله عنهم أشد التحذير من رد حديث النبي ﷺ بمجرد عقول الرجال وأهوائهم فقال الإمام أحمد رحمه الله : "من رد حديث النبي ﷺ فهو على شفا هلكة"(٢) .

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال : "ولهذا كان من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه يجب على الخلق الإيمان بالرسول إيمانا مطلقا جازما عاما بتصديقه في كل مأمر وطاعته في كل مأأوجب وأمر ، وأن كل ماعارض ذلك فهو باطل وأن من قال يجب تصديق مأأدركته بعقلي ورد ماجاء به الرسول ﷺ لرأي عقلي ، وتقديم عقلي على مأأخبر به الرسول مع تصديقي بأن الرسول صادق فيما أخبر به فهو متناقض فاسد العقل ملحد في الشرع"(٣) .

ومن المعلوم أن هذا السبب في رد الحديث النبوي الموسوم بخبر الآحاد هو سبب يشترك فيه كل المتكلمين ويقعون فيه ، بل هو سمة من سماتهم التي بها يعرفون.

أما السبب الثاني لرد الحديث فقد تفرد به أهل الاعتزال من بين سائر المتكلمين ألا وهو تشكيك المعتزلة في عدالة النقلة ولاسيما الصحابة رضوان الله عليهم ، وذلك بناء على مذهبهم في الإيمان الذي هو الحكم على مرتكب الكبيرة في الدنيا بأنه في منزلة بين المنزلتين لامؤمن ولاكافرا فما وقع بين الصحابة من الاقتتال في الفتنة التي كانت بين علي ومعاوية أو علي وعائشة رضي الله عنهما بعد مقتل عثمان رضي الله عنه جعل المعتزلة يفسقون أولئك الصحابة ويطعنون في

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٢٧٨) .

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/٢٦٠) .

(٣) الدرء (١/١٨٩) .

عدالتهم ، فهم لايقبلون رواية الصحابة لأجل ماحصل من الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم .

قال البغدادي : "وقد شارك عمرو واصلا في ردهما شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب علي وزاد عمرو على واصل في هذه البدعة فقال بفسق كلتا الفرقتين المتقاتلتين يوم الجمل وذلك أن واصلا إنما رد شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب علي رضي الله عنه وقبل شهادة رجلين كلاهما من أحد الفريقين وزعم عمرو أن شهادتهما مردودة وإن كانا من فريق واحد لأنه قال بفسق الفريقين جميعا ، وقد افترقت القدرية بعد واصل وعمرو في هذه المسألة فقال النظام ومعمر والجاحظ في فريق يوم الجمل بقول واصل"[1] .

هذه هي الأسباب — في نظر الباحث — التي جعلت المتكلمين يصرون على القول بأن خبر الواحد لايفيد العلم مطلقا ، ولاشك أن القول بعدم إفادة خبر الواحد العلم هو قول له لوازم خطيرة منها :

١- القدح في الرسول والطعن فيه وإسقاط حرمته ، أما لماذا فلأنه كان ﷺ يعلم الصحابة الواحد بعد الواحد فكان عليه أن يحتاط لهذا الدين الذي ائتمنه الله عليه فلايبلغ شيئا من الدين إلا بحضور الآلاف من الناس ،حتى إذا نقلوا هذا الدين ينقله عدد متواتر عن متواتر لكي لايرده بعض المتكلمين .

٢- قال ابن القيم رحمه الله : فيلزم من قال أن أخبار رسول الله ﷺ لاتفيد العلم أحد أمرين :

أ- إما أن يقول إن الرسول لم يبلغ غير القرآن ومارواه عنه عدد متواتر ، وماسوى ذلك لم تقم به حجة ولاتبليغ .

ب- وإما أن يقول إن الحجة والبلاغ حاصلان بما لايوجب علما ولايقتضي عملا[2] .

---

(١) الفرق بين الفرق (ص١٢١) ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (١١٠/١) ، زوابع في وجه السنة قديما وحديثا (ص٥٣) .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص٥٥٢) .

ومن العجيب أن بعض المتكلمين مع إصرارهم الشديد بأن خبر الواحد لايفيد العلم لديهم فإننا نجدهم يستدلون بخبر الواحد ليس في مسائل الأحكام التي هي مسائل الحلال والحرام بل في مسائل العقيدة التي ردوا الاستدلال عليها بخبر الواحد وهذا إن دل فإنما يدل على تناقضهم وعلى أن القضية كلها مبنيـــة علـــى العقـــول والأذواق والأهواء والتشهيّ في قبول الأخبار أو ردها ، فمن الأمثلة على استدلالهم بخبر الواحد على مسائل العقيدة ماأشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله عن المتكلمين "فإنك تراهـــم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة مايذهب إليه بالخبر الواحد .

ترى أصحاب القدر يستدلون بقوله ﷺ "كل مولود يولد علـــى الفطـــرة"[١] وبقول الله في الحديث القدسي "خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم"[٢] ، وترى أهل الإرجاء يستدلون بقوله "من قال لاإله إلا الله دخل الجنة ، قيل وإن زنى وإن سرق؟ قال : وإن زنى وإن سرق"[٣] .

وترى الرافضة يحتجون بقوله ﷺ "يجاء بقوم من أصحابي فيقال إنك لاتدري ماأحدثوا بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم"[٤] ، وترى الخوارج يســـتدلون بقوله ﷺ : "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[٥] ، وبقوله : "لايزني الزانـــي حـــين يزني وهو مؤمن"[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر برقم (٦٥٩٩) ، وأخرجه مسلم في كتاب القدر برقم (٢٦٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٦٥٨) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٢٦) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق برقم (٦٥٨٢) ، وأخرجه مسلم في كتـــاب الفضـــائل برقـــم (٢٢٩٠) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم (٤٨) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٦٤) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب برقم (٢٤٧٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٥٧) .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي يستدل بها أهل الفـــرق ومشـــهور معلـــوم استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها ، فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد[١] .

وقبل أن نختم هذا المطلب يحسن بنا أن نعرض لكلام شيخ الإسلام ابن تيميـــة وهو كلام نفيس ومهم يبين ماهي حقيقة منزلة نصوص الكتاب والسنة لدى المبتدعة فقال رحمه الله : "وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقـــالتهم لمـــا اتبعـــوه ... وإنمـــا يدفعـــون عـــن نفوسهم الحجة : إما برد النقل ، وإما بتأويل المنقول فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن وإلا فهم ليسوا متبعين ولامؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول بل ولابحقيقة القرآن"[٢] .

فانظر رعاك الله كيف يتحيل المبتدعة الحيل لرد نصوص الكتاب والسنة لأنهـــا لاتوافق عقولهم وآراءهم فأين بالله احترام النصوص وتعظيمها في النفـــوس؟ إن هـــذا مالايمكن لنصوص الكتاب والسنة أن تجده عند أهل الابتداع ، بل إنها لاتجد عندهم إلا مايسقط حرمتها ويذهب هيبتها ، وهذا ماقام به أهل الابتداع حقيقة وطبقوه على أرض الواقع أبشع تطبيق .

هذا هو السبب الأول من أسباب سوء المنهج في فهم نصوص الكتاب والسنة لدى المبتدعة ولايمكن أن نحيط بجوانب سوء الفهم وصوره إلا إذا تعرضنـــا للســـبب الثاني الذي هو الخلل في منهج الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لدى المبتدعـــة ، وهذا ماسنعرضه له في المطلب الثاني إن شاء الله .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٥٥٨،٥٥٩) ، وانظر : الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/١١٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/٧٣) .

المطلب الثاني
الخلل في منهج الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لدى المبتدعة وصور ذلك

إن الخلل في منهج الاستدلال بالنصوص لدى أهل الابتداع كان له دور فعال في سوء الفهم لنصوص الكتاب والسنة لدى أهل الابتداع ، ولايمكن لنا أن نتصور حجم هذا الدور والوقوف على حقيقته وتأثيره إلا إذا وقفنا على صور الخلل في منهج الاستدلال وأمثلته لدى المبتدعة حينئذ يتبين لنا مصداقية وفاعلية هذا السبب في سوء المنهج لفهم نصوص الكتاب والسنة ، ولكن قبل أن نستعرض تلك الصور وأمثلتها هنا قضية مهمة يجب الانتباه لها ووضعها في الحسبان عندما نحاول تتبع مظاهر وصور الخلل في منهج الاستدلال هذه القضية هي :

أن المبتدعة لهم طرق كثيرة في الاستدلالات سواء كانت استدلالات بالكتاب والسنة أو غير ذلك من الأدلة فهي لايحصرها حاصر .

ولايضبطها ضابط فهي سيالة كثيرة متعددة الوجوه والأشكال وهذه القضية نبه عليها أهل العلم رحمهم الله ، فيقول الشاطبي رحمه الله : "ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلالات عرف أنها لاتنضبط لأنها سيالة لاتقف عند حد وعلى كل وجه يصح لكل زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة"[١] .

فهذا الذي ذكره الشاطبي رحمه الله لايمكن أن نخصص له مثالا من فرقة معينة فقط أو مذهب فهذا لايمكن والسبب هو أن كل أهل الابتداع هم أمثلة لهذا التخبط في منهج الاستدلال خاصة فيما يتعلق بالاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ، ولذلك يقول الشاطبي رحمه الله : "وكذلك كل من اتبع المتشابهات أو حرف المناطات أو حمل الآيات مالاتحمله عند السلف الصالح أو تمسك بالأحاديث الواهية أو أخذ الأدلة ببادي الرأي له أن يستدل على كل فعل أو قول أو اعتقاد وافق غرضه بآية

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٢٨٥) .

أو حديث لايفوز بذلك أصلا ، والدليل عليه استدلال كل فرقة شهدت بالبدعة على بدعتها بآية أو حديث من غير توقف[1] .

ومع كثرة أسباب الخلل في منهج الاستدلال إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بين أن أصل ضلال أهل البدع فيما يتعلق بسوء الاستنباط والفهم والتحريف لنصوص الكتاب والسنة يعود إلى أنهم أعرضوا عن فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما فهمهما الصحابة رضوان الله عليهم مع معارضتهم للنصوص بما يناقضها .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى كما فهمه الصحابة والتابعون ومعارضة مادل عليه بما يناقضه وهذا هو من أعظم المحادة لله ولرسوله"[2] .

من صور الخلل في منهج الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لدى المبتدعة :

كما مر معنا فإن صور الخلل في منهج الاستدلال لدى أهل الابتداع لايضبطها ضابط يمكن أن ترجع إليه ولكن هنالك بعض الصور التي تمثل جانب الخلل في منهج الاستدلال سنعرض إليها مبينا تلك الصور والأمثلة الدالة على وجود تلك الصور حقيقة لدى أهل الابتداع ، فمن هذه الصور مايلي :

الصورة الأولى :

عدم جمع نصوص المسألة الواحدة في موطن واحد .

كثيرا مايلجأ أهل الابتداع إلى أخذ بعض النصوص التي توافق معتقداتهم ويتركون غيرها حتى أصبح ذلك منهجا يتميز به أهل الابتداع في استدلالهم .

والحقيقة أن هذه الصورة يقع فيها كثير من أهل الابتداع ولو أنهم جمعوا نصوص المسألة الواحدة في الموطن الواحد لبان الحق واضحا لذي عينين ولأخذ به

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٢٨٥) .

(٢) الدرء (٥/٣٨٣) .

الباحثون عن الحق والحقيقة ولكن هذا ما لم يفعله أهل الابتداع ، وهذا يعود لجهلهم بطرق الاستدلال الصحيحة ولذلك يقول الشاطبي رحمه الله : "فكثيرا مانرى الجهال يحتجون لأنفسهم بأدلة فاسدة وبأدلة صحيحة اقتصارا بالنظر على دليل ما وإطراحا للنظر في غيره من الأدلة"(١) .

بعض الأمثلة على هذه الصورة :

المثال الأول : حكم مرتكب الكبيرة :

لكل من الخوارج والمرجئة قول في هذه المسألة ، فنحن لو نظرنا في قول كل من الخوارج والمرجئة في مرتكب الكبيرة لوجدنا أن بينهما تناقضا شديدا ، فالخوارج تحكم على مرتكب الكبيرة بأنه كافر خالد مخلد في النار ، وأما المرجئة فمرتكب الكبيرة لديها هو مؤمن كامل الإيمان(٢) ، فلو لاحظنا أسباب هذا التناقض لوجدنا الخلل في منهج الاستدلال ، فالخوارج أخذت بنصوص الوعيد على إطلاقها وردت نصوص الوعد ، ومن ذلك استدلال الخوارج بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣) ، واستدلوا بآيات وأحاديث كثيرة فيها معنى الوعيد(٤) ، بينما نرى المرجئة يستدلون بنصوص الوعد على إطلاقها ويردون نصوص الوعيد على إطلاقها فتراهم يستدلون بمثل قوله ﷺ : "من كان آخر كلامه في الدنيا لاإله إلا الله دخل الجنة"(٥) وقوله : "من قال لاإله إلا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار"(٦) وغير ذلك من أدلة الوعد فمعلوم أنه ينتج عن الأخذ بمنهج الخوارج تكفير المسلمين وإخراجهم من دين الله ، وينتج عن الأخذ بمنهج المرجئة ضياع الإسلام وأركانه وشعائره ، فبمجرد

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢٢٢/١) .

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للإمام محمد بن أحمد الملطي (ص٥٧-٦٣) .

(٣) سورة يونس : آية (٢٧) .

(٤) الخوارج لناصر السعوي (ص٩٢) .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب رقم (١) ، باب ماجاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لاإله إلا الله .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة برقم (١١١٣) .

قول لاإله إلا الله يصبح الإنسان حرا في ارتكاب كل منكر وفاحشة ولايضره ذلـــك لأنه مؤمن كامل الإيمان ، بينما أهل السنة والجماعة يقولون أن مرتكب الكبيرة مسلم فاسق ، فهم أثبتوا له الإسلام مع الفسق فلم يخرجوه من الإسلام والملة والدين كمـــا قالت بذلك الخوارج ، ولم يجعلوه مؤمنا كامل الإيمان كما جعلته المرجئـــة[١] ، بـــل مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته .

ولقد علل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سبب هذا الخلاف والتبـــاين بـــين الخوارج والمرجئة وأرجعه إلى عدم جمع نصوص المسألة في الموطن الواحد وأخذ كل من الفريقين بطرف من النصوص مع تركه للباقي ، قال رحمه الله : "فالطائفـــة الأولى ـــ الخوارج ـــ نظروا إلى نصوص الوعيد ، والطائفة الثانية ـــ المرجئة ـــ نظـــروا إلى نصوص الوعد .

وأما أهل السنة : فآمنوا بكل ماجاء من عند الله و لم يضربوا بعض ذلك ببعض ، ونظروا في الكتاب والسنة فوجدوا أن أهل الكبائر من الموحدين الذين توعدهم الله بالعقاب بين أن عقابهم يزول عنهم بأسباب"[٢] . ثم ذكر رحمه الله تلك الأسباب .

المثال الثاني : في تأويل الصفات :

لو نظرنا في موقف أهل الابتداع من مسألة الصفات لوجدنا تباينـــا وتناقضـــا كبيرا ، فالمعطلة جهمية ومعتزلة وأشاعرة ونحوهم تنفي كثيرا من الصفات ، ومن ذلك صفة اليد الثابتة لله فهي تجعلها بمعنـــى القـــدرة أو النعمـــة ، بينمـــا الممثلـــة مـــن الكرامية[٣] ومتقدمي الرافضة يثبتون صفة اليد لله لكنهم يقولون يد كيدي المخلـــوق

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص٥٧-٦٢) .

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى لابن قاسم (١٢٣/١) .

(٣) الكرامية : أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام (ت٢٥٥هـ) وهم يثبتون الصفات إلا أنهم ينتهـــون فيها إلى التجسيم والتشبيه ، ويثبتون القدر خيره وشره ، وافقوا المعتزلة على القـــول بالتحســـين والتقبيح العقليين ، وبأن معرفة الله واجبة بالعقل قبل ورود الشرع ، والإيمان عندهم هو الإقـــرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الأعمال ولكن فرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما يرجع إلى أحكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة والجزاء .
فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة . =

فنحن إذا نظرنا إلى استدلال الجهمية ببعض النصوص الشرعية المثبتة لصفة اليد فإنهم يفسرونها بمعنى النعمة أو القدرة .

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[١] :

"والأصل في الجواب عن ذلك أن اليد ههنا بمعنى النعمة"[٢] .

وقال الرازي في تأويله لصفة اليد بمعنى القدرة أو النعمة : "أما قوله تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٣] فالمعنى أن قدرة الله غالبة على قدرة الخلق ، وأما قوله تعالى حكاية عن اليهود أنهم قالوا : "يد الله مغلولة" فاليد ههنا بمعنى النعمة"[٤] .

فنحن نلاحظ أن الجهمية أولوا نصوصا كثيرة تفيد إثبات اليد حقيقة لله وأنها ليست بمعنى النعمة أو القدرة ، ومن تلك النصوص التي تثبت حقيقة اليد لله قوله تعالى : ﴿إن الذين يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ فكيف تكون اليد حقيقة في جنب المخلوق ومجاز في حق الله ، مع أن السياق واحد ، ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله : "فلما كانوا يبايعون رسول الله ﷺ بأيديهم ويضرب بيده على أيديهم كان رسول الله ﷺ هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله معا ، ولما كان سبحانه فوق سمواته وعرشه فوق الخلائق كلهم كانت يديه فوق أيديهم ، كما أنه سبحانه فوقهم فهل يصح هذا لمن ليس له يد حقيقة ، فكيف يستقيم أن يكون المعنى قدرة الله ونعمته فوق قدرهم ونعمهم"[٥] .

ومن الأدلة أيضا على كون معنى اليد حقيقة في حق الباري سبحانه وتعالى قوله ﷺ : "ماتصدق أحد صدقة من طيب ولايقبل الله إلا الطيب إلا أخذها بيمينه"[٦] .

= انظر : مقالات الإسلاميين (٢٢٣/١) ، الملل والنحل للشهرستاني (١٠٨/١) ، سير أعلام النبلاء (٢٣٦/٧) .

(١) سورة المائدة : آية (٦٤) .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٢٢٨) ، شرح المواقف (ص١٧٦) ، أساس التقديس (ص٩٦) .

(٣) سورة الفتح : آية (١٠) .

(٤) أساس التقديس للرازي (ص٩٧) .

(٥) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص٣٨٥) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (٧٤٣٠) ، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (٦٣) .

وكذلك قوله ﷺ : "المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين"[١] وغيرها كثير من النصوص الصحيحة والثابتة والمثبتة ليد الله حقيقة .

يقول ابن القيم رحمه الله : "ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده"[٢] .

وفي مقابل الجهمية كما ذكرنا سابقا المشبهة الذين يشبهون صفات الله بصفات خلقه من الكرامية ونحوهم[٣] القائلين بتشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين عموما من ذلك أنهم أثبتوا اليد لله لكن قالوا هي كيد المخلوق ، وهذا مايجب أن ينزه عنه الخالق فإن الله سبحانه وتعالى ﴿ليس كمثله شئ﴾ فهم عندما نظروا إلى بعض النصوص فهموا منها معنى التشبيه مع أنها بعيدة كل البعد عن التشبيه فأخذوا بتلك النصوص ومنها نصوص إثبات صفة اليد لله ، فهم فهموا من قوله ﷺ "الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه"[٤] فهم فهموا من هذا الحديث أن يد الله كيد المخلوق في المصافحة والتقبيل وهذا فهم باطل ، فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أن له يدا ونحن نفهم معنى اليد ونثبتها لله سبحانه وتعالى ، لكن أن تكون يد الله كيد المخلوق في صفتها فهذا حقيقة مالايمكننا القول به ، لأن حقيقة وكنه تلك الصفة لانعلمها بل نكل علمها إلى الله ، والنصوص ترد هذا الفهم فإنهم لو جمعوا بين هذا النص وبين قوله تعالى ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ ، وقوله تعالى : ﴿هل تعلم له سميا﴾ أي مثيلا له سبحانه لجمعوا بين الأدلة وبالتالي سلموا من القول على الله بغير علم ومن ثم تشبيهه بخلقه .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأمارة برقم (١٨٢٧) .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص٣٨٤) .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين (٢٨١/١) ، الفرق بين الفرق (ص٢٢٥) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (٣٢٨/٦) ، وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٢٢٣) ، وممن حكم على ضعفه ابن تيمية رحمه الله في كتابه التدمرية (ص٧٢) ، وذكر أنه لايصح عن رسول الله ﷺ وإنما هو موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما .

المثال الثالث : خلق أفعال العباد :

ذهبت المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد إلى أن العبد هو الذي يخلق فعله وليس الله ولذلك يقول القاضي عبد الجبار : "اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم وأن الله جل وعز أقدرهم على ذلك ولافاعل لها ولامحدث سواهم وأن من قال أن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه"(١) .

وعلى النقيض من قول المعتزلة قالت الجهمية أن الله هو خالق أفعال العبد وليس للعبد فعل ولاقدرة ولاإرادة ومشيئة ، وقد نقلت كتب المقالات والفرق قول الجهمية هذا ومن ذلك قول البغدادي عن الجهم : "وقال لافعل ولاعمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال : زالت الشمس ، ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به"(٢) .

فلو نظرنا إلى كل من القولين لوجدنا بينهما تناقضا كبيرا ولذلك هم عندما يستدلون على هذه المسألة بنصوص الكتاب والسنة نجد المعتزلة مثلا تأخذ بنصوص تثبت أن الإنسان هو المسئول عن فعله وأنه الخالق له ، وكذلك الجهمية الجبرية تأخذ بنصوص تثبت أن الله هو الذي يخلق الإنسان وفعله ، وتترك كلا من الفرقتين نصوصا مهمة تغافلت عن الرجوع إليها وذكرها ، ومن الأمثلة على ذلك :

أن المعتزلة تستدل على مذهبها في أفعال العباد بقوله تعالى : ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٣) ، ووجه استدلالهم أن الله بين في هذه الآية أن أفعاله كلها متقنة والإتقان يتضمن الإحكام والحسن جميعا ، ومعلوم أن في أفعال العباد مايشتمل على التهود والتنصر والتمجس وليس شئ من ذلك متقنا فلايجوز أن يكون الله تعالى خالقا لها(٤) فنفى أن يكون في خلقه باطل والكفر والقبائح من

---

(١) المغني في أبواب العدل والتوحيد (٣/٨) ، تحقيق توفيق الطويل وسعيد زايد .

(٢) الفرق بين الفرق (ص٢١١) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وانظر : القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للدكتور عبد الرحمن المحمود (ص٢٩٩-٣٣١) .

(٣) سورة النمل : آية (٨٨) .

(٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي (ص٣٥٨) .

الباطل فيجب ألا تكون من جهة الله بل من جهتنا ومتعلقة بنا[١] .

وغيرها من الأدلة التي فهموا منها أن العبد هو الذي يخلق فعله وليس الله تعالى .

وأما الجبرية فهم يستدلون بمثل قوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[٣] .

وبعد عرض أدلة كل من الفريقين لو لاحظنا لوجدنا أن كل فريق منهم أخذ بطرف من النصوص وترك الطرف الآخر ، ولو جمعوا بين النصوص في موطن واحد لظهر الحق ولبان الصواب ، ولكن الله سبحانه وتعالى ادخر ذلك لأهل السنة والجماعة فجمعوا بين النصوص فأثبتوا أن للعبد فعلا حقيقة وله مشيئة وإرادة ، وأن الله خالق للعبد وفعله وليس في ذلك تعارض ، فإن فعل العبد ومشيئته داخلة في مشيئة الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله مقررا عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك بعد عرضه لأقوال الجبرية والمعتزلة : "وقال أهل الحق أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاه وهي مخلوقة لله تعالى والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لاخالق لها سواه ، فالجبرية غلوا في نفي صنع العبد أصلا والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى ولهذا كانوا "مجوس هذه الأمة" ، بل أردأ من المجوس من حيث إن المجوس أثبتوا خالقين وهم أثبتوا خالقين ، وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري فإنما يدل على أن الله خالق كل شئ وأنه على كل شئ قدير وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي (ص٢٦٢) .
(٢) سورة الأنفال : آية (١٧) .
(٣) سورة النساء : آية (٧٨) .
(٤) سورة التكوير : آية (٢٩) .

ولايدل على العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولامريد ولامختار ، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مريد له مختار له حقيقة ، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق ولايدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته . فإذا ضممت مامع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الآخرى فإنما يدل ذلك على مادل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع مافي الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم"[1] .

الصورة الثانية :

بتر النصوص .

من الخلل في منهج الاستدلال بالنصوص لدى أهل الابتداع بترهم للنصوص الشرعية ، فعندما ننظر في بعض استدلالات المبتدعة بالنصوص نلاحظ فيها هذا الخلل وهذه الصورة واضحة جلية ، ولذلك نبه السلف رضوان الله عليهم على خلل هذا المنهج الذي يسلكه المبتدعة مع النصوص ، فالمبتدعة يتقنون التلاعب بالنصوص فيأتي أحدهم لنص سواء كان من الكتاب أو السنة فيأخذ من النص مايوافق معتقده ويترك مايناقض معتقده سواء كان ذلك من أول النص أو وسطه أو آخره .

قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله : "والذي نفس محمد بيده لوددت أن يميني هذه تقطع على كبر سني وأنهم أتموا آية من كتاب الله عز وجل ولكنهم يأخذون بأولها ويتركون آخرها ويأخذون بآخرها ويتركون أولها"[2] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص٤٣٧) ، تحقيق الألباني .

(٢) الشريعة للآجري (ص٢٠٣) تحقيق حامد الفقي .

ومن الأمثلة على هذه الصورة مايلي :

١- استدلال المتصوفة على جواز رقصهم في السماع وزفهم ودورانهم على أقدامهم بقوله تعالى في سورة الكهف عن أهل الكهف : ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا﴾[١] وهذا في الحقيقة بتر للنص من السياق الذي هو فيه وحمله على معنى باطل ، فالآية في صميم التوحيد والعبودية لله سبحانه وتعالى ، فهؤلاء الفتية تركوا عبادة قومهم التي هي من الشرك وأخلصوا دينهم لله ، ففي آخر هذه الآية يبين الله الغرض الذي سيقت لأجله وذلك عند النظر في باقي الآية ، قال تعالى : ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[٢] .

ولذلك يقول الشاطبي رحمه الله متعجبا من استدلال المتصوفة بهذه الآية على جواز السماع والرقص ونحو ذلك بقوله رحمه الله : "أين فيه أنهم قاموا يرقصون أو يزفون أو يدورون على أقدامهم؟ ونحو ذلك"[٣] .

٢- استدلال القدرية على أن الإنسان يخلق فعله وليس لله في ذلك فعل بآيات من الكتاب ، ومن ذلك لما احتج غيلان الدمشقي أمام عمر بن عبد العزيز على مقالته في القدر بقوله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٤] .

فهنا احتج غيلان بأول سورة الإنسان وترك آخر السورة الذي فيه ماينفي اعتقاده وعند سماع عمر بن عبد العزيز لهذه الحجة قال له عمر : "اقرأ آخر السورة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٥] ففي هذه الآية إثبات أن الإنسان

---

(١) سورة الكهف : آية (١٤) .

(٢) سورة الكهف : آية (١٤) .

(٣) الاعتصام للشاطبي (٢٨١/١) تحقيق الشيخ رشيد رضا .

(٤) سورة الإنسان : آية (٢-٣) .

(٥) سورة الإنسان : آية (٣٠-٣١) .

لايستقل بفعل وإرادة ومشيئة خارجة عن فعل الله ومشيئته وإرادته ﴿وماتشاءون إلا أن يشاء الله﴾ وبعد ذلك قال له عمر : "وماتقول ياغيلان؟ قال أقول : قد كنت أعمى فبصرتني وأصم فأسمعتني وضالا فهديتني" ثم رجع إلى مقالته في عهد هشام بن عبد الملك فصلبه[1].

٣- استدلال الجهمية على نفي علو الله على خلقه واستوائه سبحانه وتعالى على عرشه وأنه سبحانه وتعالى بنفسه في كل مكان ، قال تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[2] .

فهنا يظهر لنا بتر الجهمية لهذه الآية فهم أخذوا بوسطها وتركوا أولها وآخرها المثبت أن الله معهم بعلمه سبحانه وتعالى لابذاته كما يقول الجهمية ، ولذلك شنع الإمام الدارمي رحمه الله على صنيع الجهمية هذا في بترهم لهذه الآية فقال رحمه الله : "وتعلقتم بوسط الآية وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به فقال ﴿ألم تر أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ... إلى قوله : ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم﴾ ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم لاأنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم"[3] .

الصورة الثالثة :

جعلهم ماكان عاما خاصا وماكان مطلقا مقيدا والعكس .

يلجأ دوما أهل الابتداع في استدلالهم إلى طرق ملتوية كثيرة منها التلاعب بدلالات الألفاظ مثل العموم والخصوص والمطلق والمقيد ، فتجدهم يستدلون بنصوص عامة على مسألة خاصة أو العكس ، ويستدلون بنصوص مطلقة على

---

(١) الشريعة للآجري ، تحقيق الشيخ حامد الفقي (ص٢٠٨) ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (٢/٦٩٣-٦٩٤) .

(٢) سورة المجادلة : آية (٧) .

(٣) الرد على الجهمية للإمام الدارمي (ص٤٣) .

مسألة مقيدة أو العكس ، وهذه الطريقة في الاستدلال أوقعت فئاما من المبتدعة في مزالق الابتداع والضلال ، فهذه الطريقة في الحقيقة خلل في منهج الاستدلال ، عظيم خطرها ولذلك نبه أهل العلم رحمهم الله على هذا المسلك الذي سلكه أهل الابتداع ، وممن نبه على ذلك الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه الاعتصام فإنه قال رحمه الله : "من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها وبالعمومات من غير تأمل ، هل لها مخصصات أم لا؟ وكذلك العكس فإن هذا المسلك رمى في عماية واتباع للهوى في الدليل وذلك أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد فإذا قيد صار واضحا ، كما أن إطلاق المقيد رأي في ذلك المقيد معارض للنص من غير دليل"[١] .

الأمثلة على هذه الصورة :

(١) الخوارج :

لقد أخذ الخوارج بحظ وافر من الاستدلال بنصوص على غير وجهها خاصة فيما نحن بصدده مثل جعل ماكان عاما خاصا ، وماكان مطلقا مقيدا وعكسهما ، ولذلك عندما سئل نافع مولى ابن عمر رضي الله عنه عن رأي ابن عمر في الخوارج أجاب بأن قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هو أنه "يراهم شرار خلق الله إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"[٢] .

وهذا الذي ذكره ابن عمر رحمه الله هو من باب جعل ماكان خاصا عاما ، فهناك آيات أنزلت في الكفار خاصة حملها الخوارج وجعلوها عامة فأدخلوا فيها غير الكافر من المؤمنين ، ومن ذلك الاستدلال على كفر مرتكب الكبيرة الذي هو عند أهل السنة فاسق بقوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[٣] .

---

(١) الاعتصام (١/٢٤٥-٢٤٦) تحقيق محمد رشيد رضا .

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/١٨٣) .

(٣) سورة عبس : آية (٣٨-٤٢) .

فهم قالوا :والفاسق على وجهه غبرة فوجب أن يكون من الكفرة الفجـــرة[١]
فهذه الآية ذكر الله فيها أن من هذهِ صفته فهو كافر بل حكم الله بكفره بصريح الآية والفساق ولاشك أن لفسقهم أثرا في وجوهم لكن إذا كانوا مـــن أهـــل التوحيـــد ومقيمون لأركان الإسلام فهم ليسوا بكفرة مهما ارتكبوا من المعـــاصي والكبـــائر ، وهذا هو مذهب أهل السنة فحملهم الآيات الخاصة بأهل الكفر على أهل الإســـلام وتعميمهم الآية عليهم قول لايشك في بطلانه .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ : "أي الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى : ﴿ولايلدوا إلا فاجرا كفارا﴾"[٢] فقـــول ابن كثير بأن قلوبهم كافرة لاينطبق على المسلم الفاسق الذي هو مؤمن بقلبه وأكـــد ذلك ابن كثير بأن الكافر لايلد إلا كافرا والمسلم الفاسق العاصي مرتكب الكبيرة إنما هو مسلم وليس بكافر . فدل هذا كله على خطأ تفسير الخوارج لهذه الآية ومايترتب على ذلك من استدلال خاطئ .

٢- ومن الأمثلة لدى الخوارج أيضا جعلهم ماكان عاما خاصا وهو عكـــس المثال السابق ، فهم جاءوا لمثل قوله تعالى ﴿إن الحكم إلا لله﴾ وهو لفظ عام لايراد به الخصوص لكنهم فهموا أنه لاحكم لأحد سوى الله مع أن الله سبحانه وتعالى جعل في آيات كثيرة الحكم فيها لغيره وهذا يخالف قولهم ، ولذلك قال الإمام الملطي الشافعي رحمه الله في معرض رده على الخوارج : "يقال لهم من أين قلتم لاحكم إلا لله وقـــد حكم الله الناس في كتابه في غير موضع كقوله عز وجل في جزاء الصيد ﴿يَحْكُمُ بِـــهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾[٤] .

---

(١) الخوارج لناصر السعوي (ص١٠٥) .
(٢) تفسير ابن كثير (٤/٧٤٥) .
(٣) سورة المائدة : آية (٩٥) .
(٤) سورة النساء : آية (٣٥) .

ثم قال رحمه الله بعد سرده لعدد من الآيات : "فهذا محكم القرآن قد جعل أحكاما كثيرة إلى العلماء وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله فكيف قلتم لاحكم إلا لله"[١] .

إذا فهذه الآية التي يستدلون بها على أنه لاحكم إلا لله وأن من حكم الناس في كتاب الله فقد كفر هي حجة عليهم فهو عام لامخصص له ، ولذلك قال الإمام الشاطبي رحمه الله معقبا على استدلال الخوارج بهذه الآية وناقدا له : "فإنه مبني على أن اللفظ ورد بصيغة العموم فلايلحقه تخصيص ... وإلا فلو علموا تحقيقا قاعدة العرب في أن العموم لم يرد به الخصوص لم يسرعوا إلى الإنكار ولقالوا في أنفسهم : هل هذا العام مخصوص؟ ثم قال رحمه الله في آخر نقده لاستدلال الخوارج :"فمثل هذه الاستدلالات لايعبأ بها وتسقط مكالمة أهلها"[٢] .

فانظر كيف خصص الخوارج عموم الآية إلى أن الحكم فقط لله وأخذوا ذلك من ظاهر لفظ الآية وماعلموا أن الآية وإن كان معناها ظاهرا يوهم بالعموم لكنه عموم لايراد به الخصوص بل عام يراد به العموم وبالتالي يصح حكم غير الله لمن أذن الله لهم من العلماء في القضايا الاجتهادية ، ومع هذا فهو لايخرج الإنسان من الدين لأن الله أذن له في ذلك الحكم .

٣- ومن الأمثلة على جعل ماكان مقيدا مطلقا استدلال الجهمية والمعتزلة على نفي رؤية الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[٣] فقالوا هذا فيه دليل على أن الله نفى رؤية العالمين له مطلقا ولذلك جعل القاضي عبد الجبار المعتزلي نفي الرؤية في الآية هنا دليل على أن الرؤية لاتقع على وجه مطلقا[٤] .

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي (ص٦٣) .

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢٣٨/١) ، وانظر أيضا : الملل والنحل للشهرستاني (ص١٣٥) .

(٣) سورة الأعراف : آية (١٤٣) .

(٤) المغني للقاضي عبد الجبار (١٦٢/٤) .

ولقد أبطل أهل السنة والجماعة استدلال المعتزلة بهذه الآية على نفي رؤية الله في الآخرة ، ومن ذلك قول الإمام الدارمي رحمه الله : "فاحتج محتج منهم بقول الله تعالى لموسى "لن تراني ..." قلنا هذا لنا عليكم لالكم إنما قال "لن تراني" في الدنيا لأن بصر موسى من الأبصار التي كتب الله عليها الفناء في الدنيا فلا تحتمل النظر إلى نور البقاء فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار والأسماع للبقاء فاحتملت النظر إلى الله عز وجل بما طوقها الله ألا ترى أنه يقول : "فإن استقر مكانه فسوف تراني" ولو قد شاء لاستقر الجبل ورآه موسى ولكن سبقت منه الكلمة أن لايراه أحد في الدنيا فلذلك قال : "لن تراني" ، فأما في الآخرة فإن الله تعالى ينشئ خلقه فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء فيراه أولياؤه جهرا"[١] .

٤- ومن الأمثلة على جعل ماكان مطلقا مقيدا استدلال المتصوفة بأدلة على تحديد أوقات معينة من الليل أو النهار بأذكار مخصوصة لهذه الأوقات لاتتجاوزها ، ومن هذه الأدلة التي يستدل بها المتصوفة على تخصيص الذكر بوقت معين ماروته عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم أنه ﷺ "كان يذكر الله على كل أحيانه"[٢] فقالوا هذا دليل على أن الإنسان يجوز له أن يحدد أوقاتا وأحيانا معينة بذكر معين وهذا موافق لهدي الرسول ، هذا هو زعمهم[٣] .

ولكن عند التأمل في فعل النبي ﷺ نجده ﷺ لم يخصص وقتا من الأوقات بذكر مخصوص يجتمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم ويرددون ذلك الذكر بصوت واحد ، هذا كله لم يعرف عن رسول الله ﷺ وصحابته .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في نقده لتقييد الصوفية الآيات والأحاديث المطلقة في الأذكار وبيان كيف كان السلف رضي الله عنهم يذكرون الله تعالى : "فلم يلتزموا فيه[٤] كيفيات ولاقيدوه بأوقات مخصوصة بحيث تشعر باختصاص التعبد بتلك الأوقات إلا ماعينه الدليل ... فكل من خالف هذا الأصل

---

(١) الرد على الجهمية للإمام الدارمي (ص١٢٥) .
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحيض برقم (٣٧٣) .
(٣) الاعتصام للشاطبي (١/٢٥٠) .
(٤) أي : في الذكر .

فقد خالف إطلاق الدليل أولا لأنه قيد فيه بالرأي وخالف من كان أعرف منه بالشريعة وهم السلف الصالح رضي الله عنهم ، بل كان رسول الله ﷺ يترك العمل وهو يحب أن يعمل به خوفا أن يعمل به الناس فيفرض عليهم[١] .

الصورة الرابعة :

إستعمال الألفاظ المجملة والمشبهة .

لقد نهى الله عباده المؤمنين أن يستعملوا في خطابهم للرسول ﷺ المتشابه من الألفاظ والمصطلحات فقال في كتابه الكريم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] ، ونهي الله سبحانه وتعالى لهم إنما يعود لما يجره لفظ "راعنا" من الاشتباه والإجمال ولما يحمله من معاني سيئة فيها سوء أدب مع رسول الله ﷺ .

قال العلامة صديق حسن خان القنوجي رحمه الله : "ووجه النهي عن ذلك أن هذا اللفظ كان بلسان اليهود سبا قيل أنه في لغتهم بمعنى اسمع لاسمعت وقيل غير ذلك فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي ﷺ راعنا طلبا منه أن يراعيهم من المراعاة اغتنموا الفرصة وكانوا يقولون للنبي ﷺ كذلك مظهرين أنهم يريدون المعنى العربي مبطنين أنهم يقصدون السب الذي هو معنى هذا اللفظ في لغتهم ، وفي ذلك دليل على أنه ينبغي تجنب الألفاظ المحتملة للسب والنقص وإن لم يقصد المتكلم بها هذا المعنى المفيد للشتم سدا للذريعة ودفعا للوسيلة وقطعا لمادة المفسدة والتطرق إليه ثم أمرهم الله بأن يخاطبوا النبي ﷺ بما لايحتمل النقص ولايصلح للتعريض فقال : "وقولوا أنظرنا" أي أقبل علينا وانظر إلينا"[٣] .

فنستفيد من هذا التوجيه الرباني أن المسلم يجب عليه أن يتجنب مافيه إجمال وإشكال وإيهام من الألفاظ خاصة فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد التي لها علاقة برأس ماله الذي هو دينه ، إلا أن أهل البدع والضلال لم ينتبهوا إلى هذا التوجيه

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢٥٠/١) .

(٢) سورة البقرة : آية (١٠٤) .

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٤٣/١) .

الرباني و لم يعيروه اهتماما بل على العكس من ذلك فلقد حرص أهل الابتداع على استعمال الألفاظ المجملة والمتشابهة لترويج باطلهم وبدعهم على الناس ، فهم يأتون إلى لفظ معين يحتمل عدة معان فيدخلون مع هذه المعاني معنى باطلا يؤيد مذهبهم أو يأخذ معنى من تلك المعاني الصحيحة والمعروفة لذلك اللفظ ويستعملونه في غير ماوضعته اللغة ، ومن هنا يأتي لبس الحق بالباطل من قبل المبتدعة على عامة الناس .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وصفه لحال هؤلاء المبتدعة : "ولكن هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة وصاروا يدخلون فيها من المعاني ماليس هو المفهوم منها في لغات الأمم ثم ركبوها وألفوها تأليفا طويلا بنوا بعضه على بعض وعظموا قولهم وهولوه في نفوس من لم يفهمه ولاريب أن فيه دقة وغموضا لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة ، فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته فأخذ يعترض عليهم قالوا له : أنت لاتفهم هذا وهذا لايصلح لك فيبقى مافي النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تسلم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده وعلى ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل"[(١)] .

ولعظم خطر هذا الخلل في منهج الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لدى أهل الابتداع جعل شيخ الإسلام اتباع الألفاظ المجملة والمشتبهة وكذلك تفسير كلام الله حسب الاصطلاح الحادث الذي أحدثه المبتدعة من أعظم أسباب غلطهم في فهم كلام الله ورسوله ، فقال رحمه الله : "ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها"[(٢)] .

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام عنهم من استعمال المعاني الحادثة وإدخالها في ألفاظ لها معان مغايرة ، لهذه المعاني الحادثة هو أمر يلمسه كل من تأمل في استدلالات أهل الابتداع ويقف على ماهية هذا الخلل لديهم .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٩٥) .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله (١٢/١٠٦-١٠٧) .

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو الخبير بطرق اســـتدلالات أهل الابتداع : "فإن هؤلاء عبروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن وربما جاءت في القرآن بمعنى آخر فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن بل قد يكون معناها المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفيا باطلا نفاه الشرع والعقل وهم اصطلحوا بتلك العبارات على معان غير معانيها في لغة العرب فتبقى إذا أطلقوا نفيها لم تدل في لغة العرب على باطل ولكن تدل في اصطلاحهم الخاص على باطل"[1] .

ولكن الذي منع هؤلاء المبتدعة من معارضة معاني القرآن صراحة ومـــن دون مماراة هو أنهم يعلمون أن العامة قيل الخاصة من أهل السنة لن يستجيبوا لهـــم ولـــن يسمحوا لأهل الابتداع بذلك لحرمة نصوص الكتاب والسنة عند أهل السنة والجماعة يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "وإذا كان ألفاظ النصوص لها حرمة لايمكن المظهـــر للإسلام أن يعارضها فهم يعبرون عن المعاني التي تنافيها بعبارات أخـــرى ابتدعوهـــا ويكون فيها اشتباه وإجمال كما قال الإمام أحمد : "فهم مختلفون في الكتاب مخـــالفون للكتاب مجمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم"[2] .

ومع عدم تصريح المبتدعة الضلال بمعارضة القرآن سواء كان خوفا من ثـــائرة المسلمين أو لأي سبب آخر فإن المرء يعجب أشد العجب من فشو البدع التي هي في الأصل منبثقة عن الاستدلال لها بالألفاظ المجملة وكيف أوقعت تلك الألفاظ المجملـــة المشتبه من وقع في البدع والضلال فأين كانت عقولهم وأفهامهم؟

ولكن يزول ذلك العجب وهذا الاستغراب عندما نعلم أن البدعـــة لاتكـــون باطلا محضا لأنها لو كانت كذلك لردت ورفضت ولعرف بطلانها الناس كلهـــم ، وكذلك لو كانت البدعة حقا محضا لكانت موافقة للسنة ولكنها مشتملة على قليـــل من الحق وكثير من الباطل ، وذلك الحق القليل الذي تحمله هـــو ســـبب اعتناقهـــا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢٢٣/١) .

(٢) تلبيس الجهمية لابن تيمية (١٢/٢) إخراج محمد عبد الرحمن القاسم .

والقول بها من قبل أصحاب العقول القاصرة الذين لاينظرون إلى البدع بنور النبوة والعلم بل ينظرون إليها نظر المعجب بها .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "فإن البدعة لاتكون حقا محضا موافقا للسنة إذ لو كانت كذلك لم تخف على الناس ولكن تشتمل على حق وباطل فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل إما مخطئا غالطا وإما متعمدا لنفاق فيه وإلحاد"[١] .

الأمثلة على هذه الصورة :

بعد عرضنا حال أهل الابتداع مع استعمال الألفاظ المجملة يحسن بنا أن نذكر أمثلة تدل على أن أهل الابتداع سعوا إلى استغلال الألفاظ المجملة والمتشابهة لترويج بدعهم ، ومن هذه الأمثلة مايلي :

المثال الأول :

استدلال الرازي على نفي الجسم في اصطلاحهم بقوله تعالى : ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[٢] فقال : "وصف نفسه بكونه ظاهرا وباطنا ولو كان جسماً لكان ظاهره غير باطنه فلم يكن الشئ الواحد موصوفا بأنه ظاهر وبأنه باطن"[٣] .

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على استدلال الرازي هنا بهذه الآية على نفي الجسمية بقوله : "اعتقاد النفاه هو أنه لاداخل العالم ولاخارجه وأنه ليس فوق السموات رب ولاعلى العرش إله وأن محمدا ﷺ لم يعرج به إلى الله وإنما عرج به إلى السموات فقط لا إلى الله وإن الملائكة لاتعرج إلى الله بل إلى ملكوته وأن الله لاينزل منه شئ لاويصعد إليه شئ وأمثال ذلك وإن كانوا يعبرون عن ذلك

---

(١) الدرء (٢/١٠٤) .

(٢) سورة الحديد : آية (٣) .

(٣) أساس التقديس للرازي (ص٣٦) .

بعبارات مبتدعة فيها إجمال وإبهام وإيهام كقولهم : ليس بمتحيز ولاجسم ولاجوهر ولاهو في جهة ولامكان وأمثال هذه العبارات التي تفهم منها العامة تنزيه الرب تعالى عن النقائص .

ولفظ الجسم فيه إجمال قد يراد به المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت أو مايقبل التفريق والانفصال أو المركب من مادة وصورة أو المركب من الأجزاء المفردة التي تسمى الجواهر الفردة والله تعالى منزه عن ذلك كله ، أو كان متفرقا فاجتمع أو أن يقبل التفريق والتجزئة التي هي مفارقة بعض الشئ بعضا وانفصاله عنه أو غير ذلك من التركيب الممتنع عليه ، وقد يراد بالجسم مايشار إليه أو مايرى أو ماتقوم به الصفات والله تعالى يرى في الأخرى وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم فإن أراد بقوله "ليس بجسم" هذا المعنى قيل له هذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول وأنت لم تقم دليلا على نفيه . وأما اللفظ فبدعة نفيا وإثباتا فليس في الكتاب ولاالسنة ولاقول أحد من سلف الأمة وأئمتها إطلاق لفظ الجسم في صفات الله تعالى لانفيا ولاإثباتا"[١] .

وبعد أن علق شيخ الإسلام رحمه الله على لفظ الجسم المحدث تعقب أيضا استدلاله بالآية وبين وجه الصواب في معناها فقال : "وقوله تعالى ﴿هو الظاهر﴾ ضمن معنى العالي كما قال تعالى : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾[٢] ، ويقال ظهر الخطيب على المنبر وظاهر الثوب أعلاه بخلاف بطانته ، وكذلك ظاهر البيت أعلاه وظاهر القول ماظهر منه وبان ، وظاهر الإنسان خلاف باطنه ، فكلما علا الشئ ظهر ، ولهذا قال : "أنت الظاهر فليس فوقك شئ"[٣] فأثبت الظهور وجعل موجب الظهور أنه ليس فوقه شئ ولم يقل ليس شئ أبين منك ولاأعرف ... وقال : "أنت الباطن فليس دونك شئ" فيهما معنى الإضافة لابد أن يكون البطون والظهور لمن يظهر ويبطن وإن كان فيهما معى التجلي والخفاء ومعنى آخر كالعلو في الظهور فإنه سبحانه لايوصف بالسفول ... لكن إنما يظهر من الجهة العالية علينا فهو يظهر

---

(١) التلبيس لابن تيمية (١/٥٥٠) .

(٢) سورة الكهف : آية (٩٧) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٧١٣) .

علما بالقلوب وقصدا له ومعاينة إذا رؤي يوم القيامة وهو باد عال ليس فوقه شيء ومن جهة أخرى يبطن فلايقصد منها ولايشهد وإن لم يكن شئ أدنى منه فإنه من ورائهم محيط فلا شئ دونه سبحانه"[١] .

المثال الثاني :

استدلال بعض المتكلمين على أن من معاني القرآن مالايعلم تأويلها إلا الله ومن ذلك مباحث ومسائل الاعتقاد ، فالناس في زعمهم لايعلمون هذه المعاني ولايفهمونها على ظاهرها لذلك يجب علينا حملها إلى معاني أخرى مؤولة تناسب وتتلاءم مع العقول واستدل المتكلمون على كلامهم هذا بقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾[٢] . ثم زعموا أن هذا القول قال به أبي بن كعب وابن مسعود وعائشة وابن عباس وغيرهم .

وهذا الاستدلال بلفظ مجمل وهو لفظ التأويل على أن معناه كما زعموا صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لقرينة تدل على ذلك هو استدلال باطل لأنه تفسير لمعنى التأويل في الآية باصطلاح حادث وهو تعريفهم للتأويل بأنه صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لقرينة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله معقبا على هذا التفسير للتأويل الصادر من المبتدعة وعلى أن السلف في زعمهم موافقون لهم : "إن أولئك السلف الذين قالوا ﴿لايعلم تأويله إلا الله﴾ كانوا يتكلمون بلغتهم المعروفة بينهم و لم يكن لفظ "التأويل" عندهم يراد به معنى التأويل الاصطلاحي الخاص "وهو صرف اللفظ عن المعنى المدلول عليه المفهوم منه إلى معنى يخالف ذلك فإن تسمية هذا المعنى وحده تأويلا إنما هو اصطلاح طائفة من المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ليس هو عرف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم لاسيما ومن يقول أن لفظ التأويل هذا معناه يقول : إنه يحمل اللفظ على المعنى المرجوح لدليل يقترن به

---

(١) تلبيس الجهمية لابن تيمية (٥٥١/١) .

(٢) سورة آل عمران : آية (٦) .

وهؤلاء يقولون : هذا المعنى المرجوح لايعلمه أحد من الخلق والمعنى الراجح لم يـــرده الله[(١)] .

وبعد أن بين ابن تيمية رحمه الله مراد المتكلمين من معنى التأويل ذكر رحمه الله أن للتأويل في عرف السلف معنيان هما :

الأول : التأويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القـــرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير .

الثاني من معاني التأويل : الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قـــال تعـــالى : ﴿هل ينظُرُونَ إلَّا تَأْوِيلَهُ يومَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَـــا بِالْحَقِّ﴾[(٢)] .

فالأول من معاني التأويل هنا هو بمعنى تفسير الكلام وهو الكلام الذي يفســـر به اللفظ حتى يفهم معناه أو تعرف علته أو دليله .

ومعنى التأويل الثاني هنا هو عين ماهو موجود في الخارج ومنه قول عائشـــــة رضي الله عنها عن النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"[(٣)] يتأول القرآن تعني قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْـــتَغْفِرْهُ﴾[(٤)] وهو قول سفيان بن عيينة السنة هي تأول الأمر والنهي"[(٥)] .

أما الآية التي استدل بها المتكلمون هنا فلقد استدل بها قبل المبتدعة أهل السنة والجماعة على قاعدة من قواعد الاستدلال لديهم وهي القاعدة الخامسة التي ذكرهـــا شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب التدمرية يقول : "القاعدة الخامسة أنا نعلم ماأخبرنا به من وجه دون وجه"[(٦)] .

ثم استدل على هذه القاعدة بآيات منها قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْـــكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَـــابِهَاتٌ فَأَمَّـــا الَّذِيـــنَ فِـــي

---

(١) الدرء (١/٢٠٦) .

(٢) سورة الأعراف : آية (٥٣) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان برقم (٨١٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة برقم (٢١٧) .

(٤) سورة النصر : آية (٣) .

(٥) التدمرية تحقيق السعوي (ص٩٢-٩٤) بتصرف يسير .

(٦) التدمرية (ص٨٩-٩٠) .

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾[١] .

ثم قال شيخ الإسلام عقب هذه الآية : "وجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف عند قوله ﴿ومايعلم تأويله إلا الله﴾ وهذا هو المأثور عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وروي عن ابن عباس أنه قال : التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لايعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لايعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب"[٢] .

فعندما نعرف من خلال هذا الكلام أن قول السلف بالوقف على قوله ﴿لايعلمه إلا الله]﴾ يقصدون به النوع الرابع من أنواع التفسير الذي ذكره ابن عباس وهو مالم يعلم حقيقة كنهه إلا الله فنحن نعلم أن الله يتصف بأنه مستوي على العرش مثلا ونفهم هذا المعنى لكن كيف استوى هذا مالايعلمه إلا الله ، فإذا قول المتكلمين أن معاني آيات الكتاب الكريم في باب الاعتقاد هي كلها من هذا الباب هو قول باطل ويلزم منه أن القرآن ليس كتاب هدى وبيان بل هو كتاب ضلال قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وأما تأويل ماأخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها وذلك في حق الله : هو كنه ذاته وصفاته التي لايعلمها غيره ، ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما : "الاستواء معلوم والكيف مجهول" وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف يقولون : إنا لانعلم كيفية ماأخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه"[٣] .

---

(١) سورة آل عمران : آية (٧) .
(٢) التدمرية (ص٨٩-٩٠) .
(٣) الدرء (٢٠٧/١) .

المثال الثالث :

استدلال الجهمية ومن ذهب مذهبهم على خلق القرآن بقوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾(١) فزعموا أن جعل في هذه الآية بمعنى خلق وكل مجعول هو مخلوق ، فالقرآن إذا مخلوق(٢) .

وهذا أيضا يعتبر من التعلق بالألفاظ المجملة المتشابهة ولكن عند التفصيل يعرف الحق من الباطل ، فنحن نقول أن جعل في القرآن تأتي على معنى خلق وعلى غير معنى خلق ، فمجئ لفظ جعل على لفظ خلق منه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾(٣) ، وقوله : ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾(٤) ، وقوله : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(٥) وغيرها كثير فهي تحمل معنى خلق .

وأما الآيات التي جاءت بلفظ جعل وليست بمعنى خلق فمنها قوله تعالى لإبراهيم : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(٦) قال الإمام أحمد رحمه الله : "لايعني إني خالق للناس إماما لأن خلق إبراهيم كان متقدما"(٧) ، وقال سبحانه على لسان إبراهيم : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾(٨) ، قال الإمام أحمد رحمه الله : "لايعني اخلقني مقيم الصلاة"(٩) ، ومنه أيضا قوله سبحانه : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾(١٠) قال الإمام أحد رحمه الله : "لايعني وخلقه دكا"(١١) .

---

(١) سورة الزخرف : آية (٣) .
(٢) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل (ص١٠٦) .
(٣) سورة الإسراء : آية (١٢) .
(٤) سورة نوح : آية (١٦) .
(٥) سورة الأعراف : آية (١٨٩) .
(٦) سورة البقرة : آية (١٢٤) .
(٧) الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص١٠٨) .
(٨) سورة إبراهيم : آية (٤٠) .
(٩) الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص١٠٨) .
(١٠) سورة الأعراف : آية (١٤٣) .
(١١) الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص١٠٩) .

ثم قال الإمام أحمد رحمه الله بعد سرده لهذه الآيات وجوابه عنها : "ومثلـــه في القرآن كثير فهذا وماكان على مثاله لايكون على معنى خلق ، فإذا قال الله "جعـــل" على معنى خلق وقال جعل على غير معنى خلق فبأي حجة قال الجهمي جعل علـــى معنى خلق؟ فإن رد الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون فلما قال الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] ، وقال : ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِيـــنَ بِلِسَـــانٍ عَرَبِـــيٍّ مُبِينٍ﴾[2] ، وقال : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾[3] فلما جعل الله القرآن عربيا ويســـره بلسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلا من أفعال الله تبارك وتعالى جعل القرآن به عربيا يعني هذا بيان لمن أراد هداه الله مبينا وليس كما زعموا معناه أنزلناه بلسان العرب وقيـــل بيناه"[4] .

هذا هو حال أهل الابتداع مع الألفاظ المجملة يدخلون مع ماثبت من معانيهـــا معان أخرى باطلة يلبسون بها على كثير من الناس ولايظن ظان أن هذا المســـلك في الاستدلال بالألفاظ المجملة والمتشابهة أمرا هينا بل أنه ترك آثارا سيئة ، سيئة على أهل الابتداع بالدرجة الأولى وسيئة على من يعايشونهم من عوام المسلمين ومن يقرأون لهم ، فمن هذه الآثار السيئة في الأخذ بمنهج الألفاظ المجملة المشبهة ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أربعة آثار ، بل أنه وصف هذه الآثار بالعظائم فقال رحمه الله : "هؤلاء ارتكبوا أربع عظائم :

---

(١) سورة الزخرف : آية (٣) .

(٢) سورة الشعراء : آية (١٩٤-١٩٥) .

(٣) سورة مريم : آية (٩٧) .

(٤) الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص١٠٩-١١٠) ، ولمزيد من الأمثلة انظر : الصفدية لابن تيميـــة (٩٩/١-١٠٠) ، الدرء لابن تيمية (٢٣٠/١-٢٥٥) ، (٢١٦/٢) ، مجموع الفتـــاوى (٩٠/٦) ، تلبيس الجهمية لابن تيمية (٣٠/١) .

أحدها : ردهم لنصوص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
الثاني : ردهم مايوافق ذلك من معقول العقلاء .
الثالث : جعل ماخالف ذلك من أقوالهم المجملة أو الباطلة هي أصول الدين .
الرابع : تكفيرهم أو تفسيقهم أو تخطئتهم لمن خالف هذه الأقوال المبتدعة المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول"(١) .

ثم ذكر رحمه الله في موضع آخر أثرا خامسا ألا وهو أن الأخذ بالألفاظ المجملة هو أحد أهم وأعظم أسباب وقوع أهل الكلام في الحيرة والشك والضلال فقال رحمه الله :

"ومن صار من أهل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة والحيرة فإنما ذاك لفساد استدلاله إما لتقصيره ، وإما لفساد دليله ، ومن أعظم أسباب ذلك الألفاظ المجملة التي تشتبه معانيها"(٢) .

وأما السلف رضوان الله عليهم فنجاهم الله من سلوك مسلك أهل الابتداع في الأخذ بالألفاظ المجملة في مسائل الاعتقاد بل اعتصموا بالكتاب والسنة فيما يستدلون به ويعتقدونه .

قال شيخ الإسلام رحمه الله وهو يعرض مذهب السلف في قضية إثبات ونفي الألفاظ المجملة : "وأما السلف والأئمة فلم يدخلوا مع طائفة من الطوائف فيما ابتدعوه من نفي أو إثبات بل اعتصموا بالكتاب والسنة ورأوا ذلك هو الموافق لصريح العقل فجعلوا كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته حقا يجب الإيمان به وإن لم تعرف حقيقة معناه ، وكل لفظ أحدثه الناس فأثبته قوم ونفاه آخرون فليس علينا أن نطلق إثباته ولانفيه حتى نفهم مراد المتكلم ، فإن كان مراده حقا موافقا لما جاء به الرسل والكتاب والسنة من نفي أو إثبات قلنا به ، وإن كان باطلا مخالفا لما جاء به الكتاب والسنة من نفي أو إثبات منعنا القول به"(٣) .

---

(١) الدرء (٢٧٧/١) .
(٢) الدرء (٢٧٥/١) .
(٣) مجموع الفتاوى (٣٦/٦-٣٧) .

هذا هو منهج السلف رضي الله عنهم في التعامل مع الألفاظ المجملة وهو الاستفصال لما فيه إجمال من العبارات فيقبل ماوافق الكتاب والسنة ويرد مايخالف الكتاب والسنة ، ولو لاحظنا طريقة السلف هذه لوجدنا أنها تراعي المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل كما قرر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله فقال : "فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ماجدوا إلى ذلك سبيلا ، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه"(١) .

ونحن عندما نتأمل مذهب السلف وموقفهم الذي مر معنا من الألفاظ المجملة نجده موقفا مؤصلا ينطلق من أصول شرعية ثابتة أصيلة فلم يأت هذا الموقف ارتجاليا أو نتيجة لهوى ، بل إن الأصول التي ينطلق منها السلف رضي الله عنهم بينوها وأظهروها للناس .

قال شيخ الإسلام رحمه الله مبينا تلك الأصول الشرعية : "والأصل في هذا الباب أن الألفاظ نوعان :

الأول : نوع مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل الإجماع فهذا يجب اعتبار معناه وتعليق الحكم به ، فإن كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح ، وإن كان ذما استحق الذم ، وإن أثبت شيئا وجب إثباته وإن نفى شيئا وجب نفيه لأن كلام الله حق وكلام رسوله حق وكلام أهل الإجماع حق ، وهذا كقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٢) ، وقوله تعالى : ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ﴾(٣) ونحو ذلك من أسماء الله وصفاته .

---

(١) الدرء (٢٥٤/١) .

(٢) سورة الإخلاص : آية (١-٤) .

(٣) سورة الحشر : آية (٢٢-٢٣) .

الثاني : وأما الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع فتلك لايجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناها إلا أن يبين أنه يوافق الشرع"[١] .

ثم إن السير على تلك الأصول الشرعية التي ينطلق من خلالها السلف رضي الله عنهم في التعامل مع الألفاظ المجملة والأخذ بمنهج السلف الاستفصالي والاستفساري لما فيه إجمال واشتباه في الألفاظ يكسب الإنسان فائدتين عظيمتين :

الأولى في باب الشرع ، والثانية في باب العقل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله متحدثا وشارحا لهاتين الفائدتين : "واعلم أن هذا[٢] نافع في الشرع والعقل :

أما الشرع : فإن علينا أن نؤمن بما قاله الله ورسوله فكل ماثبت أن الرسول ﷺ قاله فعلينا أن نصدق به وإن لم نفهم معناه لأنا قد علمنا أنه الصادق المصدوق الذي لايقول على الله إلا الحق وماتنازع فيه الأمة من الألفاظ المجملة كلفظ المتحيز والجهة والجسم والجوهر والعرض وأمثال ذلك فليس على أحد أن يقبل مسمى اسم من هذه الأسماء لافي النفي ولافي الإثبات حتى يتبين له معناه ، فإن كان المتكلم بذلك أراد معنى صحيحا موافقا لقول المعصوم كان ماأراده حقا وإن كان أراد به معنى مخالفا لقول المعصوم كان ماأراده باطلا ، ثم يبقى النظر في إطلاق ذلك اللفظ ونفيه وهي مسألة فقهية فقد يكون المعنى صحيحا ويمتنع من إطلاق اللفظ لما فيه من مفسدة ، وقد يكون اللفظ مشروعا ولكن المعنى الذي أراده المتكلم باطل كما قال علي رضي الله عنه لمن قال من الخوارج المارقين "لاحكم إلا لله" : كلمة حق أريد بها باطل .

وأما نفع هذا الاستفسار في العقل فمن تكلم بلفظ يحمل معاني لم يقبل قوله ولم يرد حتى نستفسره ونستفصله حتى يتبين المعنى المراد ويبقى الكلام في المعاني العقلية لافي المنازعات اللفظية فقد قيل أن أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك

---

(١) الدرء (٢٤١/١) .

(٢) يقصد بقوله "وهذا" أي الاستفصال لما فيه إجمال والاستفسار عنه .

الأسماء ومن كان متكلما بالمعقول الصرف لم يتقيد بلفظ بل بجرد المعنى بأي عبارة دلت عليه"[١] .

وبعد عرضنا لمذهب السلف وموقفهم من الألفاظ المجملة وبيان الأصل الذي انطلقوا منه وذكر فائدة سلوك السلف لذلك المسلك لابد أن نبين أن السلف رضي الله عنهم عندما ذموا ماذموه من الاصطلاحات المحدثة التي انبنى عليها كثير من البدع لم يذموها لمجرد تلك الاصطلاحات المحدثة التي انبنى عليها كثير من البدع لم يذموها لمجرد تلك الاصطلاحات فقط ، بل ذمهم كان منصبا بالدرجة الأولى لما تحمله تلك المصطلحات من المعاني الفاسدة التي يبلغ ضررها هدم العقيدة في النفوس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا سبب ذم السلف للمصطلحات المحدثة : "بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث ألفاظه فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة ومخالفة للعقل الصريح ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والنسة وكل ماخالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعا"[٢].

---

(١) الدرء (٢٩٦/١، ٢٩٧، ٢٩٩) .

(٢) الدرء (٢٣٢/١-٢٣٣) .

المبحث الثاني
الجهل بمقاصد الشريعة

أولا : تعريف مقاصد الشريعة :

لم يضع العلماء المتقدمون لمقاصد الشريعة تعريفا خاصا وإنما كان اهتمامهم بسير المقاصد وحصرها وذكر قواعدها وأدلتها ونحو ذلك[١] .

ولكن المتأخرين من علماء أصول الفقه وضعوا تعريفا لمقاصد الشريعة فذكروا تعاريف كثيرة اخترت منها التعريف الآتي وهو في نظري — والعلم عند الله — وافيا شاملا لما نحن بصدده ، فتعريف مقاصد الشريعة هو :

"الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[٢] .

فمن أعظم هذه الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها توحيد الله وعبادته وطاعته والمحافظة على هذا الدين عقائد وأحكاما وكذلك المحافظة على العقول والأنفس وغير ذلك مما هو يعتبر مصلحة عظيمة من مصالح العباد سعت الشريعة للمحافظة عليها من كل مايهدد وجودها أو يتسبب في عدمها وذهابها .

ثانيا : أهمية مقاصد الشريعة :

إذا علمنا أن من أعظم مقاصد الشريعة رعاية مصالح العباد في أمور دينهم ودنياهم علمنا حينئذ الدور العظيم الذي تضطلع به مقاصد الشريعة وهو دور يمكن أن نوجزه ونلخصه بعبارة واحدة هي أن الشريعة الإسلامية تسعى لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، هذا هو مايمكن أن نلخص فيه جميع مقاصد الشريعة . وهذا المطلب العظيم الذي هو سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة لايمكن أن يحصل وأن يكون للإنسان إلا إذا خضع الإنسان لتعاليم الشرع المطهر الحنيف فيستجيب له ظاهرا وباطنا سرا وعلانية .

---

(١) انظر : مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية (ص٣٣) ، د. محمد سعد اليوبي .

(٢) نظرية المقاصد عند الشاطبي (ص٧) للريسوني .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله مبينا أهمية الشريعة ومقاصدها : "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها ، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون ، وهداه الذي به اهتدى المهتدون ، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل فهي قرة العيون ، وحياة القلوب ، ولذة الأرواح فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها ، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا ، وطوي العالم ، وهي العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه مابقي من رسومها فالشريعة التي بعث الله بها رسوله ﷺ هي عمود العالم ، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة"[١] .

ثالثا : طرق معرفة مقاصد الشريعة :

بعد أن تبين لنا جليا أن للشارع في أحكامه مقاصد فلابد من الكشف عن طرق معرفة هذه المقاصد وسبل الوصول إليها ، وحيث أن الحكم على أمر ما بأنه مقصود للشارع أو غير مقصود له هو أمر بالغ الصعوبة ويحتاج إلى تأن ودقة في الفهم والاستنباط ولايكون ذلك إلا برسم ضوابط صحيحة وطرق واضحة تعين من أراد التعرف على مقصود الشارع في أحكامه ، ولذلك قعد أهل العلم وأصلوا طرقا شرعية يمكن من خلالها معرفة مقاصد الشريعة ، ومن أهم هذه الطرق مايلي :

---

(١) إعلام الموقعين (٣/٣) .

الطريقة الأولى : الاستقراء :

الاستقراء من الطرق التي تعرف بها مقاصد الشريعة ويحصل ذلك بتتبع نصوص الشريعة وأحكامها ومعرفة عللها ، فباستقراء علل النصوص الشرعية يحصل لنا العلم بمقاصد الشريعة بسهولة لأننا إذا استقرينا عللا كثيرة متماثلة في كونها ضابطا لحكمة متحدة أمكن أن نستخلص منها حكمة واحدة فنجزم بأنها مقصد الشارع(٢) .

فهذه الطريقة التي هي طريقة الاستقراء طريقة مشهورة لدى العلماء في معرفة المقاصد ، ومن أولئك العلماء الإمام الشاطبي رحمه الله ومن ذلك قوله بعد إثبات الضروريات والحاجيات والتحسينات : "إن هذه القواعد الثلاث لايرتاب في ثبوتها شرعا أحد ممن ينتمي إلى الاجتهاد من أهل الشرع وأن اعتبارها مقصود شرعا ودليل ذلك استقراء الشرعية والنظر في أدلتها الكلية والجزئية وماانطوت عليه من هذه الأمور العامة على حد الاستقراء المعنوي الذي لايثبت بدليل خاص بل بأدلة منضافة بعضها إلى بعض مختلفة الأغراض بحيث ينتظم من مجموعها أمر واحد تجتمع عليه تلك الأدلة على حد ما ثبت عند العامة جود حاتم وشجاعة علي رضي الله عنه وماأشبه ذلك فلم يعتمد الناس في إثبات قصد الشارع في هذه القواعد على دليل مخصوص ولاعلى وجه مخصوص بل حصل لهم ذلك من الظواهر والعمومات والمطلقات والمقيدات والجزئيات الخاصة في أعيان مختلفة ووقائع مختلفة"(٣) .

الطريقة الثانية : مجرد الأمر والنهي الابتدائي التصريحي :

من المعلوم أن الأمر والنهي موضوعان في الأصل اللغوي لإفادة الطلب الأمر لطلب الفعل والنهي لطلب الترك .

---

(١) انظر : مقاصد الشريعة الإسلامية ، د. محمد اليوبي (ص٧٤) .

(٢) مقاصد الشريعة لمحمد الطاهر بن عاشور (ص٢٧) .

(٣) الموافقات للإمام الشاطبي (٣٩/٢) .

فوقوع الفعل عند وجود الأمر به مقصود للشارع وكذلك النهي معلوم أنـــه مقتض لنفي الفعل أو الكف عنه فعدم وقوعه مقصود له وإيقاعه مخالف لمقصـــوده ، كما أن عدم إيقاع المأمور به مخالف لمقصوده[١] .

وقد قيد الشاطبي رحمه الله الأمر والنهي بقيدين[٢] :

القيد الأول : كون كل واحد منهما ابتدائيا ويقصد بالابتدائي مأمر به أو نهى عنه ابتداء لالكونه وسيلة إلى غيره أو جئ به تبعا تأكيدا للأمـــر الأول ولم يقصـد بالقصد الأول كقوله تعالى : ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾[٣] ، فإن النهي عن البيع ليس نهيا مبتدأ بل هو تأكيد للأمر بالسعي ، لأن السعي لايتم إلا بترك البيع لما في البيع من الانشغال عنه ، فعلى هذا لايقال أن مقصود الشارع النهي عـــن البيـــع بإطلاق بل مقصد الشارع النهي عن البيع من أجل تحقق السعي إلى صلاة الجمعة[٤] .

القيد الثاني : كون الأمر أو النهي تصريحيا صريحا في الطلب دل عليه بصيغـــة من صيغ الأمر أو النهي ، وذكر هذا القيد احترازيا من الأمر أو النهي الضمني كالنهي عن أضداد المأمور به الذي تضمنه الأمر ، والأمر الذي تضمنه النهي عن الشئ فـــإن النهي والأمر ليسا مقصودين بالقصد الأول بل بالقصد الثاني[٥] .

وذلك كالأمر بصيام رمضان وأداء الزكاة ، أو النهي عن شرب الخمر أو فعل الزنى .

الطريقة الثالثة : التعبيرات التي يستفاد منها معرفة المقاصد :

ومن تلك التعبيرات :

١- التعبيرات بالإرادة الشرعية : فما أخبر الله عنه عز وجل أنه يريده شـــرعا فهو نص في أنه مقصود له سبحانه وتعالى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُـــمُ

(١) مقاصد الشريعة للدكتور محمد اليوبي (ص١٦٥) .
(٢) الموافقات (٢/٢٩٨) .
(٣) سورة الجمعة : آية (٩) .
(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور محمد اليوبي (ص١٦٦) .
(٥) المصدر السابق (ص١٦٦) .

الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[١] .

٢- التعبير بلفظ (الخير والشو والنفع والضر وماشابهها) .

قال الإمام العز بن عبد السلام : "ويعبر عن المصالح والمفاسد بالخير والشر والنفع والضر والحسنات والسيئات ؛ لأن المصالح كلها خيور نافعات حسنات والمفاسد بأسرها شرور مضرات سيئات . وقد غلب في القرآن استعمال الحسنات في المصالح والسيئات في المفاسد"[٢] .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾[٤] .

الطريقة الرابعة : سكوت الشارع عن الحكم فلايتعرض له بنفي ولاإثبات :

وهذا يكون على ضربين :

١- ماسكت عنه الشارع لعدم وجود مايقتضيه وذلك كالنوازل التي حدثت بعد الرسول ﷺ فاحتاج أهل الشريعة إلى النظر فيها وإجرائها على ماتقرر في كلياتها ومأأحدثه السلف الصالح راجع إلى هذا القسم كجمع المصحف وتدوين العلم .

٢- ماسكت عنه الشارع مع قيام مقتضاه فمقصود الشارع عدم مشروعيته فهذا الضرب السكوت فيه كالنص على أن قصد الشارع أن لايزاد فيه ولاينقص[٥] ومن أمثلة ذلك ماأحدث من البدع كبدعة الخوارج والرافضة والجهمية من المعتزلة والأشاعرة وكذا التصوف ومايتبعه من طرق بدعية .

---

(١) سورة البقرة : آية (١٨٥) .

(٢) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام (١/٣-٤) ، وانظر : مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور محمد اليوبي (ص١٦٨،١٧١) .

(٣) سورة النساء : آية (١٩) .

(٤) سورة البقرة : آية (٢١٩) .

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور محمد اليوبي (ص١٧٣) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "والترك الراتب سنة كما أن الفعل الراتب سنة بخلاف ماكان تركه لعدم مقتضى أو فوات شرط أو وجود مانع وجد بعده من المقتضيات والشروط وزوال المانع مادلت على الشريعة على فعله حينئذ كجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في التراويح على إمام واحد وتعلم العربية وأسماء النقلة للعلم وغير ذلك مما يحتاج إليه في الدين بحيث لاتتم الواجبات والمستحبات إلا به ، وإنما تركه ﷺ لفوات شرطه ووجود مانع ، فأما ماتركه من جنس العبادات مع أنه لو كان مشروعا لفعله أو أذن فيه ولفعله الخلفاء بعده والصحابة فيجب القطع بأن فعله بدعة وضلالة"[١] .

رابعا : أقسام المقاصد :

باعتبار المصالح التي جاءت بحفظها أو باعتبار رتب المصالح ثلاثة أقسام :

القسم الأول : مقاصد ضرورية :

والضروريات هي المصالح التي تتضمن حفظ مقصود من المقاصد الخمسة وهي : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والنسب "النسل"[٢] .

ولقد عرف الشاطبي رحمه الله الضروريات بقوله هي : "مالابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين"[٣] .

القسم الثاني : مقاصد حاجية :

الحاجيات هي "ماكان مفتقرا إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ، فإذا لم تراع دخل على المكلفين ـــ على

---

(١) القواعد النورانية (ص١٢٤) .

(٢) المستصفى للغزالي (ص٢٥١) .

(٣) الموافقات للشاطبي (٢/٧) .

الجملة ــ الحرج والمشقة ولكنه لايبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة"[١] أي الضرورية .

ولذا جاءت هذه الشريعة الكاملة بما يرفع ذلك الحرج ويدفع تلك المشقة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٢] .

ومن الأمثلة على ذلك رخصة الفطر في نهار رمضان للمريض والمسافر لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٣] .

القسم الثالث : مقاصد تحسينية :

عرف الإمام الشاطبي رحمه الله المقاصد التحسينية بعبارة جامعة فقال : "هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق"[٤] .

فما ذكره الشاطبي رحمه الله من الأخذ بمكارم الأخلاق هو من رعاية أحسن المناهج وسلوك أفضل السبل وبه يتحقق التحسين والتزيين في الصفات والأفعال للأفراد والمجتمعات ، وعلى كل فهي ضوابط واضحة تدل على أن المصالح التحسينية لايتضرر الناس بتركها ولايلحقهم حرج وضيق بفقدها[٥] كما يلحقهم بفقد الضروريات والحاجيات .

ومن الأمثلة على التحسينيات إزالة النجاسات من على البدن والثوب والمكان ومن الأمثلة أيضا أخذ الزينة في الملبس والمسكن والمركب .

---

(١) الموافقات للشاطبي (٩/٢) مع تصرف يسير .
(٢) سورة البقرة : آية (١٨٥) .
(٣) سورة البقرة : آية (١٨٥) .
(٤) الموافقات للإمام الشاطبي (٩/٢) .
(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية ، د. اليوبي (ص٣٢٩) .

ثانيا : مظاهر الجهل بمقاصد الشريعة عند المبتدعة :

لقد ذكر أهل العلم رحمهم الله أن الجهل بمقاصد الشريعة سبب من الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في البدعة والفرقة والخلاف واتباع الأهواء الفاسدة ، فهذا الإمام الشاطبي رحمه الله بعد أن ذكر بعض الأسباب المؤدية إلى الاختلاف وانتشار الأهواء الفاسدة والبدع المضلة جعل هذه الأسباب ترجع في الحقيقة وعند التحقيق إلى الجهل بمقاصد الشرعية فقال رحمه الله : "هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد : وهو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت أو الأخذ فيها بالنظر الأول ولايكون ذلك من راسخ في العلم"[١] .

أما الأمثلة على وقوع المبتدعة في البدعة عندما جهلوا مقاصد الشريعة فلايحصرها حاصر ولكن سنقتصر على عرض بعض مظاهر جهلهم بمقاصد الشرعية الضرورية ، هذه المقاصد الضرورية التي جعل الشارع لها ضوابط تحفظها من الاختلال والعدم ، وتتلخص هذه الضوابط في ضابطين اثنين :

الأول : من جهة الوجود وذلك بما يقيم أركانها ويثبت قواعدها .

الثاني : من جهة العدم وذلك بما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها[٢].

المثال الأول : الجهل بمقصد حفظ الدين :

لاشك أنه بذهاب الدين وعدم المحافظة على هذا المقصد المهم تذهب جميع مقاصد الشريعة وتضمحل ، ولذلك يتأكد المحافظة على مقصد حفظ الدين ، ولكن عندما ننظر في أحوال المبتدعة نجد أنهم بجهلهم لهذا المقصد قد جنوا جناية عظيمة على الدين وذلك بسعيهم إلى إيراد الخلل إليه وكل مايعود عليه بالعدم من خلال مايحدثونه من البدع المضلة فهم بدلا من أن يحفظوا الدين من جهة الوجود بما يقيم

---

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي (١٨٢/٢) .

(٢) الموافقات للشاطبي (٧/٢) .

أركانه ويثبت قواعده ويزيلوا عنه كل مايهدده بالعدم والاختلال والاضطراب نجدهم على العكس من ذلك تماما فهم من الساعين إلى هدم الدين فكيف بالله يحفظ المبتدعة الدين وهم الذين يطعنون في أهم مصادره الكتاب والسنة وهما النبع الذي يمد الدين بالحياة فكيف ياترى ننظر إلى قول الجهمية من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم الذين جعلوا بعض آيات الاعتقاد في القرآن من المتشابه الذي لايفهم معناه فجعلوا كتاب الله الذي هو هداية للعالمين كأنه كتاب سحر وطلاسم لايفهم معناه ولاتفك رموزه ولاتحل عقده .

- أم كيف يحفظ الرافضة الاثنا عشرية الدين وهم يعتقدون أن في القرآن زيادة ونقصا ويردون الأحاديث النبوية التي لاتكون من طريق أئمتهم ونفر قليل من الصحابة .

- أم كيف يحفظ الخوارج الدين وهم الذين يردون كل ماثبت عن رسول الله ﷺ من الأحاديث التي يزعمون أنها تخالف ظاهر القرآن .

- أم كيف يحفظ بعض المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة الدين وهم المنادون بأن خبر الواحد لايفيد إلا الظن في باب العقائد فردوا بذلك أحاديث صحيحة كثيرة يعول عليها أهل الإسلام قاطبة في إثبات عقائدهم التي سيلقون الله عليها[1] .

- أم كيف يحفظ الدين المتصوفة عندما قالوا إن الدين ينقسم إلى شريعة وحقيقة فالشريعة عندهم هي القيام بالأوامر والنواهي ، والحقيقة هي شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر[2] .

فالمتصوفة تعتقد أن في الإسلام علمين علم يخص أهل الظاهر وهي الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول ﷺ بكل مافيها من عقائد وعبادات وأخلاق وسلوك وهذا علم يترفع عنه المتصوفة ويرون الوقوف عند هذا العلم انحطاطا وأن

---

(١) أقوال المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة ، وكذلك الرافضة والخوارج مثبتة في المبحث السابق (ص٣٤) ومابعدها .

(٢) الرسالة للقشيري (٢٦١/١) .

الإنسان الذي تعلم العلم الشرعي يعتبر في نظر المتصوفة في درجة العوام الذين لايعتبر بفتواهم والعلم الثاني الذي يطلق عليه المتصوفة علم الحقيقة هو الذي يعبرون عنه بالعلم اللدني ويعتقد المتصوفة بأن هذا العلم النافع هو الذي من عرفه يستحق أن يسمى عالما في زعمهم ، وأما الكيفية التي ينال بها هذا العلم اللدني حسب زعم المتصوفة فهي المجاهدة التي إذا استمر عليها الإنسان ينزل عليه علم الحقيقة من الله والذي يقولون عنه أنه سر من أسرار الله لاينزله الله إلا على قلوب الخاصة ويعنون بهذا أنفسهم لأنهم يقولون لاينزل هذا العلم إلا على أولياء الله وقد حصروا الولاية في أنفسهم[1] .

ولما تقرر وثبت ماذكرناه سابقا عن المتصوفة من تقسيمهم الدين إلى شريعة وحقيقة نذكر قول أحد أئمتهم وهو المنوفي "إن القوم يرجعون بسند طريقهم إلى الرسول ﷺ من حيث إن جبريل عليه السلام نزل بالشريعة أولا فلما تقررت ظواهر الشريعة واستقرت نزل إليه بالحقيقة المقصودة والحكمة المرجوة ... فخص الرسول ﷺ بباطن الشريعة بعض أصحابه دون البعض"[2] .

ولاشك أن المنوفي وأمثاله يكذبون على رسول الله ﷺ عندما زعموا أنه أنزل إليه علم الحقيقة بعد الشريعة وهم لايشعرون أنهم بقولهم هذا يطعنون في تبليغ رسول الله ﷺ في رسالته وأنه أخفى شيئا من الدين ولم يبلغه البلاغ المبين ، ثم إننا نستفيد من كلام المنوفي السابق أن المتصوفة بتقسيمهم الدين إلى ظاهر وباطن يشبهون الباطنية من الاسماعيلية والنصيرية والدروز في تقسيمهم الدين إلى ظاهر وباطن .

قال المنوفي : "واعلموا رحمكم الله إن علم التصوف يقال له علم الباطن"[3] .

---

(١) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية ، د. إدريس محمد (١٠٩/١) .

(٢) جمهرة الأولياء للمنوفي (١٥٩/١) .

(٣) بداية الطريق للمنوفي (ص٦٦) ، وانظر : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١١٠/١) .

فإذا القول الصوفي بأن الدين ينقسم إلى شريعة ظاهرة وحقيقة باطنة يقود إلى هدم الدين والانسلاخ منه بالكلية وقد بدت آثار الانسلاخ من الدين والتفلت من الأوامر والنواهي الشرعية على المتصوفة فمن بلغ منهم إلى مرتبة علم الحقيقة فإنه يسقط عن نفسه التكاليف لكونه بلغ مرتبة اليقين التي هي عندهم من وصل إليها سقطت عنه التكاليف الشرعية ، ويستدلون بقوله تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1] .

قال ابن القيم رحمه الله : "ويقول قائلهم "من شهد الحقيقة سقط عنه الأمر" ويحتجون بقوله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ويفسرون اليقين بشهود الحكم الكوني وهي الحقيقة عندهم ، ولاريب أن العامة خير من هؤلاء وأصح إيمانا فإن هذا زندقة ونفاق وكذب منهم على أنفسهم ونبيهم ... ثم قال رحمه الله : وأما كذبهم على نبيهم فاعتقادهم أنه إنما كان قيامه بالأوراد والعبادات لأجل التشريع لأنها فرض عليه ، إذ قد سقط ذلك عنه بشهود الحقيقة وكمال اليقين فإن الله عز وجل أمره وأمر سائر رسله بعبادته إلى حين انقضاء آجالهم فقال ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وهو الموت بالإجماع كما قال في الآية الأخرى عن الكفار ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[2] ، وقال ﷺ : "أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه"[3] ، قاله لما مات عثمان رضي الله عنه .

وقال المسيح : ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[4] فهذه وصية الله للمسيح وكذلك لجميع أنبيائه ورسله وأتباعهم . وقال الحسن : لم يجعل الله لعبده المؤمن أجلاً دون الموت"[5] .

---

(١) سورة الحجر : آية (٩٩) .

(٢) سورة المدثر : آية (٤٦،٤٧) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٢٤٣) .

(٤) سورة مريم : آية (٣٠،٣١) .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم (١/١٨٢،١٨٤) .

ومن أعظم مايؤثر عن المتصوفة من تضييعهم لمقصد حفظ الدين مايؤثر عن أوليائهم من تضييعهم للصلاة وإسقاطها عن أنفسهم ومن ذلك مايحكونه عن صوفي يقال له شرف الباني إنه لم يكن يصلي فلما اعترض عليه قال : "إن الله أعفاني من الفرض وقال لي عينك عيني"[١] أي ذاتك ذاتي .

ومن الأمثلة أيضا ذو النون المصري فإنه كان لايصلي ويقول : "إن الله رفع عني فريضة الصلاة"[٢] .

بل بلغ بهم الأمر إلى حد السخرية والاستهزاء بالأوامر الشرعية وخاصة الصلاة التي سئل أحد الصوفية عن تضييعه لها وسبب تركه فقال : "إني امرأة حائضة لاتجب الصلاة علي"[٣] .

فانظر مايجره تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة وكيف تقود الحقيقة أصحابها إلى إسقاط التكاليف الشرعية والخروج عن سبيل الله ورسوله والمؤمنين .

فكيف يحفظ الدين إذا كان هذا هو حال أهل الابتداع مع الدين كما مر معنا سابقا ، فعدم فهم المبتدعة لقصد الشرع من حفظ الدين من كونه يجب أن لايقدم قول كائن من كان على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع وجوب التبعية والخضوع لكتاب الله وسنته ﷺ والتحاكم إلى الكتاب والسنة وترك الأهواء عندما لم يفهموا هذا الأمر بدأوا يقدمون كلام كل أحد على كلام الله ورسوله ﷺ فاختلفت الأهواء وظهرت البدع والضلالات وأميت الدين ولم يحفظ ، وصدق عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عندما قال : "مايأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن"[٤] . فظهور البدع يميت الدين ولايكون هنالك له بقاء ولاحفظ ولاحياة .

---

(١) دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (ص٩٦) .
(٢) المصدر السابق (ص٩٦) .
(٣) المصدر السابق (ص٩٦) .
(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة الحنبلي (١/١٧٨) .

المثال الثاني : مقصد حفظ النفس :

لقد سعت الشريعة الغراء إلى المحافظة على النفس من كل مايهدد وجودها ويسعى في عدمها ، فالشريعة كانت سباقة في تحريم وضع كل صور الاعتداء والإيذاء الذي يمكن أن يلحق بالنفس ، ولذلك وضعت عقوبات شرعية كالقصاص على قاتل النفس العمد ، وإباحة ماكان محظورا ومحرما على النفس إذا أشرفت النفس على الهلاك ولانجاة لها إلا بتعاطي ذلك المحرم فإن هذا أجازه الشارع كأكل الميتة ونحو ذلك ، ونحن إذا تأملنا سر اهتمام الشرع بالنفس وجدنا ذلك السر يتمثل في أنه ببقاء النفس الإنسانية يبقى الدين لأن هذا الدين لايقوم به في الأرض إلا الإنسان وبذهاب الإنسان والقضاء عليه يذهب الدين ، ولذلك نعلم حينئذ صلة الارتباط القوية بين مقصد حفظ الدين ومقصد حفظ النفس(١) .

ومع أن الشريعة كما ذكرت سابقا كانت حريصة على المحافظة على النفس ومنع ماينجبر عليها من أسباب العدم والفساد والهلكة ، إلا أن بعض أهل الابتداع جهل هذا المقصد الشرعي العظيم وسعى في إهلاك النفس سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد ، إلا أنه واقع ملموس مشاهد لامحالة وهذا الواقع يترجمه أهل التصوف فلقد حمل أهل التصوف النفس البشرية مالاتطيقه وتحمله ومايفوق قدراتها التي أودعها الله في تلك النفس ، فمن مظاهر جهل المتصوفة بمقصد حفظ النفس :

(١) إلزام أنفسهم بالجوع والسهر :

اعتقاد أن أرباب الطريق من أهل التصوف لايمكن أن يسيروا على الطريق كما ينبغي إلا بالجوع والسهر والمجاهدة المضنية التي قد تذهب بالنفس الإنسانية ، ومن ذلك تقريرهم للقواعد في هذا الشأن ومنه قول الشعراني في آداب المريد مع الطريق "ومن شأنه أن يوطن نفسه على تحمل الشدائد في الطريق وأنه لاينصرف عنها إلى غيرها إذا أصابته الأسقام والآلام والفاقات والبلايا المتلاحقة وأنه لايترخص عند هجوم الفاقات والضرورات أبدا"(٢) .

---

(١) انظر : مقاصد الشريعة الإسلامية د. اليوبي (ص٣٠٥) .

(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني (ص٤٥) .

فانظر إلى كلام الشعراني هذا ووصيته للمريد بأن لايترك الطريق ويصبر على البلايا التي قد تكون مسببة في ذهاب الضرورات التي بها قيام مصالح الإنسان والتي لاغنى عنها وهذا يعتبر من الإجحاف بحقوق النفس .

ويقول الشعراني في موضع آخر وأركان الطريق أربعة أشياء : "الجوع ، والعزلة ، والسهر ، وقلة الكلام"[(١)] .

بل أن الشعراني جعل الجوع هو رأس الأمر في الطريق فقال : "ومن شأنه كثرة الجوع بطريق الشرع وهو معظم أركان الطريق فكما أن الشارع جعل معظم الحج عرفة كذلك أهل الله جعلوا الجوع هو الطريق"[(٢)] .

فانظر رعاك الله كيف جعل الشعراني اهتمام الصوفية بالجوع كاهتمام المسلمين بيوم عرفة في حجهم ، بل ماهو أشد من ذلك فلقد عظم إمام أهل التصوف بشر الحافي الجوع أيما تعظيم فقال : "الجوع يصفي الفؤاد ، ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق"[(٣)] .

وأثنى أيضا على المتصوفة الجائعين فقال : "المتقلب في جوعه كالمتشحط في دمه في سبيل الله"[(٤)] فهل هناك أعظم من هذا الأجر للجائعين؟!

وهذا إنما يدل على أن للجوع منزلته العظمى عند المتصوفة .

(٢) الزامهم أنفسهم بالسهر :

وكما أن الجوع نال حظه من الوصايا والاهتمام من قبل المتصوفة فكذلك السهر ومنه قول الشعراني : "ومن شأنه أن يكون ذا صبر شديد على ملازمة السهر"[(٥)] هذه هي وصايا أهل التصوف لمن أراد سلوك طريقهم ، وهذه هي قواعد الطريق لديهم قعدوها لمريديهم لكي يسيروا عليها ولقد طبق المريدون تلك الوصايا وساروا على تلك القواعد حتى أصبحوا أئمة في البدعة يشار إليهم بالبنان ، ومن الأمثلة على ذلك مايلي :

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني (ص٣٨) .
(٢) المصدر السابق (ص٣٨) .
(٣) السير (١٠/٤٧١) .
(٤) السير (١٠/٤٧٢) .
(٥) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني (ص٦٨) .

(١) "مايحكونه عن أبي عثمان أ نه كان لايأكل إلا أكلة واحدة كل ستة أشهر"[١] .

(٢) "ومايحكونه أيضا عن سهل بن عبد الله التستري أنه كان لايأكل الطعام نيفا وعشرين يوما"[٢] .

(٣) أما إبراهيم بن أدهم فذكروا عنه أنه أول دخوله الطريق مكث سنة لاأكل ولاشرب ولانام فيها[٣] .

(٤) وهذا أبو نصر السراج يحكي فيما يزعم أنه رأى إنسانا لم يشرب الماء سبع سنين فيقول : "رأيت إنسانا من الصوفية مكث سبع سنين لم يشرب الماء"[٤].

وهم يفعلون كل ذلك تدينا وتقربا إلى الله في زعمهم وهذا من أبطل الباطل.

ومن الأمثلة على مارجه البدع من الهلاك على أهل التصوف ماذكر عن المتصوف طاهر بن حسن الجصاص من أنه "صام أربعين يوما أربعين مرة ، فآخر أربعين عملها صام على قشر الدخن ، فليبسه قرع رأسه واختلط في عقله"[٥] .

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني (ص٣٩) .

(٢) اللمع للطوسي (ص٢٦٩) .

(٣) دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (ص٢٧) .

(٤) اللمع للطوسي (ص٤٠٨) لاشك أن مايذكره المتصوفة عن أوليائهم من أمثلة للجوع والعطش والسهر هو من باب الكذب والخرافة وهو مما تمجه العقول والفطر السليمة وإنما ذكرنا ذلك عنهم لنبين للقارئ مدى الخرافة والكذب الذي يقيم عليها الصوفية تصوفهم وبدعهم .

(٥) السير (٣٩١/١٧) .

ولمزيد من هذه الأمثلة انظر : مكاشفة القلوب للغزالي (ص١٦٩) ، دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (ص٤٤،٤٥،٤٦) .

قال الإمام الذهبي رحمه الله معلقا على هذه القصة : "فعل هـــذه الأربعينــات حرام قطعا فعقباها موت من الخور، أو جنون واختلاط ، أو جفاف يوجب للمــرء سماع خطاب لاوجود له أبدا في الخارج فيظن صاحبه أنه خطاب ــ أي إلهي ــــ . كلا كلا والله"[١] .

ثم إن النفس قد تمل وتترك العبادة لثقل مايحملها أهل التصوف مــن العنــت والمشقة .

ومن ذلك ماحكاه أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعدا أفضل من صلاته قائما إذا قواه الأكل[٢] .

وقد علق ابن الجوزي رحمه الله على قول سهل فقال رحمه الله : "وهذا خطــأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنه يعين على العبـــادة وإذا تجـــوع إلى أن يصلي فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول ميتة ماجـــاز هـــذا فكيف هو حلال ، ثم أي قربة في هذا الجوع المعطل أدوات العبادة"[٣] .

فانظر رحمك الله كيف شددوا على أنفسهم حتى أجازوا لأنفسهم التلاعـــب بالفرائض كما مر معنا في مثال الصلاة .

والمرء عندما ينظر في الشريعة يراها لاتجيز مثل أفعال أهـــل التصـــوف هـــذه فالشريعة المطهرة لم تقصد التكليف بالشاق ومافيه إعنات وماتراه في بعض تشريعاتها من بعض المشاق فهي لاتقصد التكليف به لنفس تلك المشقة بل وراء ذلك مصـــالح عائدة على المكلف ، فالشريعة لاتقصد إلى مافيه مشقة خارج من المعتاد بحيث يحصل للمكلف بها فساد ديني أو دنيوي وماوجدت من ذلك فإن الشارع يرفع تلك المشقة على الجملة[٤] .

---

(١) السير (٣٩١/١٧) .

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ، تحقيق آدم أبو سنينة (ص٢٤٢) .

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ، تحقيق آدم أبو سنينة (ص٢٤٢) .

(٤) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني (ص٣٢١) .

فإذا القصد إلى المشقة باطل لأنه مخالف لقصد الشارع ولأن الله لم يجعل تعذيب النفوس سببا للتقرب إليه ولانيل ماعنده ، ولذلك عندما جاء بعض الصحابة يسألون عن عبادة النبي ﷺ في بيته وعند نسائه فعندما عرفوا وعلموا عبادته ﷺ كأنهم تقالوها ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن عن عبادة النبي ﷺ ، قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولاأفطر ، وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"(١)

فهنا في هذا الحديث أنكر النبي ﷺ على من يتقرب إلى الله بتعذيب نفسه كمن يقوم الليل ولاينام أبدا ، أو يصوم الدهر ولايفطر ، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ ، فلقد كان من هديه ﷺ في قيام الليل أنه كان ينام أول الليل ويقوم آخره ، ولم يقم النبي ﷺ ليلة واحدة حتى طلوع الفجر أبدا .

يقول ابن القيم رحمه الله واصفا هدي النبي ﷺ في قيام الليل : "وكان ينام أول الليل ويقوم آخره وربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين ... وكان نومه أعدل النوم وهو أنفع مايكون من النوم والأطباء يقولون هو ثلث الليل والنهار ، ثمان ساعات"(٢) .

وأما هديه عليه الصلاة والسلام في الصوم فكان أكمل الهدي وأحسنه فلم يكن من هديه عليه الصلاة والسلام صيام الدهر أبدا ، بل كما قال ابن القيم رحمه الله : "ولم يكن من هديه ﷺ سرد الصوم وصيام الدهر .. فهديه الذي لاشك فيه أن صيام يوم وفطر يوم أفضل من صوم الدهر وأحب إلى الله"(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح برقم (٢٠٩٩) ، وأخرجه مسلم في كتاب النكاح برقم (١٤٠١) .

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم (١/١٥٨) .

(٣) زاد المعاد لابن القيم (٢/٨٠-٨١) .

فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يصوم صوم الدهر بل ثبت عنه أنه ﷺ كان يصوم الاثنين والخميس والأيام الفاضلة كيوم عاشورا وست من شوال وغير ذلك ، بل إنه ﷺ مع عدم صومه لم يكن في فطره ، يعذب نفسه بتقليل الطعام كفعل بعض المتصوفة الذين يجلسون الشهور والسنين على زبيبة كما يقولون ، أو تمرة أو شئ من ذلك!! بل كان من هديه ﷺ في الأكل ماذكره ابن القيم رحمه الله من أنه ﷺ "كان من هديه وسيرته في الطعام لايرد موجودا ولايتكلف مفقودا فما قرب إليه شئ من الطيبات إلا أكله ، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم ، وماعاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه كما ترك أكل الضب لما لم يعتده ولم يحرمه على الأمة بل أكل على مائدته وهو ينظر وأكل الحلوى والعسل وكان يحبهما وأكل لحم الجزور والضأن والدجاج .. وأكل الشواء وأكل الرطب والتمر وشرب اللبن خالصا ومشوبا والعسل بالماء ... ثم قال رحمه الله : "بل كان هديه أكل ماتيسر فإن أعوزه صبر حتى إنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع ، ويرى الهلال والهلال والهلال ولايوقد في بيته نار"(١) .

فانظر كيف كان هديه ﷺ أكمل الهدي في طعامه وشرابه لم يتكلف معدوما ولم يرغب عن موجود إن وجد شيئا أكله وإن فقده صبر على فقده ﷺ .

وأما هديه عليه الصلاة والسلام في النكاح فكما ذكر هو نفسه عليه الصلاة والسلام من أنه كان يتزوج النساء ولايتبتل ونهى الصحابة عن الاختصاء .

المثال الثالث : مقصد حفظ المال :

لاشك أن المال يعتبر من الضروريات بل هو عصب الحياة ، وعليه تقوم حياة الناس ، وبه تقوم مصالح الدين والدنيا وبفقده يضطرب نظام الحياة ، ومقصودنا هنا بالمال هو كل مايتموله الإنسان من متاع أو نقد أو غيره وليس هو خاص بالنقدين كما يتبادر إلى أذهان البعض(٢) .

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (١/١٤٧-١٤٨) .

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور اليوبي (ص٢٨٣) .

وتظهر الحاجة للمال في حياة الفرد والجماعة على حد سواء من بيان حاجة الفرد إلى المال من حيث أن حياته متوقفة على المال ، فبه يأكل ويشرب ويلبس مايقيه من الحر والبرد وبه يسكن إلى غير ذلك .

أما بيان حاجة الأمة إلى المال فهذا يظهر من خلال :

١- أن الأمة مطالبة بمجموعها بالدفاع عن دين الله والجهاد في سبيله ولابد لذلك من عدة تدافع بها ولايكون ذلك إلا بالمال كما قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1] ، وإذا لم تملك الأمة هذه العدة فإنها تكون فريسة سهلة لأعدائها .. وفي ذلك إخلال بمقاصد أخرى كالدين والأنفس والأعراض فعلم من هذا ضرورة المال في نشر الإسلام في جميع أقطار الأرض والدفاع عن أهله في كل مكان .

٢- أن وجود المال في يد الأمة يغني الأمة عن أعدائها ويقطع الطريق عليهم ويوصد الباب في وجوه الطامعين فيها[2] .

هذه هي بعض الأمور التي تدل على أهمية المال وحفظه وسعي الشارع الحكيم إلى ذلك . ولايظن ظان أن الشارع عندما يسعى لحفظ المال أنه يسعى لاستغلال المال في النواحي الدنيوية الصرفة أو لكنزه ولتفاخر الأمة الإسلامية به ، بل على العكس من ذلك فالمقصود من المال في الشريعة ليس هو كنزه أو التفاخر وإنما ليحقق مصالح شرعية أخرى أعظم وأجل كما قال ﷺ : "إن الله عز وجل قال : إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة"[3] ، وبه يؤلف على الإسلام فيعطى من يرجى إسلامه أو يخاف شره دفاعا عن المسلمين وبه تسد حاجة الفقراء والمساكين .. فالمال إذا لايحمد إلا إذا كان خادما للدين[4] .

---

(١) سورة الأنفال : آية (٦٠) .

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور اليوبي (ص٢٨٤-٢٨٥) .

(٣) رواه الإمام أحمد من حديث أبي واقد الليثي (٢١٩/٥) ، ومن حديث عائشة (٥٥/٦) ، وانظر : الفتح الرباني (٦١/٨) ، (٢٤٧/١٩) والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٢/٤) .

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور اليوبي (ص٢٨٥-٢٨٦) .

ومع هذه الأهمية القصوى لحفظ المال إلا أن هنالك من أهل الابتداع من غاب عن أذهانهم هذا المقصد العظيم من حفظ المال فعابوا من يمتلك المال أو يسعى لتكسب المال وذموه وحاربوا من يصنع ذلك وأهل الابتداع هؤلاء هم المتصوفة الجهلة فهم جعلوا الفقر أمرا مطلوبا في سلوك طريق التصوف ، بل عدوه من أركان الطريق ومن العقبات التي من تجاوزها وصل إلى رتبة الولاية .

يقول إبراهيم بن أدهم : "لن ينال الرجال درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات فذكر منها العقبة الخامسة وهي "أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر"[١]

فانظر كيف جعل إبراهيم بن أدهم ترك الغنى والثبات على الفقر عقبة من يتجاوزها يسبح في مقامات الولاية لله ، ومن مقالاتهم في الفقر وتعظيمهم له قول ابن عجيبة : "الفقر أساس التصوف وبه قوامه"[٢] ، وروي عن ابن رويم أنه قال : "مبنى التصوف على الفقر"[٣] .

ويقول إبراهيم المتبولي : "كل فقير لايحصل له جوع ولاعري فهو من أبناء الدنيا"[٤] .

وعموما مقالاتهم في تعظيم الفقر والحث عليه كثيرة جدا .

أما الأمثلة الدالة على جهل المتصوفة بمقصد حفظ المال فهي كثيرة منها ماذكره ابن الجوزي رحمه الله في كتابه تلبيس إبليس من الأمثلة الدالة على مانحن بصدده فمنها :

١- أن أبا الحسين النوري حمل ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له وجلس على قنطرة وجعل يرمي واحدا واحدا منها إلى الماء ويقول : "جئتني تريدي أن تخدعيني منك بمثل هذا" قال السراج فقال بعض الناس لو أنفقها في سبيل الله كان خيرا له ، فقال السراج : إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب أن يرميها في الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنتها كما قال الله عز

---

(١) الرسالة القشيرية (٢٩٢/١) .

(٢)،(٣) اللمع للطوسي (ص٧٢) .

(٤) الأخلاق المتبولية للشعراني (٩٤/٢) .

وجل : ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾[١] .

فقال ابن الجوزي رحمه الله معقبا على كلام السراج : "لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل ، وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لايسلم إلا إلى رشيد وجعله قواما للآدمي ... واعتذار السراج له أقبح من فعله لأنه إن كان خاف فتنته فينبغي أن يرميه إلى فقير ويتخلص"[٢] .

٢- ويذكر السراج عن الشبلي أنه كان يلبس ثيابا مثمنة ثم ينزعها ويضعها فوق النار . قال وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار[٣] .

٣- وعن أبي عبد الله الرازي قال كساني رجل صوفا ، فرأيت على رأس الشبلي قلنسوة تليق بذلك الصوف فتمنيتها في نفسي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلي فتبعته وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلي فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فأحرقهما"[٤] .

قال ابن الجوزي رحمه الله : "قلت وقد حكى الغزالي أن الشبلي أخذ خمسين دينارا فرماها في دجلة وقال : "ماأعزك أحد إلا أذله الله" ثم قال : وإني أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لاعلى وجه الإنكار فأين أثر الفقه"[٥] .

---

(١) سورة ص : آية (٣٣) .

(٢) تلبيس إبليس (ص٤٠٠) .

أما تفسير الآية التي استدل بها السراج على صحة فعل أبي الحسين النوري فقد ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره اختيار ابن جرير أن سليمان عليه السلام في هذه الآية لم يقتل الخيل بل إنما مسح سليمان عليه السلام أعراف الخيل وعراقيبها ولكن رجح ابن كثير أنه قتلها حقيقة لأنها شغلته عن ذكر ربه وهذا جائز في شرعهم ، وأما فعل النوري فليس بجائز في شرعنا . انظر : تفسير ابن كثير (٥٢/٤) .

(٣) تلبيس إبليس (ص٤٠٣) .

(٤) المصدر السابق (ص٤٠٤) .

(٥) المصدر السابق (ص٤٠٤) .

هذه الأمثلة التي ذكرناها التي تدل على جهل المتصوفة بمقصد عظيم من مقاصد الشريعة وهو حفظ المال لم يأت هذا الجهل بهذا المقصد وهذه التصرفات بالمال التي تشبه تصرف السفهاء ، هكذا بدون أسباب ، بل هناك سبب دفع المتصوفة إلى الفقر والدعوة إليه وترك الدنيا بما لها والسعي لإهلاك هذا المال هذا السبب في وجهة نظري والعلم عند الله يعود إلى فهمهم الخاطئ لمفهوم الزهد فهم ظنوا أن معنى الزهد هو ترك الدنيا برمتها والابتعاد عنها ، ونحن إذا تأملنا تعريف الصوفية للزهد لوجدنا فيه جهلا كبيرا بحقيقة هذا الدين ومقاصده وجهلا بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته ، فمن أقوالهم في تعريف الزهد :

قول أبي عثمان : بأن الزهد أن تترك الدنيا ثم لاتبالي بمن أخذها[١] .

وقال أبو علي الدقاق : "الزهد أن تترك الدنيا كما هي لاتقول أبني رباطا وأعمر مسجدا"[٢] .

وقال ابن خفيف : "الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك"[٣] .

وقال الجنيد : "الزهد هو خلو اليد من الملك والقلب من التتبع"[٤] .

هذه هي أقوال بعض أهل التصوف في تعريفهم للزهد وهو في الحقيقة تعريف خاطئ فمن قال أن الزهد هو الانخلاع عن كل مايملكه الإنسان وأنه بفعله ذاك يكون من الزاهدين وأولياء الله المتقين فالتعريف الصحيح للزهد هو ماعرفه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله : "والزهد المشروع ترك مالاينفع في الدار الآخرة وأما كل مايستعين به العبد على الطاعة فليس تركه من الزهد المشروع"[٥] .

ثم أن ماعليه المتصوفة من حثهم على الفقر وترك الدنيا باسم الزهد مخالف لما كان عليه هدي النبي ﷺ من التعوذ من فتنة الفقر فقال ﷺ : "اللهم فإني أعوذ

---

(١)،(٢)،(٣)،(٤) الرسالة للقشيري (١/٣٢٦،٣٢٧،٣٢٨) .

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٨) .

بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر"[١] .

ولقد كان ﷺ يدخر قوت أهله سنة كاملة[٢] ، وكان يحث عليه الصلاة والسلام على الادخار ومن ذلك قوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص عندما أراد أن يتبرع بماله كله : "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"[٣] .

وحث أيضا عليه الصلاة والسلام على الاكتساب بقوله ﷺ : "ماأكل أحد قط طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"[٤] وغيرها كثير من الأحاديث الدالة على ضعف وبطلان مايدعو إليه المتصوفة من ملازمة الفقر وترك الدنيا وماشابه ذلك ، ثم إن مايدعو إليه المتصوفة كما أنه مخالف لما عليه النبي ﷺ هو مخالف لما كان عليه صحابته رضي الله عنهم فنحن يكفينا أن نعلم أن من العشرة المبشرين بالجنة من كانوا أصحاب أموال وغنى وتجارات نفع الله بمالهم الإسلام وأهله وهؤلاء كأبي بكر وعمر وعثمان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم كثير من تجار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . فأبو بكر نفع الله بماله الرسول عليه الصلاة والسلام في بدايات الدعوة النبوية ، فقال ﷺ : "مانفعني مال أحد قط مانفعني مال أبي بكر"[٥] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات برقم (٣٤٩٥) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة برقم (١٥٤٣) ، وأخرجه النسائي في كتاب الاستعاذة برقم (٥٤٦٦) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النفقات برقم (٥٣٥٧) ، ومسلم في كتاب الجهاد برقم (٥٠) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٢١٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب الوصية برقم (١٦٢٨) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده (٢٠٧٢) .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب برقم (٣٦٦١) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وأخرجه أحمد عن أبي هريرة برقم (٧١٣٤) .

وعثمان رضي الله عنه جهز جيش العسرة كاملا من ماله واشترى بئر (رومه)وجعلها سبيلا للمسلمين ح إلى غير ذلك من أفعالهم المباركة في خدمة الإسلام بالمال وبالنفس قبل ذلك .

آثار فهم المتصوفة للزهد :

ثم أن من آثار فهم الصوفية الخاطئ للزهد أنهم عندما تركوا الدنيا و لم يعملوا و لم يكتسبوا المال شرعوا في سؤال الناس وشحاذتهم ، ولهم في ذلك أقوال تدل على وجوب السؤال على مريد سلوك طريق التصوف ، ومن ذلك قول أبي بكر النباتي : "أفتى الصوفية بوجوب السؤال على الفقير في بدايته إذاكان واجبا باعتبار بداية السالك ولاعبرة بما إذا كان المريد غنيا أو فقيرا بل عليه أن يسأل لأن هذا السؤال المقصود منه هو تربية الأرواح"[(١)] .

وحكى الرندي عن بعض المتصوفة أنه قال : "صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لاممن تقبل إليه على يده فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لأنه جعلها لهم"[(٢)]

ومن الأمثلة على سؤال المتصوفة للناس :

١- مايروى عن أبي سعيد الخراز أنه كان يمد يده عن الفاقة ويقول : ثم شئ

٢- ونقلوا عن أبي جعفر الحداد وكان أستاذا للجنيد أنه كان يخرج بين العشائين ويسأل من باب أو بابين .

٣- ونقلوا أيضا عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يسأل كل ثلاثة أيام عند فطوره.

---

(١) مدارج انسلوك (ص٦) ، وانظر : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (ص٨١٦) .

(٢) غيث المواهب العلية للرندي (ص٣٤) ، وانظر : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (ص٨١٩)

٤- أما هذا المثال الآتي فهو يفلسف سؤال المتصوفة للناس بأنه في الحقيقة لايعدو كونه تفضلا من السائلين على المسئولين بالأجر الذي يهبه الله للمسئولين إذا تصدقوا على السائلين الذين تسببوا في هذا الأجر ، والمثال هو أن بعضهم رأى النوري يسأل الناس قال ـ الرائي ـ فاستعظمت ذلك منه واستفظعته فأتيت الجنيد وأخبرته فقال لي : لايعظم هذا فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لايضره"[١] .

بل إن المتصوفة مع ماذكرته من تبرير سؤالهم من قبل الجنيد تجاوزوا كثيرا في تحريفهم لمدلولات النصوص عندما فسروا قوله ﷺ "اليد العليا خير من اليد السفلى" بقولهم العليا هي الآخذة أي التي تسأل وتأخذ المال ، ولقد تعقب ابن الجوزي رحمه الله هذا التحريف لمدلول النص بقوله : "ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل إلى الدنيا فإن النبي ﷺ قال : "اليد العليا خير من اليد السفلى"[٢] واليد العليا هي اليد المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة ، وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هي الآخذة ، قال ابن قتيبة : "ولاأرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال"[٣] .

كما أن النبي ﷺ حث على الاكتساب وترك السؤال بقوله ﷺ : "لئن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه"[٣] فلقد حذر أيضا ﷺ من عذاب الله لمن يسأل وهو ليس بأهل للسؤال بقوله ﷺ : "مايزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة من لحم"[٤] . هذه هي عقوبة الله لكل من يسأل وهو ليس من المحتاجين ، ولكن هل يعقل أهل التصوف هذا الحث النبوي الكريم عنه ﷺ على الاكتساب ، وهذا التحذير والوعيد على من فعل مثل فعلهم مع العلم أن النبي ﷺ بين أن المسألة لاتصح إلا في

---

(١) انظر : عوارف المعارف للسهروردي (ص١٠٢) .

(٢) أخرجه مسلم ف يكتاب الزكاة برقم (١٠٣٣) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠٤٢) .

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٢١٤) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة برقم (١٤٧٤) ، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠٤٠)

حالات ثلاث : رجل أصابت ماله جائحة فأهلكته ، أو رجل تحمل حمالة ، ورجل من ذوي الفقر والحاجة .

قال ﷺ : "لاتصح المسألة إلا لثلاثة رجل أصابت ماله جائحة فيسأل حتى يصيب سدادا من عيش ثم يمسك ، ورجل تحمل حمالة فيسأل حتى يؤدي إليهم حمالتهم ثم يمسك عن المسألة ، ورجل حلف ثلاثة نفر من قومه من ذوي الحاجة بالله لقد حلّت المسألة لفلان فيسأل حتى يصيب قواما من معيشه ثم يمسك عن المسألة فما سوى ذلك سحت"[(١)] .

هذا هو الجهل بمقاصد الشريعة الذي قاد المبتدعة إلى الوقوع في البدعة والضلال فانظر إلى عظم جهل المبتدعة بمقاصد الشرع المطهر ، وانظر إلى آثار جهلهم المسطر ، وهذا وإن كان الجهل بمقاصد الشريعة له دور في وقوع من وقع في البدع فإن الجهل بما هو ثابت وصحيح من الأدلة له دور في الوقوع في البدع لايقل عن الجهل بمقاصد الشريعة ، وهذا هو ماسنعرض له في المبحث القادم .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠٤٤) .

المبحث الثالث
الجهل بما هو ثابت من الأدلة

التمهيد :

من الأمور البدهية لدى كل من أراد أن يستدل على مسألة ما بدليل أو بأدلة كثيرة أن يتوخى الحرص في استدلاله على صحة دليله أولا ، ثم مطابقة الدليل للمسألة المستدل لها من حيث وجود الدلالة والشاهد في ذلك الدليل ، ولكن هذا الأمر البدهي غاب عن أهل الابتداع وذلك من خلال أنهم يستدلون على عقائدهم بما لم يثبت من الأدلة و لم يصح فهم جهلوا الأدلة الثابتة وذهبوا يستدلون بالأدلة التي لم تثبت عند أهل العلم .

والاستدلال بهذين النوعين من الأدلة من الطبعي أنه لاينظر إليها ولايعتبر بها فضلا عن أنه يترتب عليها آثار خطيرة من حيث تبني المضامين العقدية في هذه الأدلة التي لم تثبت ، ولقطع الطريق على من يستدل بالأدلة التي لم تثبت وضع العلماء قاعدة تبين كيفية تعاملهم مع هذا النوع من الأدلة ، هذه القاعدة هي "كل ماتطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال"[1] .

وهم يقصدون بهذه القاعدة أن كل دليل تكلم العلماء المحققون فيه من حيث ثبوت ذلك الدليل أو صحة دلالته على المسألة المستدل لها فإنه يبطل الاستدلال به ، فإذا الاحتمال المراد به هنا هو الطعن في الدليل من حيث الثبوت أو من حيث كونه يصلح دليلا على المسألة المستدل لها ، والمبتدعة وقعوا في الأمرين معا وهما عدم ثبوت مايستدلون به وعدم صحة الاستدلال به على تلك المسألة . والذي يعنينا في هذا المبحث هو الأمر الأول وهو اعتمادهم في الاستدلال بما لم يثبت .

---

(١) انظر : القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام (ص٢٣٤-٢٣٥) ، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للإمام الاسنوي (ص٣٣٨) .

ونحن إذا نظرنا إلى هذا الأمر وجدناه عند أهل الابتداع أمرا لايحصره حـــاصر فصوره كثيرة ، ولكن سنأخذ في هذا المبحث أهم الأدلة التي يستدل بها أهل الابتداع ، ولكن عند التأمل نجدها لانصيب لها من أرض الواقع . فمن هذه الأدلة مايلي :

المطلب الأول
استدلالهم وحكايتهم إجماعا لم يثبت

يعتبر الإجماع مصدرا مهما من مصادر الاستدلال عند عامة أهل العلم من المسلمين ، ولذلك أعطى أهل العلم اهتماما خاصا بهذا المصدر وذلك من خلال استدلالهم به في مسائل عقدية أو أحكام شرعية.

ولعلم أهل البدع بأهمية الإجماع فقد استخدموه في الاستدلال على كثير من عقائدهم البدعية الضالة حتى أصبح دعواهم الإجماع على بدعهم أصلا من أصول استدلالهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا دعوى الإجماع الكاذبة من قبل المبتدعة على بدعهم :

"وعامة أصول أهل البدع والأهواء الخارجين عن الكتاب والسنة تجدها مبنية على ذلك على نوع من القياس الذي وضعوه وهو مثل ضربوه يعارضون به ماجاءت به الرسل ، ونوع من الإجماع الذي يدعونه فيركبون من ذلك القياس العقلي ، ومن هذا الإجماع السمعي أصل دينهم .

ولهذا تجد أبا المعالي ــ وهو أحذق المتأخرين ــ إنما يعتمد فيما يدعيه من القواطع على نحو ذلك ، وهكذا أئمة أهل الكلام في الأهواء كأبي الحسين البصري ومشايخه ونحوهم لايعتمدون لاعلى كتاب ولاعلى سنة ولاعلى إجماع مقبول في كثير من المواضع بل يفارقون أهل الجماعة ذات الإجماع المعلوم بما يدعونه هم من الإجماع المركب"[(١)] .

تعريف الإجماع :

قبل أن نخوض في أهمية هذا المصدر في باب الاعتقاد والخلل الذي وقع المبتدعة فيه من خلال تعاملهم مع هذا المصدر والرد عليهم يحسن بنا أولا أن نعرف الإجماع .

---

(١) التسعينية لابن تيمية (٢/٣٦١-٤٩٢) .

فالإجماع هو : "اتفاق مجتهدي الأمة في عصر على أمر ولو كان الأمر فعلا اتفاقا كائنا بعد النبي ﷺ"[١] .

شرح التعريف :

- فالمراد باتفاقهم اتحاد اعتقادهم واحترز بالاتفاق عن الاختلاف .
- وبقيد "الاجتهاد" عن غير المجتهد فلايكون اتفاق غير المجتهد من أصولي وفروعي ونحوي ولامن لم يكمل فيه شروط الاجتهاد إجماعا ولاتقدح مخالفته في انعقاد الإجماع .
- وبقيد "الأمة" المنصرف إطلاق لفظها إلى أمة محمد ﷺ عن اتفاق مجتهدي بقية الأمم وهي الأمة الإسلامية .
- ودخل في قوله "على أمر" جميع الأمور من الأقوال والأفعال الدينية والدنيوية والاعتقادات والسكوت والتقرير وغير ذلك .

وإنما أبرز قوله "ولو فعلا" مع دخوله في مسمى الأمر للبيان والتأكيد[٢] .

أهمية الإجماع في باب العقائد :

يمكن أن نحدد أهمية الإجماع في باب العقائد في عدة أمور منها مايلي :

الأول : أن الإجماع عندما ندخله في باب العقائد إنما ندخله لتعضيد الأدلة وتقويتها ولدفع احتمال الخطأ الذي قد يتطرق للظنيات فيرتفع ـــ بفضل الإجماع ـــ إلى مقام القطعيات[٣] .

---

(١) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي (٢/٢١١) .

(٢) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي (٢/٢١١) ، انظر أيضا : جمع الجوامع بشرح المحلى (٢/١٧٧) ، نهاية السول (٢/٣٣٦) ، الأحكام للآمدي (١/١٩٦) .

(٣) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، عثمان علي حسن (١/١٥٤) .

الثاني : عندما يقع إجماع علماء الأمة على المسائل العقدية فإن هذا الإجماع هو ضمان لتلك النصوص التي تستند عليها المسائل من أن تخصص إن كانت عامة أو العكس أي تعمم إن كانت خاصة أو تطلق إن كانت مقيدة أو العكس أي تقيد إن كانت مطلقة أو أن يدعى فيها النسخ أوماشابه ذلك وضمان الإجماع للنصوص على بقائها على ماهي عليه وعلى ماتشتمله من مسائل عقدية هو ضمان أيضا لتلك العقائد الثابتة بالنصوص المجمع عليها من أن تحرف أو تأول أو تعطل أو ماشابه ذلك .

ولذلك عندما يجمع علماء أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين على أن مرتكب الكبيرة لايخلد في النار فإنه لايصح للخوارج والمعتزلة نقض هذا الإجماع والقول بتكفير مرتكب الكبيرة وكذلك إذا أجمعوا على أن الرحمن سبحانه مستوي على عرشه حقيقة فلايصح للجهمية تفسير الاستواء بالاستيلاء لأنه مخالف للإجماع وهو سلب لما تضمنته النصوص الشرعية من إثبات استواء الرحمن على عرشه عز وجل وعلى هذا قس باقي المسائل العقدية .

أمثلة من حكاية المبتدعة لإجماع لم يثبت :

كثيرا مايحرص أهل الابتداع على دعوة الإجماع على ماهم عليه من الاعتقاد وذلك محاولة منهم لترسيخ ماهم عليه من البدعة بتلك الدعاوى الإجمالية المزعومة ونحن إذا تتبعنا أمثلتهم على ذلك ضاق بنا المقام وذلك لكثرتها الكاثرة بحيث يصعب علينا حصرها لكن سنذكر بعض الأمثلة الدالة على ذلك .

المثال الأول :

ذكر الإمام الرازي رحمه الله دعوى عارية عن البرهان وهي حكايته لإجماع المسلمين على نفي الحيز والجهة عن الله سبحانه وتعالى وذلك لأنه يرى أن صفة الجهة والحيز خارجة عن مسمى الله وليست من صفاته وفي إثباتها إثبات قديم مع الله ، وذلك مخالف للإجماع كما يرى هو ذلك .

يقول الإمام الرازي : "لو كان الباري أزلا وأبدا مختصا بالحيز والجهة لكان الحيز والجهة موجودين في الأزل ، فلزم إثبات قديم غير الله وذلك محال بإجماع المسلمين"[١] .

والرد على هذه الدعوى يتلخص فيما يلي :

١- يقال له : هؤلاء[٢] إذا قالوا بأنه مختص بحيز وجودي أزلا وأبدا فليس ذلك عندهم شيئا خارجا عن مسمى الله ، كما أن الحيز الذي هو نهايات المتحيز وحدوده الداخلة فيه ليس خارجا عنه ، بل هو منه وعلى هذا التقدير فيكون إثباتهم لقدم هذا الحيز كإثبات سائر الصفاتية للصفات القديمة من علمه وقدرته وحياته لافرق بين تحيزه وبين قيامه بنفسه وحياته وسائر صفاته اللازمة والحيز مثل الحياة والعلم بل أبلغ منه في لزومه للذات ، كما أنه كذلك في سائر المتحيزات فالحيز الذي هو داخل في المتحيز الذي هو حدوده وجوانبه ونواحيه ونهاياته أبلغ في لزومه لذاته من بعض الصفات كالسمع والبصر والقدرة وغير ذلك .

٢- أن المسلمين لم يجمعوا على أنه ليس لله صفة قديمة بل عامة أهل القبلة على إثبات ذلك ، ولكن أجمعوا على أنه ليس فيما هو خارج عن مسمى الله وهو الأمور المخلوقة شئ قديم . فأين هذا من هذا؟ فهذا الإجماع إنما يلزم لو قيل إن هناك حيزا وجوديا خارجا عن مسمى الله تعالى يختص به أزلا وأبدا .

٣- أن احتجاجك في هذا بالإجماع لايصح ، فإنك قد حكيت نزاع المسلمين في أن الباري هل هو متحيز ومختص بحيز وجهة وقررت أن الحيز أمر وجودي ، فتكون قد حكيت نزاع المسلمين في ثبوت حيز قديم مع الله ، بل قد يقال : حكيت اختلافهم في ثبوت حيز قديم وجودي غير الله ، وإذا حكيت اختلافهم في ذلك لم يجز أن تحكي إجماعهم على نفي قديم غير الله تعالى[٣] .

---

(١) أساس التقديس (ص٥٠) .

(٢) أي القائلين بإثبات الجهة لله وهم أهل السنة والجماعة وسائر عوام المسلمين .

(٣) تلبيس الجهمية (٢/١٤٠-١٤١) .

المثال الثاني :

دعوى طوائف من المبتدعة من الخوارج والمعتزلة والكرامية الإجماع على أنه لايجتمع في العبد إيمان ونفاق وذلك لأن الإيمان عندهم كل لايتجزأ ، فإذا ذهب بعضه بالمعاصي والكبائر ذهب باقيه .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وطوائف (أهل الأهواء) من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة كراميهم وغير كراميهم يقولون : أنه لايجتمع في العبد إيمان ونفاق ومنهم من يدعي الإجماع على ذلك ، وقد ذكر أبو الحسن في بعض كتبه الإجماع على ذلك ، ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع مخالفة صريح المعقول .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله أدلة على اجتماع الإيمان وبعض صور الكفر في العبد فقال : "فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر ومعه إيمان أيضا وعلى هذا ورد عن النبي ﷺ في تسمية كثير من الذنوب كفرا مع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من إيمان فلا يخلد في النار كقوله "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[١] ، وقوله : "لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"[٢] . وهذا مستفيض عن النبي ﷺ في الصحيح من غير وجه فإنه أمر في حجة الوداع أن ينادى به في الناس ، فقد سمى من يضرب بعضهم رقاب بعض بلا حق كفارا وسمى هذا الفعل كفرا ، ومع هذا فقد قال تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ إلى قوله : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فبين أن هؤلاء لم يخرجوا من الإيمان بالكلية ولكن فيهم ماهو كفر وهي هذه الخصلة كما قال بعض الصحابة كفر دون كفر ، وكذلك قوله : "من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما"[٣] ،

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٩) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن برقم (٧٠٧٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم (٦٥) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب برقم (٦١٠٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٦٠) .

فقد سماه أخاه حين القول ، وقد أخبر أن أحدهما باء بها فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه بل فيه كفر ، وكذلك قوله في الحديث الصحيح "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر"[١][٢] .

المثال الثالث :

دعوى الرافضة بأن أهل السنة والرافضة مجمعون على أن قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣] إنما نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويرى الرافضة أن هذه الآية من أقوى الأدلة التي نصت على إمامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ بلا فصل . وأما نص دعواهم الإجماع فقولهم "اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة"[٤] .

أما الرد على هذه الدعوى الرافضية فهو من السهولة بمكان ، فإن أهل السنة الذين يدعون إجماعهم على تفسير الآية بأنها واردة في علي يصرحون في كتب تفسيرهم الشهيرة كتفسير ابن كثير رحمه الله بأن المرويات التي تفسر أن هذه الآية نزلت في علي هي روايات معلولة لايثبت منها شئ .

يقول ابن كثير رحمه الله بعدما ساق في تفسيره تلك الروايات معقبا عليها بقوله : "وليس يصح شئ منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها" .

---

(١) مسلم في الإيمان برقم (٦١) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٥٣/٧-٣٥٦) .

(٣) سورة المائدة : آية (٥٥) .

(٤) عقائد الإمامية الاثنى عشرية (٨١/١-٨٢) .

نلاحظ في النص السابق تسميتهم أهل السنة بالعامة وهذا اصطلاح يطلقونه على أهل السنة ، ونلاحظ أيضا تسميتهم الكتب الستة بالصحاح وهذه تسمية لايعرفها أهل السنة بل عندهم الصحيحان والسنن وهذا يعود لكثرة ماتعود عليه الرافضة من المبالغات .

بل إن ابن كثير رحمه الله ذهب أبعد من ذلك عندما حقق أن نزول هذه الآية إنما كان في شأن عبادة بن الصامت فيقول : "وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين تبرأ من حلف اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين ، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١) (٢) .

هذه هي بعض دعاوى المبتدعة للإجماع على عقائدهم وتعلقهم بتلك الإجماعات ظهر من خلالها الحرص الشديد من قبل أهل الابتداع لتدعيم عقائدهم وتأسيسها على إجماعات زائفة لم تثبت(٣) .

ونحن إذا لاحظنا وتأملنا الأسباب الداعية إلى كثرة مايدعيه المبتدعة من الإجماعات على عقائدهم وجدناها تعود إلى أمرين(٤) :

أولا : أن من الناس من لايعرف مذاهب أهل العلم وقد نشأ على قول لايعرف غيره فيظنه إجماعا ، ولذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله واصفا حال بعض المبتدعة في نقلهم للإجماع وأسباب دعواهم الإجماع بأنهم : "لايعرفون في المسألة من أقوال المسلمين إلا قولين أو ثلاثة فيحكون الإجماع على نفي ماسواها وكثير مما يحكونه من هذه الإجماعات لايكون معهم فيها نقل لا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين بل ولا عن العلماء المشهورين الذين لهم لسان صدق ولا فيها آية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله ﷺ وهم مع هذا يعتقدون أنها من أصول الدين التي لايكون الرجل مؤمنا أو لايتم دين الإسلام إلا بها ونحو ذلك" .

---

(١) سورة المائدة : آية (٥٦) .

(٢) تفسير ابن كثير (١١٤/٢) ، وانظر : أصول الشيعة الاثنا عشرية للغفاري (٦٧٨/٢-٦٧٩) .

(٣) وللمزيد من الأمثلة انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٣٢٨،٣٣٢،٣٣٦) ، تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨٤/١) ، الدرء (٣٢٥/٢،٣٢٦،٣٣٤،٣٣٤) ، (٨٤/٥) ، (٩٤/٨) .

(٤) الدرء (٩٦/٨) .

ثانيا : أنه قد لايعرف قائلا يقول أصلا بهذا القول الذي يعتقده ويدعي عليه الإجماع إلا أن عقله قاده إلى حتمية إجماع العقلاء على ماتوصل إليه عقله ، وفي هذا الصدد يقول عمن هذا حاله شيخ الإسلام رحمه الله : "ثم هؤلاء يحكون إجماعات يجعلونها من أصول علمهم ولايمكنهم نقلها عن واحد من أئمة المسلمين وإنما ذلك بحسب مايقوم في أنفسهم من الظن فيحكون ذلك عن الأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في المحافل ، فإذا قيل لأحدهم في الخلوة أنت حكيت أن هذا قول هؤلاء الأئمة فمن نقل ذلك عنهم؟ قال هذا العقلاء ، والأئمة لايخالفون العقلاء ، فيحكون أقوال السلف والأئمة لاعتقادهم أن العقل دل على ذلك ومن المعلوم أنه لو كان العقل يدل على ذلك باتفاق العقلاء لم يجز أن يحكى عن الإنسان قول لم ينقله عنه أحد"[١] .

---

(١) الدرء (٥/٣٩٠) .

المطلب الثاني
استدلالهم على صحة مذاهبهم
بنسبتها إلى السلف رضي الله عنهم

لاشك أن الانتساب إلى السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين شرف للمنتسب لهم ، كيف لا وهم أحسن الناس اعتقادا وقولا وعملا فهم مصابيح الهدى التي أضاء الله بها أصقاع المعمورة فنشروا دين الله وذادوا عن حياضه فكانواأئمة هدى ورسل خير للعالمين ، بهم أحيا الله القلوب وأخرجها من ظلمات الشرك والبدعة والضلالة إلى نور الإيمان والسنة والهداية ، وقوم هذا هو حالهم من الطبعي أن يحاول المرء أن يلتصق بهم ويدعي نسبته إليهم ومشاركتهم في الاعتقاد والأقوال والأعمال ، ولذلك سعى أهل الابتداع بالانتساب إلى السلف في العقائد والأقوال والأعمال وهم في انتسابهم هذا يظنون أن السلف يعتقدون مايعتقده أولئك المبتدعة ، فعندما يحكون أن السلف موافقون لهم في الاعتقاد ، فهم بذلك يرسخون بدعهم ويثبتون أنها لم تكن وليد الساعة ، بل لها جذور عميقة قديمة يصل عمقها إلى السلف ، فهم إذا ليسوا مبتدعة بل متبعة لما كان عليه السلف وليسوا مخالفين للسلف بل موافقون لهم ، هذا هو مايحاول أهل الابتداع تقريره في كتبهم ، ولكن عند التأمل عندما يحكي المبتدعة نسبة عقائدهم للسلف ونحاول أن نقارن بين مايذكرونه من عقائد يعتقدونها وبين ماكان السلف يعتقدونه في تلك المسائل نجد البون شاسعا ، وطرق الالتقاء مع السلف نائية الديار وبعيدة المسار ، فنجد أنهم مخالفون للسلف تماما ، بل إنهم يناقضون باعتقادهم عقيدة السلف .

وأما نسبتهم عقائدهم للسلف فهذا صنف من صنوف جهلهم لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله مبينا ماعليه المتأخرون من المبتدعة من جهلهم لمذهب السلف مع علمهم بمذاهب المخالفين وإحاطتهم بها وبأدلتهم :

"إن كثيرا من الناس المتأخرين لم يعرفوا حقيقة كلام السلف والأئمة فمنهم من يعظمهم ويقول أنه متبع لهم مع أنه مخالف لهم من حيث لايشعر"[(١)] .

هذا مع العلم أن الجهل بمذهب السلف لايقتصر على صغار المبتدعة أو عامتهم ، بل هو يصل إلى العلماء منهم والذين يشار إليهم بالبنان .

ولذلك ينعى شيخ الإسلام على أولئك العلماء جهلهم بمذهب السلف فيقول "وأما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول فلايعرفونه ولايعرفون قائله فالشهرستاني صنف الملل والنحل وذكر فيها من مقالات الأمم ماشاء الله والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه و لم يذكره والقاضي أبو بكر وأبو المعالي والقاضي أبو يعلى وابن الزاغوني وأبو الحسين البصري ومحمد بن الهيثم ونحو هؤلاء من أعيان الفضلاء المصنفين تجد أحدهم يذكر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأمة ويختار واحدا منها والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لايذكره الواحد منهم .. وقد رأيت من اتباع الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من يقول أقوالا ويكفر من خالفها وتكون الأقوال المخالفة هي أقوال أئمتهم بعينها"[(٢)] .

أمثلة من جهل المبتدعة لمذهب السلف :

هذه هي بعض الأمثلة الكاشفة عن جهل المبتدعة بمذهب السلف واستدلالهم على صحة مذاهبهم بموافقة السلف لهم ، وهذا مالم يثبت وسيظهر ذلك جليا من خلال الأمثلة التالية :

المثال الأول :

ماحكاه أبو القاسم القشيري من جواز السماع الصوفي واستحبابه ونقله ذلك عن مالك بن أنس وأهل الحجاز وابن جريج فقال :

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٨٧) .

(٢) الدرء (٢/٣٠٧-٣٠٨) ، مجموع الفتاوى (١٢/١١٥) .

"وقد سمع الأكابر الأبيات بالألحان فمن قال بإباحته : مالك بن أنس وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء ، فأما الحداء فإجماع منهم على إباحته" ، ثم قال بعد ذلك : "وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار في ذلك ، وروى عن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له إذا أتي بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيئاتك ففي أي الجنبين يكون سماعك؟ فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات .- ثم قال القشيري يعني أنه من المباحات"[1] .

إن الجواب على ماحكاه أبو القاسم القشيري عن السلف في إباحة السماع ليس بثابت عن من حكاه عنهم ، وذلك يظهر من خلال رد شيخ الإسلام الآتي :

أولا : "أن هذا النقل يتضمن غلطا بإثبات باطل وترك حق وقد تبع فيه أبا عبد الرحمن على ماذكره في مسألة السماع وذلك أن من المعروف عند أئمة السلف من الصحابة والتابعين مثل عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وغيرهم وعن أئمة التابعين ذم الغناء وإنكاره ، وكذلك من بعدهم من أئمة الإسلام في القرون الثلاثة حتى ذكر زكريا بن يحيى الساجي في كتابه الذي ذكر فيه إجماع أهل العلم واختلافهم فذكر أنهم متفقون على كراهته إلا رجلان : إبراهيم بن سعد من أهل المدينة ، وعبيد الله بن الحسن العنبري من أهل البصرة .

ثانيا : وأما نقلهم لإباحته عن مالك وأهل الحجاز كلهم فهذا غلط من أسوأ الغلط ، فإن أئمة أهل الحجاز على كراهته وذمه ومالك نفسه لم يختلف قوله وقول أصحابه في ذمه وكراهته ، بل هو من المبالغين في ذلك حتى صنف أصحابه كتبا مفردة في ذم الغناء والسماع وحتى سأله إسحاق بن عيسى الطباع عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفساق ... نعم كان كثير من أهل المدينة يسمع الغناء وقد دخل معهم في ذلك بعض فقهائهم فأما أن يكون هذا قول أهل الحجاز كلهم أو قول مالك فهذا غلط . وكان الناس يعيبون من استحل ذلك من أهل المدينة كما عابوا على غيرهم ، حتى كان الأوزاعي يقول : من أخذ بقول أهل الكوفة في النبيذ ، وبقول أهل مكة في المتعة والصرف[2] ، وبقول أهل المدينة في الغناء ، أو قال : الحشوش والغناء فقد جمع الشر كله أو كلاما هذا معناه .

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٦٣٨) .

(٢) أي الصرف الدنانير بالدنانير أو الفضة بالفضة مؤجلا .

ثالثا : ليس ابن جريج وأهل مكة ممن يعرف عنهم الغناء بل المشهور عنهم أنهم كانوا يعيرون من يفعل ذلك من أهل المدينة وإنما المعروف عنهم المتعة والصرف ، ثم هذا الأثر وأمثاله حجة على من احتج به فإنه لم يجعل منه شيئا من الحسنات و لم ينقل عن السلف أنه عد شيئا من أنواعه حسنة فقوله على ذلك لايخالف الإجماع ، ومن فعل شيئا من ذلك على أنه من اللذة الباطلة التي لامضرة فيها ولامنفعة فهذا كما يرخص للنساء في الغناء والضرب بالدف في الأفراح مثل قدوم الغائب وأيام الأعياد ، بل يؤمرون بذلك في العرسات كما روى : "أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف"[1] ، وهو مع ذلك باطل كما في الحديث الذي في السنن أن امرأة نذرت أن تضرب لقدوم رسول الله ﷺ بالدف فلما قدم عمر أمرها بالسكوت وقال : "إن هذا رجل لايحب الباطل"[2] ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : "كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبة امرأته فإنهن من الحق"[3] .

والباطل من الأعمال هو ماليس فيه منفعة فهذا يرخص فيه للنفوس التي لاتصبر على ماينفع . وهذا الحق في القدر الذي يحتاج إليه في الأوقات التي تقتضي ذلك : الأعياد والأعراس وقدوم الغائب ونحو ذلك ، وهذه نفوس النساء والصبيان فهن اللواتي كن يغنين في ذلك على عهد النبي ﷺ وخلفائه ويضربن بالدف ، وأما الرجال فلم يكن ذلك فيهم بل كان السلف يسمون الرجل المغني : مخنثا لتشبهه بالنساء ...

ولهذا لما سئل القاسم بن محمد عن الغناء فقال للسائل : ياابن أخي أرأيت إذا ميز الله يوم القيامة بين الحق والباطل ففي أيهما يجعل الغناء؟ فقال : في الباطل . قال : فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ فكان العلم بأنه من الباطل مستقرا في نفوسهم كلهم وإن فعله بعضهم مع ذلك"[4] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب النكاح برقم (١٠٨٩) وقال فيه : هذا حديث غريب حسن في هذا الباب ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح برقم (١٨٩٥) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب برقم (٣٦٩٠) وقال فيه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور برقم (٣٣١٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الأمارة بلفظ قريب منه برقم (١٩١٩) .

(٤) انظر : الاستقامة لابن تيمية (١/٢٧١-٢٧٨) مع تصرف واختصار ، وانظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٥٧٧-٥٧٨) ، الرد على البكري لابن تيمية (١/٨٨) تحقيق محمد عجال .

المثال الثاني :

ذكر ابن حزم رحمه الله أن الشافعي رحمه الله كان يقول بإثبات اسمي السميع والبصير لله مع نفيه عن الله صفتي السمع والبصر . قال ابن حزم : "وذهبت طوائف من أهل السنة منهم الشافعي وداود بن علي الأصفهاني إمام أهل الظاهر وعبد العزيز بن مسلم الكناني وغيرهم إلى أن الله سميع بصير ولانقول بسمع ولاببصر لأن الله تعالى لم يقله ولكن سميع بذاته بصير بذاته"(١) .

فنحن نلاحظ أن ابن حزم رحمه الله في النص السابق يزعم أن الشافعي رحمه الله كان مثبتا لأسماء الله نافيا لصفاته ، وهذا في الحقيقة ليس هو اعتقاد الشافعي بل هو اعتقاد المعتزلة المثبتة لأسماء الله والنافية لصفاته جملة وتفصيلا ، والذي جعل ابن حزم ينسب هذا القول للشافعي إنما هو لتأثره بالمذهب الاعتزالي ، فابن حزم كما قال عنه شيخ الإسلام بأنه جهمي جلد فهو يثبت أسماء الله تعالى وينفي صفاته .

قال ابن حزم رحمه الله : "وأسماء الله تعالى كلها ليست مشتقة . برهان ذلك قول الله تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾(٢) فلو كانت أسماؤه مشتقة من صفات فيه لكان كل من اشتق له اسم من صفة فيه أيضا من الرحمة والعلم والحياة وغير ذلك سميا لله تعالى"(٣) .

فابن حزم يقصد من هذا القول أننا نثبت الأسماء مجردة عن الاشتقاق الذي يجعلها متضمنة للصفات فتكون أعلاما محضة لأنه يرى أن إثبات الصفات يلزم منه تعدد الذوات والقدماء مع الله وهذا محال ، كما يزعم لذلك يؤكد ويقرر هذا الاعتقاد بقوله : "وأنها كلها أسماء الله يعبر بها عنه تعالى ولايرجع منها إلى شئ غير الله البتة . تعالى الله أن يكون معه شئ آخر غيره"(٤) .

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٢/٣٠٩) .

(٢) سورة مريم : آية (٦٥) .

(٣) الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم (ص٢٧٥-٢٧٦) .

(٤) الفصل لابن حزم (٢/٣٢١) .

فهنا يظن ابن حزم أن إثبات الصفات لله يلزم منه أن يكون معه شئ غيره أي قديما آخر .

هذا هو اعتقاد ابن حزم الذي نسبه إلى الشافعي رحمه الله والجواب في دعوى هذا الاعتقاد ونسبته من قبل ابن حزم للشافعي يكون من وجوه :

الأول : أن الشافعي رحمه الله نص في كتبه إلى اعتقاده ولم يجعل تصنيفه العقدي ، مبهما غير واضح حتى ينسب إليه أهل الابتداع مايشاءون ، فقال الشافعي رحمه الله في إثباته أن لله صفاتا تليق به سبحانه وتعالى : "ولايبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق مايصفه به خلقه"(١) .

فالشافعي رحمه الله في هذا النص يثبت أن لله صفات يتصف بها لايمكن لأحد من العالمين أن يصف كنه تلك الصفات وذلك لعظمتها وكمالها التام .

الثاني : أن تلاميذ الإمام الشافعي وأصحابه الآخذين عنه علمه ينقلون عن الشافعي خلاف مانقله عنه ابن حزم ، فهذا صاحبه وصفيه الربيع بن سليمان المرادي رحمه الله يقول : سألت الشافعي عن صفات من صفات الله تعالى فقال : حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل إلا ماوصف به نفسه أو على لسان نبيه ﷺ"(٢) .

فهذا النقل عن الإمام الشافعي رحمه الله فيه إثبات لصفات الله تعالى مع نفي مايجردها من مضامينها العقدية من تحريف أو تأويل أو غير ذلك كما فعله ابن حزم.

ثالثا : أن أهل العلم المحققين رحمهم الله والعالمين بمذاهب السلف الصالح والمستقرئين له يعلمون أن الشافعي رحمه الله ريحانة من رياحين السلف الصالح وإمام من أئمتهم ، ولذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "اعتقاد الشافعي رضي الله عنه واعتقاد سلف الإسلام كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي (ص٨) .

(٢) ذم التأويل لابن قدامة رحمه الله (ص٢٣٤) .

وإسحاق بن راهويه وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الدارمي وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين وكذلك أبو حنيفة رحمة الله عليه فإ الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء واعتقاد هؤلاء هو ماكان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهو مانطق به الكتاب والسنة"[١] .

رابعا : ظهر جليا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن الشافعي رحمه الله مثبتا لأسماء الله وصفاته جملة وتفصيلا ، وأذكر الآن مثالا واحدا على اثباته رحمه الله لصفة من صفات الله تعالى وهي صفة الكلام ، قال المزني رحمه الله : "كان مذهب الشافعي أن كلام الله غير مخلوق"[٢] .

ويقول الشافعي رحمه الله عن نفسه : "أنا أقول لاإله إلا الله الذي كلم موسى عليه السلام تكليما من وراء حجاب وذاك[٣] يقول : لاإله إلا الله الذي خلق كلاما اسمعه موسى من وراء حجاب"[٤] .

فهذا اعتقاد الإمام الشافعي رحمه الله في صفة الكلام ، بل وفي الصفات جميعا هو اعتقاد السلف الصالح فالشافعي سائر على منهجهم مقرر لمذهبهم رحمه الله[٥] .

المثال الثالث :

قال في المسايرة نقلا عن أبي الحسن الأشعري : "وذكر عن أحمد بن حنبل وجماعة من أهل الحديث أنهم يقولون أن الإيمان مخلوق"[٦] .

والجواب على هذه الدعوى المنسوبة إلى الإمام أحمد تكون من خلال مايلي:

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٥٦) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/٢٥٤) .

(٣) يعني إبراهيم بن إسماعيل بن عليه ، جهمي هالك كان يقول بخلق القرآن ، مات سنة ٢١٨هـ .

(٤) الانتقاء لابن عبد البر (ص٧٩) .

(٥) براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة للدكتور عبد العزيز الحميدي (ص٣٦٨) .

(٦) المسامرة شرح المسايرة (ص٣٥٢) للكمال ابن أبي الشريف .

أولا : أنه لم يعثر في كتب أبي الحسن الأشعري نسبته هذه المقالة إلى الإمام أحمد رحمه الله[١] بل إن أبا الحسن الأشعري رحمه الله نص في كتابه مقالات الإسلاميين مايخالف الكلام السابق المنقول عنه فقال أبو الحسن الأشعري عند ذكره اعتقاد وقول أصحاب الحديث : "ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولايقولون مخلوق ولاغير مخلوق"[٢] .

ثانيا : أنه لاتصح نسبة هذه المقولة وهي "أن الإيمان غير مخلوق" إلى الإمام أحمد رحمه الله فالمروي عن الإمام أحمد رحمه الله في مسائل الإيمان وبقية أصول الدين شئ كثير ولاوجود لمثل هذه المقولة في كلامه ولاحكاها عنه أحد من أصحابه وتلامذته والآخذين عنه العلم . قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وكذلك مسألة الإيمان لم يقل قط أحمد بن حنبل أن الإيمان غير مخلوق ولاقال أحمد ولاغيره من السلف أن القرآن قديم وإنما قالوا : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولاقال أحمد بن حنبل ولاأحد من السلف أن شيئا من صفات العبد وأفعاله غير مخلوقة ولاصوته بالقرآن ولا لفظه بالقرآن ولاإيمانه ولاصلاته ولاشئ من ذلك"[٣] .

وإنما الثابت عن الإمام أحمد رحمه الله هو إنكاره الشديد على طائفة كانت تقول أن الإيمان مخلوق وأدخلوا في ذلك الإيمان قول لاإله إلا الله التي هي موجودة في كتابه ومن كلامه ليتوصلوا بذلك إلى القول بأن القرآن الذي هو كلام الله مخلوق . قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وتكلم الناس حينئذ في الإيمان فقالت طائفة الإيمان مخلوق وأدرجوا في ذلك ماتكلم الله به من الإيمان مثل : قول لاإله إلا الله فصار مقتضى قولهم أن نفس هذه الكلمة مخلوقة و لم يتكلم الله بها فبدع الإمام أحمد هؤلاء وقال : قال النبي ﷺ : "الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لاإله إلا الله أفيكون قول لاإله إلا الله مخلوقا"[٤] "[٥] .

---

(١) براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة للحميدي (ص٢٥٠) .

(٢) مقالات الإسلاميين (ص٢٩٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦٦٠/٧) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم (٩) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٥٨) .

(٥) مجموع الفتاوى (٦٥٦/٧) ، وانظر : براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة للدكتور الحميدي (ص٢٥١) .

هذه هي بعض الأمثلة[1] والنماذج الدالة على جهل المبتدعة بمذاهب الأئمة الكبار من السلف فضلا عمن هو دونهم أمثلة تنبئ عن جهل لم يقع فيه مبتدعة لاعبرة بهم بل أناس يشار إليهم بالإمامة في البدعة ، فهذا هو حال أئمتهم المقررين لمذاهبهم فكيف يرجى للأتباع معرفة مذاهب السلف الصالح إذا كان من ينظر لهم ويؤصل مذاهبهم جاهل بمذهب السلف جهلا مركبا . لاشك أن مذهب السلف حينئذ يكون ليس له وجود ولامعرفة لديهم ، بل إنهم قد يعرفون مذاهب اليونان الغابرة المندرسة بتفاصيلها الدقيقة وأدلتها ومؤسسيها ، ولكنهم لايعرفون مذاهب أصحاب نبيهم وأصفيائه وتلامذتهم من التابعين ومن تبعهم من علماء السلف الكبار ، وهذه مأساة وعار كبير وقع فيه أئمة الابتداع قرنا بعد قرن وزمانا بعد زمان .

ولقد نبه أهل العلم رحمهم الله على آثار جهل المبتدعة بمذهب السلف وعدم عنايتهم به ، فمن ذلك قول شيخ الإسلام رحمه الله : "ولكن من لم يكن له عناية تامة باتباع المرسلين واقتفاء آثارهم والاهتداء بأعلامهم ومنارهم واقتباس النور من مشكاة أنوارهم فإنه يجعل الحديث الصحيح ضعيفا ، والضعيف صحيحا ، والمعنى الحق باطلا ، والباطل حقا صريحا كما يوجد في كلام سائر الخارجين عن منهاج السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، المبتدعين فيما فارقوا به طريق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المهدية المنصورة إلى قيام الساعة كما قال رسول الله ﷺ : "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ولامن خذلهم حتى تقوم الساعة[2]"[3] .

---

(١) لمزيد من الأمثلة انظر : الرد على البكري لابن تيمية المسمى بالاستغاثة (٨٥/١) ، قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام وعبادة أهل الشرك والنفاق (ص١٤٤-١٥٠) ، الصفدية (٢٣٩/٢) كلاهما لابن تيمية ، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٣٤٧/١) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٣٤٨) ، الملل والنحل للشهرستاني (ص٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة برقم (٧٣١١) ، وأخرجه مسلم في كتاب الامارة برقم (١٩٢٠) .

(٣) بغية المرتاد لابن تيمية (ص٢٠٢) .

هذه هي بعض آثار الجهل بمذهب السلف من قبل المبتدعة يمكن أن نلخصها بعبارة واحدة هي انقلاب الموازين لدى أهل الابتداع بجعلهم الحق باطلا والباطل حقا ، وهذا هو الذي أشعل نار الاختلاف بينهم أنفسهم فضلا عمن عداهم وقادهم إلى الحيرة والشك والعياذ بالله .

المطلب الثالث
استدلالهم بأحاديث مردودة لم تثبت

من الأدلة التي يستدل بها المبتدعة كثيرا الحديث الذي لم يثبت عن النبي ﷺ فأنت عندما تنظر في كتب أهل الابتداع المصنفة في العقائد ترى أمرا عجبا ، هذا الأمر هو كثرة مايسرده المبتدعة من الأحاديث التي ليس لها خطام ولازمام وليس لها أدنى رصيد من الصحة ، أحاديث أقل درجاتها النكارة الشديدة ، فهي بين ماهو شديد الضعف جدا وبين ماهو موضوع ليس له وجود في دواوين الإسلام المشهورة اللهم إلا في كتب الموضوعات التي خصصها المحققون من أهل الحديث لتمييز وضع تلك الأحاديث المنسوبة كذبا وزورا على النبي ﷺ التي يضعها الزنادقة طعنا منهم في الدين وتشكيكا للمسلمين في دينهم فيأتي بعد ذلك أهل الابتداع فيستدلون بها على مسائل العقيدة المهمة ، بل على أصول الدين الكبرى ، وهذا يعود لجهل المبتدعة بحديث النبي ﷺ وعدم قراءتهم له والتمعن فيه ودراسته وإلا فإنه من المعروف أن من أدمن النظر في السنة فإنه يمتلئ قلبه نورا بكلام النبي ﷺ لكثرة ممارسته لحديث النبي ﷺ بحيث أنه يستطيع أن يجزم بما هو موضوع من الأحاديث بسبب ممارسته لكلام النبي ﷺ ومعايشته له ، ولذلك فإن أئمة المحدثين لديهم حاسة استشعار قوية تجعلهم يميزون بين ضعيف الحديث وصحيحه كالصيرفي عندما يميز بين الذهب الخالص والمغشوش .

أقول إن جهل المبتدعة بالحديث النبوي الصحيح على وجه الإجمال وعدم ممارستهم لكلامه ﷺ هو الذي أوردهم الموارد المهلكة فتجد أئمة أهل الابتداع يجمعون كل حديث وقعت عليه أعينهم مثل أحدهم كمثل حاطب ليل وكلهم ذاك الرجل إلا ماشاء الله ، وهذا الشئ مشهور عنهم بل هم يصرحون به في كتبهم يصرحون بأن بضاعتهم في الحديث مزجاة ومع هذا تراهم شجعانا في تصيد كل حديث موضوع وساقط ومن ثم الاستدلال به على عقائدهم الباطلة .

ثم أن الأمثلة كما قلت كثيرة ولكثرتها سأحاول أن أعرض مايدعم الكلام السابق الذي ذكرته من تكالب المبتدعة على الأحاديث التي لم تثبت .

المثال الأول :

مايستدل به المتكلمون على فضل العقل وشرفه :

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رســول الله ﷺ : "أول مــاخلق الله العقل فقال له : اقبل فأقبل ثم قال له : ادبر فأدبر فقال : وعزتي ماخلقت خلقا أكرم علي منك فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب والعقاب" .

الحكم على الحديث :

فهذا الحديث أطبق قول أهل العلم على أنه موضوع . وممن قال بذلك الإمام أحمد رحمه الله قال : هذا الحديث موضوع ليس له أصل ، وقال العقيلي : ولايثبت في هذا المتن شئ ، وقال ابن عدي : هذا حديث منكر ، وقال ابن الجوزي رحمــه الله : هذا حديث لايصح عن رسول الله ﷺ[١] .

وممن قال بوضعه أيضا شيخ الإسلام رحمه الله فقال : "رواه من صنف في فضل العقل كداود المحبر ونحوه واتفق أهل المعرفة بالحديث على أنه ضعيف بل هو موضوع على رسول الله ﷺ"[٢] .

ثم ذكر رحمه الله أقوال من ذكرنا من أئمة الحديث في تضعيفه بل ووضعه .

المثال الثاني :

استدل المتكلمون بحديث آخر في فضل العقل وهو مايروونه عن ابــن عبــاس رضي الله عنهما :

أنه دخل على أم المؤمنين عائشة فقال : "ياأم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامــه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إلى الله .

قالت : سألت رسول الله ﷺ عما سألتني عنه فقال : أحسنهما عقلا . فقلت يارسول الله إنما أسألك عن عبادتهما[٣] .

---

(١) انظر : الموضوعات لابن الجوزي (١/١٢١-١٢٢) ، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشــنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني (١/٢٠٤) ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعــة للشــوكاني (ص٤٧٨) .

(٢) بغية المرتاد لابن تيمية (ص١٧١) ، الصفدية (١/٢٣٨) ، مجموع الفتاوى (١١/٢٣٠) .

(٣) انظر : الإحياء في علوم الدين للغزالي (١/١٠٩-١١٠) فقد ذكر أحاديث أخرى باطلة لاتصح

فقال : ياعائشة إنهما لايسألان عن عبادتهما إنهما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة" .

الحكم على الحديث :

لقد حكم أهل الصناعة الحديثية على حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور بالوضع والبطلان وأنه لايصح ولايثبت بطريق من الطرق .

وممن حكم بالوضع على هذا الحديث من الأئمة ابن الجوزي رحمه الله .

قال ابن الجوزي رحمه الله : "هذا حديث لايصح" ، وقال أيضا رحمه الله : "وقد رويت في العقل أحاديث كثيرة ليس فيها شئ يثبت"[(١)] .

وممن قال بوضع هذا الحديث أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[(٢)] .

وهذه الأحاديث التي في فضل العقل هي موجودة في مصنفات منحولة مسروقة ومن ذلك كتاب العقل لداود بن المحبر ويعتبر كتابه من أشهر الكتب في هذا الفن ، ومع هذا هو مسروق منحول ، ذكر ذلك ابن الجوزي رحمه الله عن الدارقطني بقوله : "كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود المحبر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة فسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد أخر" . قال ابن الجوزي بعد ذلك معقبا : "وكلهم متروكون"[(٣)] .

وممن قال بوضع هذا الحديث الشوكاني رحمه الله في الفوائد المجموعة[(٤)] .

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي (١/١٢٢-١٢٣) .
(٢) بغية المرتاد لابن تيمية (ص٢٤٣-٢٤٤) .
(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/١٢٣) .
(٤) الفوائد المجموعة (ص٤٧٧) .

المثال الثالث :

مايستدل به المتصوفة ومن نحا نحوهم على إثبات التوسل بالنبي ﷺ قبل خلقه وذلك من خلال استدلالهم بحديث موضوع مروي عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال : "لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : ياآدم وكيف عرفت محمدا و لم أخلقه؟ قال يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لاإله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت ياآدم . أنه لأحب الخلق إلي . ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك"[١] .

فهذا الحديث طار به المتصوفة فرحا لأنه يدعم اعتقادهم بجواز التوسل بالنبي ﷺ قبل خلقه وبعد خلقه كما ذكر ذلك صاحب كتاب وفاء الوفاء بقوله : "اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ وبجاهه وبركته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين واقع في كل حال قبل خلقه ﷺ وبعد خلقه في حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة"[٢] .

وممن استدل به أيضا السبكي[٣] ، وذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله أيضا عن البكري[٤] في رد شيخ الإسلام عليه .

---

(١) المستدرك على الصحيحين وقال الحاكم هذا صحيح الإسناد (٦١٥/٢) .

(٢) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، نور الدين علي بن أحمد السمهودي ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد (١٣٧١/٤) .

(٣) شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي (ص٦١) .

(٤) (٥٢/١) ، تحقيق محمد علي عجال ، ومحبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع لعبد الرؤوف محمد عثمان (ص٢٧٤) .

الحكم على الحديث :

أما الحديث فحكم عليه أهل الحديث بالوضع ، وممن حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال : "فإن هذا الحديث لم ينقله أحد عن النبي ﷺ لا بإسناد حسن ولا صحيح بل ولا ضعيف يستأنس به ويعتضد به ، وإنما نقل هذا وأمثاله كما تنقل الإسرائيليات التي كانت في أهل الكتاب ... ويكفيك أن هذا الحديث ليس في شئ من دواوين الحديث التي يعتمد عليها" .

ثم سرد شيخ الإسلام كتب الحديث المعتمدة ثم قال رحمه الله : "وقد جمع غير واحد من الحفاظ قصة آدم ومن أجمعهم أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه الكبير فإنه روى عامة مارواه الناس ولم يذكر هذا"[1] .

فهنا يرى شيخ الإسلام رحمه الله عدم ثبوت هذا الحديث من الناحية الحديثية بل ومن الناحية التاريخية أيضا كما ذكر ذلك عن ابن عساكر ، بل إن شيخ الإسلام رحمه الله انتقد الإمام الحاكم رحمه الله لتصحيحه هذا الحديث فقال : "وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا : أن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث"[2] .

وممن قال أيضا بأن هذا الحديث موضوع الذهبي رحمه الله في تعقيبه على الحاكم بقوله بعد ذكر الحاكم للحديث وتصحيحه : "بل موضوع"[3] .

وذكر أيضا ابن عبد الهادي رحمه الله "أنه حديث غير صحيح ولاثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جدا وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع"[4] .

وابن حجر رحمه الله أيضا ممن قال ببطلان هذا الحديث وعدم صحته[5] .

أما علة هذا الحديث وسبب وضعه فهي تكمن فيمن روى عنهم الحاكم هذا الحديث وفيهم :

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (٥٦/١-٥٧-٥٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥٥/١) .

(٣) المستدرك (٦٦٥/٢) .

(٤) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٦٠) ، تحقيق إسماعيل الأنصاري .

(٥) لسان الميزان لابن حجر (٣٥٩/٣) .

- عبد الرحمن بن زيد بن أسلم تكلم فيه أئمة الجرح والتعديل فقال عنه الإمام الطحاوي : "حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف" .

ولذلك قال فيه أبو حاتم : "ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهيا" .

وقال ابن حبان : "كان ممن يقلب الأخبار وهو لايعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك" .

وقال عنه الذهبي أيضا بأنه "واه"[١] .

- عبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهري قال عنه الذهبي رحمه الله : "متهم بوضع الحديث" .

وقال ـ أي ابن حبان ـ : "حدثنا عنه جماعة يضع عن الليث ومالك وابن لهيعة لايحل كتب حديثه"[٢] .

ومن العجيب أن الحاكم رحمه الله هو الوحيد القائل بصحة إسناد هذا الحديث وهو أيضا ممن حكم على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بأنه مجروح فقال في كتابه المدخل إلى الصحيح : "وأنا مبين بعون الله وتوفيقه أسامي قوم من المجروحين ممن ظهر لي جرحهم اجتهادا ومعرفة بجرحهم لاتقليدا فيه لأحد من الأئمة وأتوهم أن رواية أحاديث هؤلاء لاتحل إلا بعد بيان حالهم لقول المصطفى ﷺ في حديثه "من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين[٣]"[٤] ، ثم ذكر ضمن هؤلاء المجروحين عبد الرحمن بن زيد فقال : "عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لايخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه"[٥] .

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب (١٧٩/٦) ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٣٣/٥-٢٣٤) ، الضعفاء لابن حبان (٥٧/٢) .

(٢) الميزان للذهبي (٢٠٧/٣) ، الضعفاء لابن حبان (٤٤/٢) ، كلام المحقق لكتاب تلخيص الاستغاثة ، محمد عجال (٥٣/١-٥٤-٥٥) .

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه في باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على الرسول ﷺ (٩/١) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير برقم (٦١٩٩) .

(٤) المدخل إلى الصحيح (ص١١٤) .

(٥) المدخل إلى الصحيح (ص١٥٤) .

فانظر كيف قال رحمه الله بأنه لاتحل الرواية عن هؤلاء المجروحين الـذي مـن بينهم عبد الرحمن بن زيد إلا بعد بيان حال حديثهم من الضعف وحالتهم أيضا مـن حيث كونهم مجروحين ، ثم يأتي رحمه الله بعد ذلك ويحكم على الحديث بالصحـة وهذا من التناقض وأشار إلى تناقضه هذا رحمه الله كلا من شيخ الإسلام ابن تيمية[١] وابن عبد الهادي[٢] .

فتبين إذا عدم ثبوت هذا الحديث الذي يستدل به المتصوفة ومن نحا نحوهم من أهل الابتداع على جواز التوسل والاستشفاع بالنبي ﷺ بعد مماته ، وبسقوط الدليـل سقط ماترتب عليه من الاستدلالات البدعية .

هذه هي بعض[٣] الأحاديث الكاشفة عن جهل المبتدعة بالسنة النبوية المطهـرة وبما صح منها على وجه الخصوص .

ثم أن الرزية تعظم عندما نعلم أن أهل الابتداع لم تسـلم منهـم النصـوص الصحيحة الثابتة من الخطأ في النقل فهم إذا نقل أحدهم حديثا صحيحا يخطئ في نقله بحيث يتغير معناه كلية ، فهذا إمام من أئمة البدعة وممن يشار إليه بالبنان يخطئ في نقل حديث ثابت في صحيح مسلم ، فلقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عن الشهرستاني في كتابه "نهاية الإقدام" استدلاله بقوله ﷺ فيما يحكيه عن ربه تعالى "إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين ..."[٤] فقال الشهرستاني عند إيراده لهذا الحديث : "قال النبي ﷺ : خلق الله العباد على معرفته فاجتالتهم الشياطين"[٥] .

فانظر الفرق بين خلقت عبادي حنفاء أي على ملة التوحيد الـتي تثبت لله الاستحقاق الكامل للألوهية والعبودية ، وبين رواية الشهرستاني "خلق الله العباد على معرفته" .

---

(١) مجموع الفتاوى (١/٢٥٥) .

(٢) الصارم المنكي (ص٦٠) .

(٣) ولمزيد من الأمثلة انظر : الفتوحات الإلهية لابن عجيبة (ص١٨٥) ، عوارف المعارف للسهروردي (ص٢٠٤) ، مجموع الفتاوى (١١/١٦٨،٣٨٤) ، (١٠/٥٥٧) ، الملل والنحل (ص١٨٩) ، بغية المرتاد (ص٢٤٣) .

(٤) سبق تخريجه (ص٥٩) .

(٥) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص١٢٥) ، الدرء (٣/١٣٢) .

ومن المعلوم أن كلمة المعرفة لاتتضمن من المعاني ماتتضمنه عبارة "حنفاء" فهي معرفة مجردة قد يتبعها عمل الذي هوّ توحيد الله بالعبادة وقد لايتبعها عمل وتوحيد لله .

المبحث الرابع
الجهل بأهمية العلم وماهيته وحملته

تمهيد :

يعتبر الجهل بأهمية العلم أو ماهيته أو حملته سببا من أسباب الوقوع في البدع .

فمن الناس من يكون سبب إضلاله ووقوعه في البدعة أنه كان يجهل أهمية العلم فلم يتعلم العلم الشرعي مما قاده جهله إلى الوقوع في البدع .

ومن الناس أيضا من يكون عالما بأهمية العلم لكنه يجهل ماهية وحقيقة العلم الذي ينبغي له أن يتعلمه فتجده يضرب في متاهة تعلم العلوم البدعية كعلم الكلام أو المنطق أو الفلسفة فما يلبث أن توقعه تلك العلوم في البدع والضلالات .

ومن الناس من يكون سبب وقوعه في البدع ليس جهله بأهمية العلم أو ماينبغي تعلمه فهو يعلم أهمية العلم ويعلم أيضا ماهي العلوم التي ينبغي له تعلمها لكنه يجهل حملة هذا العلم الذي ينشده وبالتالي فإنه يأخذه عن غير أهله مما يساعد في إضلاله ووقوعه في البدع .

ولأهمية هذا الموضوع "الجهل بأهمية العلم وماهيته وحملته" أفردناه بالبحث هنا ، وسنحاول الكشف إن شاء الله عن ملابساته من خلال المطالب الآتية .

المطلب الأول
الجهل بأهمية العلم

لقد نوه الله ورسوله ﷺ وعلماء الأمة قديما وحديثا بأهمية العلم ومايعود به من الخير العميم على من تعلم العلم واهتم به .

فمن ذلك أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه مايفيد تعظيمه سبحانه وتعالى للعلم وذلك من خلال تعظيمه سبحانه لحملته ، فلقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه استشهاد العلماء على أهم قضية في الوجود وهي توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبودية المطلقة ، قال تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١] .

وذكر الله أيضا في كتابه سبحانه وتعالى أنه يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم على وجه الخصوص من المؤمنين وذلك لما لهم من المزية والإجلال ، قال تعالى ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٢] .

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أن أهل العلم لديه لايمكن أن يساوي بينهم وبين أهل الجهل فقال : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[٣] .

وغير ذلك من النصوص التي تثبت أن القرآن كشف عن أهمية العلم وحامليه من أهل العلم .

وكذلك السنة نبهت كثيرا على أهمية العلم وفضائله ، ومن ذلك قوله ﷺ "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[٤] .

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٨) .

(٢) سورة المجادلة : آية (١١) .

(٣) سورة الزمر : آية (٩) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم (٧٣١٢) ، وأخرجه مسلم في كتاب الامارة برقم (١٧٥) .

وقوله ﷺ : "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة"[١] .

وعموما الأحاديث في فضائل العلم كثيرة بينت أهمية العلم وفضائله وآثاره وخصاله الحميدة .

أما السلف رحمهم الله فقد كثرت وصاياهم في الاهتمام بالعلم ومدارسته وتعلمه .

فمن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "تفقهوا قبل أن تسودوا"[٢] .

وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه : "تعلموا قبل الظانين يعني الذين يتكلمون بالظن"[٢] .

وقال الزهري رحمه الله : "ماعبد الله بمثل العلم"[٣] ، وقال الحسن البصري رحمه الله : "إن الرجل ليتعلم الباب من العلم فيعمل به خير من الدنيا ومافيها"[٤] .

ومع أن هذا هو كلام الله ورسوله ﷺ وعلماء الأمة قديما وحديثا في فضل العلم وأهله إلا أن أهل البدع والضلال شذوا عن ذلك فلم يروا للعلم مزية ولافضلا ، بل إنهم حاربوا العلم والعلماء وكرهوا إلى أتباعهم من المبتدعة تعلم العلم والأخذ به ومدارسته ، وأعني بأهل الابتداع هنا بعض المتصوفة على وجه الخصوص فلقد انبرى أهل التصوف إلى محاربة العلم وأهله وتفننوا في ذلك وتنوعت وصاياهم وكثرت قصصهم وحكاياتهم في ذلك فمنها :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب رقم (١١) ، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٦٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الفرائض باب رقم (٢) .

(٣) جامع بيان العلم وفضله للإمام ابن عبد البر (ص٥١-٥٢) .

(٤) المصدر السابق (ص٥٢) .

قول أبي بكر الوراق : "آفة المريد ثلاث : التزويج وكتابة الحديث والأسفار"[١] . فهو هنا جعل كتابة العلم الذي هو الحديث آفة للمريد والعياذ بالله.

ومن ذلك أيضا قول الجنيد فيما نقلوا عنه أنه قال : "المريد الصادق غني عن علم العلماء وإذا أراد الله بالمريد خيرا أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء"[٢] .

وذكروا عن أبي يزيد البسطامي قوله : "أشد المحجوبين عن الله ثلاثة : الزاهد بزهده والعابد بعبادته والعالم بعلمه"[٣] .

ثم إن بعض أهل التصوف لم يكتفوا من التنفير عن العلم بالقول فقط بل إنهم قطعوا شوطا بعيدا في استخدامهم لأساليب منفرة أيضا عن العلم ، ومن ذلك:

١- حكايتهم للقصص التي تفيد تفضيل المتصوفة على علماء الشريعة ، فلقد حكى الشعراني حكاية قال فيها : "جاء مرة قاضي من المالكية يريد امتحان الشيخ محمد الحنفي فأعلموا الشيخ أنه جاء ممتحنا فقال الشيخ رضي الله عنه : إن استطاع يسألني ماعدت أقعد على سجادة الفقراء فلما جاء القاضي يسأل قال ماتقوله في ، وتوقف ، فقال له الشيخ رضي الله عنه نعم ، فقال ماتقول في ، وتوقف ، فقال له الشيخ رضي الله عنه نعم ، حتى قال ذلك مرارا عديدة فلم يفتح عليه بشئ"[٤] .

فهذا فيه كأن الشيخ بكراماته الجليلة العظيمة استطاع أن يفقد ذلك القاضي المالكي مايحمله بين جنبيه من العلم الذي في نظر المتصوفة لايغني ولايسمن من جوع هذا طبعا مرادهم مع أن القصة هذه ينقصها سبك لكي تنطلي على أهل الفهم لكنها انطلت على أتباع التصوف الذين هم أهل لأن يضحك على ذقونهم كل أحد .

٢- زجرهم أتباعهم من المريدين لصحبة أئمة أهل السنة والأخذ عنهم .

---

(١) الرسالة للقشيري (٢/٤٣٦) .

(٢) طبقات الشعراني (١/٨٤) .

(٣) تراجم التسوفية للماوي (٢/٢٤٧) ، وانظر : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/٩٧).

(٤) طبقات الشعراني (٢/٩٤) .

فمن ذلك أن رجلا استشار معروف الكرخي في صحبة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقال له في جوابه : "لاتصحبه فإن أحمد صاحب حديث وفي الحديث اشتغال بالناس فإن صحبته ذهب ماتجد في قلبك من حلاوة الذكر وحب الخلوة"[١].

الله أكبر ماهذا الإيمان الذي هو كرؤوس الجبال في قلب ذلك المريد الذي يخشى ذهابه من صحبة الإمام أحمد ، كأن أحمد رحمه الله زنديق أو فاسق يتسبب في ضعف الإيمان إذا جولس وذهاب حلاوة الإيمان إذا لوزم في طلب العلم!!!

أما إذا لم يستجب المريد لهذه الوصايا فإن شيوخه من المتصوفة سيعاقبونه أشد العقاب وهل هناك أشد عقابا من هجر الشيخ لمريده وطرده له .

يقول عبد الغني الرافعي : "إذا طلب المريد من شنيخه دليلا شرعيا أو عقليا على ماذكره من المعارف الإلهية والإشارات الربانية فليزجره ويهجره وإن لم يفعل فقد خانه في التربية ... وذلك لأن الواجب في هذا الطريق التصديق للمرشد والتسليم ... ويحرم على المريد الفكر والنظر في الأدلة ويجب عليه الصمت وعدم التكلم ، وإذا أصر المريد على الفكر والنظر في الأدلة فليطرده لئلا يفسد عليه بقية أصحابه"[٢] .

٣- الاشتغال بالعلم يفقد المتصوف رؤية النبي ﷺ وهذا مايسعى إليه كل متصوف بكل الوسائل المؤدية إلى تلك الرؤية المزعومة ، فمن ذلك مايذكره الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي أنه انقطعت عنه رؤية رسول الله ﷺ لاشتغاله بفقه الكتاب والسنة فيقول : "كان سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه يقول انقطعت عني رؤية رسول الله ﷺ مدة فحصل لي غم بذلك فتوجهت بقلبي إلى شيخي يشفع في عند رسول الله ﷺ فحضر عنده رسول الله ﷺ فقال : هاأنا ـ انظر التعبير ـ فنظرت فلم أره فقلت : مارأيته فقال عليه الصلاة والسلام : سبحان

---

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/٢٣٦) .

(٢) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي (ص١٢٩) ، وانظر : دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (ص١٢٣) .

الله غلبت عليه الظلمة ، وكنت قد اشتغلت بقراءة جماعـــة في الفقـــه ... فـــتركت الاشتغال بالفقه فرأيته"[١] .

طبعا من الأقوال مالاتستحق الرد عليها ومنها هذه الرواية والحكاية التي يرويها الشعراني فإن هذا مناقض لقوله ﷺ : "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[٢] ولقوله ﷺ : "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"[٣] ، لكن في الحقيقة إنني أعذر المتصوفة لوقوعهم في هذا التناقض والكذب الصريح وذلك لجهلهم أولا ، ولضعفهم في نسج الحكايات الكاذبة وسبكها ثانيا .

٤- ثم ازدادت حمى محاربة العلم لدى المتصوفة حتى أنهم رموا بكتب العلم في الماء أو قاموا بحرقها أو دفنها ، ومن ذلك مايروونه عن أحمد بن أبي الحواري أنه رمى كتبه في البحر وقال : "نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال"[٤] .

قال ابن الجوزي : ولقد طلب أحمد بن أبي الحواري الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها[٥] .

وكذلك مايحكيه الشبلي عن نفسه من إغراقه في نهر دجلة ســـبعين قمطـــرا مكتوبا فيقول : أعرف من لم يدخل في هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغـــرق في هذه الدجلة سبعين قمطرا مكتوبا بخطه وحفظ وقرا بكذا وكذا رواية يعـــني بذلـــك نفسه[٦] .

ولقد نبه الإمام ابن الجوزي رحمه الله إلى علة وسبب إتلاف المتصوفة لكتـــب العلم فقال رحمه الله : "قد سبق القول بأن العلم نور وأن إبليس يحسن للإنسان إطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة ولاظلمة كظلمة الجهل"[٧] .

---

(١) طبقات الشعراني (٢/٧٥) .

(٢) سبق تخريجه (ص١٤٥) .

(٣) سبق تخريجه (ص١٤٦) .

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٣٦٥) .

(٥) المصدر السابق (ص٣٦٥) .

(٦) المصدر السابق (ص٣٦٦) .

(٧) المصدر السابق (ص٣٦٦) .

ثم يذكر رحمه الله أن هذه الكتب التي دفنت من قبل المتصوفة التي فيها العلم النبوي المشروع لايحل دفنها بحال لذلك يقول : "وإن كان فيها ــ أي الكتب المدفونة ــ الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالا وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فإن قال تشغلني عن العبادة قيل له جوابك من ثلاثة أوجه : أحدها : أنك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات .

ثم يذكر رحمه الله الوجه الثاني والثالث على سبيل التهكم فيقول : "والثاني أن اليقظة التي وقعت، لك لاتدوم فكأني بك وقد ندمت على مافعلت بعد الفوات .

واعلم أن القلوب لاتبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج إلى جلاء وجلاؤها النظر في كتب العلم وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط .

والثالث : إننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل إلى مقامك أو وقفتها على المنتفعين بها أو بعتها وتصدقت بثمنها أما إتلافها فلا يحل بحال .

ثم ذكر رحمه الله بإسناده إلى الإمام أحمد رحمه الله أن المروزي يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول لاأعرف لدفن الكتب معنى"(١) .

ثم إن أئمة الإسلام كالأئمة الأربعة وغيرهم لم يعرف عنهم أنهم دفنوا كتب علمهم ولاأحرقوها ولارموا بها في مياه الأنهار والبحار ، وهذا إن دل فإنما يدل على جهل المتصوفة بأهمية العلم ، هذا الجهل الذي رأينا من آثاره مارأينا كان سببا من أسباب وقوعهم في البدعة ، بل البدع الكثيرة والطوام العظيمة التي وقع فيها أهل التصوف وهذا شئ طبعي جدا لمن أشرب بحب الجهل من قمة شعر رأسه إلى أخمص قدميه ، ووصل في دركات الجهل أسفلها فكيف يمكن لمن هذه حاله أن يعرف مايريده الله منه في العقائد والشرائع على حد سواء ، كيف يعرف السنة من البدعة والنور من الظلام والهدى من الضلال ، كيف يعرف أنه بتلك العقائد الباطلة

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٣٦٨،٣٦٩) .

التي يعتقدها يحارب ماجاء به محمد ﷺ من عقيدة التوحيد الصافية النقية من شوائب الشرك والابتداع ، هذا كله لم يعرّفه بعض المتصوفة وكيف يعرفونه وهم قد تسربلوا بسربال الجهل وتدثروا بدثار البدعة والجهالة والضلالة .

إذا كان الجهل بالعلم وأهميته سببا من أسباب وقوع المتصوفة في البدعة فأثر هذا الجهل فيهم تأثيرا بالغا من خلال تخبطهم في مسائل الاعتقاد والشريعة على حد سواء .

فكذلك الجهل بماهية العلم الذي ينبغي تعلمه كان سببا في وقوع طوائف كثيرة من أهل الابتداع في البدعة ، ولكن قبل أن نعرض لتلك الطوائف وكيف كان جهلها بماهية العلم الذي ينبغي تعلمه سببا في وقوعها في البدعة علينا أن نتطرق للتعريف والكشف عن ماهية العلم الذي يطالب المسلم بتعلمه والعمل به .

المطلب الثاني
الجهل بماهية العلم

من صفات العلم الذي ينبغي تعلمه أن يكون علما يهدي إلى معرفة الله حق المعرفة تلك المعرفة التي تقود إلى أن يتلمس المرء مايريده الله منه فيفعله ومالايريده فيجتنبه ، إنه العلم الذي يورث خشية الله سبحانه وتعالى والعمل لأجل مرضاته سبحانه وتعالى ، إنه العلم الذي يحمل النور والهداية في قلب من كان له متعلما .

ونحن إذا نظرنا في صفات العلم المذكور آنفا لانجدها إلا في علم الكتاب والسنة ، هذا هو العلم الذي ينبغي لنا تعلمه وتعليمه .

ومقصودي بعلم الكتاب والسنة هو أن يصدر المرء في مايعتقده ومايعمل به عن ماثبت عن الله ورسوله ﷺ فيكون الكتاب والسنة مصدرين أساسيين لكل مايعتقده ويعمل به .

وعلم الكتاب والسنة هو العلم الذي كثيرا ماأوصى السلف رحمهم الله على تعلمه والحرص عليه ، ومن ذلك قول الزهري رحمه الله : "تعلم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة"(١) .

ويقول إسماعيل بن عبيد الله المخزومي : "ينبغي لنا أن نتحفظ ماجاءنا عن رسول الله ﷺ فإن الله عز وجل قال : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾"(٢)(٣) .

فنحن إذا تأملنا في النصين السابقين نجد أن السلف رضي الله عنهم حثوا على أخذ علومهم سواء كانت عقدية أو تشريعية عملية من الكتاب والسنة على حد سواء وذلك مستفاد بالأخص من قول إسماعيل بن عبد الله ينبغي لنا أن نتحفظ ماجاءنا من رسول الله ﷺ ومن المعلوم أن ماجاء به محمد ﷺ هو الدين كله عقيدة وشريعة ، ويدل عليه استدلاله بقوله تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾

---

(١) عقيدة أصحاب الحديث للصابوني (ص١٢٦) .
(٢) الحجة في بيان المحجة (١/٢٤٤) .
(٣) سورة الحشر : آية (٧) .

فهو سبحانه وتعالى عمم وأوجب أن نأخذ ماآتانا به الرسول ﷺ وذلك يشمل العقيدة ومسائلها مع مسائل التشريع الأخرى من صلاة وزكاة وبيع وغير ذلك .

أما سبب حرص السلف رحمهم الله على تعلم علم الكتاب والسنة فهو لما ذكرنا من صفاتهما من كونهما نورا وهدى وحياة ينور الله ويهدي ويحي بهما من تعلم علومهما ، وأيضا لسبب آخر وهو أن علم الكتاب والسنة علم عملي بمعنى أن علم الكتاب والسنة ليس نظريا فقط ، بل هو علم لاينفع صاحبه إلا إذا عمل به فيعلم أن الله يوجب إثبات الأسماء الحسنى والصفات العليا له كاملة من دون تحريف ولاتأويل ولاتعطيل ، وأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه وغير ذلك من مسائل الاعتقاد فيعمل بذلك العلم وعمله بذلك أن يعتقد تلك العقيدة اعتقادا يقينيا ويترجمها إلى واقع مشهود ويعلم أن الله أحل له الحلال فيأتيه وأن الله حرم عليه الحرام فلايأتيه ولذلك كان السلف رحمهم الله يحرصون على تعلم ماتحته عمل ويعود بالنفع على صاحبه ومن ذلك قول الإمام مالك رحمه الله عندما سئل عن قوله في طلب العلم : "حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه"[١] .

ونحن إذا نظرنا في صفات العلم الذي ينبغي لنا تعلمه لم نجد تلك الصفات في علم مايسمى بعلم الكلام ولافي علوم أهل التصوف ولافي علوم كثير من أهل الابتداع .

فالمتكلمون مثلا كتبهم تملأ الأرفف بالمكتبات وهذه الكتب مليئة بأقوال الناس قديمهم وحديثهم لكنك لاتكاد تحصل على آية قرآنية أو حديث نبوي صحيح إلا في النادر وهي ، أي النصوص الشرعية إذا وجدت وجدتها مبتورة شوهاء لعب في دلالاتها أهل الابتداع فأذهبوا محاسن تلك النصوص ولذلك ليس هناك أكثر من كتب المبتدعة من متكلمين ومتصوفة وغيرهم ولكنها خاوية من الهدى ومن كل مايقرب من الله ورسوله ، بل أن علوم المتكلمين تورث الوحشة والقسوة في القلب

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/١٢١) .

والنفس حتى شعر أئمة المتكلمين بذلك فقال الرازي رحمه الله :

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال[١]

فبدل أن يورث علم الكلام في متعلميه النور والهدى والطمأنينة أورثهم الوحشة في الأرواح والقلوب والنفوس حتى ماكأن قلوبهم من أجسامهم ، بل كأن قلوبهم تعيش غربة في أجسامهم وذواتهم وهذا خير دليل على أن غير علم الكتاب والسنة يورث لدى صاحبه ماسمعناه من شكوى الرازي من الوحشة للنفس وهذا جزاء من ترك علم الكتاب والسنة وأعرض عنهما ، ثم إنه من الملاحظ في علوم أهل الابتداع هو أنها علوم ليست عملية بل هي علوم لمجرد العلم والمعرفة والإشباع المعرفي العقلي ، وهذا المنهج في علوم أهل الابتداع قادهم إلى التطرق إلى مسائل كثيرة جدا ليس تحتها عمل وتعتبر من السؤال عما لايعني الذي نهى عنه الله سبحانه وتعالى بوقله : ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٢] ، ونهى عنه محمد ﷺ بقوله : "اتركوني ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه ومأمرتكم به فاعملوا منه مااستطعتم"[٣] ، وقال ﷺ : "إن الله عز وجل كره لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال"[٤] .

وهذا الذي نهى عنه الله ورسوله هو ماوقع فيه أهل الابتداع فإنك تنظر في الكم الهائل من كتبهم فلاتجد فيها إلا قيل وقال وقولهم وإن قالوا كذا قلنا كذا ، ولقد اعترف بهذا الحال الذي وقع فيه أهل الابتداع الرازي بقوله :

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[٥]

وهذا الذي وقع فيه أهل الابتداع من السؤال عما لايعني والبحث والتنقير فيما لاينفع بل قد يضر هو أيضا مما نهى عنه السلف الصالح رضوان الله عليهم بل جعلوه سببا في وقوع الإنسان في البدعة ، ومن ذلك صنيع ابن بطة العكبري رحمه الله فقد عقد في كتابه المعروف الإبانة الكبرى بابا بعنوان "ترك السؤال عما لايعني

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزي (ص٢٠٨) تحقيق الألباني .

(٢) سورة الإسراء : آية (٣٦) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (١٣٣٧) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية برقم (٥٩٣) .

(٥) شرح العقدية الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٠٨) .

والبحث والتنقير عما لايضر جهله والتحذير من قوم يتعمقون في المسائل ويتعمـــدون إدخال الشكوك على المسلمين" ، ثم قال رحمه الله بعد ذلك : "اعلموا اخواني أنـــي فكرت في السبب الذي أخرج أقواما من السنة والجماعـــة واضطرهـــم إلى البدعـــة والشناعة وفتح باب البلية على أفئدتهم وحجب نور الحق عن بصيرتهم فوجدت ذلك من وجهين :

أحدهما : البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لايعني ولايضر العـــاقل جهلـــه ولاينفع المؤمن فهمه"[١] .

وهذا السبب الذي أشار إليه ابن بطة رحمه الله وهو السؤال عما لايعني أشـــار إليه من قبله ومن بعده أيضا أئمة السلف وأشاروا إلى خطورته وآثاره ، فمن ذلك :

قول الحسن البصري رحمه الله : "شرار عباد الله يتبعون شرار المسائل يعمـــون بها عباد الله عز وجل"[٢] .

ولقد مر القاسم بن محمد رحمه الله بقوم يتكلمون في القدر فقـــال : "انظـــروا ماذكر الله في القرآن فتكلموا فيه وماكف الله عنه فكفوا"[٣] .

ومن أهم المسائل التي نهى السلف عن الكلام فيها واعتبروها من السؤال عما لايعني الإنسان الكلام في الله سبحانه وتعالى بالباطل ، فمن ذلك قول ابن مســـعود رضي الله عنه : "إياكم ومايحدث الناس من البدع فإن الدين لايذهب من القلوب بمرة ولكن الشيطان يحدث له بدعا حتى يخرج الإيمان من قلبه ويوشك أن يـــدع النـــاس ماألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام ويتكلمون في ربهم عـــز وجل فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب"[٤] .

هذه هي أقوال السلف رحمهم الله في التحذير من السؤال عما لايعني الإنسان وهذه التحذيرات إنما كانت نابعة من حرصهم رضي الله عنهم على المحافظة على هذا الدين كما أنزل فلايحرف ولايلبس على الناس دينهـــم ، هـــذا الحـــرص لم يقـــف

---

(١) الإبانة الكبرى (٣٩٠/١) تحقيق د. رضا نعسان . أما السبب الثاني فسيأتي له مناسبة قريبة .

(٢)،(٣) الإبانة الكبرى (٤٠٣/١-٤٠٦) .

(٤) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٢١/١) .

عند مجرد الموعظة والنصح بالأقوال بل تعداه إلى تعزير من يسأل عمالا يعنيه وإنــزال العقوبة به ومن ذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صبيغ بن عسل الــذي يعتبر رائدا في مجال السؤال فيما لاينفع ، فلقد كان صبيغ بن عسل يسأل عمــر بــن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات والنازعات والمرسلات أو عن إحداهن فقال لــه عمر ضع عن رأسك فوضع عن رأسه فإذا له وفيرة فقال : لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك ، قال : ثم كتب إلى أهل البصرة أن لاتجالسوه ، قال الراوي لهــذه القصة فلو جلس إلينا ونحن مائة لتفرقنا عنه ، وفي بعض الروايات أن عمر رضــي الله عنه جلده وضربه[٢] .

ولعل سائلا يسأل يقول كيف يضرب عمر من يبتغي معرفة تفسير آيات كتاب الله الكريم؟

فالجواب هو أن السؤال هذا غير وارد لأن صبيغا إنما كان يسأل عن متشــابه القرآن ، فالناس كانوا يأتون إلى المدينة لطلب العلم علم الحلال والحرام وصبيغا كان معروفا عنه السؤال عما لايعني من المتشابه وتركه ماينفعه ، فأراد عمر رضي الله عنه أن يؤدبه .

وأما إرادة عمر ضرب عنق صبيغا لو وجده محلوقا فلعلم عمــر أن النــبي ﷺ حث على قتال الخوارج وذكر عليه الصلاة والسلام أنه من سماتهم التحليق ، وذكــر أن الله يكتب الأجر العظيم لمن قتلهم فلما كان ذلك أراد عمر معرفة هل صبيغ منهم فإن كان منهم قتله وإلا فلا ولذلك قال ماقال رضي الله عنه[٣] .

فتبين لنا من خلال مامر أن المبتدعة لم يعرفوا قط العلم الذي ينبغي لهم معرفته وهو علم الكتاب والسنة وإنما انصرفوا إلى علوم الفلاسفة والمناطقة ، علــوم أهــل الأوثان من اليونان والرومان ومن سار بسيرهم ، هذه العلوم التي أورثت في قلــوب بعضهم الشك والحيرة بدل اليقين والهدايــة ، بفقــد تلــك العلــوم سمــة النــور

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٤١٤/١) .

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٤١٥/١) .

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (٤١٦/١-٤١٧) .

والإيمان والهداية وسمة العمل المثمر كان لزاما على أهل الابتداع ترك الاغترار بتلك العلوم التي أضرت بإيمانهم وأرواحهم ، وهذا ماينصح به علماء السلف والملة الصادقون .

يقول الإمام ابن بطة العكبري : "فالعجب ياإخواني رحمكم الله لقوم حيارى تاهت عقولهم عن طرقات الهدى فذهبت تند محاضرة في أودية الردى ، تركوا ماقدمه الله عز وجل في وحيه وافترضه على خلقه وتعبدهم بطلبه وأمرهم بالنظر والعمل به وأقبلوا على مالم يجدوه في كتاب ناطق ولاتقدمهم فيه سلف سابق فشغلوا به وفرغوا له آراءهم وجعلوه دينا يدعون إليه ويعادون من خالفهم عليه ، أما علم الزائغون أن مفاتيح أبواب الكفر ومعالم أسباب الشرك التكلف لما لم تحط الخلائق به علما ، ولم يأت القرآن بتأويله ولاأباحت السنة النظر فيه فتزيد الناقص الحقير والأحمق الصغير بقوته الضعيفة وعقله القصير أن يهجم على سر الله المحجوب ويتناول علمه بالغيوب يريدها لنفسه وطوى عليها علمها دون خلقه ، فلم يحيطوا من علمها إلا بما شاء ولايعلمون منها إلا مايريد ، فكلما لم ينزل الوحي بذكره ولم تأت السنة بشرحه من مكنون علم الله ومخزون غيبه وخفي أقداره فليس للعباد أن يتكلفوا من علمه مالايعلمون ، ولايتحملوا من نقله مالايطيقون ، فإنه لن يعدو رجل كلف ذلك نظره وقلب فيه فكره أن يكون كالناظرين في عين الشمس ليعرف قدرها ، وكالمرتمي في ظلمات البحور ليدرك قعرها فليس يزداد على المضي في ذلك إلا بعدا ، ولاعلى دوام النظر في ذلك إلا تحيرا ، فليقبل المؤمن العاقل مايعود عليه نفعه ويترك إشغال نظره وإعمال فكره في محاولة الإحاطة بما لم يكلفه ، ومرام الظفر بما لم يكلفه فيسلك سبيل العافية ويأخذ بالمندوحة الواسعة ويلزم الحجة الواضحة والجادة السابلة والطريق الآنسة ، فمن خالف ذلك وتجاوزه إلى الغمط بما أمر به والمخالفة إلى مانهى عنه ، يقع والله في بحور المنازعة وأمواج المجادلة ويفتح على نفسه أبواب الكفر بربه والمخالفة لأمره والتعدي لحدوده"[١] .

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري (١/٤٢٠) .

وبعد أن تبين لنا حقيقة علم الكلام وماتركه من آثار سيئة على أهله يجب أن نعلم أن علماء السلف رحمهم الله لم يعتبروا علم الكلام والفلسفة أو غيرها من العلوم البدعية لم يعتبروها علوما شرعية بل لم يدخلوها أصلا في دائرة اسم العلم ، قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : "العلم ماجاء عن أصحاب محمد ﷺ ومالم يجئ عنهم فليس بعلم"[١] .

وقال الشافعي رحمه الله واصفا العلم الجاد النافع : "كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد وماسواه فهو الهذيان"[٢] .

وقال أيضا رحمه الله : "لو أن رجلا أوصى بكتبه من العلم لآخر وكان فيها كتب الكلام لم تدخل في الوصية لأنه ليس من العلم"[٣] .

---

(١) السير (١٢٠/٧) .
(٢) السير (٢٠/١٠) .
(٣) السير (٣٠/١٠) .

المطلب الثالث
الجهل بحملة العلم

لقد بين السلف رحمهم الله من هم أهل العلم الذين يستحقون أن يؤخذ عنهم العلم ولهم في ذلك نصوص كثيرة وسنقتصر على بعض النصوص الدالة على أنه لايؤخذ العلم إلا عمن كان معروفا بالاستقامة في الدين استقامة في الاعتقاد والقول والعمل .

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مبينا منزلة العلم وأنه من الدين الذي لاينبغي أخذه إلا عمن استقام على طريقة السلف : "دينك دينك إنما هو لحمك ودمك فانظر عمن تأخذ ، خذ عن الذين استقاموا ولاتأخذ عن الذين مالوا"[١] .

ولقد ذكر الإمام أبو محمد الحسن بن علي البربهاري إمام أهل السنة في عصره صفات من يستحق أن يؤخذ عنه العلم فسطر ذلك في وصية نافعة مفيدة فقال رحمه الله : "واعلم رحمك الله أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب وإنما العالم من اتبع العلم والسنن وإن كان قليل العلم والكتب ، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب"[٢] .

فهنا جعل الإمام البربهاري رحمه الله المقياس في أخذ العلم عن العالم ليس هو كثرة علمه وكتبه بل جعله في كون العالم متبعا للسنن وطريقة السلف رحمهم الله ورضي عنهم ، ولطالما أرشد أصحاب النبي ﷺ والتابعون من بعدهم إلى أخذ العلم عن أهل العدل والاستقامة وحذروا من أخذه عن أهل الجور والزيغ ومن أهل الزيغ أهل البدع فإنهم زاغوا عن الدين وانحرفوا عنه بتلك البدع فلايجوز أخذ العلم عنهم لأن العلم دين إنما يدرس للعمل به فإن أخذ عن مبتدع فالمبتدع لايؤصل ويقرر من المسائل إلا مايتدين به من البدع فيؤثر في تلاميذه علما وعملا وينشأون على البدع ويصعب رجوعهم بعد ذلك عنها خصوصا إن كان التلقي عن

---

(١) الكفاية للخطيب البغدادي (ص١٢١) .

(٢) شرح السنة للإمام البربهاري (ص١٠٤-١٠٥) .

المبتدع في سن الصغر فإن أثره يبقى ولايذهب مدى الحياة إلا أن يشاء الله[(١)] .

وعندما لم يستمع بعض الناس إلى إرشادات السلف الغالية وأخذوا العلم عن أهل الابتداع والأهواء وقعوا في البدعة ، وكيف لايقعون فيها وهم قد أسلموا قلوبهم وعقولهم إلى من يضع فيها علوما لاتمت إلى العلم الشرعي بصلة بعيدة ولاقريبة ، علوم يقرر فيها كل عقيدة منحرفة باطلة تخالف علوم أهل الإسلام المتبعون للسلف الصالح رضوان الله عليهم ، ولما كان تأثير المعلم على تلميذه عادة مايكون كبيرا وعظيما سارع السلف رحمهم الله إلى التحذير من أخذ العلم عن المبتدعة الضلال وذلك لأنهم ليسوا أهلا لأن تؤخذ عنهم العلوم الإسلامية وخاصة مايتعلق منها بالعقائد .

فمن تحذير السلف من أخذ العلم الذي يعتبر الدين الذي يدين الإنسان به الله عن غير أهله قول محمد بن سيرين رحمه الله "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم"[(٢)] .

ولقد نظر السلف رضي الله عنهم إلى هذا العلم الذي يعتبر دينا فوجدوا أن أهل الابتداع من الأصاغر الذين لايؤخذ العلم عنهم . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "لايزال الناس بخير ماأتاهم العلم من قبل كبرائهم فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم هلكوا"[(٣)] .

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله : "الأصاغر هم أهل البدع"[(٤)] .

ولقد حرص السلف رضوان الله عليهم على بيان حقيقة علم المبتدعة ، بل أجمعوا أن علمهم ليس من العلم الشرعي في ورد ولاصدر وأنهم ليسوا من أهل العلم إذا ذكروا .

---

(١) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع (٢/٦٨٦) .

(٢) مقدمة صحيح مسلم ، باب رقم (٥) .

(٣) اللالكائي (١/٨٤) .

(٤) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٥٤،٥٥) .

قال الإمام عبد العزيز بن أبي سلمة في وصف جهم وكلامه وكونه ليس من أهل العلم : "كلام جهم صفة بلا معنى ، وبناء بلا أساس و لم يعد قط من أهل العلم"(١) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في وصف أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي عندما طلب منه المعتصم أن يناظره ويكلمه : "لست أعرفه من أهل العلم فأكلمه"(٢) .

وقال ابن عبد البر رحمه الله : "أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولايعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالاتقان والميز والفهم"(٣) .

وقال الإمام اللالكائي رحمه الله عن المبتدعة من أهل الاعتزال : "قوم لم يتدينوا بمعرفة آية من كتاب الله في تلاوة أو دراية و لم يتفكروا في معنى آية ففسروها أو تأولوها على معنى اتباع من سلف من صالح علماء الأمة إلا على ماأحدثوا من آرائهم الحديثة ولااغبرت أقدامهم في طلب سنة أو عرفوا من شرائع الإسلام مسألة فيعد رأي هؤلاء حكمة وعلما وحججا وبراهين وبعد كتاب الله وسنة رسوله حشوا وتقليدا وحملتها جهالا وبلها ــ ذلك ــ ظلما وعدوانا وتحكما وطغيانا"(٤) .

وقال رحمه الله في موطن آخر :"ماسمعنا عن القرون التي قبلنا ولارأينا نحن في زماننا مبتدعا رأسا في إقراء القرآن وأخذ الناس عنه في زمن من الأزمان ولاارتفعت لأحد منهم راية في رواية حديث رسول الله ﷺ فيما خلت من الأيام ولااقتدى بهم أحد في دين ولاشريعة من شرائع الإسلام"(٥) .

---

(١) التسعينية لابن تيمية (١/٢٤٤) .
(٢) السير (١١/٢٤٧) .
(٣) الاعتصام (٢/٣٣٣) .
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٢،١٣) .
(٥) المصدر السابق (١/٢٤) .

ولقد زاد شيخ الإسلام رحمه الله أهل الابتداع تعرية عندما وصفهم بأنهم جهلة بما قاله الرسول والصحابة والتابعون وأئمة الإسلام في مسائل الاعتقاد ، ونحن نقول وهل العلم إلا ماقاله رسول الله ﷺ وصحابته والتابعون ، فإذا جهل المبتدعة ذلك فأي شئ يبقى من مسمى العلم الذي يدعون؟

قال الشيخ رحمه الله : "تجد في كتب أهل الكلام مما يدل على غاية الجهل بما قاله الرسول والصحابة والتابعون وأئمة الإسلام ولاريب أنهم نشأوا بين من لم يعرف العلوم الإسلامية حتى صار المعروف عندهم منكرا والمنكر معروفا ، ولبسهم فتن ربي فيها الصغير وهرم فيها الكبير وبدلت السنة بالبدعة والحق بالباطل"(١) .

وهذا الذي حذر منه السلف رضي الله عنهم من أخذ العلم عن غير أهله عندما تجاهله من تجاهله ورام أخذ علمه ودينه من أهل الكفر والضلال والابتداع تبين لنا كيف أثر أخذهم العلم عن غير أهله فأوقعهم في البدع والانحرافات العقدية والأمثلة على من وقع في البدع والضلالات بسبب أخذه العلم من غير أهله كثيرة جدا ، فمن ذلك :

١- تتلمذ الجهم بن صفوان على يد الجعد بن درهم فمن المعلوم أن الجعد بن درهم هو أول من حفظ عنه القول بإنكار الصفات الثابتة لله تعالى والقول بخلق القرآن وغير ذلك حتى أنه قتل على يد خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى سنة ١٢٤هـ .

فالجعد بن درهم أثر في تلميذه الجهم بن صفوان تأثيرا بالغا حتى أخذ عنه الجهم القول بخلق القرآن وإنكار الصفات الثابتة لله كالاستواء وتكليمه سبحانه وتعالى لموسى وغير ذلك ، ثم دعا جهم إلى تلك البدع حتى عرفت عنه واشتهر بالدعوة إليها .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فإن أول من حفظ

---

(١) تلبيس الجهمية (٤٨٢/٢) .

عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ــ أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ــ هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان فنسبت مقالة الجهمية إليه"[١] .

٢- ومن الأمثلة أيضا تتلمذ النظام إبراهيم بن سيار المعتزلي صاحب فرقة النظامية على المجوس من ثنوية وسمنية وعلىملاحدة الفلاسفة وعلى هشام بن الحكم الرافضي وعلى البراهمة الهنود وعلى غيرهم من كل كافر وملحد وضال ومبتدع فجمع عنهم كل خبيث من الاعتقادات والأفكار .

ويبين لنا الإمام البغدادي تأثير هذا التتلمذ على أولئك الضلال وكيف أثر في النظام حتى خرج به عن طريق أهل السنة والجماعة بل والمسلمين عند من يرى كفره فيقول عنه : "وكان في زمن شبابه قد عاشر قوما من الثنوية ، وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة ، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة ، ثم خالط هشام بن الحكم الرافضي فأخذ عن هشام وعن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لايتجزأ ، ثم بنى عليه قوله بالطفرة[٢] الذي لم يسبق إليها وَهْمُ أحد قبله ، وأخذ من الثنوية قوله بأن فاعل العدل لايقدر على فعل الجور والكذب ، وأخذ عن هشام بن الحكم أيضا قوله بأن الألوان والطعوم والروائح والأصوات أجسام وبنى على هذه البدعة قوله بتداخل الأجسام في حيز واحد ، ودون مذاهب الثنوية وبدع الفلاسفة وشبه الملحدة في دين الإسلام ، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات و لم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف"[٣] .

٣- وكما أن النظام تأثر بمن ذكرنا فلقد أثر في أناس آخرين تتلمذوا عليه من أشهرهم أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ . فلقد تتلمذ على يد النظام وأخذ عنه الاعتزال وكثير من آرائه وبلغ إعجاب الجاحظ بشيخه النظام أن قال

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٢٠) ، سير أعلام النبلاء (٦/٢٦) ، ميزان الاعتدال (١/٤٢٦)

(٢) الطفرة : هي دعوى النظام أن الجسم قد يكون في المكان الأول ثم يصير منه إلى المكان العاشر من غير المرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر ، ومن غير أن يصير معدوما في الأول ومعادا في العاشر . الفرق بين الفرق (ص١٤٠) .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٣١) .

فيما الأوائل يقولون : "في كل ألف سنة رجل لاينظر له فإن كان ذلك صحيحا فهو أبو إسحاق النظام"[(١)] .

فانظر كيف بلغ تأثير النظام في تلميذه الجاحظ حتى عده الجاحظ أنه لم ير منذ ألف سنة نظير للنظام ، هذا الجاحظ المتأثر ببدع النظام أصبح له شأن وأي شأن أنه أصبح زعيم فرقة الجاحظية[(٢)] ، بل يعد فيلسوف المعتزلة وأديبها .

٤- ومن الأمثلة أيضا تتلمذ أبي القاسم القشيري الصوفي صاحب كتاب "الرسالة" علىأبي علي الدقاق في التصوف فهو يعتبر من أشهر من أخذ عن أبي علي الدقاق التصوف وتأثر القشيري كثيرا بشيخه أبي علي الدقاق و لم يكتف الأمر لدى القشيري بمجرد مرحلة التأثر بل تطور حتى أصبح القشيري إمام من أئمة التصوف والمتميزين فيه ، والذي تميز به القشيري هو أنه ذكر قواعد التصوف وأصوله وأحوال المريدين وآداب الصوفية ودعا إلى سلوك طريقهم[(٣)] .

ولايظن ظان أن تصوف القشيري هو تصوف سني بل هو بدعي فهو يؤمن بوجود القطب والأوتاد والأبدال والغوث ويفسر القرآن تفسيرا إشاريا صوفيا باطنيا مع إقراره لما يقع من المتصوفة في حال فنائهم ودعوته إلى تقديس المريد لأشياخه وإباحته للسماع وغير ذلك من البدع الصوفية[(٤)] .

هذه هي بعض الأمثلة الدالة على تأثير الشيخ على تلميذه في النواحي العقدية فإذا أخذ العلم أي علم أصول الدين عمن لايعتقد اعتقاد السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين وعمن هو مخالف لهم في المنهج العقدي ، فإن التلميذ سيقع في البدع بسبب متابعته لشيخه المبتدع ، وهذا الشئ لعلنا لمسناه من الأمثلة المذكورة آنفا .

---

(١) طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى بن المرتضى (ص٥٠-٥١) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص١٧٥) .

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٥٩٦/٢) ، سير أعلام النبلاء (٢٢٨/١٨-٢٢٩) .

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٥٩٦/٢) ، الرسالة للقشيري (٦٣٧/٢) ، (٧٣٥/٢) .

وبما أنه ثبت أن التتلمذ على المبتدع يوقع الطالب للعلم عن ذلك الشيخ في البدعة فعلى العكس فإن التتلمذ على أهل السنة والجماعة الموافقين لمنهج السلفي العقدي يخرج من كان متأثرا ببعض البدع ، يخرجه من ظلمات البدع إلى نور السنة ومن ضيق الجهالة والضلالة إلى رحاب الإيمان والمتابعة للنبي ﷺ وصحابته .

ولذلك حث السلف رضي الله عنهم على أخذ العلم عن علماء أهل السنة بل إنهم يتوسمون الخير فيمن كان منشأه في أخذ العلم عن علماء أهل السنة والجماعة فهذا أيوب السختياني رحمه الله يقول : "إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة"(١) .

وصدق أيوب رحمه الله فهذا سفيان الثوري رحمه الله كان على مذهب التشيع فأخرجه الله من هذه البدعة إلى السنة عندما صحب أيوب السختياني وابن عون فلقد ذكر ذلك اللالكائي بإسناده فقال : "كان عمار بن زريق وسلمان بن قرم الضبي وجعفر بن زياد وسفيان الثوري أربعتهم يطلبون الحديث وكانوا يتشيعون فخرج سفيان إلى البصرة فلقي أيوب وابن عون فترك التشيع"(٢) .

فانظر رحمك الله كيف أثر تتلمذ سفيان الثوري رحمه الله على يد أيوب وابن عون حتى جعله من أهل السنة ، بل إمام من أئمة السلف القلائل الذين يشار إليهم بالبنان ، بل إن سفيان رحمه الله هو نفسه كان داعية إلى السنة محاربا للبدعة حتى أنه أثر في تلاميذه بعد ذلك ، وممن أثر فيهم سفيان يوسف بن أسباط رحمه الله فلقد ذكر اللالكائي رحمه الله قال : قال يوسف بن أسباط : "كان أبي قدريا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان"(٣) .

هذا والأمثلة كثيرة جدا التي تدل على أن ملازمة أهل السنة فلاح و نجاة وفوز برضا الله لمن صحبهم وجالسهم وأخذ العلم عنهم .

---

(١) اللالكائي (١/٦٠) .
(٢) المصدر السابق (١/٦٣) .
(٣) المصدر السابق (١/٦٠) .

وكما حذر السلف رحمهم الله من أخذ العلم عن غير أهله من أهل الابتداع ونحوهم فكذلك رحمهم الله كثرت وصاياهم وازداد نذيرهم وتحذيرهم عن الوقوع في وسائل أخذ العلم عن المبتدعة . ومن أهم وسائل أخذ العلم كما هو معروف هو مجالسة أهل العلم ولذلك سارع السلف رضي الله عنهم بقطع أي وسيلة تؤثر على الإنسان وتوقعه في البدعة ، ومن ذلك تحذيرهم من مجالسة أهل الابتداع لكيلا يتأثروا بهم ، بل إن الإمام ابن بطة العكبري عد مجالسة المبتدعة سببا من أسباب الوقوع في البدع فقال رحمه الله مبينا سبب خروج الناس من السنة إلى البدعة وحصره في سببين :

الأول : السؤال عما لايعني ــ وقد مر معنا سابقا[١] ــ .

الثاني : مجالسة من لاتؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته[٢] .

وكما نبه ابن بطة رحمه الله لخطورة هذا السبب الذي هو مجالسة أهل البدع فلقد نبه السلف قبله رحمه الله وأوصوا بعدم مجالستهم .

فعن ابن عباس قال : "لاتجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب"[٣] .

وقال تلميذه مجاهد رحمه الله : "لاتجالسوا أهل الأهواء فإن لهم عرة كعرة الجرب"[٤] .

وقال إمام أهل الكوفة إبراهيم النخعي رحمه الله : "لاتجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب وتسلب محاسن الوجوه وتورث البغضة في قلوب المؤمنين"[٥] .

---

(١) انظر (ص١٥٥) .

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري (١/٣٩٠) .

(٣) المصدر السابق (٢/٤٣٨) .

(٤) المصدر السابق (٢/٤٤١) .

(٥) المصدر السابق (٢/٤٣٩) .

وقال أبو قلابة رحمه الله : "لاتجالسوا أصحاب الأهواء فإني لاآمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ماتعرفون"(١) .

وقال الفضيل بن عياض ويحيى بن أبي كثير رحمهما الله : "إذا لقيت صاحب بدعة قد أخذ في طريق فخذ في طريق آخر"(٢) .

هذه هي بعض وصايا السلف رحمهم الله تتضمن تحذيرا بالغا من مجالسة أهل الأهواء والابتداع حتى أن الفضيل بن عياض ويحيى بن أبي كثير رحمهما الله من حرصهما على سلامة معتقد المسلم حذراه من السير في طريق يسير فيه أحد من أهل الأهواء والبدعة ، وليس ذلك فقط بل أن بعض السلف كان يقوم من المجلس إذا أتى فيه أحد من أهل الابتداع ، فهذا طاوس بن كيسان إمام أهل اليمن وهو من هو في العلم والمتابعة لآثار السلف رحمه الله كان جالسا هو وطلق بن حبيب فجاءهما رجل من أهل الأهواء فقال أتأذن لي أن أجلس فقال له طاوس : إن جلست قمنا . قال : يغفر الله لك أبا عبد الرحمن ، فقال : هو ذاك إن جلست والله قمنا ، فانصرف الرجل(٣) .

بل إن محمد بن سيرين رحمه الله دخل عليه رجلان من أهل الأهواء فقالا : يأأبا بكر نحدثك بحديث قال : لا . قالا : فنقرأ عليك آية من كتاب الله ، قال لا لتقومان عني أو لأقومن(٤) .

فانظر رحمك الله كيف هم محمد بن سيرين من الخروج من بيته إن لم يخرج منه هذان المبتدعان ؛ هذا كله من حرصه رحمه الله على عدم مجالستهم وسماع قولهم ولقد علل ابن سيرين فعله ذلك بقوله : "بأن قلب ابن آدم ضعيف وإني أخاف أن أسمع منه كلمة فلايرجع قلبي إلى ماكان"(٥) .

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري (٢/٤٣٥) .
(٢) المصدر السابق (٤/٤٧٤،٤٧٥) .
(٣) المصدر السابق (٢/٤٤٧) .
(٤) المصدر السابق (٢/٤٤٥) .
(٥) المصدر السابق (٢/٤٤٥-٤٤٦) .

وهذا الذي علل به ابن سيرين عدم قبول دخول المبتدعة عليه من خوفه على نفسه من الفتنة التي هي البدعة تعليل له وجاهته ، فكم من إنسان أراد مجالسة المبتدعة لمجرد المجالسة ولايريد أن يأخذ عنهم ولكنه وقع في بدعتهم .

فهذا محمد بن السائب كان سبب وقوعه في بدعة الإرجاء مجالسة المرجئة .

فلقد ذكر ابن بطة العكبري أن محمد بن السائب قال لأصحابه قوموا بنا إلى المرجئة نسمع كلامهم ، قال : فما رجع حتى علقه"[١] .

فالذي أوقع محمد بن السائب وغيره من ضحايا المبتدعة والله أعلم هو أن المبتدعة لايواجهون جليسهم ببدعتهم مباشرة وبصراحة ، بل إنهم يتربصون بضحيتم تربص الحرباء بضحيتها فتجدهم يذكرون في بدايات مجالسهم مايوافق معتقد جليسهم ثم بعدما يطمئن الغر إليهم يبدأون في نفث سمومهم وبدعتهم في قلب وعقل ذلك الجليس .

ولقد أشار إلى مكر المبتدعة مع مجالسيهم السلف رضي الله عنهم وكشفوا عن شئ من ألاعيبهم وأساليبهم الخبيثة ، فهذا مفضل بن مهلهل رحمه الله يقول : "لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعته حذرته وفررت منه ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدء مجلسه ثم يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فمتى تخرج من قلبك"[٢] .

إذا قد تبين لنا خطر مجالسة أهل الابتداع وتبين لنا أن المبتدعة كبعض الدواب التي بها جرب تعدي يجربها من يخالطها ، أو كمن به مرض وسقم معدي يمرض ويسقم من يصاحبه ، وهذا يذكرنا بقول علي رضي الله عنه :

إذا أنت لم تسقم وصاحبت مسقما
وكنت له خدنا فأنت سقيم[٣]

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري (٤٧١/٢) .

(٢) المصدر السابق (٤٤٤/٢) .

(٣) المصدر السابق (٤١٦/٢) .

فإذا تبين لنا مخاطر مجالسة أهل الابتداع فحري بنا حينئذ هجر مجــالس أهــل الابتداع والضلال فإن السلامة لايعدوها شئ وللقاء الإنسان لله وهو على هداية وسنة نبوية خير من لقائه على ضلال وبدعة شيطانية ، فاللهم سلم عقائدنا من كل زيــغ وانحراف عن سبيل الهدى والصراط المستقيم .

بقي لنا أن نشير إلى مبحث أخير في هذا الفصل وهو الجهل باللغة العربية وأثره في وقوع الإنسان في البدعة ، وهو وإن كان له صلة بهذا البحث من حيــث كــون اللغة العربية علما من علوم الملة ، إلا أنني أفردته لأهميته وخصوصيته ، وسيظهر ذلك من خلال المبحث الآتي .

المبحث الخامس
الجهل باللغة العربية

أولاً : التمهيد

لاشك أن للغة العربية مكانة عظمى في سماء العلوم الشرعية ، كيف لا وهي لسان الشريعة والملة الناطقة بالوحي الإلهي ، وهي لغة اختارها الله أن تكون وعاء لوحيه فشرفها الله سبحانه وتعالى بذلك الاختيار وأعدها لهذه المهمة العظيمة .

ولايمكننا حقيقة أن نصف أهمية اللغة العربية والخدمة التي تقوم بها لنشر الدين فهي باختصار اللغة التي بها نفهم عن الله ماأراده منا من توحيده وعبادته .

ولقد عرف أئمة الإسلام للغة العربية أهميتها فتحدثوا عن تلك الأهمية والمنزلة للغة العربية ووجوب تعلمها .

فمن ذلك قول الأزهري رحمه الله : "إن تعلم العربية التي بها يتوصل إلى تعلم مابه تجري الصلاة من تنزيل وذكر فرض على عامة المسلمين وإن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها التي بها تمام التوصل إلى معرفة مافي الكتاب والسنة والآثار وأقاويل المفسرين من الصحابة والتابعين"[١] .

وقال ابن فارس : "إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب ... ولسنا نقول أن الذي يلزمه من ذلك الإحاطة بكل ماقالته العرب لأن ذلك غير مقدور عليه ... بل الواجب علم أصول اللغة والسنن التي بأكثرها نزل القرآن وجاءت السنة"[٢] .

وقال الجوهري رحمه الله متحدثا عن أهمية اللغة العربية : "هذه اللغة التي شرف الله تعالى منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها"[٣] .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري () .

(٢) الصاحبي لابن فارس (ص٥٠) .

(٣) الصحاح للجوهري (ص٣٣) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : "ومعلوم أن تعلم العربية فرض على الكفاية وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسنة المائلة عنه فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والاقتداء بالعرب في خطابها ، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعيبا فكيف إذا جاء قوم إلى الألسنة العربية والأوزان القويمة فأفسدوها بمثل هذه المفردات والأوزان المفسدة للسان الناقلة عن العربية العرباء إلى أنواع الهذيان الذي لايهدي به إلا قوم من الأعاجم الطماطم العميان"[١] .

وقال السيوطي رحمه الله مبينا أن علم اللغة من الدين وأنه بها تعرف معاني الكتاب والسنة : "لاشك أن علم اللغة من الدين لأنه من فروض الكفايات وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة"[٢] .

وقال بعض أهل العلم ناظما شعرا مبينا وجوب تعلم اللغة والاهتمام بها :

حفظ اللغات علينا   فرض كفرض الصلاة
فليس يضبط دين   إلا بحفظ اللغات[٣]

فلغة هذه هي أهميتها وهذا هو ثناء العلماء عليها لاشك أن الجهل بها مضر بمن يريد تعلم الشريعة ، بل الجهل بها جناية على الدين كله جملة وتفصيلا ، وعلى اللغة العربية أيضا على حد سواء .

ولقد وقع الجهل باللغة كما كان متوقعا ووقعت الجناية التي كان يخاف من وقوعها ، أما مرتكب هذه الجناية التي وقعت على الدين واللغة معا فبعد البحث وجدانهم أهل الابتداع ، فلقد جهل المبتدعة اللغة العربية وليت هذا الجهل وقف عند حد الجهل بمعاني بعض مفردات اللغة أو أساليبها التي لايترتب عليها كبير مفسدة لكان حينئذ الخطب سهلا ويسيرا ولكن عظمت الفاجعة وكبرت

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/٢٥٢) .

(٢) المزهر للسيوطي (ص٥٢) .

(٣) البلغة في أصول الفقه (ص٥٩-٦٠) لصديق حسن خان القنوجي رحمه الله .

الجناية عندما تطرق جهلهم باللغة إلى الخلل المريع في جوانب الاعتقاد فوقعت المصيبة في أعز مايملكه الإنسان ألا وهي عقيدته التي سيلقى الله عليها .

ولعظم هذه الجناية التي هي الجهل باللغة العربية المترتب على الجهل بها الوقوع في متاهات الضلال والابتداع إذا ماظهر ذلك الجهل في مسائل الاعتقاد ، لذلك كله اعتبر السلف رحمهم الله أن الجهل باللغة العربية سببا من أسباب الوقوع في البدعة لدى أهل الابتداع ، فهذا الحسن البصري رحمه الله يبين أن العجمة التي أصابت كثيرا من أهل الابتداع بسبب جهلهم باللغة العربية هي التي أوقعتهم في البدعة لأنهم يتأولون كتاب الله على غير ماأراد الله منا فهمه .

قال الحسن رحمه الله : "أهلكتهم العجمة يتأولونه ـــ أي القرآن ـــ على غير تأويله"[1] .

بل إن الحسن لابصري رحمه الله حث على تعلم اللغة لكي لايقرأ الإنسان شيئا من كلام الله فيفهمه على خلاف ماأراده الله منه فيهلك ويقع في البدعة ، فهذا رجل يسأل الحسن البصري قائلا له : أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويصلح بها منطقه؟ قال : نعم فليتعلمها ؛ فإن الرجل ليقرأ فيعيا بوجهها فيهلك"[2].

وقال الشافعي رحمه الله مبينا أن الجهل بلسان العرب هو سبب في وقوع الناس في الاختلاف الذي هو طريق إلى الابتداع : "ماجهل الناس ولااختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس"[3] .

وقال السيوطي رحمه الله مؤكدا كلام الشافعي رحمه الله على أن الجهل باللغة العربية سبب من أسباب الوقوع في البدع : "وجدت السلف قبل الشافعي أشاروا إلى ماأشار إليه من أن سبب الابتداع الجهل بلسان العرب"[4] .

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/٢٩٩) .
(٢) المصدر السابق (٢/٢٩٩) .
(٣) صون المنطق والكلام للسيوطي (ص١٥) .
(٤) المصدر السابق (ص١٥) .

هذه هي بعض عبارات السلف الكاشفة على أن سبب الجهل باللغة العربية يؤدي بالإنسان إلى الوقوع في البدع والعياذ بالله .

ثانياً : صور الجهل باللغة العربية لدى المبتدعة

الأمثلة الناطقة والشاهدة على أن الجهل باللغة العربية كانت وراء وقوع المبتدع في البدعة فهي كثيرة ولكن يمكن حصرها في صورتين :

الصورة الأولى : جهلهم بما كان له أكثر من وجه في اللغة :

وذلك بأن يأتي المبتدعة لعبارات لها معاني متعددة فيقصروا معنى تلك العبارات على معنى من معانيها مع جهلهم أو إغفالهم لباقي تلك المعاني .

ومن الأمثلة على هذه الصورة مايلي :

١- مانقله الإمام الدارمي رحمه الله عن بشر المريسي من إنكاره لصفة القدم الثابتة لله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ﷺ القائل : "لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ، حتى يضع الجبار فيها قدمه فتزوى فتقول : قط قط"(١) .

فلقد ادعى المريسي كما نقل عنه الإمام الدارمي أن القدم معناها هنا "أهل الشقوة الذين سبق لهم في علمه أنهم صائرون إليها"(٢) .

ولقد رد أئمة أهل اللغة رحمهم الله تفسير هذا الحديث أي لفظ القدم فيه بما ذكره المريسي .

فهذا الإمام الأزهري رحمه الله ذكر في كتابه تهذيب اللغة عندما ذكر لفظ القدم أثبت هذه الصفة لله بأن استشهد بهذا الحديث ، بل أردف إقراره لهذه الصفات بكلام السلف المؤيد لما قرره الأزهري فقال رحمه الله : "وفي الحديث أن جهنم تمتلئ حتى يضع الله فيها قدمه ..." ثم قال الأزهري رحمه الله : "وأخبرني محمد بن إسحاق السعدي عن العباس الدوري أنه سأل أبا عبيدة عن تفسيره وتفسير غيره من حديث النزول والرؤية فقال : هذه أحاديث رواها لنا الثقات عن الثقات حتى رفعوها إلى النبي ﷺ ومارأينا أحدا يفسرها فنحن نؤمن بها على ماجاءت ولانفسرها" .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (٧٣٨٤) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٤٨) .

(٢) نقض عثمان بن سعيد على الكافر العنيد (١/٣٩٥) .

قال الجوهري عقب كلام أبي عبيد : "أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت"[١] .

وهذا الذي ذكره الإمام الدارمي عن بشر المريسي من تأويله لصفة القدم الثابتة لله بأن معناها أهل الشقوة هو قول لم يتفرد به المريسي بل عليه غالب المتكلمين من تأويلهم لهذه الصفة إما بأن يذكروا في تأويلها ماذكره المريسي ، أو أنهم يخترعون لها معاني أخرى .

والعجيب أن المريسي أراد أن يلزم أهل السنة والجماعة بأنهم إذا أثبتوا أن معنى القدم التي يضعها الجبار في النار هي صفة له بأن شئ من الله يحل ويدخل في النار مع الجنة والناس ، وهذا الفهم السقيم بناه على أن الله يقول : ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٢] الآية وعلى قول أهل السنة يرى أنه يلزمهم تكذيب الله القائل بأن النار لاتمتلئ إلا بالجنة والناس .

فلقد تصدى الإمام الدارمي رحمه الله لكشف عوار هذا الجهل المريسي بالكتاب والسنة واللغة فقال رحمه الله رادا عليه تفسير القدم بما ذكره وبما استشكله المريسي وهو ليس بمشكل ، وبما اعترض به على أهل السنة والجماعة وألزمهم به : "وكيف تدعي أنها لاتمتلئ حتى يلقي الله فيها الأشقياء الذين هم قدم الجبار عندك فتمتلئ بهم في دعواك؟ وهل استزادت أيها التائه إلا بعد مصير الأشقياء إليها وإلقاء الله إياهم فيها؟ فاستزادت بعد ذلك أفيلقيهم فيها ثانية ، وقد ألقاهم فيها قبل ، فلم تمتلئ؟ كأنه في دعواك حبس عنها الأشقياء وألقى فيها السعداء فلما استزادت ألقى فيها الأشقياء بعد ، حتى ملأها لو ادعى هذا من لم يسمع حرفا من القرآن مازاد .

ثم رددت الحديث بعدما أقررت به أنه حق فقلت : يقال لهؤلاء المشبهة : أليس من قال : إن الله يخلف وعده كافر . فإن قالوا : نعم . فقل لهم : من زعم أن

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (٩/٤٥-٤٦) .

(٢) سورة هود : آية (١١٩) .

جهنم تمتلئ من غير الجنة والناس فقد كفر ، لأن الله تعالى قال : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[١] .

ويلك أيها المريسي إنما أنزل هذه الآية من أنزل التي في (ق) : ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[٢] .

ويجوز في الكلام أن يقال لممتلئ : استزاد كما يمتلئ الرجل من الطعام والشراب فيقول : قد امتلأت وشبعت هو يقدر أن يزداد كما يقال : امتلأ المسجد من الناس وفيه فضل وسعة للرجال بعد ، وامتلأ الوادي ماء وهو محتمل لأكثر منه ثم قال رحمه الله : "وكيف يستحيل أيها المريسي ماوصف رسول الله ﷺ من وضع القدم في جهنم؟ وأنت تزعم أن الله بكماله في جهنم قبل أن يملأها وبعدما ملأها؟ لأنك تزعم أنه لايخلو منه مكان فجهنم من أعظم الأمكنة ، فأنت أول من كذب بالآية إذ تدعي أن جهنم ممتلئة من الجبار تبارك وتعالى عز وجل عن وصفك .

ثم ادعيت أن من تأول في هذا قدم الجبار فقد جعل الله من الجنة والناس ومن تبع إبليس ، إذ زعم أن شيئا منه يدخل جهنم والله يقول : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فيقال لك أيها المريسي فأنت أول من جعلته من الجنة والناس ومن تبع إبليس إذ تزعم أنه لاتخلو منه جهنم ولاشئ من الأمكنة أفبعض أوحش أم كل؟ ويلك ، إنما أراد الله بقوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الذين حق عليهم العذاب ... كما لايدفع هذه الآية قول النبي ﷺ "يضع الجبار فيها قدمه" ، فإذا كانت جهنم لاتضر الخزنة الذين يدخلونها ويقومون عليها فكيف تضر الذين سخرها لهم"[٣] .

ومن الآثار الدالة على إثبات صفة القدم لله ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : "الكرسي موضع القدمين والعرش لايقدره إلا الله عز وجل"[٤] .

---

(١) سورة هود : آية (١١٩) .

(٢) سورة ق : آية (٣٠) .

(٣) نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد (١/٤٠١-٤٠٥) .

(٤) المصدر السابق (١/٤٠٠) .

فتبين إذا من خلال عرض هذا المثال ضعف مافسر به المريسي القدم من أنه أهل الشقوة كما زعم .

٢- ومن الأمثلة أيضا على هذه الصورة الأولى ماجهله المبتدعة من أن إثبات صفة اليدين لله على الوجه اللائق بها ليست هي بمعنى النعمة أو القدرة أو القوة ، فمن المعروف أن المتكلمين ينفوا صفة اليدين الثابتة لله ، فمن ذلك قول القاضي عبد الجبار المعتزلي : "إن اليد في قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] بمعنى القوة ، وذلك ظاهر في اللغة يقال مالي في هذا الأمر يد أي : قوة"[2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ أنها بمعنى النعمة"[3] .

وقال صاحب شرح المواقف في كلامه على صفة اليد : "وقال الأكثر أنهما مجاز عن القدرة ، فإنه شائع ، وخلقته بيدي : أي بقدرة كاملة"[4] .

وهذا الذي ذكره أهل الابتداع من حصرهم لجميع السياقات التي تأتي فيها اليد بأنها لاتكون إلا بمعنى القدرة أو القوة أو النعمة أو أي معنى آخر غير إثباتها صفة لله هو جهل فاضح بمعاني كلام العرب العرباء وأساليبهم في الخطاب ، ولقد عرى علماء السلف رضي الله عنهم المبتدعة وبينوا هذا الجهل المركب الذي وقعوا فيه من تفسيرهم لليد الصفة الثابتة لله بأنها بمعنى القوة أو القدرة أو النعمة ، هذا التفسير البدعي فمن ذلك مارد به الإمام الدارمي رحمه الله على بشر المريسي عندما فسر اليد بما فسره سائر المتكلمين فرد الإمام الدارمي رحمه الله من جهة اللغة وبيان فساد تفسيرهم وبطلانه ورد عليهم وهتك أستار المريسي ومن سار بسيره فقال : "وقد ادعى المريسي أيضا وأصحابه أن يد الله نعمته . قلت لبعضهم : إذا يستحيل في دعواكم أن يقال : خلق الله آدم بنعمته . أم قوله ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ أنعمتان من أنعمه قط مبسوطتان؟ فإن النعمة أكثر من أن تحصى أفلم يبسط منها على عباده

---

(١) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٢٢٨) .

(٢) المصدر السابق (ص٢٢٨) .

(٣) شرح المواقف للشريف الجرجاني (ص١٧٥) .

الاثنتين وقبض عنهم ماسواهما في دعواكم؟ فحين رأينا كثرة نعم الله المبسوطات على عباده ثم قال: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ علمنا أنها بخلاف ماادعيتم ووجدنا أهل العلم ممن مضى يتأولونها خلاف ماتأولتم ومحجتهم أرضى وقولهم أشفى ... عن عكرمة قال: قوله ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ قال يعني اليدين. وعن نافع بن عمر الجمحي قال: سألت ابن أبي مليكة عن يد الله أواحدة أو اثنتان قال: بل اثنتان ... فمن يلتفت بعد هذا إلى تأويل المريسي ويدع تأويل هؤلاء الأئمة.

أرأيتم إذا تأولتم أن يد الله نعمته أفيحسن أن تقولوا في قول رسول الله ﷺ "يطوي الله السموات بيمينه يوم القيامة"[1] أنه يطويها بنعمته؟ أم قوله: "المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن"[2] وكلتا نعمتي الرحمن نعمة واحدة؟

هذا أقبح محال وأسمج ضلال وهو مع ذلك ضحكة وسخرية ماسبقكم إلى مثلها أعجمي أو عربي .. قد علمت أيها المريسي أن هذه تفاسير مقلوبة خارجة من كل معقول لايقبله إلا كل جهول. فإذا ادعيت أن اليد عرفت في كلام العرب أنها نعمة قلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرها منك أجهل غير أن تفسير ذلك يستبين في سياق كلام المتكلم حتى لايحتاج له من مثلك إلى تفسير إذا قال الرجل: لفلان عندي يد أكافئه عليها. علم كل عالم بالكلام أن يد فلان ليست ببائنة منه موضوعة عند المتكلم وإنما يراد بها النعمة التي يشكر عليها، وكذلك إذا قال فلان لي يد وعضد وناصر علمنا أن فلانا لايمكنه أن يكون نفس يده عضوه، ولاعضده فإنما عني به النصرة والمعونة والتقوية. فإذا قال: ضربني فلان بيده، وأعطاني الشئ بيده وكتب لي بيده استحال أن يقال: ضربني بنعمته وعلم كل عالم بالكلام أنها اليد التي بها يضرب وبها يكتب وبها يعطي لا النعمة .. ولايجوز لك أيها المريسي أن تنفي اليد التي هي اليد لما أنه وجد في فرط كلام العرب أن اليد قد تكون نعمة وقوة ولكن هذا في سياق الكلام معقول وذلك في سياق الكلام معقول، فلما قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق برقم (٦٥١٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (١٨٢٧).

الله عز وجل ﴿خلقت بيدي﴾ استحال فيهما كل معنى إلا اليدين كما قال العلماء الذين حكينا عنهم"[١] .

لقد رد الإمام الدارمي رحمه الله بهذا الرد ليس على المريسي وحده بل على مريسيين كثير أتوا بعده فهو رد على كل من ينفي صفة اليد الحقيقية لله ويؤولها بمعنى القدرة أو النعمة فقط فرحم الله الدارمي فقد أشفى ووفى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحم الله فاضحا جهل المبتدعة بلغة العرب عندما أولوا اليد بالمعاني السابقة ومبينا أن اليد تحمل على أنها صفة لله حقيقة : "والدلالة على كونهما ــ أي صفة اليدين ــ صفتين ذاتيتين تزيدان على النعمة وعلى القدرة أنا نقول : القرآن نزل بلغة العرب واليد المطلقة في لغة العرب وفي معارفهم وعاداتهم المراد بها إثبات صفة ذاتية للموصوف لها خصائص فيما يقصد به وهي حقيقة في ذلك كما ثبت في معارفهم الصفة التي هي القدرة ، والصفة التي هي العلم ، كذلك سائر الصفات من الوجه والسمع والبصر والحياة وغير ذلك ، وهذا هو الأصل في هذه الصفة وأنهم لاينقلون عن هذه الحقيقة إلى غيرها مما يقال على سبيل المجاز إلا بقرينة تدل على ذلك ، فأما مع الإطلاق فلا .

ولهذا يقولون : لفلان عندي يد فيراد بذلك مايصل من الإحسان بواسطة اليد ، وإنما فهم ذلك بإضافة اليد إلى قوله "عندي" ويقول ذلك وبينهما من البعد والحوائل مالو أراد اليد الحقيقية لكان كاذبا ؛ ولهذا لو كان بحيث أن يكون عنده يده الحقيقية وهو أن يكونا متماسين في الاجتماع ويحيط بها ثوب أو على صفة يمكن إدخال يده إلى باطن ثوبه فقال حينئذ : لفلان عندي يد . لايصرف القول فيه إلى يد الحقيقة لأن شاهد الحال قد قطع عمل القرينة ، وكذلك القول في التعبير باليد عن القدرة إنما يثبت ذلك بقرينة وهو أن يقول لفلان علي يد فقوله "علي" قرينة تدل على أن المراد باليد القدرة .

---

(١) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/٢٨٤-٢٩١) .

ودليل آخر وهو إنا إذا تأملنا المراد بقوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[١] امتنع فيه أن يكون المراد به النعمة والقدرة وذلك أن الله تعالى أراد تفضيل آدم على إبليس حيث افتخر عليه إبليس بجنسه الذي هو النار وأنه بذلك أعلى من التراب والطين فرد الله عليه افتخاره وأثبت لآدم من المزية والاختصاص ما لم يثبت مثله لإبليس بقوله تعالى : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وفي ذلك مايدل على أن المراد فيها الصفة التي ذكرنا من وجهين :

أحدهما : أن إبليس عند الخصم خلق بما خلق به آدم من القدرة والنعمة فلولا أن آدم خالف إبليس في ذلك لما كان فيه إثبات فضيلة ، وهذا كلام صدر على سبيل الحاجة في إثبات الفضل فلو تساويا في السبب لما ثبتت الحجة لله تعالى على إبليس في ذلك ، وذلك مما لايخفى عليه فكان يسعه أن يقول : وأنا فقد خلقتني بما خلقت به آدم ، فأي فضيلة له علي بما ذكرته ، ومايؤدي إلى تعجيز الله عن حجته وإزالة المميز بين الشيئين فيما قصد التمييز به بالمخالفة بينهما قول باطل ومحال .

الثاني : أنه أضاف "الخلق" وهو فعل يده سبحانه ، والفعل متى أضيف إلى اليد فإنه لايقتضي إضافة إلا إلى مايختص بالفعل وليس إلا اليد التي ذكرنا وهذا جلي واضح[٢] .

هذه هي بعض الأمثلة الدالة على أن أهل الابتداع وقع فيهم الجهل باللغة العربية من خلال فهمهم لبعض معاني المفردات وإغفالهم وتركهم للآخر وقصرهم مأأخذوه من المعاني على كونها هي معاني تلك العبارات والمفردات وماسواها باطل ، والطريقة الصحيحة والمثلى لتجنب هذا المظهر الذي يعد من مظاهر الجهل باللغة العربية المؤدي إلى البدعة حتما هو أن نراعي سياقات الخطاب ونعلم أن سياق الكلام هو المفهم لمراد المتكلم من إيراده لتلك العبارة في ذلك السياق مع مراعاة أمر آخر نبه عليه أيضا أهل العلم رحمهم الله ألا وهو أنه يحكم في التنازع بين معاني

---

(١) سورة ص : آية (٧٥) .

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/٤٠-٤١) ، وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص٣٧٠) .

بعض المفردات إضافة إلى ماذكر إلى المشهور والأكثر ورودا لمعنى تلك العبارة ويتجنب المعاني الغريبة الشاذة إلا إذا دلت القرائن على أن ذلك المعنى البعيد هو المقصود فحينئذ يجب الحمل عليه ، ولايكون حمل المعاني وترك الآخر لغلبة الهوى والذوق ، قال الإمام الدارمي رحمه الله : "لايحكم للأغرب من كلام العرب على الأغلب ولكن نصرف معانيها إلى الأغلب حتى تأتوا ببرهان أنه عنى بها الأغرب وهذا هو المذهب الذي إلى العدل والإنصاف أقرب لا أن تعترض صفات الله المعروفة المقبولة عند أهل البصر فنصرف معانيها بعلة المجازات إلى ماهو أنكر ونرد على الله بداحض الحجج وبالتي هي أعوج"[1] .

أما الصورة الثانية فهي : جهلهم بما ليس له وجه في اللغة :

وذلك بأن يأتي المبتدعة فيستخدمون بعض العبارات فيضعون لها معاني من عندهم ليست موجودة في اللغة العربية ، وهذا غاية في الجهل بمعاني الألفاظ العربية وهذا عليه أمثلة كثيرة منها مايلي :

١- استدلال المتكلمين على إثبات الصانع بطريقة الأعراض وحدوثها ولزومها للأجسام ، وأن ماastلزم الحادث فهو حادث ، وعلى أن وصف الله بالصفات الثابتة له سبحانه كالعلو وكونه في جهة السماء وأنه بائن من خلقه وغير ذلك هو وصف لله بأنه تحله الحوادث وهذا يلزم منه حدوث الخالق تعالى الله عن زعمهم ، بقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه عندما قال الله سبحانه وتعالى عنه : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[2] فقالوا أن إبراهيم عليه السلام استدل على حدوث الكوكب والشمس والقمر بالأفول والأفول هو الحركة ، والحركة هي التغير فلزم من ذلك أن كل متغير محدث وكل ماقامت به الحوادث فهو متغير فيجب أن يكون محدثا[3] .

---

(١) نقض عثمان بن سعيد (٢/٨٥٥-٨٥٦) .

(٢) سورة الأنعام : آية (٧٦) .

(٣) الدرء (١/١٠٠-١٠١) .

وهم يقصدون بقولهم هذا أن يصلوا إلى نفي صفات الله عز وجل كالعلو والاستواء وسائر صفاته الاختيارية لأنه يلزم من إثباتها على زعمهم حلول الحوادث في ذات الله لأن الصفات هذه عندهم لاتحل إلا بما هو حادث والمحدث لايحل إلا بالمحدث لابالقديم .

قال الرازي مؤيدا استدلال المتكلمين بهذه الآية : "أما الخليل ﷺ فقد حكى الله تعالى عنه في كتابه بأنه استدل بحصول التغير في أحوال الكواكب على حدوثها ... وأعلم أن هذه الواقعة تدل على تنزيه الله تعالى وتقديسه عن التحيز والجهة" .

ثم قال الرازي : "ولما حكم الخليل عليه السلام بأن المتغير من حال إلى حال لايصلح للإلهية وثبت أنه لو كان جسما لصح عليه التغير لزم القطع بأنه تعالى ليس بمتحيز أصلا"(١) .

هذا التخبط في استدلال المبتدعة بهذه الآية إذا لاحظنا ذلك وجدناه كله نابع من فهمهم "للأفول" في الآية أنه بمعنى الحركة والتغير ولكن هذا اللفظ الذي هو الأفول لم يأت في اللغة أبدا بمعنى الحركة والتغير بل أتى بمعنى المغيب .

قال الإمام الأزهري رحمه الله عند كلامه على معنى كلمة "أفل" : "يقال للشمس أفلت تأفل وتأفل أفلا وأفولا فهي آفلة ، وأفل . وكذلك القمر يأفل ، إذا غاب ، قال الله تعالى : ﴿فلما أفل﴾ أي غاب وغرب"(٢) .

وقال ابن فارس رحمه الله : "أفل : الهمزة والفاء واللام أصلان :

أحدهما : الغيبة ، والثاني : الصغار من الإبل .

فأما الغيبة فيقال أفلت الشمس : غابت ، ونجوم أفل ، وكل شئ غاب فهو آفل ، قال : [الطويل] :

فدع عنك سعدى إنما تسعف النوى

قران الثريا مرة ثم تأفل

---

(١) أساس التقديس للرازي (ص٣٣) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٣٧٨) .

قال الخليل : "وإذا استقر اللقاح في قرار الرحم فقد أفل"[١] .
وقال الرازي رحمه الله في مختار الصحاح : "أفل : غاب وبابه دخل وجلس"[٢]
.

وقال ابن منظور رحمه الله في لسان العرب : "أفل أي غاب ، وأفلت الشمس تأفل وتأفل أفلا وأفولا : غربت"[٣] .
وقال الفيروز آبادي رحمه الله في القاموس : "أفل كضرب ونصر وعلم أفولا غاب"[٤] .

فهذا هو كلام أئمة اللغة في بيانهم لمعنى كلمة الأفول لم تأت قط بمعنى الحركة والتغير بل هي بمعنى المغيب أو صغار الإبل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على استدلال المبتدعة بقصة إبراهيم وبكلمة الأفول بالمعنى الذي ذكروه : "وأما قصة إبراهيم الخليل عليه السلام فقد علم باتفاق أهل اللغة والمفسرين أن الأفول ليس هو الحركة سواء كانت حركة مكانية وهي الانتقال أو حركة في الكم كالنمو أو في الكيف كالتسود والتبيض ولاهو التغير فلا يسمى في اللغة كل متحرك أو متغير آفلا ولاأنه أفل ، لايقال للمصلي أو الماشي إنه آفل ولايقال للتغير الذي هو استحالة كالمرض واصفرار الشمس أنه أفول لايقال للشمس إذا اصفرت : أنها أفلت ، وإنما يقال "أفلت" إذا غابت واحتجبت وهذا من المتواتر المعلوم بالاضطرار من لغة العرب : أن آفلا بمعنى غائب وقد أفلت الشمس تأفل وتأفل أفولا : أي غابت .. ومعلوم أنه لما بزغ القمر والشمس كان في بزوغه متحركا وهو الذي يسمونه تغيرا فلو كان قد استدل بالحركة المسماه تغيرا لكان قد قال ذلك من حين رآه بازغا . وليس مراد الخليل

---

(١) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس (ص٨٣) .
(٢) مختار الصحاح (ص٨) .
(٣) (١٨/١١) .
(٤) القاموس المحيط (٣٢٨/٣) .

بقوله : "هذا ربي" رب العالمين ولأن هذا هو القديم الأزلي الواجب الوجود ، الذي كل ماسواه محدث ممكن مخلوق له-ولاكان قومه يعتقدون هذا حتى يدلهم على فساده ولااعتقد هذا أحد يعرف قوله ، بل قومه كانوا مشركين يعبدون الكواكب والأصنام ويقرون بالصانع"[1] .

تبين إذا خلال عرض هذا المثال كيف كان جهل المبتدعة بكلمة الأفول سببا من الأسباب في وقوعهم في بدعة نفي الصفات عن الله تعالى ظانين أن الأفول بمعنى الحركة والحركة حادثة والله لاتحله الحوادث التي هي الصفات بزعمهم .

٢- ومن الأمثلة أيضا ماأخرجه البيهقي عن الأصمعي أنه قال : "جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء ـ يناظره في وجوب عذاب الفاسق ـ فقال له : ياأبا عمرو آلله يخلف وعده؟ قال : لن يخلف الله وعده ، قال عمرو : قال : أين؟ فذكر آية وعيد لم يحفظها أبو عمرو .

فقال أبو عمرو : من العجمة أتيت ، الوعد غير الإيعاد ، ثم أنشد :

وإني وإن أوعدته أو وعدته سأخلف إيعادي وأنجز موعدي"[2]

أما الجهل باللغة في هذا المثال الذي بين أيدينا فإنه يظهر لنا جليا إذا عرفنا أن سؤال عمرو بن عبيد المعتزلي كان عن إمكان خلف الله لوعده بالنسبة للعباد ، فقال له أبو عمرو بن العلاء رحمه الله أنه لايمكن ، ثم تعجب أبو عمرو بن العلاء من أن عمرو بن عبيد أجابه بأن هذا ممكن فقال أين فأتى الجواب الفاضح من قبل المعتزلي عندما ذكر آية وعيد مع أن السؤال كان عن الوعد ، فعرف أبو عمرو بن العلاء بأن الرجل جاهل جهلا مركبا باللغة العربية فبين له أن سبب فهمه الخاطئ إنما هو بسبب الجهل باللغة وذلك لآثار العجمة التي مايزال عمرو بن عبيد متلبسا بها ، ثم أنشد أبو عمرو بن العلاء رحمه الله بيتا من الشعر يبين لعمرو بن عبيد الفرق بين الوعد والوعيد .

---

(١) الدرء (١/١٠٩-١١٠) ، مجموع الفتاوى (٦/٢٥٤) .

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٢/١٠٣-١٠٥) .

قال الأزهري رحمه الله في تهذيب اللغة عند كلامه على معنى كلمة "وعـــد" "قال أبو بكر العامة تخطئ فتقول : لم أوعدني فلان موعدا أقف عليه . وكلام العــرب وعدت الرجل خيرا ووعدته شرا وأوعدته خيرا وأوعدته شرا . فإذا لم يذكروا الخــير قالوا : وعدته فلم يدخلوا ألفا ، وإذا لم يذكروا الشر قالوا : أوعدته فلـم يسـقطوا الألف وأنشد :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادي وأنجز موعدي

ثم قال : وإذا أدخلوا الباء لم يكن إلا في الشر كقولك أوعدت بالضرب"[1].

ونحن نلاحظ من خلال نقل الإمام الأزهري عن أبي بكر أنه فرق بين أوعدته في البيت الذي أنشد وبين وعدته ، فإن الشاعر لم يذكر الخير وذكر مايدل عليه فقال وعدته ولم يدخل عليه ألفا ولم يذكر لفظ الشر ولكن ذكر مايدل عليه وهو أوعدتـه ثم بين أنه إذا أوعد بالشر أو وعد بالخير فإنه يخلف وعده بالشر وينجز وعده بالخير ، فإذا كان المخلوق يوصف بجميع الخصال والمدح والتعظيم إذا أخلف وعـده بالشـر والعقوبة لمن هو أهل لإيقاع ذلك به وعفى عنه ثم أنه مع ذلك إذا وعد الخير فإنـه لايمكن أن يخلفه فكيف بالله عليكم ياأهل الابتداع تصفون الله جل جلاله بأنه يخلف وعده بالخير ولايمكن أن يخلف وعده بالشر ، فأي إساءة وتنقص لله ولحقه وقعتم فيه فحسبنا الله ونعم الوكيل من ظلم الظالمين وجهل الجاهلين برب العالمين . هذا كله مع زعمهم الباطل أنهم له معظمون ولأمره مطيعون فأين التعظيم وأين طاعة رب العالمين عندما نهى سبحانه وتعالى عن القول عليه بغير الحق فقال : ﴿وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلا الْحَقَّ﴾[2] .

---

(١) تهذيب اللغة (٣/١٣٤-١٣٥) .

(٢) سورة النساء : آية (١٧١) .

هذه هي بعض الأمثلة[1] الدالة على أثر الجهل باللغة العربية في وقوع المبتدع في البدعة وكون الجهل باللغة سببا فاعلا في إيقاع المبتدع في البدع .

ومع كثرة جهل المبتدعة باللغة العربية ذلك الجهل الذي قادهم لتفسير كلام الله ورسوله بحسب لغتهم العربية الضعيفة المصابة بكساح العجمة ، فإن السلف رضي الله عنهم أدركوا إن هم لم يوقفوا أولئك الأصاغر عند حدودهم ويأخذوا على أيدي أولئك السفهاء فإن الخرق سيتسع على الراقع ويصعب حينئذ إصلاح ماسيقع من الخلل من وراء أولئك المبتدعة فوضعوا رحمهم الله قواعد وأصولا يجب على من تكلم في تفسير كلام الله ورسوله ﷺ أن يتقيد بها ويسير وفق تلك القواعد والأصول ، ولقد بين الشاطبي رحمه الله تلك القواعد وذلك بأن جعل على من أراد التحدث في الشريعة أصولا وفروعا أمرين اثنين :

أحدهما : أن لايتكلم في شئ من ذلك حتى يكون عربيا أو كالعربي في كونه عارفا بلسان العرب بالغا فيه مبالغ العرب أو مبالغ الأئمة المتقدمين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم وداناهم . وليس المراد أن يكون حافظا كحفظهم وجامعا كجمعهم وإنما المراد أن يصير فهمه عربيا في الجملة .. فإن لم يبلغ ذلك فحسبه في فهم معاني القرآن التقليد ولايحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل فيه أهل العلم به .

---

(١) انظر لمزيد من الأمثلة على الجهل باللغة العربية من قبل المبتدعة إلى :
الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٥٩-١٦٠) ، المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة للدكتور حمد الجهني (ص١٤٤) ، مجموع الفتاوى (٢٣٢/١١) ، الصفدية (٢٣٩/١) ، تلبيس الجهمية (٤٨٢/١) ، (٥٠٥/١) ، الرد على الجهمية للدارمي (ص٤٧) ، الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٢١٩-٣٨٣) ، الاعتصام للشاطبي (٣٠٣/٢) .

قال الشافعي : "فمن جهل هذا من لسانها ــ يعني لسان العرب ــ وبلسانها نزل القرآن وجاءت السنة به ، فتكلف القول في علمها تكلف مايجهل لفظه ، ومن تكلف ماجهل و لم يثبته معرفة كانت موافقته للصواب ــ إن وافقه ــ من حيث لايعرفه غير محمودة ، وكان في تخطئته غير معذور إذ نظر فيما لايحيط علمه بالفرق بين الصواب والخطأ فيه"[١] .

فانظر رحمك الله كيف جعل الشافعي من يتكلم في معاني كلام الله ورسوله ويتكلف ذلك وهو جاهل باللغة جعله غير محمود وغير معذور إن أخطأ . هذا كله مع موافقته للصواب فكيف بمن تكلف وجهل ونأى قوله عن الصواب ، ماذا بالله يقول الشافعي رحمه الله في حقه مع العلم أن الصنف الثاني من تكلف وجهل وأخطأ هو حال وديدن كثير من المبتدعة .

قال الشاطبي رحمه الله معلقا على كلام الشافعي السابق رحمه الله :

"وماقاله حق فإن القول في القرآن والسنة بغير علم تكلف ــ وقد نهينا عن التكلف ــ ودخوله تحت معنى الحديث ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : "حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا"[٢] الحديث ، لأنه إذا لم يكن لهم لسان عربي يرجعون إليه في كتاب الله وسنة نبيه رجع إلى فهمه الأعجمي وعقله المجرد عن التمسك بدليل يضل عن الجادة ..

الأمر الثاني : أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية فقد يكون إماما فيها ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات ، فالأولى في حقه الاحتياط ، إذ قد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتى يسأل عنها ، وقد نقل من هذا عن الصحابة ــ وهم العرب ــ فكيف بغيرهم .

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/٢٩٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم برقم (١٠٠) ، وأخرجه مسلم في كتاب العلم برقم (٢٦٧٣)

نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كنت لاأدري ما"فاطر السموات والأرض" حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها أي أنا ابتدأتها .

وفيما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه سأل وهو على المنبر عن معنى قوله تعالى ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ فأخبره رجل من هذيل أن التخوف عندهم هو التنقص وأشباه ذلك كثيرة[1] .

فانظر يارعاك الله كيف أن الإنسان قد يبلغ في علم العربية على وجه الخصوص مبلغا عظيما ومع هذا يجهل بعض معاني مفرداتها ، ومع ذلك فإنه يجب عليه أن يسأل من هو أعلم منه ولايتسرع في تفسير المعاني بحسب هواه ورغبته ومزاجه العقلي ، ولقد ضرب لنا الإماما لشاطبي رحمه الله مثلين على ذلك وهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما وهما من هما في جلالتهما وعلمهما ومع ذلك أخذا بالحيطة وسألا عما أشكل عليهما ، هذا هو حال السلف رضي الله عنهم . أما أهل الابتداع فهم أسرع الناس إلى الوقوف على ماليس لهم به علم ، إنهم كالفراش الذي يجذبه ضوء النار ثم مايلبث أن يتساقط فيها ويهلك ، نسأل الله لنا ولجميع المسلمين المعافاة والسلامة من كل مهلكة .

---

(١) الاعتصام للشاطبي رحمه الله (٢/٢٩٧-٣٠٠) .

الفصل الثاني

الهوى

ويشتمل على :

التمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأول :
تبني المبتدعة لقواعد بدعية .

المبحث الثاني :
حب الرئاسة والتصدر .

المبحث الثالث :
التعصب .

المبحث الرابع :
الجدال والمراء في الدين بالباطل .

التمهيد

لقد ذكر في مقدمة الباب الأول أن الهوى هو السبب الثاني الذي يؤثر في إضلال من ضل من الناس من داخل ذاته ، وهذا السبب في الحقيقة لايقل في الأهمية والتأثير في الإضلال عن السبب الأول الذي هو الجهل فلكل منهما أثره ومظاهره وصوره التي أوقعت المبتدع في البدعة من داخل كيانه وذاته ، ولكن قبل أن نفصل في مظاهر وآثار هذا السبب لابد قبل ذلك من تعريفه .

تعريف الهوى :

لقد ورد في كتب اللغة معاني عديدة للهوى الذي هو مفتوح الهاء المقصود فمن هذه المعاني مايلي :

(١) هوى النفس :

قال في لسان العرب : "والهوى ، مقصور : هوى النفس وإذا أضفته إليك قلت هواي ... وهوى النفس إرادتها والجمع الأهواء .

التهذيب : قال اللغويون الهوى محبة الإنسان الشئ وغلبته على قلبه قال الله عز وجل : ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[٢] معناه نهاها عن شهواتها وماتدعوه إليه من معاصي الله عز وجل"[١] .

(٢) العشق :

قال ابن سيده : "الهوى العشق يكون في مداخل الخير والشر"[٣] .

(٣) الموت :

قال ابن منظور : "وهوى الرجل : مات؟

قال النابغة :

---

(١) لسان العرب (١٥/٣٧٢) ، مختار الصحاح (ص٢٩٣) ، القاموس (٤/٤٠٤) .

(٢) سورة النازعات : آية (٤٠) .

(٣) لسان العرب (١٥/٣٧٢) ، القاموس (٤/٤٠٤) .

وقال الشامتون : هوى زياد لكل منية سبب متين"[١]

فعند التأمل في معاني كلمة هوى نجد أنها تنحصر في معنيين :

الأول : هو ماتميل إليه النفس وتعشقه وهما المعنيان الأولان إلا أن المعنى الأول للهوى الذي هو هوى النفس أعم من الثاني الذي هو العشق فالعشق لايكون إلا بين الذكر والأنثى هذا هو المعروف والمتبادر إلى الذهن من كلمة العشق إما هوى النفس فالنفس تهوى أشياء كثيرة فهي تهوى وتميل إلى المال والعلم والسفر وأشياء كثيرة من الخير والشر ويدخل فيه العشق طبعا .

المعنى الثاني : الموت والهلاك كما مر معنا .

إلا أن الهوى متى تكلم به مطلقا لم يكن إلا مذموما ، وذلك لأن النفوس تهوى الشر والكفر والبدع والضلال إلا تلك النفوس التي استنارت بنور الإيمان وحبب الله إليها الإيمان وكره إليها الكفر والفسوق والعصيان فكأن الهوى أصبح علامة على مايذم فإذا ذكر الهوى مطلقا تصور الذهن الكفر والبدع والضلال إلا أن يقيد بالخير .

قال صاحب لسان العرب مقررا لهذا المعنى : "ومتى تكلم بالهوى مطلقا لم يكن إلا مذموما حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسن وهوى موافق للصواب"[٢] .

ومرادنا بالهوى الذي نحن بصدد البحث فيه في هذا الفصل هو الهوى الذي بالمعنى الأول أي ماتهوى إليه النفس والمقيد بما تهواه النفوس من الشر الذي منه البدع والضلالات التي تميل إليها نفوس أهل الابتداع والأهواء .

وهذا الهوى الذي هو بهذا المعنى والذي إن شاء الله سنبين صوره وآثاره السيئة هو الذي ذمه الله في كتابه ورسوله ﷺ في سنته وذمه السلف رضوان الله عليهم جميعا في كتبهم ومجالسهم .

أما ماذم الله به الهوى في القرآن فمنه قوله تعالى :

---

(١) لسان العرب (١٥/٣٧٣) .

(٢) لسان العرب (١٥/٣٧٢) .

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾[١] .

وقول تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[٥] .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله بعد عرضه لبعض هذه الآيات السابقة : "وتأمل فكل موضع ذكر الله تعالى فيه الهوى ، فإنما جاء به في معرض الذم له ولمتبعيه"[٦] .

وأما السنة : فقد قال ﷺ : "إني أخاف عليكم من زلة العالم ومن حكم جائر ومن هوى متبع"[٧] .

---

(١) سورة النجم : آية (٢٣) .

(٢) سورة محمد : آية (١٤) .

(٣) سورة الجاثية : آية (٢٣) .

(٤) سورة ص : آية (٢٦) .

(٥) سورة المؤمنون : آية (٧١) .

(٦) الموافقات للشاطبي (٢/٢٩١) ، تحقيق مشهور حسن سلمان .

(٧) أخرجه الدارمي في سننه في كتاب المقدمة برقم (٢١٦) .

وقال ﷺ : "يكون أقوام يتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلايبقى فيه مفصل إلا دخله"(١) .

قال الإمام الأصبهاني : "الكلب بفتح اللام من قولهم "كلب كلب" وهو الذي يأخذه شبه الجنون فإذا عقر إنسانا كلب فيقال : رجل كلب"(٢) .

وأما السلف رضي الله عنهم فقد تواتر النقل عنهم ذمهم للهوى ومن ذلك : قول ابن عمر رضي الله عنه : "لاأعلم شيئا في الإسلام أفضل عندي من أن قلبي لم يخالطه شئ من هذه الأهواء المختلفة"(٣) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : "الهوى كله ضلالة"(٤) .

وقال أيضا : "ماذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه"(٥) .

وقال عبد الله بن عون البصري رحمه الله محذرا من غبة الاستماع للهوى : "لايمكن أحد منكم أذنيه من هوى أبدا"(٦) .

وقال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله : "من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة"(٧) .

فمن خلال العرض السابق الذي تطرقنا من خلاله لتعريف الهوى لغة وبيان أن الهوى مذموم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام السلف يمكن أن نختار تعريفا اصطلاحيا للهوى ألا وهو أنه :

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة برقم (٤٥٩٧) ، وأحمد في مسنده عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه برقم (١٦٣٢٩) .

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢٩٥/١) .

(٣) المصدر السابق (٣٠٤/١) .

(٤) الإبانة الكبرى (٣٥٥/١) تحقيق رضا نعسان .

(٥) الموافقات (٢٩١/٢) لمشهور سلمان .

(٦) الإبانة الكبرى (٤٦١/٢) تحقيق رضا نعسان .

(٧) مجموع الفتاوى (٢١٠/١١) .

"كل ماخالف الحق وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد"[١]

.

والهوى الذي هو بهذا المفهوم والاصطلاح هو الذي سنبين في هذا الفصل أثره في إيقاع الناس في البدعة والضلال وذلك من خلال بعض صور الهوى مع بيان الأمثلة الشاهدة على مصداقية تلك الصور التي أفردنا لكل منها مبحثا مستقلا يتناول بعض جوانب تلك الصور وكيف أنها كانت نتاجا وثمارا للهوى الذي أوقع من وقع في الابتداع والأحداث فإلى تلك المباحث والصور .

(١) انظر : الهوى وأثره في الخلاف لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الله الغنيمان (ص١٢) .

المبحث الأول
تبني المبتدعة لقواعد بدعية

تمهيد :

لقد وضع المبتدعة لأنفسهم قواعد بدعية استنبطوها من آرائهم وعقولهم ووضعوها حسب رغباتهم وأهوائهم ، ومن خلال هذه القواعد البدعية يستدلون على صحة مذاهبهم المنحرفة بل هي المقياس عندهم والميزان الذي يزنون به العقائد ومن خلالها يردون على خصومهم ويبينون خطأ من يخالفهم في زعمهم بل أنهم لم يحاكموا مذاهب الغير إلى تلك القواعد البدعية فحسب ، بل إنهم حاكموا إليها نصوص الكتاب والسنة فما وافق تلك البدعية والأهواء أخذوا به وماخالفها ردوه بأنواع شتى من الطعون والأكاذيب فهم جعلوا تلك القواعد البدعية هي الحاكمة على كل شئ وكل شئ يحتكم إليها فهو محكوم بحكم القواعد البدعية .

والواجب حقيقة هو أن يتحاكم إلى نصوص الكتاب والسنة فما وافق مراد الله ورسوله وشرعه فهو الحق وماخالف مراد الله ورسوله وشريعته فهو الباطل المردود خاصة في الأمور الاعتقادية .

ولاينظر إلى مايدعيه أهل الأهواء بأن مالديهم هو الحق والعلم بل هي في الحقيقة أسماء لا مسميات تحتها ولاحقيقة لها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ففي هذه الأمور العلمية الكلامية يحتاج المخبر بها أن يكون مايخبر به عن الله واليوم الآخر ، وماكان ومايكون حقا وصوابا ومايأمر به وماينهى عنه كما جاءت به الرسل عن الله فهذا هو الصواب الموافق للسنة والشريعة المتبع لكتاب الله وسنة رسوله ، كما أن العبادات التي يتعبد العباد بها إذا كانت مما شرعه الله وأمر الله به ورسوله كانت حقا صوابا موافقا لما بعث الله به رسله ومالم يكن كذلك من القسمين كان من الباطل والبدع المضلة والجهل وإن كان يسميه من يسميه علوما ومعقولات وعبادات وأذواق ومقامات"(١)

---

(١) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٩٩) .

أما القواعد البدعية التي يعتمد عليها المبتدعة فهي في الحقيقة كثيرة فكل أصحاب بدعة وفرقة يقعدون قواعد يسيرون عليها في مذهبهم واستقصاء هذه القواعد ومناقشتها هو شئ متعذر ، إضافة إلى أن هذا المبحث لايتسع لذلك ولكن سأذكر أهم القواعد البدعية لدى بعض الفرق البدعية مع مناقشة تلك القواعد وبيان بطلانها وضعفها مع التنبيه لآثار تبني تلك القواعد ، ومن القواعد البدعية مايلي :

القاعدة الأولى : تقديم العقل على النقل إذا تعارضا :

أولا : منزلة العقل في الإسلام :

لاشك أن للعقل أهمية عظمى ، وهذه الأهمية للعقل عرفها الإسلام فأنزل العقل أحسن المنازل وشرفه أحسن تشريف ، ومما يدل على منزلة العقل في الإسلام مايلي[1] :

١- أن الله سبحانه وتعالى خص أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة وحكم التشريع ، قال تعالى ـــ بعد ذكر جملة أحكام الحج ـــ : ﴿وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الأَلْبَابِ﴾[2] ، وقال تعالى عقب ذكر أحكام القصاص : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ﴾[3] .

٢- قصر سبحانه وتعالى الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول فقال تعالى : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[6] .

---

(١) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١/١٦٨-١٧١) ، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١/٢٧٢،٢٧٣) .
(٢) سورة البقرة : آية (١٩٧) .
(٣) سورة البقرة : آية (١٧٩) .
(٤) سورة البقرة : آية (٢٦٩) .
(٥) سورة يوسف : آية (١١١) .
(٦) سورة العنكبوت : آية (٣٥) .

٣- ذكر الله تعالى أصحاب العقول وجمع لهم النظر في ملكوته والتفكر في آلائه مع دوام ذكره ومراقبته وعبادته ، قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(١) .

٤- ذم الله تعالى المقلدين لآبائهم وذلك حين ألغوا عقولهم وتنكروا لأحكامها رضا بما كان يصنع الآباء والأجداد ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾(٢) .

٥- علق الإسلام التكليف بالعقل فمن فقد عقله لم يجر عليه الإسلام الأحكام الشرعية ، قال ﷺ : "رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الطفل حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يبرأ أو يعقل"(٣) .

٦- شدد الإسلام في النهي عن تعاطي ماتنكره العقول وتنفر منه كالتطير والتشاؤم بصفر ونحوه واعتقاد التأثير في العدوى والأنواء وغيرها .

٧- حرم الإسلام الاعتداء على العقل بحيث يعطله عن إدراك منافعه ، فمثلا حرم على المسلم شراب المسكر والمفتر وكل مايخامر العقل ويفسده ، قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : "نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر"(٥) .

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٩٠-١٩١) .

(٢) سورة البقرة : آية (١٧٠) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق في باب الطلاق ، في الإخلاص والكره والنسيان ، باب رقم (١١) .

(٤) سورة المائدة : آية (٩٠) .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة برقم (٣٦٨٦) ، وأحمد عن أم سلمة برقم (٢٥٤١٦) .

ومن شدة حفظ الإسلام للعقل ومنزلته عنده جعله من الضروريات الخمس التي جاء الدين بحفظها وهي : الدين ، النفس ، العقل ، النسل ، والمال .

بل جعل الإسلام الدية كاملة في الاعتداء على العقل وتضييع منفعته بضرب ونحوه ، قال عبد الله ابن الإمام أحمد : "سمعت أبي يقول : في العقل دية يعني إذا ضرب فذهب عقله"(١) .

قال ابن قدامة : "لانعلم في هذا خلافا"(٢) .

هذا هو تشريف الإسلام للعقل وبيان منزلته عنده ذلك التشريف وتلك المنزلة التي وضعت العقل في أعلى درجات الإنتاج المعرفي الذي يعود على الإنسان بالإيمان والهداية لا بالحيرة والاضطراب والشك .

أما أهل الابتداع فإنهم غالوا في تقديسهم للعقل ورفعه فوق منزلته ، فمن ذلك قول الجاحظ المعتزلي : "وماالحكم القاطع إلا للذهن وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل"(٣) .

بل إننا نلاحظ أن القاضي عبد الجبار المعتزلي ـــ مثلا ـــ يقدم دلالة العقل على دلالة الكتاب والسنة في كثير من المسائل العقدية المهمة ، فمن ذلك قوله عن صفة الاستواء : "إن الاستدلال بالسمع على هذه المسألة غير ممكن لأن صحة السمع موقوفة عليها"(٤) . فهو قدم دلالة العقل لديه التي تنفي إثبات صفة الاستواء لله سبحانه وتعالى على دلالة الكتاب والسنة المثبتة لصفة الاستواء بل وغيرها من أسماء الله وصفاته .

---

(١) مسائل الإمام أحمد ، رواية ابنه عبد الله (١٢٥١/٣) تحقيق سليمان المهنا .

(٢) المغني لابن قدامة (٤٦٥/٨) تحقيق طه الزيني .

(٣) رسالة التربيع والتدوير للجاحظ (ص٥٨) ، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٢٩٢/١) .

(٤) شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٦) ، وانظر أيضا (ص٢١٢،٢٣٣،٢٦٢) .

وصنيع القاضي عبد الجبار هنا مبني على تقديسه للعقل فهو يذكر أن أنواع الدلالات ويقدم عليها دلالة العقل فيقول : "اعلم أن الدلالات أربعة : حجية العقل والكتاب ، والسنة ، والإجماع ، ومعرفة الله لاتنال إلا بالعقل"(١) .

ولقد ذكر أبو الحسين البصري وهو إمام من أئمة المعتزلة إن معرفة التوحيد تكون بالعقل لا بالنقل فقال : "ومن رام أن يعرف التوحيد أمكنه ذلك بالاستدلال بأدلته العقلية وليس طريقه الأخبار"(٢) .

وعلى طريق المعتزلة سار سائر المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم في تقديسهم للعقل وتقديمه على النقل إذا تعارض العقل مع النقل(٣) .

ثانيا : مجالات العمل العقلي :

من خلال كلامنا السابق عن منزلة العقل لدى أهل الإسلام وخاصة أهل السنة والجماعة وعند المبتدعة يمكن أن نعرف مجالات العمل التي تصلح للعقل .

فأهل السنة مثلا ذكروا عند بيانهم لمنزلة العقل بأنه يمكن أن يعمل في مجال التفكر في خلق الله وصنعه ، وأيضا يمكن استخدام العقل في استنباط أحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية ، كما أن من مجالات العقل عندهم إدراك العقل أن هذا العالم المتقن الصنع لابد أن يكون له خالق موجود هو الله وكذلك إثبات العقل صفات الكمال المطلق لهذا الخالق العظيم وتنزيهه عن جميع النقائص .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "إن ثبوت الكمال له ونفي النقائص عنه مما يعلم بالعقل"(٤) .

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٥٤) .

(٢) المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري (٢/٦٠٠) .

(٣) انظر : أصول الدين لأبي منصور البغدادي (ص١٢) ، الإرشاد للجويني (ص٣٠١-٣٠٢) ، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص١٣٢-١٣٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (٦/٧٣) .

وقال ابن القيم رحمه الله : "إنه قد ثبت بالعقل الصريح والنقل الصحيح ثبوت صفات الكمال للرب سبحانه وأنه أحق بالكمال من كل ماسواه"[١] .

هذا شئ يسير مما يمكن للعقل أن يكون مجالا له لكي يعمل فيه وعموما فالعقيدة التي هي عقيدة السلف الصالح هي عقيدة ثابتة بالنقل ومصدقة من قبل العقل لايمكن للعقل الصريح أن يردها .

أما مالايمكن للعقل إدراكه عند أهل السنة والجماعة فمثاله البحث وراء كنه الذات الإلهية أو التكييف للصفات الإلهية أو محاولة العقل رسم صورة للمغيبات كالجنة والنار والقبر وعذابه ونعيمه والميزان الذي يوزن به أعمال العباد هذه وأمثالها لايمكن للعقل أن يعمل فيها بل أثبتت التجربة فشل العقول التي حاولت دخول هذه الدائرة من الغيبيات و لم ترجع إلا بالظنون والأوهام .

أما أهل الابتداع من المتكلمين ونحوهم فيمكن لنا أن نعرف المجال الذي منحوه للعقل كي يعمل فيه وذلك من خلال قول الجاحظ الذي مر معنا عند بياننا لمنزلة العقل لديهم ، يقول الجاحظ : "وماالحكم القاطع إلا للذهن وماالاستبانة إلا للعقل"[٢] .

فمن خلال هذا النص تشعر أن المتكلمين لم يحددوا مكانا معينا أو مجالا للعقل كي يعمل فيه ، بل إن المجالات والميادين كلها هي مجال يعمل العقل فيها والسبب في ذلك هو أن العقل لديهم هو الحاكم على كل شئ وماسواه محكوم عليه من قبل العقل ، فالطريق الوحيد الذي يمكن أن نعرف الحقيقة من خلاله هو الطريق العقلي ولانستطيع الحكم بصحة الأشياء إلا ماشهد العقل له بالصحة ، هذا هو مجال العقل لديهم ، ولذلك لانستغرب عندما يدفعون ويسقطون كل دليل يخالف العقل لديهم ولذلك وضعوا لهم قاعدة "إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل مطلقا" وأتوا بهذه القاعدة التي بنيت على الهوى والتشهي وردوا بها نصوص الكتاب

---

(١) الصواعق المرسلة (١٠٨٠/٣) .

(٢) رسالة التربيع والتدوير للجاحظ (ص٥٨) .

والسنة ، وهذه القاعدة هي المسماة لديهم بالقانون الكلي ، وممن أصل هذه القـــاعدة وجعلها محور مايقبل ومالايقبل من النصوص الرازي في كتابه أساس التقديـــس فهـــو يقول في الفصل الثاني والثلاثين الذي جعله بعنوان : في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها؟

فأجاب الرازي : "اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شئ ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لايخلو الحال من أحد أمور أربعة :

– إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال .

– وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال .

– وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل لأنـــه لايمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصـــانع وصفاته ، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على محمد ﷺ ، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهما غـــير مقبـــول القول . ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هـــذه الأصـــول ، وإذا لم نثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة فثبت أن القدح لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معا وأنه باطل .

– ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضـــى الدلائـــل العقليـــة القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة أو يقال إنها صحيحـــة إلا أن المراد منها غير ظواهرها ، ثم إن جوزنا التأويل واشتغلنا على ســـبيل التـــبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعـــالى فهذا هو : القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات وبالله التوفيق"[1] .

(١) أساس التقديس للرازي (ص١٢٥،١٢٦) .

الرد على الرازي في هذا القانون الكلي "القاعدة البدعية" :

قبل الخوض في تفاصيل الرد على الرازي لابد من التنبيه إلى مايلي[١] :

أولا : يجب على كل مسلم أن يثق ثقة مطلقة بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن فيهما الهدى والبيان الكامل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ففي الجملة : النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لايعارضها معقول قط ولايعارضها إلا مافيه اشتباه واضطراب وماعلم أنه حق لايعارضه مافيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق بل نقول قولا عاما كليا : إن النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول ، فضلا عن أن يكون مقدما عليها وإنما يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة"[٢] .

ثانيا : أن حقيقة الإيمان بالرسول ﷺ وتصديقه يقوم على التسليم المطلق له فيما أخبر به .

قال ابن تيمية رحمه الله : "إنه لايمكن أن يكون تصديق الرسول فيما أخبر به معلقا بشرط ولاموقوفا على انتفاء مانع ، بل لابد من تصديقه في كل ماأخبر به تصديقا جازما كما في أصل الإيمان به ... وحينئذ فلابد من الجزم بأنه يمتنع أن يعارض خبره دليل قطعي : لاسمعي ولاعقلي وأن مايظنه الناس مخالفا له إما أن يكون باطلا ، وإما أن لايكون مخالفا وإما تقدير قول مخالف لقوله وتقديمه عليه : فهذا فاسد في العقل كما هو كفر في الشرع ، ولهذا كان من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه يجب على الخلق الإيمان بالرسول إيمانا مطلقا جازما عاما بتصديقه في كل ماأخبر وطاعته في كل ماأوجب وأمر وإن كل ماعارض ذلك فهو باطل"[٣].

---

(١) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٨٢١/٢) .

(٢) الدرء (١٥٥/١-١٥٦) .

(٣) الدرء (١٨٨/١-١٨٩) .

ثالثا : إنه عندما يقوم أهل السنة والجماعة بمناقشة أصحاب هذا القانون الكلي البدعي إنما يفعلون ذلك بطريق التنزل لهم لأنهم يعلمون أن مالدى أهـــل الابتـــداع لايعدو فساد الأهواء والعقليات .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "إنا في هذا المقام نتكلم معهم بطريق التنزل إليهم كما نتنزل إلى اليهودي والنصراني في مناظرته ، وإن كنا عالمين ببطلان مايقوله اتباعا لقوله تعالى : ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْـــلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] ، وإلا فعلمنا ببطلان مايعارضون به القرآن والرسول ويصدون به أهل الإيمان عن سواء السبيل ـــ وإن جعلوه من المعقول بالبرهـــان ـــ أعظم من أن يبسط في هذا المكان"[3] .

الرد التفصيلي على قانون الرازي :

إن من أبرز من كشف وفضح تهافت وسقوط هذا القانون الكلي البدعي هـــو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، بل أفرد كتابا مستقلا لمناقشة هذا القانون البدعي ألا وهو كتاب درء تعارض العقل والنقل وذلك من خلال رده بأربعة وأربعين وجها رئيسيا ـــ على هذا القانون ـــ وتخلل أكثر هذه الأوجه أوجه فرعيـــة ومناقشـــات تفصيلية تبلغ أحيانا أكثر من مجلد .

ويمكن عرض رد شيخ الإسلام عليهم في الأوجه الآتية[4] :

الوجه الأول : في بيان ضعف صياغة القانون الكلي البدعي .

(١) أن قوله : "إذا تعارض النقل والعقل" :

إما أن يريد به القطعيين فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ .

وإما أن يريد به الظنين فالمقدم هو الراجح مطلقا .

---

(١) سورة النحل : آية (١٢٥) .

(٢) سورة العنكبوت : آية (٤٦) .

(٣) الدرء (١٨٨/١) .

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٨٢٦/٢) ومنه استفدت الأوجه والتقسيمات .

وإما أن يريد به ماأحدهما قطعي فالقطعي هو المقدم مطلقـــا ، وإذا قـــدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه قطعيا لا لكونه عقليا .

فعلم أن تقديم العقلي مطلقا خطأ كما أن جعل جهة الترجيح كونـــه عقليـــا خطأ[١] .

(٢) أن يقال لانسلم انحصار القسمة فيما ذكرته من الأقسام الأربعة :

إذ من الممكن أن يقال : يقدم العقلي تارة والسمعي أخرى فأيهما كان قطعيا قدم وإن كانا جميعا قطعيين فيمتنع التعارض وإن كانا ظنيين فالراجح هو المقدم .

فدعوى المدعي : أنه لابد من تقديم العقلي مطلقا أو السمعي مطلقا أو الجمع بين النقيضين[٢] أو رفع النقيضين دعوى باطلة بل هنا قسم ليس من هذه الأقسام كما ذكرناه بل هو الحق الذي لاريب فيه[٣] .

(٣) قوله : "إن قدمنا النقل كان ذلك طعنا في أصله الذي هو العقل فيكون طعنـــا فيه" غير مسلم .

وذلك لأن قوله : "إن العقل أصل للنقل" إما أن يريد به :

- أنه أصل في ثبوته في نفس الأمر .
- أو أصل في علمنا بصحته .

والأول لايقوله عاقل فإن ماهو ثابت في نفس الأمر بالسمع أو بغيره هو ثابت سواء علمنا بالعقل أو بغير العقل ثبوته ، أو لم نعلـــم ثبوتـــه لا بعقـــل ولابغـــيره إذ

---

(١) الدرء (٨٦/١،٨٧) .

(٢) النقيضان : هما اللذان لايجتمعان ولايرتفعان في آن واحد بل يلزم من ثبوت أحدهما عدم الآخـــر ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر وذلك مثل الوجود والعدم والحياة والموت والعلم والجهل .
انظر : التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية (ص٤٨) .

(٣) الدرء (٨٧/١) .

عدم العلم ليس علما بالعدم وعدم علمنا بالحقائق لاينفي ثبوتها في أنفسها فما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ هو ثابت في نفس الأمر سواء علمنا صدقه أو لم نعلمه . ومن أرسله الله تعالى إلى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول أو لم يعلموا وماأخبر به فهو حق وإن لم يصدقه الناس ومأمر به عن الله فالله أمر به وإن لم يطعه الناس فثبوت الرسالة في نفسها وثبوت صدق الرسول ، وثبوت ماأخبر به في نفس الأمر ليس موقوفا على وجودنا فضلا عن أن يكون موقوفا على عقولنا أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا .

وأما إن أراد أن العقل أصل في معرفتنا بالسمع ودليل لنا على صحته ـ وهذا هو الذي أراده ـ فيقال له : أتعني بالعقل هنا الغريزة التي فينا ، أم العلوم التي استفدناها بتلك الغريزة؟

أما الأول : فلم ترده ويمنع أن تريده لأن تلك الغريزة ليست علما يتصور أن يعارض النقل وهي شرط في كل علم عقلي أو سمعي كالحياة وماكان شرطا في الشئ امتنع أن يكون منافيا له .

وإن أردت بالعقل الذي هو دليل السمع وأصله المعرفة الحاصلة بالعقل .

فيقال لك : من المعلوم أنه ليس كل مايعرف بالعقل يكون أصلا للسمع ودليلا على صحته فإن المعارف العقلية أكثر من أن تحصر ، والعلم بصحة السمع غايته أن يتوقف على مابه صدق الرسول ﷺ وإذا كان كذلك لم تكن جميع المعقولات أصلا للنقل لابمعى توقف العلم بالسمع عليها ولابمعنى الدلالة على صحته ولابغير ذلك"[١]

الوجه الثاني في بيان اضطراب وتناقض هذا القانون البدعي :

وهذا تابع للوجه السابق ومكمل له إلا أنه لما لم يتعلق بنفس صياغة القانون وترتيب قضاياه بعضها على بعض كما هو واضح في الوجه السابق أفرد هنا لأنه يناقش دلالات هذا القانون ويبين مافيه من خطأ وتناقض[٢] .

---

(١) الدرء (١/٨٧-٨٨-٨٩-٩٠) .

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٨٣٠) .

وقد فصل شيخ الإسلام ذلك من خلال مايلي :

١- يقال لهم : "العقل إما أن يكون عالما بصدق الرسول وثبوت ماأخبر به في نفس الأمر وإما أن لايكون عالما بذلك .

فإن لم يكن عالما امتنع التعارض عنده إذا كان المعقول معلوما له لأن المعلوم لايعارضه المجهول ، وإن لم يكن المعقول معلوما له لم يتعارض مجهولان .

وإن كان عالما بصدق الرسول امتنع — مع هذا — أن لايعلم ثبوت ماأخبر به في نفس الأمر . غايته أن يقول : هذا لم يخبر به والكلام ليس هو فيما لم يخبر به ، بل إذا علم أن الرسول أخبر بكذا ، فهل يمكنه — مع علمه بصدقه فيما أخبر به وعلمه أنه أخبر بكذا — أن يدفع عن نفسه علمه بثبوت المخبر ، أم يكون علمه بثبوت مخبره لازما له لزوما ضروريا كما تلزم سائر العلوم لزوما ضروريا لمقدماتها"(١) .

- وهذا القانون يؤدي إلى التناقض لأنه يقول : لاتعتقد بثبوت ماعلمت أنه أخبر به لأن هذا الاعتقاد ينافي ماعلمت به أنه صادق فكأنه يقول له : لاتصدقه في هذا الخبر لأن تصديقه يستلزم عدم تصديقه(٢) .

ثم قال ابن تيمية رحمه الله : "فهكذا حال من أمر الناس أن لايصدقوا الرسول فيما علموا أنه أخبر به بعد علمهم أنه رسول الله لئلا يفضي تصديقهم له إلى عدم تصديقهم له ، بل إذا قيل له : لاتصدقه في هذا كان هذا أمرا له بما يناقض ماعلم به صدقه فكان أمرا له بما يوجب أن لايثق بشئ من خبره فإنه متى جوز كذبه أو غلطه في خبر جوز ذلك في غيره"(٣) .

ومعلوم أن صدق الرسول لديهم مبني على العقل فإذا أمر الناس بعدم تصديق خبره كان هذا طعنا في العقل الذي أثبت أول الأمر صدق الرسول وهذا من التناقض الواضح .

---

(١) الدرء (١/١٣٤) .

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٨٣٠) .

(٣) الدرء (١/١٣٥) .

٢- أن يقال لمن زعم أن "العقل أصل الشرع به علمت صحته فلو قدمنا عليه الشرع للزم القدح في أصل الشرع.

يقال له : ليس المراد بكونه أصلا له : إنه أصل في ثبوته في نفس الأمر ، بل هو أصل في علمنا به لكونه دليلا لنا على صحة الشرع .

ومعلوم أن الدليل مستلزم لصحة المدلول عليه فإذا قدر بطلان المدلول عليه لزم بطلان الدليل فإذا قدر عند التعارض أن يكون العقل راجحا والشرع مرجوحا بحيث لايكون خبره مطابقا لمخبره لزم أن يكون الشرع باطلا فيكون العقل الذي دل عليه باطلا لأ، الدليل مستلزم للمدلول عليه ، فإذا انتفى المدلول اللازم وجب انتفاء الدليل الملزوم قطعا .

ولهذا يمتنع أن يقوم دليل صحيح على باطل ، بل حيث كان المدلول باطلا لم يكن الدليل عليه إلا باطلا .

أما إذا قدم الشرع كان المقدم له قد ظفر بالشرع ولو قدر مع ذلك بطلان الدليل العقلي لكان غايته أن يكون الإنسان قد صدق بالشرع بلا دليل عقلي ، وهذا مما ينتفع به الإنسان بخلاف من لم يبق عنده لاعقل ولاشرع فإن هذا قد خسر الدنيا والآخرة فكيف والشرع يمتنع أن يناقض العقل المستلزم لصحته؟ وإنما يناقض شيئا آخر ليس هو دليل صحته بل ولايكون صحيحا في نفس الأمر"[١] .

الوجه الثالث : في بيان النتائج الفاسدة التي تنتج عن هذا القانون البدعي

بين شيخ الإسلام رحمه الله أن هذا القانون فتح أبوابا عديدة من الشر وكانت له آثاره السيئة في الأمة الإسلامية[٢] فمن هذه النتائج مايلي :

١- ضعف ثقة المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ حيث أصبحت عند كثير من أتباع هؤلاء لايستفاد منها علم يقيني[٣] . فتركوا الاستدلال بها .

قال ابن تيمية رحمه الله : "حقيقة قول هؤلاء الذين يجوزون أن تعارض النصوص الإلهية النبوية بما يناقضها من آراء الرجال ، أن لايحتج بالقرآن والحديث

---

(١) الدرء (٥/٢٧٧) .

(٢)،(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٨٤٠) .

على شئ من المسائل العلمية بل ولايستفاد التصديق بشئ من أخبار الله ورسوله فإنه إذا جاز أن يكون فيما أخبر الله بهّ ورسوله في الكتاب والسنة أخبار يعارضها صريح العقل ويجب تقديمه عليها من غير بيان من الله ورسوله للحق الذي يطـــابق مدلـــول العقل ولا لمعاني تلك الأخبار المناقضة لصريح العقل فالإنسان لايخلو من حالين وذلك لأن الإنسان إذا سمع خطاب الله ورسوله الذي يخبر فيه عن الغيب :

فإما أن يقدر أن له رأيا مخالفا للنص أو ليس له رأي يخالفه فإن كان عنده ممـــا يسميه معقولا مايناقض خبر الله ورسوله وكان معقوله هو المقدم قدم معقوله وألغـــى خبر الله ورسوله وكان حينئذ كل من اقتضى عقله مناقضة خبر من أخبار الله ورسوله قدم عقله على خبر الله ورسوله ولم يكن مستدلا بما أخبر الله به ورسوله على ثبـــوت خبره بل ولم يستفد من خبر الله ورسوله فائدة علمية بل غايته أن يستفيد إتعاب قلبه فيما يتحمله ذلك اللفظ من المعاني التي لايدل عليها الخطاب إلا دلالة بعيدة ليصرف إليها اللفظ . ومعلوم أن المقصود بالخطاب الإفهام وهذا لم يستفد من الخطاب الإفهام ، إن الحق لم يستفده من الخطاب بل من عقله والمعنى الذي دل عليه الخطاب الدلالة المعروفة لم يكن المقصود بالخطاب إفهامه وذلك المعنى البعيد الذي صرف الخطاب إليه قد كان عالما بثبوته بدون الخطاب ولم يدله عليه الخطاب الدلالة المعروفة بل تعب تعبا عظيما حتى أمكنه احتمال الخطاب له مع أنه لايعلم أن المخاطب أفاده بالخطاب"(١)

٢- "أن يقال هم إذا أعرضوا عن الأدلة الشرعية لم يبق معهم إلا طريقان :

إما طريق النظار : وهي الأدلة القياسية العقلية .

وإما طريق الصوفية : وهي الطريقة العبادية الكشفية .

وكل من جرب هاتين الطريقين علم أن مالايوافق الكتاب والسنة منهما فيه من التناقض والفساد مالايحصيه إلا رب العباد ولهذا كان من سلك أحدهما إنما يؤول به الأمر إلى الحيرة والشك إن كان له نوع عقل أو تمييز ، وإن كان جـــاهلا دخـــل في الشطح والطامات التي لايصدق بها إلا أجهل الخلق .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٤٢-٢٤٣) .

فغاية هؤلاء الشك وهو عدم التصديق بالحق .
وغاية هؤلاء الشطح وهو التصديق بالباطل .
والأول يشبه حال اليهود والثاني يشبه حال النصارى"[١] .

٣- أنه عندما اختار هؤلاء طريق الأدلة العقلية وتقديمها على الأدلة النقلية في زعمهم عند تعارضها آل بهم الأمر إلى التأويل أو التفويض لنصوص الصفات والمعاد وغيرها من مسائل الاعتقاد التي هي أصول الدين فبذهابها عن طريق التأويل والتفويض تندرس أصول الملة والدين "غاية ماينتهي إليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بآرائهم من المشهورين بالإسلام هو التأويل أو التفويض ؛ أما الذين ينتهون إلى أن يقول الأنبياء أوهموا وخيلوا مالاحقيقة له في نفس الأمر فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالإلحاد والزندقة"[٢] .

وهؤلاء الملاحدة الذين قصدهم شيخ الإسلام بكلامه السابق هم الفلاسفة ومن سار بسيرهم تسلطوا على المتكلمين الآخذين بالقانون الكلي البدعي الذي هو تقديم العقل على النقل عند تعارضها كما زعموا ، فإن الفلاسفة احتجوا على المتكلمين بجواز تأويل نصوص المعاد كما أول المتكلمون نصوص الصفات ، فإن اعترض المتكلمون على تأويل الفلاسفة نصوص المعاد طالبهم الفلاسفة بالفرق بين جواز تأويل نصوص الصفات عند المتكلمين ومنعهم لتأويل نصوص المعاد ، بمثل هذا التسلط الفلسفي على المتكلمين وعدم قدرتهم على الرد على الفلاسفة بطلت أصول الإسلام بالكلية لضعف رد المتكلمين على الفلاسفة وهذا كله بسبب تبنيهم للقانون الكلي البدعي الذي جعل كل ملحد وزنديق يتسلط على عقائد الإسلام ويطعن فيه كيفما شاء .

قال شيخ الإسلام مبينا تسلط الفلاسفة على المتكلمين وحجم ذلك التسلط "وبهذا احتج الملاحدة كابن سينا وغيره على مثبتي المعاد وقالوا : القول في نصوص المعاد كالقول في نصوص التشبيه والتجسيم وزعموا أن الرسول ﷺ لم يبين ماالأمر عليه في نفسه ، لافي العلم بالله تعالى ولاباليوم الآخر ، فكان الذي استطالوا به على

---

(١) الدرء (٣٤٥/٥-٣٤٦) .
(٢) الدرء (٢٠١/١) .

هؤلاء هو موافقتهم لهم على نفي الصفات وإلا فلو آمنوا بالكتاب كله حق الإيمان لبطلت معارضتهم ودحضت حجتهم ولهذا كان ابن النفيس المتطبب الفاضل يقول "ليس إلا مذهبان : مذهب أهل الحديث أو مذهب الفلاسفة ، فأما هؤلاء المتكلمون فقولهم ظاهر التناقض والاختلاف" يعني أن أهل الحديث أثبتوا كل ماجاء به الرسول وأولئك جعلوا الجميع تخيلا وتوهيما ومعلوم بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء الملاحدة وتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة"(١) .

الوجه الرابع في بيان بعض اللوازم الفاسدة التي تلزم من أخذ بهذا القانون

١- يلزم من أخذ بهذا القانون أن رسول الله ﷺ لم يبين للناس طريق الهدى و لم يعرفهم الحق في أهم مهمات الدين وهي مسائل العقيدة التي هي أشرف ماأتى به ﷺ وأن يكون أئمتهم من كبار ضلال المبتدعة أعلم من الرسول ﷺ حيث أنهم بينوا هذه المسائل العقدية أكثر من بيان الرسول ﷺ .

قال ابن تيمية رحمه الله : "أن يقال إذا كان الرسول ﷺ مابين للناس أصول إيمانهم ولاعرفهم علما يهتدون به في أعظم أمور الدين وأجل مقاصد الدعوة النبوية وأجل ماخلق الخلق له وأفضل ماأدركه الخلق وحصلوه وانتهوا إليه ، بل إنما بين لهم الأمور العملية فإذا كان كذلك فمن المعلوم أن من علمهم وبين لهم أشرف القسمين وأعظم النوعين كان ماأتاهم به أ فضل مما أتاهم به من لم يبين إلا القسم المفضول والنوع المرجوح وحينئذ فمذهب النفاة للصفات ليس من أئمته أحد من خيار هذه الأمة وسابقيها وإنما أئمتهم الكبار : القرامطة الباطنية من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم ، ومن يوافق هؤلاء من ملاحدة الفلاسفة وملاحدة المتصوفة القائلين بالوحدة والحلول والاتحاد كابن سينا والفارابي وابن عربي وابن سبعين وأمثال هؤلاء ثم من هو أمثل هؤلاء كأئمة الجهمية : مثل الجهم بن صفوان والجعد بن درهم وأبي الهذيل العلاف وأبي إسحاق النظام وبشر المريسي وثمامة بن أشرس

---

(١) الدرء (١/٢٠٢-٢٠٣) .

وأمثال هؤلاء فيكون ماأتى به هؤلاء من العلم والهدي والمعرفة أفضل وأشرف مما أتى به موسى بن عمران ومحمد بن عبد الله سيد ولد آدم وأمثالهما من الرسل صلوات الله عليهم وسلامه لأن هؤلاء عند النفاة الجهمية لم يثوا أفضل العلم وأشرف المعرفة وإنما بينها أولئك على قول النفاة ... ومن لم يصل إلى هذا الحد من ملاحدة المتكلمين والمتعبدين ونحوهم فقد شاركهم في الأصل وهو تفضيل أئمته وشيوخه على الأنبياء ومن لم يقر منهم بتفضيل أئمته وشيوخه على الأنبياء لزمه ذلك لزوما لامحيد عنه"[(١)] .

٢- أنه يلزم إذا كانوا يعتقدون أنه لايستفاد من كلام الله ورسوله شئ في بيان أصول الدين ، يلزم من هذا أن الأنبياء قد لبسوا على الناس ودلسوا بل أضلوهم وجهلوهم أو حيروهم وشككوهم وجعلوهم مذبذبين لايعرفون الحق من الباطل .

قال ابن تيمية رحمه الله : "أن يقال : أن الرسل لم يسكتوا عن الكلام في هذا الباب ولو سكتوا عنه للزم تفضيل شيوخ النفاة وأئمتهم على الأنبياء كما تقدم فكيف إذا تكلموا فيه بما يفهم منه الخلق نقيض الحق على قول النفاة؟ فإذا كان الحق هو قول النفاة و لم يتكلموا إلا بما يدل على نقيضه كانوا ــ مع أنهم لم يهدوا الخلق ويعلموهم الحق عند النفاة ــ قد لبسوا عليهم ودلسوا بل أضلوهم وجهلوهم وأخرجوهم إلى الجهل المركب وظلمات بعضها فوق بعض : إما من علم كانوا عليه ، وإما من جهل بسيط أو حيروهم وشككوهم وجعلوهم مذبذبين لايعرفون الحق من الباطل ولاالهدى من الضلال إذ كان ماتكلموا به عارضوا به طرق العلم العقلية والكشفية . فعند هؤلاء كلام الأنبياء وخطابهم في أشرف المعارف وأعظم العلوم يمرض ولايشفي ويضل ولايهدي ويضر ولاينفع ويفسد ولايصلح ولايزكي النفوس ويعلمها الكتاب والحكمة بل يدنس النفوس ويوقعها في الضلال والشبهة ، بل يكون كلام من يسفسط تارة ويبين أخرى كما يوجد في كلام كثير من أهل

---

(١) الدرء (٥/٥٩-٣٦٠-٣٦٣) .

الكلام والفلسفة كابن الخطيب وابن سينا وابن عربي وأمثالهم خيرا من كلام الله وكلام رسله فلا يكون خير الكلام كلام الله ولاأصدق الحديث حديثه ... وإنما ذكرنا هذا لأن كثيرا من الجهمية النفاة يقولون : فائدة إنزال هذه النصوص المثبتة للصفات وأمثالها من الأمور الخبرية التي يسمونها هم المشكل والمتشابه ، فائدتها عندهم اجتهاد أهل العلم في صرفها عن مقتضاها بالأدلة المعارضة لها حتى تنال النفوس والاجتهاد وحتى تنهض إلى التفكر والاستدلال بالأدلة العقلية المعارضة الموصلة إلى الحق فحقيقة الأمر عندهم أن الرسل خاطبوا الخلق بما لايبين الحق ولايدل على العلم ولايفهم منه الهدى بل يدل على الباطل ويفهم منه الضلال"[1] .

الوجه الخامس : في بيان مايحدثه هذا القانون من الخلاف والحيرة والشك:

١- مايحدثه القانون من الخلاف بدل الألفة والائتلاف والاتفاق :

وهذا سببه أصلا أن القول بتقديم العقل هو قول لاينضبط فالعقول متنوعة ومع تنوعها فهي بينها من الاختلاف ماالله به عليم .

قال ابن تيمية رحمه الله : "القول بتقديم الإنسان لمعقوله على النصوص النبوية قول لاينضبط وذلك لأن أهل الكلام والفلسفة الخائضين المتنازعين فيما يسمونه عقليات كل منهم يقول : إنه يعلم بضرورة العقل أو بنظره مايدعي الآخران المعلوم بضرورة العقل أو بنظره نقيضه ... وكل من طائفتي النفي والإثبات فيهم من الذكاء والعقل والمعرفة ماهم متميزون به على كثير من الناس ، وهذا يقول : إن العقل الصريح دل على النفي والآخر يقول : العقل الصريح دل على الإثبات[2] وهم متنازعون في المسائل التي دلت عليها النصوص كمسائل الصفات والقدر ، وأما المسائل المولدة كمسألة الجوهر الفرد[3] ، وتماثل الأجسام ، وبقاء

---

(١) الدرء (٥/٣٦٣-٣٦٤-٣٦٥) .

(٢) انظر لبعض هذه الأمثلة : الدرء (١/١٤٤-١٤٥) .

(٣) الجوهر الفرد : هو الذي يسميه المتكلمون الجزء الذي لايتجزأ وهو جوهر ذو وضع لايقبل الانقسام أصلا لابحسب الخارج ، ولابحسب الوهم أو الغرض العقلي ، تتألف الأجسام من أفراده بانضمام بعضها إلى بعض .
انظر : التعريفات للجرجاني (ص٧٥) .

الأعراض[١] وغير ذلك ففيها من النزاع بينهم مايطول استقصاؤه وكل منهم يدعي فيها القطع العقلي ثم كل من كان عن السنة أبعد كان التنازع والاختلاف بينهم في معقولاتهم أعظم ، فالمعتزلة أكثر اختلاف من متكلمة أهل الإثبات وبين البصريين والبغداديين منهم من النزاع مايطول ذكره ... وأما الشيعة فأعظم تفرقا واختلافا من المعتزلة لكونهم أبعد عن السنة منهم حتى قيل : إنهم يبلغون اثنتين وسبعين فرقة وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع بل هم أعظم اختلافا من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى"[٢] .

فانظر رحمك الله كيف جعل شيخ الإسلام ابن تيمية الضابط في بعد الناس عن الحق أو قربهم منه أوقلة اختلافهم أو كثرته تبعا لمن كان أقرب إلى السنة فمن كان لها أقرب قلة اختلافه وبعده عن الحق فهذا دليل على أن في اتباع الكتاب والسنة الاجتماع وفي اتباع غيرهما الفرقة والخلاف بل وماهو أعظم من ذلك ألا وهو تكفير المبتدعة لبعضهم البعض ولعن بعضهم البعض وهذا مشهور عنهم ومعروف .

قال الإمام الأصبهاني[٣] قوام السنة رحمه الله : "وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعا وأحزابا لاتكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد يبدع بعضهم بعضا بل يرتقون إلى التكفير يكفر الابن أباه والرجل أخاه والجار جاره ، تراهم أبدا في تنازع وتباغض واختلاف تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[٤] .

---

(١) الأعراض : جمع عرض ، والعرض هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم هو به والأعراض على نوعين :
قار الذات وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد .
وغير قار الذات وهو الذي لايجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون .
انظر : التعريفات للجرجاني (ص١٤٨) .

(٢) الدرء (١/١٥٦-١٥٧) .

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٥-٢٢٦) .

(٤) سورة الحشر : آية (١٤) .

أوماسمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريون والبصريون منهم البغداديون ، ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي ابنه أبا هاشم وأصحاب أبي هاشم يكفرون أباه أبا علي ، وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم .

إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين يكفر بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم وسائر المبتدعة بمثابتهم وهل على الباطل دليل أظهر من هذا ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا[1] دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾[2] .

٢- الشك والحيرة :

قال الإمام الغزالي رحمه الله مبينا مايؤديه تحكيم العقل وتقديمه على النقل من الشك والحيرة الذي قد يستمر بصاحبه حتى الموت : "أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام"[3] .

وقال ابن تيمية رحمه الله مبينا مايؤول به حال من أخذ بهذا القانون البدعي من الشك والحيرة وعدم اليقين : "وهكذا كل من أمعن في معرفة هذه الكلاميات والفلسفيات التي تعارض بها النصوص من غير معرفة تامة بالنصوص ولوازمها وكمال المعرفة بما فيها وبالأقوال التي تنافيها فإنه لايصل إلى يقين يطمئن إليه وإنما تفيده الشك والحيرة ، بل هؤلاء الفضلاء الحذاق الذين يدعون أن النصوص عارضها من معقولاتهم مايجب تقديمه حيارى في أصول مسائل الإلهيات حتى مسألة وجود الرب تعالى وحقيقته حاروا فيها حيرة أوجبت أن يتناقض هذا كتناقض الرازي وأن يتوقف هذا كتوقف الآمدي ويذكرون عدة أقوال يزعمون أن الحق ينحصر فيها وهي كلها باطلة"[4] .

---

(١) هذه قراءة الكسائي والباقون "فرقوا" ومعنى القراءتين عند التحقيق واحد لأن الذي فرق دينه بمعنى أنه أقر ببعض وأنكر بعضا فقد فارقه في الحقيقة . انظر : تفسير الرازي (٩/١٤) .
وكلام محقق الكتاب : الحجة في بيان المحجة ، حاشية رقم (٤) (٢٢٦/١) .

(٢) سورة الأنعام : آية (١٥٩) .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/٤) .

(٤) الدرء (١٦٤/١) .

ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شيئا من أقوال بعض هؤلاء المتكلمين الحيارى تثبت ماهم عليه من الحيرة والشك فقال رحمه الله : "وأكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة بل وبالتصوف الذين لم يحققوا ماجاء به الرسول تجدهم فيه حيارى كما أنشد الشهرستاني في أول كتابه[1] لما قال : "قد أشار إلي من إشارته غنم وطاعته حتم أن أجمع له من مشكلات الأصول ماأشكل على ذوي العقول ولعله استسمن ذا ورم ونفح في غير ضرم لعمري :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وأنشد أبو عبد الله الرازي في غير موضع من كتبه مثل كتاب "أقسام اللذات" :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولاتروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2] ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[3] ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[5] ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[6] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

---

(١) نهاية الإقدام (ص٣) تصحيح الفرد جيوم .
(٢) سورة طه : آية (٥) .
(٣) سورة فاطر : آية (١٠) .
(٤) سورة الشورى : آية (١١) .
(٥) سورة طه : آية (١١٠) .
(٦) سورة مريم : آية (٦٥) .

وكان ابن أبي الحديد البغدادي من فضلاء الشيعة المعتزلة المتفلسفة وله إشعار في هذا الباب كقوله :

فيك ياأغلوطة الفكر حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الأولى زعموا أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا خارج عن قوة البشر

وابن رشد الحفيد يقول في كتابه الذي صنفه ردا على أبي حامد في كتابه المسمى "تهافت الفلاسفة" فسماه "تهافت التهافت" : "ومن الذي قال في الإلهيات مايعتد به" .

وأبو الحسن الآمدي في عامة كتبه هو واقف في المسائل الكبار يزيف حجج الطوائف ويبقى حائرا واقفا .

والخونجي المصنف في أسرار المنطق الذي سمى كتابه "كشف الأسرار" يقول لما حضره الموت :"أموت و لم أعرف شيئا إلا أن الممكن يفتقر إلى الممتنع ثم قال : الافتقار وصف سلبي أموت و لم أعرف شيئا حكاه عنه التلمساني وذكر أنه سمعه منه وقت الموت"[(١)] .

وقال رحمه الله في موضع آخر : "وقد حكى لي أن بعض الأذكياء وكان قد قرأ على شخص هو إمام بلده ومن أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة وهو ابن واصل الحموي أنه قال : "اضطجع على فراشي واضع الملحفة على وجهي وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر و لم يترجح عندي شئ "ولهذا انتهى أمره إلى كثرة النظر في الهيئة لكونه تبين له فيه من العلم مالم يتبين له في العلوم الإلهية"[(٢)] .

---

(١) الدرء (١/١٥٩-١٦٠،١٦١-١٦٢) .
(٢) الدرء (١/١٦٥) .

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية[١] قال شمس الدين الخسروشاهي وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوما فقال : ماتعتقده؟ قال : مايعتقده المسلمون . فقال : وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ أو كما قال فقال : نعم فقال : اشكر الله على هذه النعمة لكني والله ماأدري ماأعتقد ، والله ماأدري ماأعتقد ، والله ماأدري ماأعتقد وبكى حتى أخضل لحيته" .

هذا هو جزاء من ترك الكتاب والسنة وظن أنه بعقله يستطيع أن يصل إلى الحقائق بغير الكتاب والسنة ، هذا هو حالهم وهذا هو العذاب النفسي والحيرة والشك الذي أوصلهم إليه تقديم العقول الضعيفة على كلام الله ورسوله ولكن كثيرا ممن ذكرنا خالهم تاب إلى الله ورجع عن طريق الغواية إلى طريق الهداية وذلك كالرازي والشهرستاني وكذلك ابن الجويني وغيرهم كثير ولكن بعض من أصيب بداء الحيرة والشك لم يزل على تلك الحال ورفض الاعتراف بالحق وهو أن شرع الله وكتابه وسنة رسوله هما الحاكمان على الناس وعلى عقولهم فمازال في غواية اتباع عقله ولكن يحاول أن يسلي تلك النفس المملوءة بالحيرة والشك والعذاب والآلام بالانغماس في لذائذ الدنيا وشهواتها كالخمر والنساء والمال والجاه .

قال ابن تيمية رحمه الله : "ولهذا تجد كثيرا من هؤلاء لما لم يتبين له الهدى في طريقه نكص على عقبيه فاشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه وفرجه أو رياسته وماله ونحو ذلك لعدم العلم واليقين الذي يطمئن إليه قلبه وينشرح له صدره وفي الحديث المأثور عن النبي ﷺ "إ أخوف ماأخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن"[٢] .

وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية السلفية يجتمع فيهم هذا وهذا : اتباع شهوات الغي ، ومضلات الفتن ، فيكون فيهم من الضلال والغي بقدر ماخرجوا عن الطريق الذي بعث الله به رسوله ... ولو جمعت مابلغني في هذا الباب عن أعيان

---

(١) (ص٢٠٩) تحقيق الألباني .

(٢) أخرجه أحمد عن أبي برزة الأسلمي برقم (١٨٩٣٦) .

هؤلاء كفلان وفلان لكان شيئا كثيرا وما لم يبلغني من حيرتهم وشكهم أكثر وأكثر"[١] .

الوجه السادس : مقابلة هذا القانون الفاسد بقانون شرعي مستقيم :

من منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل الابتداع أنهم إذا أبطلوا تلك البدع المحدثة يدلون الناس على ماهو خير منها يدلونهم إلى الحق والهداية وماكان عليه النبي ﷺ أي أنهم يظهرون البديل الشرعي الذي هو أولى بالاتباع من المحدثات والبدع ومن ذلك أنهم عندما ردوا على القانون الكلي الفاسد أوجدوا بدله القانون الشرعي المستقيم .

ولقد بين ابن تيمية رحمه الله هذا القانون بقوله : "أن يقال : إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع ، لأن العقل مصدق للشرع في كل ماأخبر به ، والشرع لم يصدق العقل في كل ماأخبر به ، ولاالعلم يصدقه موقوف على كل مايخبر به العقل ، ومعلوم أن هذا إذا قيل أوجه من قولهم ، كما قال بعضهم : يكفيك من العقل أن يعلمك صدق الرسول ومعاني كلامه . وقال بعضهم : العقل متول ، ولى الرسول ثم عزل نفسه ، لأن العقل دل على أن الرسول ﷺ يجب تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر .

والعقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة . وهذا كما أن العامي إذا علم عين المفتي ودل غيره عليه وبين له أنه عالم مفت ، ثم اختلف العامي الدال والمفتي وجب على المستفتي أن يقدم قول المفتي ، فإذا قال له العامي : أنا الأصل مني علمك بأنه مفت ، فإذا قدمت قوله على قولي عند التعارض قدحت في الأصل الذي به علمت أنه مفت ، قال له المستفتي : أنت لما شهدت بأنه مفت ، ودللت على ذلك ، شهدت بوجوب تقليده دون تقليدك ، كما شهد به دليلك وموافقتي لك في هذا العلم المعين لايستلزم أني أوافقك في العلم بأعيان المسائل وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك لايستلزم خطأك في علمك بأنه مفت ،

---

(١) الدرء (ص١٦٥-١٦٦) .

وأنت إذا علمت أنه مفت باجتهاد واستدلال ، ثم خالفته باجتهاد واستدلال كنت مخطئا في الاجتهاد والاستدلال الذي خالفت به من يجب عليك تقليده واتباع قوله ، وإن لم تكن مخطئا في الاجتهاد والاستدلال الذي به علمت أنه عالم مفت يجب عليك تقليده . هذا مع علمه بأن المفتي يجوز عليه الخطأ والعقل يعلم أن الرسول ﷺ معصوم في خبره عن الله تعالى لايجوز عليه الخطأ ، فتقديمه قول المعصوم على مايخالفه من استدلاله العقلي أولى من تقديم العامي قول المفتي على قوله الذي يخالفه وكذلك أيضا إذا علم الناس وشهدوا أن فلانا خبير بالطب أو بالقيافة أو الخرص أو تقويم السلع ونحو ذلك ، وثبت عند الحاكم أنه عالم بذلك دونهم أو أنه أعلم منهم بذلك ، ثم نازع الشهود الشاهدون لأهل العلم بالطب والقيافة والخرص والتقويم على قول الشهود الذين يشهدوا لهم وإن قالوا نحن زكينا هؤلاء وبأقوالنا أثبتنا أهليتهم فالرجوع في محل النزاع إليهم دوننا يقدح في الأصل الذي ثبت به قولهم . كما قال بعض الناس : أن العقل مزكى الشرع ومعدله ، فإذا قدم الشرع عليه كان قدحا فيمن زكاه وعدله فيكون قدحا فيه"(١) .

ويقول شيخ الإسلام في وجه آخر : "أن يقال تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض ، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف ، فوجب الثاني دون الأول وذلك لأن كون الشئ معلوما بالعقل أو غير معلوم بالعقل ، ليس هو صفة لازمة لشئ من الأشياء بل هو من الأمور النسبية الإضافية فإن زيدا قد يعلم بعقله مالايعلمه بكر بعقله وقد يعلم الإنسان في حال بعقله مايجهله في وقت آخر .

والمسائل التي يقال إنه قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء و لم يتفقوا فيها على أن موجب العقل كذا ، بل كل من العقلاء يقول : إن العقل أثبت أو أوجب أو سوغ مايقول الآخر : إن العقل نفاه أو أحاله أو منع منه بل قد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون إنه من العلوم الضرورية فيقول هذا : نحن نعلم بالضرورة العقلية مايقول الآخر : إنه غير معلوم بالضرورة العقلية"(٢) .

---

(١) الدرء (١/١٣٨-١٣٩) .

(٢) الدرء (١/١٤٤-١٤٥) .

وصاغ أيضا شيخ الإسلام معارضة قانونهم في موضع آخر بقوله : "أن يعارض دليلهم بنظير ماقالوه ، فيقال : إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ، ورفعهما رفع للنقيضين ، وتقديم العقل ممتنع ، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ماأخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ، وإذا أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل لأن ماليس بدليل لايصلح لمعارضة شئ من الأشياء فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه . وهذا بين واضح ؛ فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره ، فإن جاز أن تكون هذه الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لايكون العقل دليلا صحيحا ، وإذا لم يكن دليلا صحيحا لم يجز أن يتبع بحال ، فضلا عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحا في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله ، وإذا كان تقديمه على النقل يستلزم القدح فيه ، والقدح فيه يمنع دلالته ، والقدح في دلالته يقدح في معارضته كان تقديمه عند المعارضة مبطلا للمعارضة فامتنع تقديمه على النقل ، وهو المطلوب ، وأما تقديم النقل عليه فلا يستلزم فساد النقل في نفسه"[1] .

هذه هي بعض الردود التي رد بها أهل السنة والجماعة وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تبين من خلال تلك الردود فساد ذلك القانون البدعي وضعف بنيانه الهش مما آل به إلى السقوط صريعا وسريعا على يدي معاول الحق وأهله إلا أن عجب الإنسان لاينقضي من كيفية إضلال هذا القانون البدعي لكثير من الناس ، بل والعلماء أصحاب العقول الذكية وأصحاب النباهة والألمعية ، وهذا يمكن حقيقة معرفة أسبابه إذا عرفنا أسباب تقديم العقل على النقل عند من أخذ بهذا القانون البدعي ، بل هذه الأسباب هي التي جعلتهم يخلصون إلى تأصيل ذلك القانون فالقانون ماهو إلا ثمرة نشأ من خلال أسباب تقديم العقل على النقل فما هي إذا أسباب تقديم العقل على النقل؟

---

(١) الدرء (١/١٧٠-١٧١) .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أسباب تقديم العقل على النقل فذكر أن ذلك يعود لأمرين :

(١) إما لفساد دلالة مااحتج به من النص وذلك :
أ- إما بأن لايكون النص ثابتا عن المعصوم ﷺ .
ب- أو لايكون النص دالا على ماظنه من المسائل .

(٢) أو لفساد دلالة مااحتج به من القياس سواء كان شرعيا أو عقليا وذلك :
أ- إما لفساد بعض مقدماته .
ب- أو لفسادها كلها .
وذلك لما يقع في الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة(١) .

(٣) ومما يمكن إضافته إلى الأمرين السابقين هو ظن كثير من أهل الكلام أن مقدمات الدليل الشرعي كلها ظنية لاتفيد الثبوت القطعي كالدليل العقلي وبالتالي جعلوا أصول الدين نوعين :

العقليات ، والسمعيات ويجعلون القسم الأول مما لايعلم بالكتاب والسنة فهم حصروا الدليل الشرعي في السمعيات وجعلوا له قسيما ألا وهو الدليل العقلي فأصبحت الأدلة عندهم عقلية ويقابلها شرعية (سمعية) وهذا باطل فالشرعي لايقابل بكونه عقليا وإنما يقابل بكونه بدعيا إذ البدعة تقابل الشرعة وكونه شرعيا صفة مدح وكونه بدعيا صفة ذم ثم الشرعي قد يكون سمعيا وقد يكون عقليا وهذا هو الحق في التقسيم للأدلة ، دليل شرعي (عقلي وسمعي) أو دليل بدعي وهي كثيرة لاتعد وضابطها هو كل دليل خالف الدليل الشرعي(٢) .

---

(١) انظر : الرد على المنطقيين (ص٣٧٣) بتصرف ، الدرء (١٤٨/١) .
(٢) انظر : الدرء (١٩٨/١-١٩٩) .

القاعدة الثانية : المعارف الذوقية هي الميزان في معرفة الحق من الباطل :

يعتبر المتصوفة الذوق مصدرا من مصادر المعرفة لديهم ولذلك يهتمون بالذوق وبكل ماله صلة بالذوق ولكن ماهو تعريف الذوق عندهم؟ وماهي منزلته لديهم؟ وماموقف أهل السنة والجماعة من الذوق الصوفي؟ هذا كله سنعرض له فيما يأتي :

أولا : تعريف الذوق عند المتصوفة :

قال القشيري في تعريف الذوق : "الذوق والشرب : ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات"(١) .

وقال ابن عربي : "اعلم أن الذوق عند القوم أول مبادئ التجلي وهو حال يفجأ العبد في قلبه"(٢) .

ولقد نقل الجرجاني أيضا عن الصوفية تعريفهم للذوق بأنه : "عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره"(٣) .

وعند التأمل في هذه التعريفات السابقة يلاحظ الناظر أن هذا الذوق يتميز بأمور هي :

(١) أن هذا الذوق عبارة عن أثر ونتيجة من نتائج الكشوفات التي تحصل للإنسان .

(٢) أن هذا الأثر والنتيجة لايمكن للعبد أن يدفعه عن قلبه لأنها حالة مفاجئة تفجأ العبد .

(٣) أن هذا الأثر الذي يفجأ العبد إنما هو نوراني إلهي يقذفه الحق في قلوب أوليائه .

(٤) أن من وقع له هذا الأثر الذي هو النور الإلهي يستطيع به التفريق بين الحق والباطل من غير أن يحتاج في هذا التفريق إلى أن يأخذه من كتاب أو غيره .

---

(١) الرسالة القشيرية (١/٣٩) .

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي (٢/٥٤٨) ، دار صادر ، بيروت ، بدون ذكر الطبعة .

(٣) التعريفات للجرجاني (ص١٠٧) ، وانظر أيضا : كفاية المنصف في فهم التصوف (ص١٢٨) لمحمد إبراهيم .

ثانيا : منزلة الذوق عند الصوفية :

من خلال تعريف الصوفية للذوق يمكن لنا أن نعرف منزلة الذوق عند الصوفية وذلك أنهم ذكروا في تعريفه أنه "نور عرفاني يقذفه الحق سبحانه وتعالى" وبما أن الذي يقذف هذا النور هو الحق فهذا النور لابد أن تكون آثاره ، ومعارفه الذوقية معصومة من الخطأ والزلل ، وبما أنها كذلك عند المتصوفة فإذا خليق بهذه المعارف الذوقية أن يكون المعول عليها في معرفة الحق من الباطل فأصبح أهل التصوف يعرفون الحق من الباطل بهذه المعارف الذوقية من غير أن يحتاجوا في التمييز بين الحق والباطل إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولذلك هم لايعتبرون بالعلوم الشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة عن طريق التعلم وهذا هو الذي جعل الإمام الغزالي يزهد في طرق التعلم الشرعية ويقدم عليها المعارف الذوقية فقال مبينا منزلة هذه المعارف الذوقية :

"ثم إني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله . وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت مالايمكن أن يحصل من طريق التعلم بالسماع فظهر لي أن أخص خواصهم مالايمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات .. فعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لاأصحاب الأقوال وأن مايمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته و لم يبق إلا مالاسبيل إليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك"[١] .

فالغزالي رحمه الله يبين أن أخص خواص أئمة المتصوفة مثل الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغيرهم إنما هو بسبب المعارف التي حصلوها عن طريق الذوق

---

(١) المنقذ من الضلال (ص٤٣-٤٤) .

الصوفي ولذلك يسعى الغزالي أن يكون مثلهم وأن يسير بسيرهم ولذلك لانستغرب أن يأتي مثل الحكيم الترمذي الصوفي ويذكر أن علوم الأنبياء والأولياء إنما هي عن أذواق لاعن فكر ونظر وهذا القول الصادر من الحكيم الترمذي إنما يدل على تعظيمه للمعارف الذوقية حتى بلغ به الأمر أن يسند علوم الأنبياء والأولياء إلى المعارف الذوقية قال الحكيم الترمذي : "إن علوم الأنبياء والأولياء أذواق لاعن فكر ونظر"[(١)] .

وهذا الاهتمام من قبل أئمة التصوف بالذوق بل تقديس المعارف الذوقية أصبح سمة من سماتهم حتى غلب على عباد المتصوفة وأئمتهم اسم الذوق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ولهذا غلب على كلام العباد الصوفية أهل الإرادة والعمل اسم الذوق"[(٢)] .

وهذا التحاكم إلى المعارف الذوقية الصوفية اشتهر عن المتصوفة اشتهارا عظيما ولذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أهل التصوف جعلوا هذه الأذواق حاكمة على علوم الشريعة وهي المفزع الذي يفزعون إليه لمعرفة أمورهم الاعتقادية والعبادية فقال : "فنجد من ظهر له تناقض أقوال أهل الكلام والفلاسفة كأبي حامد وأمثاله ممن يظنون أن في طريقة التصفية نيل مطلوبهم يعولون في هذا الباب على ذوقهم وكشفهم فيقولون : إن ماعرفته بنور بصيرتك فقرره وما لم تعرفه فأوله"[(٣)] .

وهذا الاحتجاج بالذوق لدى المتصوفة وردهم لكل ماخالف ذلك الذوق ذكره عنهم أيضا ابن القيم رحمه الله فقال : "فهؤلاء الاتحادية ــ وهم أكفر الخلق ــ يحتجون بالذوق والوجد على كفرهم وإلحادهم ويقول القائل : ثبت عندنا ــ

---

(١) ختم الأولياء للحكيم الترمذي (ص٢٣٩) هامش ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، وانظر : دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (ص١٤٠) .

(٢) الاستقامة لابن تيمية (١٤٩/٢) .

(٣) الدرء (٢٤٠/٥) .

بالكشف والذوق ــ مايناقض صريح العقل .. وهذا الاحتجاج قد سلكه أرباب السماع المحدث الشيطاني .. واحتجوا على إباحة السماع بما فيه من الذوق والوجد واللذة"[١] .

ثالثا : موقف أهل السنة والجماعة من الذوق الصوفي :

ينطلق أهل السنة والجماعة في مواقفهم من الذوق الصوفي أو غيره من قواعد أهل الابتداع من الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة أقروه وماخالف الكتاب والسنة نبذوه وتركوه وهذا المنهج الأصيل الذي اكتسبه أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة هو الذي جعلهم يميزون بين ماهو حق وباطل من الأفكار والمعتقدات فيقبلون منها ماوافق الكتاب والسنة ويردون ماخالف الكتاب والسنة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا موقف أهل السنة والجماعة من الذوق الصوفي وغيره : "وكذلك الذي تكلموا برأيهم ونظرهم وفهمهم وذوقهم ووجدهم وكلامهم نوعان :

فما وافق فيه الرسول فهو حق وماخالفه فهو خطأ"[٢] .

وهذا الذوق الصوفي البدعي لاشك أنه مما خالف الكتاب والسنة وماكان عليه رسول الله ﷺ وصحابته ولذلك نقد أهل السنة والجماعة الذوق الصوفي نقدا لاذعا وبينوا حقيقته ومايتضمنه من مخالفات لعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحم الله مبينا أن الواجب على أهل الإسلام الإيمان بالرسول ﷺ حق الإيمان وأنه لايجوز : "أن يعارض خبره دليل صحيح لاعقلي ولاسمعي وأن ماعارض أخباره من الأمور التي يحتج بها المعارضون ويسمونها عقليات أو برهانيات أو وجديات أو ذوقيات أو مخاطبات أو مكاشفات أو مشاهدات أو نحو ذلك من الأمور الدهاشات أو يسمون ذلك تحقيقا أو توحيدا

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٤٤٢/٣) ، تحقيق محمد حامد الفقي .

(٢) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لابن تيمية (ص٢٩) .

أو عرفانا أو حكمة حقيقية أو فلسفة أو معارف يقينية ونحو ذلك من الأسماء التي يسميها بها أصحابها فنحن نعلم علما يقينيا لايحتمل النقيض أن تلك جهليات وضلالات وخيالات وشبهات مكذوبات وحجج سوفسطائية وأوهام فاسدة وأن تلك الأسماء ليست مطابقة لمسماها بل هي من جنس تسمية الأوثان آلهة وأربابا وتسمية مسيلمة الكذاب وأمثاله أنبياء ﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[١] .

فهنا حكم شيخ الإسلام رحمه الله على كل ماعارض الكتاب والسنة وخالفه ومن ذلك اتباع الصوفية لأذواقهم بالفساد والضلال "فكل من اتبع ذوقا أو وجدا بغير هدى من الله سواء كان ذلك عن حب أو بغض فليس لأحد أن يتبع مايحبه فيأمر به ويتخذه دينا وينهى عما يبغضه ويذمه ويتخذ ذلك دينا إلا بهدى من الله وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله ومن اتبع مايهواه حبا وبغضا بغير شريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله"[٢] .

وكما بين أهل السنة والجماعة رحمهم الله فساد الذوق الصوفي وبطلانه وأنه نتيجة اتباع الأهواء الضالة كذلك بينوا الذوق الشرعي الذي يحبه الله ورسوله ﷺ من عبادته وإخلاص العمل له سبحانه وتعالى .

قال شيخ الإسلام رحمه الله مبينا معنى الذوق الشرعي وأثره في القلوب : "وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شئ أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٣] فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله مايمنعه من عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله مايمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب لاأحلى ولاألذ ولاأطيب ولاألين ولاأنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاص الدين له وذلك

---

(١) الدرء (٢٥٥/٥،٢٥٦) والآية رقم ٢٣ من سورة النجم .

(٢) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٣/١) .

(٣) سورة يوسف : آية (٢٤) .

يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا كما قال تعالى : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾"[١] [٢] .

ولقد بين ابن القيم رحمه الله الذوق الشرعي وكيف أنه عبارة عن إدراك حقيقة الإيمان التي إذا خالطت بشاشته القلوب لم تفارقه أبدا فقال رحمه الله : "وفي الصحيح عنه ﷺ : "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا"[٣] .

فأخبر أن للإيمان طعما وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي ﷺ عن إدراك حقيقة الإيمان والإحسان وحصوله للقلب ومباشرته له : بالذوق تارة وبالطعام والشراب تارة وبوجود الحلاوة تارة كما قال "ذاق طعم الإيمان" ، وقال : "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . ومن كان يحب المرء لايحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"[٤] ... وهذا الذوق هو الذي استدل به هرقل على صحة نبوة محمد ﷺ حيث قال لأبي سفيان "فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ فقال : لا . قال : وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب" فاستدل بما يحصل لأتباعه من ذوق الإيمان ـــ الذي خالطت بشاشته القلوب : لم يسخطه ذلك القلب أبدا ـــ على أنه دعوة نبوة ورسالة لادعوى ملك ورياسة . والمقصود أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان أمر يجده القلب تكون نسبته إليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام إلى الفم وذوق حلاوة الجماع إلى إلفة النفس كما ﷺ : "حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك"[٥] .

---

(١) سورة ق : آية (٣٣) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٢١٥) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٣٤) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٤٣) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق برقم (٥٣١٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب النكاح برقم (١٤٣٣) .

فللإيمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولاتزول الشبه والشكوك عن القلب إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال . فباشر الإيمان قلبه حققة المباشر فيذوق طعمه ويجد حلاوته[١] .

وهذا الذوق الشرعي ـ الذي ذكره الأئمة رحمهم الله ـ أصحابه فيه يتفاوتون ويفضل بعضهم فيه على بعض ، قال ابن تيمية رحمه الله : "وهذا الذوق أصحابه فيه يتفاوتون فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ماسواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين ، لايحبون شيئا إلا له ، ولايتوكلون إلا عليه ، ولايوالون إلا فيه ، ولايعادون إلا له ولايسألون إلا إياه ، ولايرجون إلا إياه ، ولايخافون إلا إياه ، يعبدونه ويستعينون له وبه بحيث يكونون عند الحق بلا خلق وعند الخلق بلا هوى قد فنيت عنهم إرادة ماسواه بإرادته ، ومحبة ماسواه بمحبته ، وخوف ماسواه بخوفه ورجاء ماسواه برجائه ودعاء ماسواه بدعائه هو أمر لايعرفه بالذوق والوجد إلا من له نصيب ومامن مؤمن إلا له منه نصيب وهذا هو حقيقة الإسلام الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه"[٢] .

رابعا : أمثلة من الذوق الصوفي :

إن الأمثلة الذوقية الصوفية كثيرة جدا لايمكن حصرها ويكفي أن نعرف أن الحكيم الترمذي وضع أكثر من مائة وخمسين سؤالا لايجيب عنها إلا من علمها عن طريق الذوق بزعمه .

وقد تصدى ابن عربي[٣] للجواب على هذه الأسئلة كلها ومنه ننقل بعض هذه الأمثلة الذوقية :

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٨٧/٣،٨٨) تحقيق البغدادي .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٣٥/١٠،٣٣٦) .

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي (٣٩/٢-٤٠) .

المثال الأول : تفسير ابن عربي لمعنى الكرسي بأنه علم الأمر والنهي .

قال ابن عربي : "فإن قلت وماالكرسي قلنا علم الأمر والنهي فإنه قد ورد في الخبر أن الكرسي موضع القدمين قدم الأمر وقدم النهي"[١] .

فالذوق هنا عند ابن عربي قاده إلى تفسير الكرسي بأنه علم الأمر والنهي بل أنه عندما لم يجد مفرا من إثبات النصوص للكرسي الذي هو خلق من خلق الله والذي هو موضع قدمي الرب سبحانه وتعالى جعل القدمين إحداهما قدم للأمر والأخرى قدم للنهي ، وهذا الكلام في تفسير الكرسي بهذا المعنى الذوقي هو كلام باطل وتفسير خاطئ ويدل على بطلانه وخطئه مايلي :

١- أن ابن عربي لم يذكر لنا دليلا واحدا من الكتاب والسنة أو حتى أثرا صحيحا عمن سلف من الصحابة والتابعين بأن المراد بالكرسي هو علم الأمر والنهي.

٢- أن المراد بالكرسي إنما هو ذلك الشئ العظيم الذي خلقه سبحانه وتعالى وهو موضع قدمي الرب جل وعلا وهذا هو قول السلف رضي الله عنهم في تفسير وبيان معنى الكرسي ويدل عليه قبل ذلك السنة المطهرة .

فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺ وحده فجلست إليه فقلت يارسول الله أيما آية أنزلت عليك أفضل؟ قال : "آية الكرسي ماالسموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة"[٢] فهذا فيه إثبات أن الكرسي إنما هو خلق من خلق الله وليس هو مجرد صفة بمعنى العلم أي علم الأمر والنهي .

أما السلف رضي الله عنهم فقد نصوا على كون الكرسي موضع قدمي الرب سبحانه وتعالى ومن ذلك :

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (١٢٩/٢) .

(٢) أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه العرش برقم (٥٨) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٠٩) .

قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : "الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل"[(١)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[(٢)] . قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لايقدر أحد قدره"[(٣)] .

وقال الإمام محمد بن أبي زمنين : "ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين"[(٤)] .

بل إن الإمام الدارمي رحمه الله[(٥)] ذكر أن عقيدة الإيمان بالكرسي والعرش عقيدة يعتقدها كل مسلم وأنه لم يبق أحد من نساء المسلمين وصبيانهم إلا وهو يعقل أمر العرش والكرسي بل ذهب إلى أبعد من ذلك فقال أن العرش والكرسي مما ينبغي أن لايسند في تثبيتهما إلى الآثار ويؤلف فيهما الأخبار وذلك لشدة وضوحها عند العامة والخاصة .

٣- أن تفسير ابن عربي للكرسي بأنه علم الأمر والنهي هو تفسير منكر غريب ليس له وجه في اللغة العربية اطلاقا ولذلك قال الإمام الزجاج : "والذي نعرفه من الكرسي في اللغة : الشئ الذي يعتمد ويجلس عليه فهذا يدل على أن الكرسي عظيم دونه السموات والأرض"[(٦)] .

وقال ثعلب : "الكرسي ماتعرفه العرب من كراسي الملوك"[(٧)] .

المثال الثاني : هو جواب ابن عربي على سؤال الترمذي الذي هو : ماالاسم الذي أبهم على الخلق إلا على خاصته؟ فقال ابن عربي في الجواب :

"هذا الاسم الذي استوجب منه جميع الأسماء وإن شئت قلت هو اسم مركب من عشرين وثلاثين بينهما أحد وأربعون حسا ومعنى وقد يتركب حسا

---

(١) كتاب العرش لمحمد بن أبي شيبة (ص٤٣٧) ، تحقيق د. محمد التميمي .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٥٥) .

(٣) كتاب العرش لمحمد بن أبي شيبة (ص٤٣٨) ، تحقيق د. محمد التميمي .

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص٩٦) .

(٥) انظر رده على بشر المريسي (٤١٤/١) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (٥٣/١٠) .

(٧) المصدر السابق (٥٣/١٠) .

لامعنى من ثمانية وثمانين ومائتين وستة عددا فإذا جمعتها على وجه مخصوص من غير إسقاط الستة كان اسما مركبا وإن أسقطت الستة كان اسما غير مركب"[١] .

قبل أن نبين بطلان كلام ابن عربي السابق الذي هو أشبه بكلام أهل السفسطة لابد أن نبين أن السؤال في ذاته هو سؤال باطل فإن الله سبحانه وتعالى لم يبهم اسما من أسمائه عن الخلق كلهم ثم استثنى خاصته فأخبرهم بهذا الاسم وذلك أنه لايوجد دليل صحيح يثبت تخصيص الله لبعض خاصته باسم من أسمائه كما يزعم الحكيم الترمذي بل على العكس أن من أسماء الله مالايعلمه لا الأولياء بل ولاالأنبياء بل ولاحتى خليله محمد ﷺ وهذا ثابت بنص السنة ، قال ﷺ : "ماأصاب أحدا قط هم ولاحزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب غمي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحا"[٢] .

فهنا في هذا الحديث نص عليه الصلاة والسلام على أن هنالك أسماء لله لايعلمها إلا هو سبحانه وتعالى حجبها عن خلقه ، وهذا يفهم من قوله ﷺ : "أو استأثرت بها في علم الغيب عندك" أي هي غيب عن خلق الله كلهم جميعا وإلا لم تكن من الغيب ، وأكد اللفظ بقوله عندك أي عندك أنت وحدك فقط فلا يعلمها غيرك من خلقك .

أما بيان بطلان وفساد مأتى به الذوق التام لابن عربي صاحب الأذواق العظيمة فهو في الحقيقة إضاعة للوقت وإتعاب للباحث بلا فائدة ترجى منه ، والناظر في جواب ابن عربي يلحظ فيه حقيقة من دون مبالغة ، كلاما مبتورا وتراكيب غير مفيدة فهي أشبه بطلاسم السحر والشعوذة ، فإن القارئ لايستطيع أن يفهم من كلامه شيئا مفيدا أبدا ، وهذا في نظري يعود لأمرين :

---

(١) الفتوحات المكية (٢/١٢٠) .

(٢) أخرجه أحمد عن عبد الله بن مسعود برقم (٣٧١٢) ، وصححه ابن حجر في تخريجه لأحاديث الأذكار ، انظر كلام الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه للأذكار للنووي (ص١٨٤) .

١- أن ابن عربي يبخل ببيان هذا الاسم للعامة لأنه يعتبرهم ليسوا بـأهل لأن يعرفوا هذا الاسم الذي اختص به الخاصة ولذلك هو يقول في باقي جوابه "ولاينبغي أن يوضح في العامة ماأبهمه الحق على خلقه وخص به خاصته فإن هذا من غاية سوء الأدب"[1] .

٢- وبما أن ابن عربي كان يضمر عدم الإجابة على سؤال الحكيم الترمذي فلماذا هو إذا يتلفظ في الجواب بما قرأه القارئ ، ألا يدل هذا الصنيع من ابن عربي على استهجانه وسخريته بعقل وفكر القارئ؟ بلى إنه دليل على احتقار ابن عربي للقارئ فهو عنده لايعدو كونه من العامة حتى لو بلغ في العلم الشرعي الغاية فهو من العامة مادام أنه ليس من خاصة أهل التصوف .

وعموما فإنه يكفي في بطلان كلام ابن عربي عدم تصوره عند العقلاء الذين يعلمون مايخرج من رؤوسهم وماتتكلم به ألسنتهم .

المثال الثالث : جواب ابن عربي عن سؤال في معنى النبوة .

عندما سأل الحكيم الترمذي عن معنى النبوة كما هو في السؤال الثالث والثمانون أجاب ابن عربي بما ملخصه أن النبوة تنقسم إلى قسمين : نبوة تشريع وهي نبوة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ، ونبوة عامة ويقصد بها ابن عربي نبوة الأولياء وزعم أن القسم الثاني الذي هو نبوة الأولياء لاتنقطع وهي مستمرة إلى قيام الساعة ونحن سنذكر من كلامه ماخالف فيه أهل السنة والجماعة .

قال ابن عربي : "وأما النبوة العامة فأجزاؤها لاتنحصر ولايضبطها عدد فإنها غير مؤقتة ، لها الاستمرار دائما دنيا وآخرة"[2] ، ولقد استدل ابن عربي على صحة قوله بالنبوة العامة بكلام ينقله عن الإمام عبد القادر الجيلاني فقال : "ولقد حدثني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمه الله عن الشيخ بشير من ساداتنا بباب الأزج عن إمام العصر عبد القادر أنه قال : "معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا مالم تؤتوا" ، فأما قوله أوتيتم اللقب أي حجر علينا إطلاق لفظ النبي وإن كانت النبوة العامة سارية في أكابر الرجال ، وأما قوله وأوتينا مالم تؤتوا هو معنى قول الخضر الذي شهد الله تعالى بعدالته وتقدمه في العلم وأتعب الكليم المصطفى المقرب موسى عليه

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (٢/١٢٠) .

(٢) المصدر السابق (٢/٩٠) .

السلام في طلبه مع العلم بأن العلماء يرون أن موسى أفضل من الخضر فقال له ياموسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت فهذا عين معنى قوله : "أوتينا ما لم تؤتوا"[١] .

والناظر يلاحظ أنه كما استدل بكلام الإمام عبد القادر فإنه أيضا استدل لكلام عبد القادر بفعل الخضر مع موسى وكأن ابن عربي — وهو الواقع — يؤيد كلام الإمام عبد القادر وإلا لما استدل به واستدل له ليثبت صحة كلامه .

فكلام ابن عربي السابق عليه مؤاخذات عديدة منها :

١- أن تقسيم ابن عربي للنبوة : إلى نبوة تشريع يختص بها أنبياء الله ورسله ونبوة عامة يختص بها رجال التصوف وخاصته المسمون بالأولياء هو تقسيم واصطلاح بدعي حادث لادليل عليه لامن الكتاب ولاالسنة ولاالإجماع ولايعرف عمن يؤخذ بقوله من صحابة رسوله ﷺ وأئمة السلف من نطق بهذا المصطلح مصطلح النبوة العامة أو أنه قسم النبوة كتقسيم ابن عربي وإنما هذا التقسيم وهذا الاصطلاح البدعي الحادث إنما أنشأه ابن عربي ذوقا من عنده واتباعا لهواه فالسلف رضي الله عنهم ينكرون المصطلحات البدعية المحدثة التي ليس عليها دليل من الكتاب والسنة ولذلك نقدوا أهل الابتداع عندما أحدثوا اصطلاحات بدعية هي أخف ضررا من اصطلاح النبوة العامة وذلك كإنكارهم لمصطلح القديم عندما يطلقه المتكلمون على الله فكيف بمصطلح النبوة العامة الذي لم يقرره المتصوفة إلا لحاجة في نفوسهم وهي ادعاء النبوة حقيقة لانبوة عامة كما يقولونه .

٢- أن نقل ابن عربي لكلام عبد القادر الجيلاني وخاصة قول الجيلاني "وأوتينا ما لم تؤتوا" فيه إيحاء وإشعار بتميز أهل النبوة العامة على أنبياء الله ورسوله وأن الأولياء الذين هم أهل النبوة العامة أرفع منزلة من أهل النبوة التشريعية وهذا في الحقيقة مايذكره أهل العلم عن بعض المتصوفة في تفضيلهم الأولياء على الأنبياء وخاصة ابن عربي وأمثاله وهذا يعتبر حقيقة كفر ظاهر لاشك فيه .

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (٩٠/٢) .

قال ابن تيمية رحمه الله مبينا حقيقة مذهب ابن عربي في مسألة النبوة : "فقد زعم أنه أعلم بالله من خاتم الأنبياء وأن تقدمه عليه بالعلم بالله وتقدم خاتم الأنبياء عليه بالتشريع فقط وهذا من أعظم الكفر الذي يقع فيه غالية المتفلسفة وغالية المتصوفة وغالية المتكلمة الذين يزعمون أنهم في الأمور العلمية أكمل من الرسل كالعلم بالله ونحو ذلك وأن الرسل إنما تقدموا عليهم بالتشريع العام الذي جعل لصلاح الناس في دنياهم .

وقد يقولون : إن الشرائع قوانين عدلية وضعت لمصلحة الدنيا فأما المعارف والحقائق والدرجات العالية في الدنيا والآخرة فيفضلون فيها أنفسهم وطرقهم على الأنبياء وطرق الأنبياء . وقد علم بالاضطرار من دين المسلمين أن هذا من أعظم الكفر والضلال وكان ذلك من سبب جحد حقائق ماأخبرت به الرسل من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ، وزعمهم أن مايقوله هؤلاء في هذا الباب هو الحق وصاروا في أخبار الرسل تارة يكذبونها ، وتارة يحرفونها ، وتارة يفوضونها ، وتارة يزعمون أن الرسل كذبوا لمصلحة العموم .

ثم قال رحمه الله : "فأما كفر من يفضل نفسه على النبي ﷺ ــ كما ذكر صاحب الفصوص ــ فظاهر"[1] .

وهو يقصد رحمه الله بصاحب الفصوص محيي الدين ابن عربي الذي حكى عنه شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال في بعض كلامه :

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول ودون النبي[2]

ولقد أشار ابن عربي في كلامه السابق مايؤيد ماعرف عنه من تفضيل الأولياء على الأنبياء وذلك عندما ذكر كالمتحسر والمستهجن تفضيل العلماء لموسى على الخضر وذلك عند قوله : "مع العلم بأن العلماء يرون أن موسى أفضل من الخضر"[3] .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٢٣٢-٢٣٣) .

(٢) المصدر السابق (٢/٢٢١) .

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي (٢/٩٠) .

٣- أن استدلال ابن عربي على صحة تقسيم النبوة إلى نبوة عامة ونبوة تشريع وتفضيل أصحاب النبوة العامة "الأولياء" على أهل نبوة التشريع بقصة الخضر مع موسى هو استدلال خاطئ وذلك لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن الأنبياء والرسل أفضل من كل من عداهم من خلق الله فهم أفضل من الصديقين والأولياء والصالحين كلهم .

قال ابن تيمية رحمه الله : "فإنه معلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأنبياء والرسل أفضل من الأولياء"[(١)] .

فتبين إذا أن قصة الخضر مع موسى عليه السلام ليس فيها دليل البتة على مايستدل عليه ولكنه في الحقيقة يقصد من وراء ذلك التسويغ لنفسه ولأمثاله لإنشاء شرع ودين جديد غير الدين الذي جاء به النبي محمد ﷺ وبالتالي التخلص من كل مايتعلق بدين الإسلام ولكن ليس لهم أيضا في قصة الخضر مأأراده ابن عربي من سوقه لها وذلك لوجهين :

أ- أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولاكان يجب على الخضر اتباع موسى فإن موسى كان مبعوثا إلى بني إسرائيل ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن موسى لما سلم على الخضر قال : وأنى بأرضك السلام؟ قال أنا موسى ، قال موسى بني إسرائيل؟ قال نعم قال : إنك على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه وأنا على علم من الله علمنيه لاتعلمه"[(٢)] .

وأما محمد ﷺ فهو رسول الله إلى جميع الثقلين : إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم ملوكهم وزهادهم الأولياء منهم وغير الأولياء فليس لأحد الخروج عن متابعته باطنا وظاهرا ولاعن متابعة ماجاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولاجليل لافي العلوم ولا الأعمال وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى وأما موسى فلم يكن مبعوثا إلى الخضر .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٢٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٣٨٠) .

ب- أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ولو كان مخالفا للشريعة لم يوافقه بحال[1] .

٤- إن الناظر في كلام ابن عربي السابق يظنه أنه ممن يؤمن بالرسل والأنبياء ولكن الحقيقة أن ابن عربي ماهو إلا ملحد من الملاحدة وزنديق من الزنادقة .

قال ابن تيمية رحمه الله في ابن عربي : "وقد حدثني أحد أعيان الفضلاء أنه سمع الشيخ إبراهيم الجعبري رحمة الله عليه ـــ يقول رأيت ابن عربي ـــ وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله" .

ثم قال ابن تيمية ولقد صدق فيما قال ثم حكى ابن تيمية رحمه الله عن أبي محمد بن عبد السلام أنه قال في ابن عربي : "هو شيخ سوء مقبوح كذاب يقول يقدم العالم ولايحرم فرجا"[2] .

ثم قال ابن تيمية رحمه الله : "وجماع أمر صاحب الفصوص وذويه هدم أصول الإيمان الثلاثة فإن أصول الإيمان :

الإيمان بالله ، والإيمان برسله ، والإيمان باليوم الآخر .

فأما الإيمان بالله : فزعموا أن وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالم .

وأما الرسول فزعموا أنهم أعلم بالله منه ومن جميع الرسل ومنهم من يأخذ العلم بالله ـــ الذي هو التعطيل ووحدة الوجود ـــ من مشكاته وأنهم يساوونه في أخذ العلم بالشريعة عن الله .

وأما الإيمان باليوم الآخر فقد قال ـــ أي ابن عربي ـــ :

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية مع تصرف يسير (٢/٢٣٣-٢٣٤) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٢٤٠-٢٤١) وانظر لمزيد من أقوال أهل العلم في ابن عربي ومذهبه : مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، للعلامة برهان الدين البقاعي (ص١٤١-١٦٤) ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل .

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ... وبالوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم يباين

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلال قبله أنه قال : أن النار تصير لأهلها طبيعة نارية يتمتعون بها وحينئذ فلا خوف ولامحذور ولاعذاب لأنه أمر مستعذب .

ثم إنه في الأمر والنهي : عنده الآمر والناهي والمأمور والمنهي : واحد ولهذا كان أول ماقاله في الفتوحات المكية التي هي أكبر حجته :

الرب حق والعبد حق ... ياليت شعري من المكلف؟
إن قلت عبد فذاك رب ... أو قلت رب أنى يكلف؟

وفي موضع آخر : "فذاك ميت" رأيته بخطه .

وهذا مبني على أصله فإن عنده ماثم عبد ولاوجود إلا وجود الرب فمن المكلف؟ وعلى أصله هو المكلف والمكلف"(١) .

الآثار المترتبة على القول بالذوق الصوفي البدعي :

لاشك أن للأخذ بالذوق الصوفي آثار سيئة ومفاسد عظيمة ، ومن أهم هذه الآثار مايلي :

(١) ترك الأخذ عن الكتاب والسنة :

والسبب في ذلك يعود إلى استغناء الصوفية بالذوق عن الكتاب والسنة ، فبما أن الذوق لديهم يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك عن كتاب ولاسنة فلا حاجة إذا للكتاب والسنة ليفرقوا بها بين الحق والباطل .

ولقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى استغناء الصوفية عن الكتاب والسنة بالذوق فقال رحمه الله : "وكل من هؤلاء قد يسوغ الخروج عما جاء به

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٣١/١١) .

الكتاب والسنة لما يظنه معارضا لهما إما لما يسميه هذا ذوقا ووجدا ومكاشفات ومخاطبات وإما لما يسميه هذا قياسه ورأيا وعقليات وقواطع وكل ذلك من شعب النفاق بل يجب على كل أحد تصديق الرسول ﷺ في جميع ماأخبر به وطاعته في جميع ماأمر به وليس لأحد أن يعارضه بضرب الأمثال ولا بآراء الرجال وكل ماعارضه فهو خطأ وضلال"[1] .

(٢) انتشار الفرقة والاختلاف :

وهذه نتيجة طبعية لكل من ترك الكتاب والسنة فإن الشيطان مايلبث أن يوقع من هذه صفته ، والصوفية لهم الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من الخلاف والفرقة وخاصة في قضية الذوق الصوفي فمن المعلوم أن أذواق الناس مختلفة متباينة فما يراه ذلك الولي الصوفي عن طريق الذوق حلالا يراه الآخر حراما ومايراه معرفة يراه الآخر جهلا وضلالا ومايراه توحيدا يراه الآخر شركا وكفرا بالله العظيم .

ولقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى مايؤدي إليه الذوق الصوفي من الفرقة والاختلاف فقال رحمه الله : "ثم إنه وقع من تحكيم الذوق من الفساد مالايعلمه إلا الله فإن الأذواق مختلفة في أنفسها كثيرة الألوان متباينة أعظم التباين فكل طائفة لهم أذواق وأحوال ومواجيد بحسب معتقداتهم وسلوكهم ، فالقائلون بوحدة الوجود لهم ذوق وحال ووجد في معتقدهم بحسبه ، والنصارى لهم ذوق في النصرانية بحسب رياضتهم وعقائدهم وكل من اعتقد شيئا أو سلك سلوكا ــ حقا كان أو باطلا ــ فإنه إذا ارتاض وتجرد لزمه وتمكن من قلبه وبقي له فيه حال وذوق ووجد ، فبذوق من توزن الحقائق إذن ويعرف الحق من الباطل"[2] .

ولذلك عرف المتصوفة عظم الانقسام الواقعين فيه بسبب اختلافهم في أذواقهم فجعلوا من هذا الخلاف الذي يعتبر مسبة ومذمة فيهم منقبة لهم وذلك ليداروا بها مصيبتهم المتمثلة في تشرذمهم وافتراقهم .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٣١/١١) .

(٢) مدارج السالكين (٤٩٥/١-٤٩٦) .

قال رويم الصوفي : "لايزال الصوفية بخير ماتنافروا فإن اصطلحوا هلكوا"[١].

(٣) الحيرة والشك :

وهذه الحيرة هي صفة ملازمة لكل من حاد عن طريق الكتاب والسنة واتبع عقله وهواه وذوقه الفاسد وزهد في اتباع السلف الصالح رضي الله عنهم في باب الاعتقاد والأحكام على حد سواء ومن الأمثلة على ماأحدثته الأذواق الصوفية من الحيرة والشك لدى أصحاب تلك الأذواق قول أبي الحسن المزين الصوفي : "الطرق إلى الله تعالى بعدد النجوم وأنا مفتقر إلى طريق إليه فلا أجده"[٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وصفه لإمام من أئمة التصوف وكيف قادته أذواقه إلى الحيرة والشك : "وابن الفارض ـ من متأخري الاتحادية ـ صاحب القصيدة التائية المعروفة "بنظم السلوك" وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائق اللفظ ، فهو أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب وماأحسن تسميتها بنظم الشكوك ، الله أعلم بها وبما اشتملت عليه وقد نفقت كثيرا وبالغ أهل العصر في تحسينها والاعتداد بما فيها من الاتحاد لما حضرته الوفاة أنشد :

إن كان منزلتي في الحب عندكم ... ماقد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا ... واليوم أحسبها أضغاث أحلامي[٣]

القاعدة الثالثة : دعوى الرافضة العصمة لأئمتهم :

– من أكبر المسائل والقواعد التي يبني عليها الرافضة الاثنا عشرية مذهبهم هي قضية العصمة التي يجعلونها من أعظم الصفات التي يتحلى بها أئمتهم الاثنى عشر .

– أما معنى العصمة لدى الرافضة فقد قرره إمامهم المجلسي في قوله :

---

(١) طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ص١٨١) .
(٢) المصدر السابق (ص٣٨٣) .
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٧٣-٧٤) .

"اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة ــ عليهم السلام ــ من الذنوب صغيرها وكبيرها ، فلا يقع منهم ذنب أصلا لاعمدا ولانسيانا ولالخطأ في التأويل ولاللإسهاء من الله سبحانه"[١] .

فالمجلسي يسبغ على أئمته العصمة من كافة الأوجه المتصورة ، العصمة من المعاصي كلها ــ صغيرها أو كبيرها ــ العصمة من الخطأ ، والعصمة من السهو والنسيان وليس المجلسي وحده فقط الذي يضفي على أئمته العصمة بل هو يعلن أن هذا هو مااتفق عليه الرافضة الإمامية ويجعلونها عقيدة يدينون الله بها .

– أما إذا بحثنا عن أدلتهم التي يستدلون بها على اتصاف أئمتهم بالعصمة فإننا لانجد معهم دليلا معتبرا وهم إنما يستدلون بآية من القرآن الكريم ليس فيها شاهد على مايبتغونه ، ومع هذا فإن شيوخ الرافضة يتفقون على الاستدلال على العصمة بقوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢] .

وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان "باب ... لزوم عصمة الإمام"[٣] .

أما وجه استدلال الرافضة بهذه الآية على العصمة فقد تولى كبره صاحب مجمع البيان فقال : "استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لايكون إلا معصوما من القبائح لأن الله ــ سبحانه ــ نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالما إما لنفسه وإما لغيره .

فإن قيل : إنما نفى أن ينال ظالم في حال ظلمه فإذا تاب فلا يسمى ظالما فيصح أن يناله .

والجواب : أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالما فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لاينالها والآية مطلقة غير

---

(١) بحار الأنوار للمجنسي (٢٥/٢١١) .

(٢) سورة البقرة : آية (١٢٤) .

(٣) بحار الأنوار (٢٥/١٩١) ، أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٧٨٣) .

مقيدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها فلا ينالها الظالم وإن تاب فيما بعد"[١] .

هذه هي الحجة النقلية الوحيدة التي معهم وهي ماسبق من الدليل القرآني ، أما إذا أردت معرفة سبب قولهم بمبدأ العصمة فتحدهم يحتجون على العصمة بما يذكرونه من أن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة واللطف بالنسبة للأمة وإلا لو لم يكن الإمام معصوما لوقع الناس في ضلال عظيم في أمور دينهم ودنياهم[٢] .

النقد :

بعد أن عرضنا فكرة عصمة الأئمة لدى الإمامية الاثني عشرية يجب علينا أن نعرض تلك الأفكار والأدلة والحجج على الكتاب والسنة وإجماع الأمة فما وافق الكتاب والسنة قبلناه وماخالفهما اطرحناه ورددناه والنقد هنا سيكون من خلال مايلي :

أولا : نقد فكرة عصمة الأئمة لدى الرافضة الاثنى عشرية وذلك يتبين من ثلاثة أوجه :

الأول : إن عقيدة العصمة التي يدين بها الرافضة ويسبغونها على أئمتهم هي عقيدة حادثة لايعرف لها أصل في عقائد المسلمين وإنما أحدثها الرافضة لكي يدخلوا من خلالها إلى بث عقائدهم الباطلة وتجويزها وإضفاء الصبغة الشرعية لها لأن مايفعله الأئمة المعصومون لايمكن أن يكون خطأ حتى لو كان من ذلك قولهم بأن القرآن أنقص منه أو زيد فيه أوماينقلونه عنهم من تكفير للصحابة فهم اتخذوا عصمة الأئمة شعارا لكي يمرروا من خلاله عقائدهم الباطلة ويكفي أنه لم يوافق الرافضة على القول بعصمة الأئمة إلا الإمامية والاسماعيلية وهذا دليل على أنها عقيدة حادثة باطلة .

---

(١) مجمع البيان للطبرسي (١/٢٠١) ، أصول مذهب الشيعة (٢/٧٨٤) .

(٢) منهاج السنة (٣/٣٧٨) ، أصول مذهب الشيعة (٢/٧٨٩) .

قال ابن تيمية رحمه الله : "وأما عصمة الأئمة فلم يقل بها ــ إلا كما قال[١] ــ الإمامية والاسماعيلية وناهيك بقول لم يوافقهم عليه إلا الملاحدة المنافقون الذين شيوخهم الكبار أكفر من اليهود والنصارى والمشركين ، وهذا دأب الرافضة دائما يتجاوزون عن جماعة المسلمين إلى اليهود والنصارى والمشركين في الأقوال والموالاة والمعاونة والقتال وغير ذلك"[٢] .

الثاني : أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين عند التنازع أن يكون الرد إليه وإلى رسوله ﷺ ولم يذكر أبدا إمام الرافضة المعصوم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وقد قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٣] فأمر الله المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ولو كان للناس معصوم غير الرسول ﷺ لأمرهم بالرد إليه فدل القرآن على أنه لامعصوم إلا الرسول ﷺ"[٤] .

الثالث : أن أولئك الأئمة الذين أسبغوا عليهم صفة العصمة من الغفلة والسهو ردوا على من نفى السهو عن النبي ﷺ بل ولعنوا من يعتقد هذا في النبي ﷺ فكيف بمن يقول عنهم أنهم معصومون حتى من السهو . فهذا الإمام علي الرضا الذي هو الإمام الثامن الذي تدعي الشيعة عصمته قيل له : إن في الكوفة قوما يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته فقال كذبوا ــ لعنهم الله ــ إن الذي لايسهو هو الله الذي لاإله إلا هو"[٥] .

---

(١) يقصد ابن مطهر الحلي الرافضي .

(٢) منهاج السنة (٣/٣٧٤) .

(٣) سورة النساء : آية (٥٩) .

(٤) منهاج السنة (٣/٣٨٠،٣٨١) .

(٥) بحار الأنوار (٢٥/٣٥٠) .

بل أن أبا الحسن (موسى الكاظم) يقول حسب روايات الرافضة : "رب عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني وعصيتك ببصري ولو شئت لأكمهتني[١] وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزتك لأصممتني"[٢] .

فهذا نص من أحد أئمتهم المعصومين في زعمهم يعترف بأنه تقع منه المعصية فضلا عن الغفلة والسهو .

والغريب أن في كتاب نهج البلاغة الذي لاتشك الشيعة في كلمة منه لأنه من قول الإمام علي رضي الله عنه ـ كما زعموا ـ ذكروا فيه نصا للإمام علي هذا النص ينسف مبدأ القول بعصمة الأئمة ويبطله أيما إبطال .

قال الإمام علي رضي الله عنه : "لاتخالطوني بالمصانعة ولاتظنوا بي اشتغالا في حق قيل لي ولاالتماس إعظام النفس فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولاآمن ذلك من فعلي"[٣] .

فهذا نص من الإمام علي بأنه لايأمن من الوقوع في الخطأ في القول والفعل ، وهذا القول منه صفعة يوجهها رضي الله عنه لأدعياء الرافضة الذين جعلوه ليس معصوما من الخطأ فقط بل حتى من الغفلة والسهو والنسيان ولذلك بهت أئمة الرافضة الضلال عندما رأوا هذه النصوص التي تكذب قولهم بعصمة الأئمة وبهتوا وأصبحوا في حيرة واستشكلوا هذه النصوص أيما استشكال حتى قال من ادعى إجماع الرافضة على القول بعصمة الأئمة وهو المجلسي : "المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز"[٤] .

---

(١) كمه بصره : اعترته ظلمة تطمس عليه . عمي أو صار أعشى . بحار الأنوار (٢٠٣/٢٥) .

(٢) بحار الأنوار (٢٠٣/٢٥) .

(٣) نهج البلاغة (ص٣٣٥) .

(٤) بحار الأنوار (٣٥١/٢٥) .

وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم ، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجمعون على ضلالة وعلى غير دليل حتى من كتبهم[1] .

ثانيا : نقد أدلتهم التي استدلوا بها على عصمة الأئمة :

١- نقد استدلالهم بقوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2] .

أ- اختلف السلف رضي الله عنهم في معنى العهد هنا في هذه الآية على أقوال :

- فقال ابن عباس والسدي المراد بالعهد النبوة قال : لاينال عدي الظالمين أي : نبوتي .

- وقال مجاهد وعكرمة : الإمامة أي لاأجعل إماما ظالما يقتدى به .

* وقال قتادة وإبراهيم النخعي : الأمان أي الأمان من عذاب الله في الآخرة فقالا : لاينال عهد الله في الآخرة الظالمون فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وأبصر وعاش[3] .

فالآية ـــ كما ترى ـــ اختلف السلف في تأويلها فهي ليست في مسألة الإمامة أصلا في قول أكثرهم ، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والاقتداء لا الإمامة بمفهوم الرافضة"[4] .

ب- لايسلم لهم أن من ارتكب ظلما ثم تاب منه أنه يلحقه وصف الظلم ويلزمه بحيث لاتجدي التوبة منه فإن أعظم الظلم الشرك قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[5] ، ثم فسر الظلم بقوله : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[6]

---

(١) أصول مذهب الشيعة (٧٨٢/٢) .

(٢) سورة البقرة : آية (١٢٤) .

(٣) تفسير الطبري (٥٧٨/١) ، البغوي (١٤٦/١) ، القرطبي (١٠٨/٢) ، ابن كثير (٢٤٩/١) .

(٤) أصول مذهب الشيعة (٧٨٤/٢) .

(٥) سورة الأنعام : آية (٨٢) .

(٦) سورة لقمان : آية (١٣) .

ومع هذا قال جل شأنه في حق الكفار : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[١] .

لكن قياس قول هؤلاء إن من أشرك أو ارتكب معصية ولو صغيرة فهو ظالم لاينفك عنه وصف الظلم ، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك لأن الظلم هو الشرك فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية لأن الخوارج لايثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حالة عدم توبته[٢] .

٢- أما نقد دليلهم العقلي وهو أن وجود الأئمة المعصومين فيه : "مصلحة ولطف بالنسبة للأمة وخير لها" .

فنقول : "من المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر[٣] الغائب المفقود لم يحصل به شئ من المصلحة واللطف سواء كان ميتا كما يقوله الجمهور أو كان حيا كما تظنه الإمامية وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم شئ من المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان كما كان النبي ﷺ بالمدينة بعد الهجرة فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته ويحصل بذلك سعادتهم و لم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي رضي الله عنه زمن خلافته ، ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف والمصلحة التي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من اللطف والمصلحة الذي كان في خلافة علي زمن القتال والفتنة والافتراق فإذا لم يوجد من يدعي الإمامية فيه أنه معصوم وحصل له سلطان بمبايعة ذي الشوكة إلا علي وحده وكان مصلحة المكلفين واللطف الذي حصل لهم في دينهم ودنياهم في ذلك الزمان أقل منه في زمن الخلفاء الثلاثة علم بالضرورة أن مايدعونه من اللطف والمصلحة الحاصلة بالأئمة المعصومين باطل قطعا"[٤] .

---

(١) سورة الأنفال : آية (٣٨) .

(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/٧٨٥) .

(٣) هو مهدي الرافضة المنتظر محمد بن الحسن العسكري .

(٤) منهاج السنة (٣/٣٧٨،٣٧٩) .

ثالثا : الآثار البدعية السيئة المترتبة على القول بعصمة الأئمة :

لقد ترك القول بعصمة الأئمة آثارا في الدين سيئة على من اعتقد القول بعصمة الأئمة فمن هذه الآثار مايلي :

١- مماثلة أئمتهم بالله : إن مفهوم العصمة لدى الرافضة الذي هو نفي الغفلة والخطأ والسهو والنسيان عن أئمتهم هو تشبيه لأولئك الأئمة بالله سبحانه وتعالى الذي لاتأخذه سنة ولانوم ، ولقد صرح الإمام الرضا أحد الأئمة المعصومين لديهم أن من نفى السهو عن النبي ﷺ ملعون مشبه له بالله سبحانه وتعالى فكيف بمن يدعي ذلك فمن هو أقل منه ﷺ . قيل للإمام الرضا : "إن في الكوفة قوما يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته فقال كذبوا ــ لعنهم الله ــ إن الذي لايسهو هو الله الذي لاإله إلا هو"[١] .

وتشبيه الرافضة أئمتهم بشئ من صفات الله هو شئ متواتر عنهم معروف ولايستحيون من ذكره فهم ينسبون إلى جعفر الصادق أنه قال : "إني لأعلم مافي السموات وأعلم مافي الأرضين وأعلم مافي الجنة وأعلم مافي النار ، وأعلم ماكان ومايكون"[٢] .

٢- تكفيرهم لمن أنكر القول بعصمة الأئمة :

لقد كفر الرافضة كل من أنكر عصمة أئمتهم ، وهذا هو إمام من أئمتهم ينص على تكفير من لم يقل بالعصمة .

قال ابن بابويه : "اعتقادنا في الأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس وأنهم لايذنبون ذنبا صغيرا ولاكبيرا ولايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون ومن نفى عنهم العصمة في شئ من أحوالهم فقد جهلهم ومن جهلهم فهو كافر"[٣].

---

(١) بحار الأنوار (٢٥/٣٥٠) .

(٢) المصدر السابق (١١١/٢٦) .

(٣) الاعتقادات (ص١٠٨،١٠٩) .

٣- أن القول بعصمة الأئمة يورث الشك والحيرة والتناقض :

ومن أمثلة ذلك مايذكر من أنه بعد "قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقا واجبا صوابا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم وكثرة أصحاب يزيد حتى قتل وقتل أصحابه جميعا باطل غير واجب لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية وإن كان مافعله الحسين حقا واجبا صوابا من مجاهدته يزيد حتى قتل وقتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل ، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام"[1] .

فانظر كيف هو حجم الشك والحيرة الذي أصاب أتباع الرافضة بسبب ماصدر من إمامين معصومين لديهما وهما الحسن والحسين وتناقض فعليهما الذي سبق ذكره .

وهذا الاختلاف الذي حدث بين أتباع المذهب الرافضي لايقتصر فقط في مسألة القول بالعصمة بل هو سمة عامة لاعتقادات المذهب الرافضي ، وهو مما أثار الشكوك والحيرة لدى بعض أتباعه مما ساهم في تركهم لمذهب الرافضة وهذه هي الحسنة الوحيدة التي يمكن أن نستفيدها من اختلاف وتناقض المذهب الرافضي في مسائله عموما وفي مسألة عصمة الأئمة على وجه الخصوص كما سبق معنا وهو مايؤكد صحة ماسبق ذكره من حجم الخلاف والتناقض الهائل في المذهب الرافضي أن شيخهم محمد بن الحسن الطوسي تألم كثيرا لاختلاف وتناقض الرافضة واعترف بأن هذا الاختلاف قد فاق ماعند أصحاب المذاهب الأخرى وأن هذا كان من أعظم الطعون على مذهبهم وأنه جعل بعض الشيعة يترك هذا المذهب لما انكشف له أمر هذا الاختلاف والتناقض[2] .

---

(١) المقالات والفرق للقمي (ص٢٥) وهم يقصدون بالعامة أهل السنة .

(٢) تهذيب الإحكام (١/٢-٣) .

المبحث الثاني
حب الرئاسة والتصدر

أولا : التمهيد

يظن بعض الناس أن حب الرئاسة والتصدر وحرص المرء على الشرف لنفسه لايقود إلى وقوع الإنسان في البدعة والمخالفة في الاعتقاد للسلف رضي الله عنهم ، ولكن قبل أن نصحح ظن هذا الظان أو نكذبه يجب أن نعلم أن حب الرئاسة والتصدر وسعي الإنسان للشرف هو أمر مركوز في الفطر والنفوس وكامن فيها بحيث أن الإنسان قد يكون مصابا بهذا الداء وهو لايشعر بذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "إن كثيرا من الناس يكون في نفسه حب الرئاسة كامن لايشعر به ... ولهذا سميت هذه "الشهوة الخفية" . قال شداد بن أوس : يابقايا العرب إن أخوف ماأخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : ماالشهوة الخفية؟ قال : حب الرياسة . فهي خفية تخفى على الناس وكثيرا ماتخفى على صاحبها"[١] .

ولكمون حب الرئاسة والشرف في النفس ومايجره من مفاسد لأديان وعقائد من هو مصاب بهذه الخصلة ، حذر النبي ﷺ من ذلك فقال : "ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه"[٢] .

قال شيخ الإسلام : "فبين ﷺ أن الحرص على المال والشرف في فساد الدين لاينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم"[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٤٦/١٦) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد برقم (٢٣٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في مسند المكيين برقم (١٥٢٢٤) ..

(٣) مجموع الفتاوى (٢١٥/١٠) .

ومعلوم أن فساد الدين هنا يشمل الأمور الاعتقادية والتشريعية على حد سواء .

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث : "فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم ، بل إما أن يكون مساويا وإما أكثر ، يشير أنه لايسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل ، كما أنه لايسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل"[(١)] .

ومع مايجره حرص المرء على المال من المفاسد العظيمة التي لاتخفى على أحد فإنه لاشك أن مايجره حرص المرء على الشرف والترأس والتصدر هو أعظم مفسدة وأخطر على دين المرء من حرصه على المال ، لأن حرص المرء على الشرف لدينه يقوده إلى الإحداث في دين الله والابتداع وإضلال الناس وإفساد عقائدهم إذا لم يتحصل له الشرف والترأس إلا من تلك الطريق .

قال ابن رجب رحمه الله مؤكدا عظم المفاسد التي تترتب على حرص المرء والشرف لدينه : "وأما حرص المرء على الشرف فهذا أشد إهلاكا من الحرص على المال فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال وضرره أعظم والزهد فيه أصعب فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف"[(٢)] .

فلا إله إلا الله كم من نفس صرعها حب الرئاسة والتصدر والشرف فسكرت من كأس حب الرياسة حتى الثمالة وباعت الغالي والنفيس من أجل أن يشار إليها بالبنان وأن يسمع لها إذا قالت ، وتطاع إن هي أمرت .

وكما حذر النبي ﷺ من غائلة حرص المرء على الشرف لدينه فلقد حذر السلف أيضا رضي الله عنهم من حب الشرف والرياسة والتصدر وماقد يجره من

---

(١) مجموعة رسائل الإمام ابن رجب (ص٧١) .

(٢) المصدر السابق (ص٧٦) .

الإحداث والابتداع ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : "أيها النـــاس إنهـــا ستكون فتنة يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن فيقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والرجـــل والصغير والكبير حتى يقول الرجل : قد قرأت القرآن ولاأرى الناس يتبعوني أفلا أقرأه عليهم علانية قال فيقرأه علانية فلايتبعه أحد فيقول قد قرأته علانية فلا أراهم يتبعوني فيتخذ مسجدا في داره ـــ أو قال في بيته ـــ فيبتدع فيه قولا ـــ أو قال حديثا ليـــس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ فإياكم وماابتدع فإنما ابتدع ضلالة"[(١)] .

هذا الذي ذكره معاذ رضي الله عنه نستشف منه كيف يقود حـــب الرياســـة والشرف إلى الإحداث والابتداع ، فعندما قرأ القرآن علانية لم يســـتجب للمغـــرم بالشرف أحد فأحدث في بيته ماأحدث ، وأحدث من الكلام والبـــدع مـــاأحدث ، وماهذا إلا لكمون حب الرياسة والشرف في قلبه وتتيمه بذلك ، ولقد وقع ماأخبر به معاذ رضي الله عنه ، فهذا أبو قلابة رحمه الله ـــ راوي ذلك الأثر عن معاذ بن جبـــل ـــ يمر برجل قد اتخذ مسجدا في داره فقال : رحم الله معاذ بـــن جبـــل رحـــم الله معاذا"[(٢)] .

وعن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : "مارأيت الزهد في شئ أقـــل منـــه في الرئاسة ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب فإن نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى"[(٣)] .

---

(١) شرح أصول أهل السنة للالكائي (٨٩/١) .

(٢) المصدر السابق (٨٩/١،٩٠) .

(٣) السير (٢٦٢/٧) .

ثانيا : الأمثلة

أما الأمثلة الحية التي تمثل وتصور حقيقة مايؤديه حب الرئاسة والتصدر في الوقوع في البدع فهي كثيرة جدا ، ولكن سنعرض لبعض هذه الأمثلة الكثيرة ، نعرضها مع بيان كيفية تأثير حب الشرف والرئاسة والتصدر في إيقاع من أصابه شبق حب الرئاسة في الإحداث والابتداع .

المثال الأول :

المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت٦٧هـ)

ترجم له الذهبي فقال هو : "المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب ، كان والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي .. نشأ المختار فكان من كبراء ثقيف وذوي الرأي والفصاحة والشجاعة والدهاء ، وقلة الدين ، وقد قال النبي ﷺ : "يكون في ثقيف كذاب ومبير"[١] فكان الكذاب هذا ادعى أن الوحي يأتيه وأنه يعلم الغيب ، وكان المبير الحجاج قبحهما الله"[٢] .

ومن الدلائل التي تدل على أن المختار تشرب قلبه حب الرئاسة والتصدر مايلي :

١- تنقله بين الأحزاب المختلفة والمتناقضة فهو يوم من حزب الخوارج ، ويوما آخر من حزب ابن الزبير ، ويوما ناصبيا ، ويوما شيعيا ، وتنقله هذا كله طمع منه لعله ينال منصبا أو شرفا ممن يتبعه .

قال في الملل عن المختار : "كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا ثم كيسانيا"[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٥٤٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٥٣٩) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (ص١٤٧،١٤٨) .

ومما يدل على أن تنقله هذا كان سببه حب الرئاسة والتصدر أنه عندما خذل أهل الكوفة الحسن بن علي في حربه مع معاوية والتجأ إلى المدائن وكان عاملها عم المختار بن أبي عبيد قال المختار لعمه عندما آوى الحسن بن علي : لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء أبدا ، ولكن عمه رفض هذا العرض .

قال في البداية عن المختار : "فإنه كان أولا ناصبيا يبغض عليا بغضا شديدا وكان عند عمه في المدائن وكان عمه نائبها فلما دخلها الحسن بن علي خذله أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه ، فلما أحس الحسن منهم بالغدر فر منهم إلى المدائن في جيش قليل فقال المختار لعمه : لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء أبدا ، فقال له عمه : بئس ماتأمرني به ياابن أخي"[١] .

وعندما علم أن اتباع الناصبيين لايسمن ولايغني من جوع بحث له عن بديل فوجد ذلك البديل في عبد الله بن الزبير رضي الله عنه فاتجه نحو مكة عندما كان ابن الزبير ينشر دعوته بين الناس فالتقى المختار بابن الزبير واشترط عليه شروطا لكي يبايعه فقال المختار عارضا شروطه على ابن الزبير : "أبايعك على أن لاتقضي الأمور دوني وعلى أن أكون أول داخل وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك فقال ابن الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله . فقال : وشر غلماني تبايعه على ذلك والله لاأبايعك أبدا إلا على ذلك فبايعه"[٢] .

ولو لوحظت شروطه لوجدناها كلها في سبيل التصدر والترأس والإمارة ، لايقضي أمرا دونه فكأنه هو صاحب الدعوة ، وأن يوليه أفضل أعماله ، وعندما عرض عليه ابن الزبير بيعة الكتاب والسنة ردها وذلك لقلة دينه كما ذكر ذلك عنه الذهبي ، ورفض أن يكون كأحد غلمانه وطالب بأن يكون متميزا عنهم ، ولكنه مالبث أن ترك ابن الزبير ولم يكتف بولاية الكوفة عندما ولاه إياها ابن الزبير

(١) البداية والنهاية (٢٩٣،٢٩٢/٢/٤) .

(٢) الكامل لابن الأثير (٦٣٢/٢) .

فطمعت نفسه بالإمامة العظمى فعلم أنه لايحصل على ذلك إلا بالدعوة في أهل العراق لابن الحنفية رحمه الله ، فأتى الكوفة وزعم في دعواه أنه مرسول من قبل محمد بن الحنفية لأهل العراق ، وأنه وزير وأمير محمد بن الحنفية فاجتمع بأهل الكوفة فكان أول قوله عندما اجتمع بكبارهم : "إن المهدي ابن الوصي بعثني إليكم أمينا ووزيرا ومنتخبا وأميرا وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء فكونوا أول خلق الله إجابة فضربوا على يده وبايعوه"[١] .

ثم اجتمعت الشيعة على المختار و لم يعدلوا به أحدا وإنما تم اجتماع الشيعة عليه لأنه سلك في دعوتهم ثلاثة أمور :

(١) انتسابه إلى محمد بن الحنفية علما ودعوة .

(٢) قيامه بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما واشتغاله ليلا ونهارا بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين .

(٣) بربطهم بالمحال والكذب[٢] .

و لم يكن محمد بن الحنفية رحمه الله راضيا عن المختار ولا أمره بالدعوة له والذي يدل على ذلك أن المختار بن أبي عبيد كان يزور الكتب لأهل الكوفة على أنها من عند محمد بن الحنفية[٣] .

٢- عندما أراد سليمان بن صرد رضي الله عنه الأخذ بثأر الحسين وقام بحركة التوابين وتزعم الشيعة خذل المختار الشيعة عن اتباع سليمان رضي الله عنه وزهدهم فيه .

ثم إنه دعا الشيعة إلى اتباعه وترك متابعة سليمان بن صرد فهو قدح في أهلية سليمان بن صرد رضي الله عنه لقيادة التوابين وذلك لكي يلتف الناس حوله وحده قال في الكامل : "وبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد وقال لهم ... إن سليمان ليس له بصر بالحرب ولاتجربة بالأمور ، وإنما يريد أن يخرجكم

(١) المصدر السابق (٦٣٣/٢) .

(٢) انظر : الملل والنحل (ص١٤٨) ، السير (٥٤٢/٣) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٦٦٤/٢) .

فيقتلكم ويقتل نفسه وأنا أعمل على مثال مثل لي عن وليكم وأقتل عدوكم وأشـــفي صدوركم فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري"[١] .

٣- تمنيه أن يفقد أمواله ومماليكه في سبيل أن يتم له أمر الرئاسة والتصدر ثـــم لايملك بعد ذلك شيئا ، عندما وثب المختار على الكوفة في سنة ست وستين أمسك به من قبل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وحبساه في الكوفة فكتب المختار إلى عبد الله بن عمر وكانت تحته أخت المختار بن أبي عبيد يستشفع به إلى عمال ابن الزبير حتى يتركوه يخرج من السجن فقبل عمال ابن الزبير شفاعة ابـــن عمر وأخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه أنه لايبغيهما غائلة ، ولايخـــرج عليهمـــا ماكان لهما سلطان فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ، ومماليكـــه أحـــرار ذكرهم وأنثاهم . ولكن المختار نقض تلك الأيمان المغلظة والعهود والمواثيق المبرمة فما كان منه بعد خروجه من السجن ونزوله بداره إلا أن التقى بمن يثق به فصرح له بما في نفسه ، فقال له المختار : قاتلهم الله ماأحمقهم حين يرونني أني أفي لهم . أما حلفي بالله فإنني إذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها كفرت عن يمين وخروجي عليهم خير من كفي عنهم ، وأما هدي البدن وعتق المماليك فهو أهون علي من بصقة ، فوددت أن تم لي أمري ولاأملك بعده مملوكا أبدا"[٢] .

فانظر كيف عد المختار خروجه على ولي أمر المسلمين خيرا من لزومه لجماعة المسلمين وكيف يقدم مايملكه من المماليك والأموال في سبيل تمام أمره ، بـــل يجعـــل ذلك كله كبصقة يخرجها من فمه . هذا كله من آثار حب الرئاسة التي بدت علـــى فلتات لسان المختار وعلى أفعاله ، وليته وقف عند حد بذل الأملاك في سبيل الرئاسة ، بل أنه بذل أغلى مايملكه الإنسان ألا وهو الدين ، فلقد بذل المختار بن عبيد دينه في سبيل الوصول إلى الرياسة ، ولاأدل على ذلك من تبنيه للبدع وإظهاره لها ونشـــرها بـــين أتباعـــه حتـــى سمـــي الكـــذاب مـــن كـــثرة مايدعيـــه مـــن البـــدع

---

(١) المصدر السابق (٢/٦٣٤) .

(٢) المصدر السابق (٢/٦٦١) .

المضلة ، ومن هذه البدع التي جعلها المختار سلاحا لجذب الناس حوله وصرفهم إليه مايلي :

(١) ادعاء الوحي والنبوة :

إن من أعظم الضلالات التي دعى إليها المختار هو زعمه بنزول الوحي عليه وادعاء النبوة ، ولذلك قال العلماء أن المختار هو المقصود بقوله ﷺ : "يكون في ثقيف كذاب ومبير[١]"[٢] فقالوا الكذاب هو المختار بن أبي عبيد وذلك لادعائه النبوة.

ولقد ثبت عن المختار مانسب إليه من دعوى النبوة ونزول الوحي .

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة المختار : "ادعى أن الوحي يأتيه وأنه يعلم الغيب"[٣] .

وعن رفاعة الفتياني قال : "دخلت على المختار فألقي لي وسادة وقال لولا أن جبريل قام عن هذه لألقيتها لك"[٤] .

وعن الشعبي قال : "أقرأني الأحنف كتاب المختار إليه يزعم أنه نبي"[٥] .

ولقد ذكر أهل العلم شيئا من أسجاع المختار التي ألفها ليحاكي بها القرآن فمن ذلك قول المختار : "أما والذي أنزل القرآن ، وبين الفرقان ، وشرع الأديان ، وكره العصيان لأقتلن البغاة من أزد عمان ، ومذحج وهمدان ، ونهد وخولان ، وبكر وهزان ، وثعل ونبهان ، وعبس وذبيان ، وقيس عيلان ...

ثم قال : وحق السميع العليم ، العلي العظيم ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم ، لأعركن عرك الأديم ، أشراف بني تميم" .

ومما قاله أيضا : "أما وممشي السحاب ، الشديد العقاب ، السريع الحساب ، العزيز الوهاب ، القدير الغلاب ، لأنبشن قير ابن شهاب المفتري الكذاب المجرم المرتاب ، ثم ورب العالمين ، ورب البلد الأمين لأقتلن الشاعر المهين ، وراجز

---

(١) مبير : أي سفاك للدماء .

(٢) سبق تخريجه (ص٢٥٠) .

(٣) السير (٥٣٩/٣) .

(٤) السير (٥٣٩/٣) .

(٥) المصدر السابق (٥٣٩/٣) .

المارقين ، وأولياء الكافرين ، وأعوان الظالمين ، وإخوان الشياطين الذين اجتمعوا على الأباطيل ، وتقولوا علي الأقاويل ،وليس خطابي إلا لــذوي الأخــلاق الحميــدة والأفعال السديدة والآراء العتيدة والنفوس السعيدة"[١] .

ولقد ذكر أصحاب المقالات والتاريخ أن سبب دعوى المختار للنبوة هو أنــه كان محاطا بطائفة من السبئية[٢] الغلاة من الرافضة فزينوا له دعوى النبــوة ، قــال البغدادي "ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان وحملوه على دعوى النبوة فادعاها عند خواصه وزعم أن الوحي ينزل عليه[٣] .

(٢) تجويزه البداء على الله تعالى :

أجاز المختار بن أبي عبيد قبحه الله البداء على الله ، والبداء المــراد بــه أن الله سبحانه وتعالى ظهر له خلاف ماعلم ، أو أن يكون المراد به أن الله سبحانه وتعــالى يظهر له صواب على خلاف ماأراد وحكم . ولاشك أن كلا المعنيــين في حــق الله سبحانه وتعالى لايصح وهو ضرب من الباطل والكذب ، ولقد أثبت أهــل العلــم بالمقالات أن المختار يعد رأسا في القول بهذه البدعة الشنعاء ، ولم تعرف هذه البدعة عن أحد قبل ظهور المختار بن أبي عبيد ، أو على الأقل لم تشتهر اشتهارا كبيرا كما اشتهرت عن المختار بن أبي عبيد .

قال الشهرستاني : فمن مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى .

ثم قال أيضا : "وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعي علم مايحدث من الأحوال إما بوحي يوحى إليه وإما برسالة من قبل الإمام فكان إذا وعد أصحابه بكون شئ وحدوث حادثة فإن وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه وإن لم يوافق قال : قد بدا لربكم"[٤] .

---

(١) الفرق بين الفرق (ص٤٧،٤٨) .

(٢) السبئية : هم أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودي من عقائدهم تأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودعواهم أنه لم يمت وأنه في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه . التعريفــات للجرجــاني (ص١١٧) .

(٣) الفرق بين الفرق (ص٤٧) ، الكامل لابن الأثير (٢/٦٩٠،٦٩٤) .

(٤) الملل والنحل (ص١٤٨،١٤٩) .

ولقد ذكر أهل العلم بالمقالات قصة كانت وراء قول المختار بالبداء فذكروا أن مصعب بن الزبير أرسل جيشا قويا لقتال المختار ومن معه فبعث المختار إلى قتالهم أحمد بن شميط مع ثلاثة آلاف من المقاتلة وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم ، وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط وأكثر قواد المختار ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له لماذا تعدنا بالنصر على عدونا؟ فقال : إن الله تعالى كان قد وعدني ذلك لكنه بدا له واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[1] "[2] .

ولكن استدلال المختار بن أبي عبيد على مسألة البداء على الله بهذه الآية باطل لوجهين :

(أ) أنه ذكر أن الله وعدهم النصر لكنه بدا له فكتب عليهم الهزيمة ، وهذا لايصح في حق الله فإن الله سبحانه وتعالى إذا وعد فهو لايخلف وعده ، فقال تعالى : ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[3] .

(ب) إن أرباب التفسير من أئمة السلف رحمهم الله لم يذكروا عند تفسيرهم لهذه الآية ماعناه بها ابن أبي عبيد ، بل كانت تفسيراتهم لها تدور حول تقدير الله لخلق الله من حيث معاشهم وأرزاقهم وصحتهم ومرضهم ، فهذا يمحو الله منه مايشاء ويثبت مايشاء[4] .

(٣) اتخاذه كرسيا من خشب يستنصر به :

اتخذ المختار كرسيا من خشب زعم أنه بقية مما ترك علي رضي الله عنه ، وأن فيه من المدد والنصر على الأعداء الشئ العظيم ، وهذا إن دل إنما يدل على قلة دين المختار ، وقلة عقل من يصدقه في ذلك ، فاعتقد الناس في ذلك الكرسي مااعتقده أصحاب العجل في العجل .

---

(١) سورة الرعد : آية (٣٩) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص٥٠-٥٢) .

(٣) سورة الزمر : آية (٢٠) .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير (٨٠٣/٢) .

أما قصة هذا الكرسي فيذكرها الطفيل بن جعدة بن هبيرة قال : أضقنا إضاقة شديدة فخرجت يوما فإذا جار لي زيات عنده كرسي ركبه الوسخ فقلت في نفسي : لو قلت للمختار في هذا شيئا ، فأخذته من الزيات وغسلته فخرج عودا نضارا قد شرب الدهن وهو يبص ، قال فقلت للمختار : إني كنت أكتمكم شيئا وقد بدا لي أن أذكره لك ، إن أبي جعدة كان يجلس على كرسي عندنا ويروي أن فيه أثرا من علي ، قال : سبحان الله أخرته إلى هذا الوقت . ابعث به . فأحضرته عنده وقد غشي فأمر لي باثنى عشر ألفا ثم دعا : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فقال المختار : إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهوكائن في هذه الأمة مثله ، وإنه كان في بني إسرائيل التابوت وإن هذا فمنا مثل التابوت ، فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ثم لم يلبثوا أن أرسل المختار لقتال ابن زياد وخرج بالكرسي على بغل وقد غشي فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا حتى تعاطوا الكفر فندمت على ما صنعت وتكلم الناس في ذلك تعيبه"[(١)] .

ولقد وكل المختار بالكرسي سادنا يعتني به هو حوشب البرسمي[(٢)] .

قال ابن كثير رحمه الله في إحداث المختار لهذه البدعة : "قلت : هذا وأمثاله مما يدل على قلة عقل المختار وأتباعه ، وصفته وقلة علمه وكثرة جهله ورداءة فهمه وترويجه الباطل على أتباعه وتشبيهه الباطل بالحق ليضل به الطغام ويجمع عليه الجهال العوام"[(٣)] .

ولقد قال في ذم وعيب الكرسي وأصحابه أعشى همدان :

---

(١) الكامل لابن الأثير (٦٩٤/٢) .

(٢) الكامل (٦٨٩/٢) ، وانظر : البداية والنهاية (٢٨١/٢/٤) ، السير (٥٤١/٣) ، الفرق بين الفرق (ص٥٠-٥٢) ، الملل والنحل (ص١٤٩) .

(٣) البداية والنهاية (٢٨٢/٢/٤) .

شهدت عليكم أنكم سبائية ... وإني بكم ياشرطة الشرك عارف

وأقسم ماكرسيكم بسكينة ... وإن كان قد لفت عليه اللفائف

وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت ... شبام حواليه ونهد وخارف

وإني امرؤ أحببت آل محمد ... وتابعت وحيا ضمنته المصاحف

وتابعت عبد الله[1] لما تابعت ... عليه قريش سمطها والغطارف[2]

(٤) تفضيله عليا رضي الله عنه على سائر خلق الله إلا الأنبياء والرسل :

عندما ذهب المختار إلى دعوة إبراهيم بن الأشتر إلى موازرته ونصرته أعطى إبراهيم بن الأشتر كتابا زوره المختار على محمد بن الحنفية يدعو فيه محمد إبراهيم إلى الدخول معه في دعوته ، فعندما قدم المختار ذلك الكتاب قال لإبراهيم : هذا كتاب من المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد الأنبياء ورسله وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا"[3] .

والشاهد هنا هو قوله "وابن خير أهلها قبل اليوم بعد الأنبياء ورسله" .

وهذا إن دل إنما يدل على غلو المختار في تفضيله لعلي رضي الله عنه ، وهو يدل أيضا على تلبس المختار بالتشيع بل التشيع الغالي ، وإلا فمن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي[4] ، وهذا مما استقر عليه رأي السلف رضي الله عنهم وهو المعتمد .

---

(١) عبد الله هو عبد الله بن الزبير الخليفة في عصر الشاعر مع عبد الملك بن مروان .

(٢) المصدر السابق (٤/٢/٢٨٢) .

(٣) الكامل (٢/٦٦٤) .

(٤) السنة للخلال (ص٣٧٤) .

المثال الثاني :

المهدي بن تومرت (ت٥٢٤هـ)

يعتبر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري الـذي لقـب نفسـه بالمهدي واحدا من الأمثلة الكثيرة الدالة على ضحايا محبي الرياسة والتصدر والشـرف فإنه وإن كان من عشاق الرياسة والتصدر ، إلا أنه بلغ به عشق الرياسة حد التتيم بها والسهر لأجل نيلها وركوب الصعاب للصعود في عليائها ، والأدلة والشواهد الكثيرة تبين لنا وتدلنا على مانقوله من تعلق ابن تومرت بالرياسة والتصدر ، فمن هذه الأدلة مايلي :

١- دعواه أنه علوي حسني من أبناء محمد بن الحسن بن علي بن أبي طـالب رضي الله عنه ، ولقد بين الإمام الذهبي رحمه الله بطلان هذه الدعوى فقال رحمـه الله "وفي ذلك نظر من حيث إن محمد بن الحسن لم يعقب"[١] . فبين الذهـبي أن مـن ينتسب إليه ابن تومرت وهو محمد بن الحسن أنه لاعقب له البتة وهذا دليـل علـى محاولة ابن تومرت الاتصال بالنسب الشريف والالتصاق به والدافع له طبعـا حـب الرياسة والتصدر .

٢- ذكره في شعره أن نفسه محملة بأشياء مخبأة يتمنى أن تنال نفسه مابداخلها من الأماني ولو كان ذلك لايتم لها إلا بضرب رقاب الورى كلهم ، وأنه لايمتنع مـن ذلك أبدا ، قال ابن تومرت :

دعني ففي النفس أشياء مخبـأة ... لألبسـن بهـا درعـا وجلبابـا
والله لو ظفرت نفسي ببغيتها ... ماكنت عن ضرب أعناق الورى آبـي
حتى أطهر ثوب الدين عن دنس ... وأوجب الحق للسادات إيجابـا[٢]

---

(١) السير (١٩/٥٥٢) .
(٢) السير (١٩/٥٥٢) .

وانظر إلى ابن تومرت كيف يسوغ قتله للناس إن تمكن من ذلك بأنه لأجل الدين وتطهيره من الأدناس ، وهذا تسويغ بارد من ابن تومرت فهو يستحل قتل الناس الأبرياء باسم الدين .

٣- وصف أهل العلم والخبرة بأحوال الناس ابن تومرت بأنه رجل كل همه الرياسة والطمع فيها ، وفي كل مايوصل إليها ولكن عن طريق التمسح بالدين .

قال الإمام الذهبي رحمه الله في وصف ابن تومرت وحاله : "عمالا على الملك غاويا في الرياسة والظهور" .

وقال عنه أيضا : "لالذة له في مأكل ولامنكح ولامال ولا في شئ غير رياسة الأمر حتى لقي الله تعالى لكنه دخل ــ والله ــ في الدماء لنيل الرياسة المردية"[١].

ولم يكن هذا فقط هو رأي الذهبي في ابن تومرت بأنه طلاب للرياسة والملك بل إنه عندما جاء في مجلس ملك المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين وأمر الملك بالمعروف ونهاه عن المنكر ، قال مالك بن وهيب الفيلسوف للملك مناصحا له بعدما عرف أن ابن تومرت ماهو إلا طالب ملك ورياسة وشهرة : "إني خائف عليك من هذا فاسجنه وأصحابه وأنفق عليهم مؤنتهم وإلا أنفقت عليهم خزائنك ، فوافقه" ، فقال الوزير يقبح بالملك أن يبكي من وعظه ثم يسئ إليه في مجلسه وأن يظهر خوفك وأنت سلطان من رجل فقير فأخذته نخوة وصرفه وسأله الدعاء[٢] .

٤- سفكه لدماء من اتبعه ونصره وآواه خوفا من انقلابهم عليه :

عندما تغلب ابن تومرت على بعض الأماكن مثل جبال المصامدة[٣] جهز له ابن تاشفين جيشا لقتاله ، ثم إنه مالبث أن انتقل إلى أماكن أكثر أمنا ألا وهي جبال تين ملل[٤] وذلك بطلب من أهلها فقاموا بحمايته واتباعه في أمره فأقام بتين

---

(١) السير (١٩/٥٤٠،٥٤١) .

(٢) السير (١٩/٥٤٤) ، الكامل (٦/٦٦١) .

(٣) جبال المصامدة : هي نسبة إلى مصمودة وهي قبيلة بالمغرب فيه موضع يعرف بهم . معجم البلدان لياقوت الحموي ، باب الميم والصاد ومايليهما .

(٤) تين ملل : الميم مفتوحة ، واللام الأولى مشددة مفتوحة ، جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البربر . معجم البلدان لياقوت الحموي ، باب التاء والياء ومايليهما .

ملل وبنى له مسجدا خارج المدينة فكان يصلي فيه هو وجمع ممن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة ، فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ، ثم إنه أمر أصحابه أن يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ، ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر ، وسبى الحريم ونهب الأموال فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفا وقسم المساكن والأرض بين أصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على رأس جبل عال"(١) .

هذا هو صنيع ابن تومرت بمن آواه وأمنه وصدقه وسلم له أمره واتبعه ، إنه صنيع يسود الوجوه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، ولكن ماالداعي الذي جعل ابن تومرت يخون من أخلص له فيقتله ويسبي حريمه ويأخذ ماله؟ إنه حب الرياسة والملك ، يستصغر لأجله أكبر الموبقات ، هذا هو حال ابن تومرت المصلح الديني!! فرحم الله المصلحين وقبح الله ابن تومرت وأمثاله من الأدعياء الكذبة الخائضين في دماء المسلمين .

هذا الهوس بالملك والسلطان قاد ابن تومرت إلى بدع شنعاء وأقوال وأفعال عمياء ، فمن هذه البدع التي وقع فيها ابن تومرت مايلي :

(١) ادعاؤه العصمة لنفسه :

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن تومرت : "المدعي أنه علوي حسني وأنه الإمام المعصوم"(٢) .

وقال لأتباعه عند توجيههم لدعوة الناس : "اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين فادعوهم إلى إماتة المنكر وإزالة البدع والإقرار بالمهدي المعصوم"(٣) ويقصد بالمهدي المعصوم نفسه ، وادعاء ابن تومرت العصمة لنفسه دليل على تأثره بمذهب

---

(١) الكامل (٥٦٢/٦) .
(٢) السير (٥٣٩/١٩) .
(٣) السير (٥٤٩/١٩) .

التشيع ، وتأثره هذا يظهر من خلال اعتقاده لما في كتب الشيعة وخاصة كتاب الجفر[(١)] .

وقال في السير : "وكان فيه تشيع"[(٢)] .

(٢) نشره لعلم الكلام وتصنيفه للناس عقيدة تسمى "المرشدة" :

ألف ابن تومرت لأصحابه عقيدة في التوحيد سماها "المرشدة" في زعمه .

وقد حدثنا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بمضمون هذه العقيدة فقال : "ولهذا لم يذكر في مرشدته شيئا من إثبات الصفات ولا إثبات الرؤية ، ولا قال إن كلام الله غير مخلوق ونحو ذلك من المسائل التي جرت عادة مثبتة الصفات يذكرها"[(٣)] .

بل إن شيخ الإسلام رحمه الله جعل قول ابن تومرت في التوحيد كقول نفاة الصفات كجهم وابن سينا وابن سبعين[(٤)] .

هذه العقيدة الجهمية هي التي كان ابن تومرت يعلمها للناس ويلزمهم بالأخذ بها ، وهي عقيدة باطلة ضالة مضلة .

---

(١) السير (٥٤٢/١٩) .
وكتاب الجفر : هو كتاب يزعم الرافضة أنه من تأليف جعفر الصادق كتب فيه الحوادث التي تقع في المستقبل .
والجفر : ولد الماعز يزعم الرافضة أنه كتب ذلك في جلده .
انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (٧٨/١-٧٩) .

(٢) السير (٥٤٨/١٩) .

(٣) الدرء (٤٣٨/٣) .

(٤) المصدر السابق (٤٣٨/٣) .

(٣) تكفيره لمن خالف دعوته وإباحته دمه :

أما تكفير ابن تومرت لمن تخالف دعوته وعقيدته المرشدة فهو ثابت عنه ، قال في السير عن ابن تومرت ورأيه في المرابطين : "فكفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض والجوهر وأن من لم يعرف ذلك لم يعرف المخلوق من الخالق ، وبأن من لم يهاجر إليه ويقاتل معه فإنه حلال الدم والحريم ، وذكر أن غضبه لله وقيامه حسبة"[١] .

فانظر كيف كفر أهل الإسلام لأنهم لايعرفون المحدث والمبتدع من علم الكلام ، وكيف أباح دمهم لأنهم يجهلون مايدعو إليه ابن تومرت ، ثم إنه لم يكتف بالإعلان عن رأيه فيمن لم يستجب إلى دعوته ، بل أنه حث أتباعه على قتل من لم يستجب لهم فقال : "اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين فادعوهم إلى إماتة المنكر وإزالة البدع والإقرار بالمهدي المعصوم فإن أجابوا فهم إخوانكم وإلا فالسنة قد أباحت لكم قتالهم"[٢] .

وقال الذهبي رحمه الله في ابن تومرت : "ونبذ من خالف المرشدة بالتجسيم وأباح دمه نعوذ بالله من الغي والهوى"[٣] .

بل إن إباحته دم كل من خالف أمره ودعوته كانت هي من آخر ماأوصى به أتباعه قبل موته ، قال في السير : "وكان في وصيته إلى قومه إذا ظفروا بمرابط أو تلمساني أن يحرقوه"[٤] .

وهذا الفعل من ابن تومرت من إباحة لسفك دماء مخالفيه يشبه كثيرا حال الخوارج مع مخالفيهم من استباحة دمائهم وأموالهم ، بل إن الخوارج كانوا أحسن حالا منه ، فإن الخوارج لاتبيح دم موافقيها في الاعتقاد ، وأما ابن تومرت فإنه استباح دماء ألوف مؤلفة من أتباعه مخافة أن ينقلبوا عليه فقتلهم وهم له مطيعون ،

---

(١) السير (١٩/٥٥٠) .
(٢) السير (١٩/٥٤٩) .
(٣) السير (١٩/٥٤١) .
(٤) السير (١٩/٥٤٥) .

ولعقيدته معتقدون ففاق ابن تومرت بذلك الخوارج ، فإنه أحدث يوما سمـــاه يـــوم التمييز ميز فيه بين أهل الجنة وأهل آلنار من أتباعه ، أما الطريقة التي من خلالها يعرف بها أهل الجنة من أهل النار فهي أنه كان يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته ويخشى قوته وبأسه ووجاهته وذكاءه فيقول : هذا من أهل النار فيقوم بقتله أهله وقراباتـــه ، ويأتي إلى الشاب الغر ومن لايخشى بأسه وذكائه فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه ، فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك أمن على نفســـه وأصحابـــه واستقام أمره"(١) .

هذا هو ابن تومرت ضحية الرياسة والملك والسلطان ، وهذا مافعله من أجـــل الحصول على مراده من الملك والرياسة ، وهذه هي آثار من حرص علـــى الشـــرف لنفسه كيف يقوده الشيطان إلى الوقوع في البدع والخذلان .

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ختام ترجمته لابن تومرت : "وبكل حال فالرجل من فحول العالم رام أمرا فتم له ، وربط البربر بادعاء العصمة وأقدم على الدماء إقدام الخوارج ووجد ماقدم"(٢) .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٦/٥٦٤) ، السير (١٩/٥٤٦) .

(٢) السير (١٩/٥٥١،٥٥٢) .

المثال الثالث :

الحسين بن منصور الحلاج (ت٣٠٩هـ)

اتخذ الحسين بن منصور الحلاج طريق التصوف ستارا يخبئ وراءه حب الرئاسة والتصدر على الأقران الذي كان يملأ قلبه .

ولقد عرف أئمة التصوف هذه الخلة الفاسدة من الحلاج وذلك من خلال تعنته وبحثه عما لايفيد وسؤاله لمشايخ التصوف سؤال المختبر والمتعنت لا المستفيد ، ولذلك صرح الإمام الجنيد رحمه الله للحلاج بما في نفسه من حب التفرد والتصدر على الأقران فقال له عندما سأله عما لايفيد للمتصوف عملا : "أرى في كلامك فضولا لم لاتسأل عما مافي ضميرك من الخروج والتقدم على أبناء جنسك"[١] ، ولذلك اشتهر عن الجنيد رحمه الله وصف الحلاج بأنه مدع فقال ابن الحلاج عن وصف الجنيد لأبيه : "ونسبه الجنيد إلى أنه مدع"[٢] . فالجنيد لم يطلق هذا الوصف على الحلاج إلا بعدما كشف حقيقة مايسعى إليه الحلاج من حب الرئاسة والتصدير .

ولقد نسبه أيضا الإمام الذهبي رحمه الله إلى حب الرئاسة والتصدر فقال رحمه الله : "أن شمائل هذا المرء شمائل عدو للإسلام محب للرئاسة حريص على الظهور بباطل وبحق"[٣] .

ولقد رد الإمام ابن العماد الحنبلي سبب ماوقع فيه الحلاج من البدع المضلة والكفريات الظاهرة إلى حبه للرياسة فقال رحمه الله : "ودخل عليه الداخل من الكبر والرياسة"[٤] .

بل لقد أخرج الله حب الرياسة والتصدر من خلال فلتات لسان الحلاج فأعلنها صريحة أنه أطاع مطامعه التي هي حب الرئاسة والتصدر والظهور حتى صار لها عبدا ، ومن ثم قادته إلى مصيره المحتوم من القتل والصلب .

---

(١) السير (٣١٧/١٤) .

(٢) تاريخ بغداد (١١٣/٨) ، السير (٣١٥/١٤) .

(٣) السير (٣٤٥/١٤) .

(٤) شذرات الذهب (٢٥٣/٢) .

قال الحلاج عندما أخرج به ليقتل :

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا[١]

ومما يدل أيضا على حب الحلاج للرئاسة والتصدر أنه كان يتنقل في دعوته مع المدعوين بحسب ماهم عليه من الاعتقاد ، فإن كان من يدعوهم من أهل الاعتزال صار معهم معتزليا ، أو كانوا شيعة كان معهم شيعيا وهكذا .

ذكر الإمام ابن العماد الحنبلي رحمه الله قول الصولي عن الحلاج : "جالست الحلاج فرأيت جاهلا يتعاقل وعييا يتبالغ وفاجرا يتزهد وكان ظاهره أنه ناسك ، فإذا علم أن أهل بلد يرون الاعتزال صار معتزليا ، أو يرون التشيع تشيع ، أو يرون التسنن تسنن"[٢] .

وصنيع الحلاج في ذلك معهم دليل على عدم ثبوت مبادئه المعلنة التي هي التصوف ، بل أن حب الرياسة يقوده إلى تغيير مذهبه مع من يدعوه لكي يوافقه ذلك المدعو ومن ثم يترأس ويتصدر عليه .

أما البدع المضلة والأقوال والاعتقادات الكفرية التي وقع فيها الحلاج بسبب حبه للرئاسة والتصدر فهي كثيرة ، ونذكر منها مايلي :

(١) ادعاءه أن الله حل فيه :

لقد نسب الأئمة رحمهم الله إلى الحلاج القول بحلول الله فيه ، ومن ذلك قول الفقيه أبو علي بن البناء : "كان الحلاج قد ادعى أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت"[٣] .

وذكر الصولي رحمه الله عن الحلاج بأنه كان "يتنقل في البلدان ويدعي الربوبية ويقول للواحد من أصحابه أنت آدم ولذا أنت نوح ، ولهذا أنت محمد"[٤] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣٠/٨) ، وفيات الأعيان (١٤٤/٢) ، السير (٣٤٦/١٤) .

(٢) شذرات الذهب (٢٥٥/٢) .

(٣) السير (٣٢٧/١٤) .

(٤) الشذرات (٢٥٠/٢) ، السير (٣٢٧/١٤) .

وقال في وصفه الإمام ابن كثير رحمه الله مثبتا ادعاء الحلاج حلول الله في ذاته الخبيثة : "ولكن لم يكن له علم ولاابتنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان ... ولهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد[1] فصار من أهل الانحلال والانحراف"[2] .

هذه هي بعض أقوال أهل العلم فيما نسب إلى الحلاج من دعوى حلول الله فيه ، ولقد ثبت عن الحلاج من أقوال مايثبت هذه الدعوى عليه ، فمن ذلك ماذكره الخطيب البغدادي رحمه الله من أنه وجد "بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه : من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد قال : فأحضر وعرض عليه فقال : هذا خطي وأنا كتبته"[3] .

ولقد اشتهر عن الحلاج من العبارات مايدل على ادعائه الحلول ، فمن ذلك قوله عن نفسه "أنا الحق" ، وقوله "مافي الجبة إلا الله"[4] .

أما شعره المأثور عنه فلقد وجد مافيه مايدل حقيقة إلى الحلول .

قال ابن كثير رحمه الله : "ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة منها شعره ، فمن ذلك قوله :

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[5]

---

(١) الاتحاد : هو اتحاد الخالق بالمخلوق فيصيران شيئا واحدا .

(٢) البداية والنهاية (١٤٢/١/٦) .

(٣) تاريخ بغداد (١٢٧/٨) ، سير أعلام النبلاء (٣٢٨/١٤) .

(٤) وفيات الأعيان (١٤٠/٢) .

(٥) البداية (١٤٣/١/٦-١٤٤) .

(٢) زعمه أنه يستطيع أن يؤلف مثل القرآن :

ساق الخطيب البغدادي بسنده إلى الإمام عمرو بن عثمان المكي أنه كان يلعن الحلاج ويقول : "لو قدرت عليه لقتلته بيدي فقلت إيش الذي وجد الشيخ عليه؟ قال : قرأت آية من كتاب الله . فقال : يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به"[١] .

(٣) تعلمه السحر على أيدي الهنود السحرة :

ساق الخطيب البغدادي رحمه الله بسنده إلى علي بن أحمد الحاسب أنه قال سمعت والدي يقول : "وجهني المعتضد إلى الهند لأمور أتعرفها ليقف عليها وكان معي في السفينة رجل يعرف بالحسين بن منصور وكان حسن العشرة طيب الصحبة فلما خرجنا من المركب ونحن على الساحل والحمالون ينقلون الثياب من المركب إلى الشط فقلت له : إيش جئت إلى هاهنا؟ قال جئت لأتعلم السحر وأدعو الخلق إلى الله تعالى ، قال وكان على الشط كوخ وفيه شيخ كبير فسأله الحسين بن منصور : هل عندكم من يعرف شيئا من السحر؟ قال فأخرج الشيخ كبة غزل وناوله طرفه الحسين بن منصور ثم رمى الكبة في الهواء فصارت طاقة واحدة ، ثم صعد ونزل ، وقال للحسين بن منصور : مثل هذا تريد؟ ثم فارقني و لم أره بعد ذلك إلا ببغداد"[٢] .

وممن ذكر عن الحسين بن منصور أنه تعلم السحر كل من الإمام الذهبي[٣] رحمه الله ، وابن العماد الحنبلي[٤] رحمه الله ، وابن كثير رحمه الله الذي صحح القول بنسبة تعلم السحر إلى الحسين بن منصور الحلاج فقال رحمه الله : "وصح أنه دخل إلى الهند وتعلم بها السحر وقال أدعو به إلى الله"[٥] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢١/٨) ، السير (٣٣٠/١٤) ، الشذرات (٢٥٤/٢) .

(٢) تاريخ بغداد (١٢٠/٨) .

(٣) السير (٣١٩/١٤) .

(٤) الشذرات (٢٥٣/٢) .

(٥) البداية (١٤٢/١/٦) .

بل أن صهر الحسين بن منصور الحلاج الذي زوجه ابنته عرف عن الحلاج تعلمه للسحر ، قال أبو يعقوب الأقطع : "زوجت ابنتي من الحسين بن منصور لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال كافر"(١).

(٤) تصحيحه لمذاهب الكافرين وكفره بشرع رب العالمين :

لقد صحح الحلاج مذهب رأس الكافرين ، ألا وهو فرعون وجعل كلمة الكفر التي نطق بها فرعون وهي إنكار رب العالمين حقا وصدقا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا﴾(٢) .

عن عثمان بن معاوية ــ قيم جامع الدينور ــ قال : "بات الحسين بن منصور في هذا الجامع ومعه جماعة ، فسأله واحد منهم فقال ياشيخ ماتقول فيما قال فرعون؟ قال : كلمة حق . قال : فما تقول فيما قال موسى عليه السلام؟ قال : كلمة حق لأنهما كلمتان جرتا في الأبد كما جريتا في الأزل"(٣) .

أما إبطال الحلاج للشريعة وكفره بها ودعوته الناس إلى ذلك ، فهذا ثابت عنه من خلال كتبه ومراسلاته لتلاميذه ومريديه .

عن ندب بن زاذان أن تلميذ الحسين قال : كتب الحسين إلي :

بسم الله المتجلي عن كل شئ لمن يشاء ، والسلام عليك ياولدي ، ستر الله عنك ظاهر الشريعة وكشف لك حقيقة الكفر ، فإن ظاهر الشريعة كفر وحقيقة الكفر معرفة جلية ، وإني أوصيك أن لاتغتر بالله ولاتأيس منه ولاترغب في محبته ولاترضى أن تكون غير محب ولاتقل بإثباته ولاتمل إلى نفيه وإياك والتوحيد والسلام"(٤) .

---

(١) السير (٣٣٠/١٤) .
(٢) سورة الكهف : آية (٥) .
(٣) السير (٣٥٢/١٤) .
(٤) السير (٣٥٢/١٤-٣٥٣) .

فانظر رعاك الله كيف أبطل هذا الزنديق الشرع وجعل ظاهره هو الكفر ، ودعا مريده إلى اعتقاد ذلك مع القلء الشبه عليه والأوهام والشك المريب بأن يحب الله ولايحبه ، وبأن لايعتقد أنه موجود أو غير موجود ، ونهيه عن التوحيد كل ذلك من التناقض وتربيته التلاميذ على الشك والزندقة والكفر بالله ، ولايستغرب صدور ذلك من الحلاج فلقد حكي عنه أنه دعا الله في يوم عرفة بأن قال : " أنزهك عما قرفك به عبادك ، وأبرأ إليك مما وحدك به الموحدون"[(١)] .

ولقد عقب الإمام الذهبي رحمه الله على دعاء الحلاج بقوله رحمه الله :

"قلت هذا عين الزندقة ، فإنه تبرأ مما وحد الله به الموحدون الذين هم الصحابة والتابعون وسائر الأمة فهل وحدوه تعالى إلا بكلمة الإخلاص التي قال رسول الله ﷺ "من قالها من قلبه فقد حرم ماله ودمه" ، وهي شهادة أن لاإله إلا الله محمدا رسول الله فإذا برئ الصوفي منه فهو ملعون زنديق وهو صوفي الزي والظاهر متستر بالنسب إلى العارفين وفي الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل"[(٢)] .

ومما هو ثابت عن الحلاج أنه كتبه إلى تلاميذه وأتباعه من التشريعات الحلاجية الكفرية أنه عندما أحضر في مجلس الوزير حامد بن العباس وكان القاضي أبو عمر محمد بن يوسف حاضرا وقد أحضر للحلاج كتاب من دور بعض أصحابه وفيه "ومن أراد الحج ولم يتيسر له فليبن في داره بيتا لاينالـه شئ من النجاسة ولايمكن أحدا من دخوله ، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة ، ثم يفعل في داره مايفعله الحجيج بمكة ، ثم يستدعي ثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه ويتولى خدمتهم بنفسه ثم يكسوهم قميصا قميصا ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم ـــ أو قال ثلاثة دراهم ـــ فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج.

وإن من صام ثلاثة أيام لايفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان .

---

(١) السير (٣٤٢/١٤) .

(٢) السير (٣٤٢/١٤-٣٤٣) .

ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك .

وإن من جاور بمقابر الشهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ثم لايفطر إلا على شئ من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره . فقال له القاضي أبو عمر : من أين لك هذا؟ فقال : من كتاب الإخلاص للحسن البصري فقال له كذبت ياحلال الدم قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة ليس فيه شئ من هذا"[1] .

فهذا شاهد على انحلال الحلاج من الدين وزندقته ، وذلك بإسقاطه الصلاة والصيام والحج عن أتباعه ، بل وكل العبادات ببعض الطقوس التي يؤدونها، فهي أكبر برهان وأعظم حجة وسلطان على إبطال الحسين بن منصور الحلاج للشرع والدين الذي أتى به محمد ﷺ وسعيه في ذلك وعمله لتحقيقه ليلا ونهارا ، لكن خيب الله سعيه وأكذب ظنه فكان مصيره أن قتل في الزندقة وصلب في بغداد على إجماع من أهل العلم في عصره على كفره وزندقته ، وكان ذلك سنة ٣٠٩هـ .

فانظر إلى آثار حب الرياسة والتصدر والظهور الذي يقصم الظهور كيف قصم ظهر وعنق الحسين بن منصور الحلاج ، وإن في ذلك لأعظم العبر والآيات لمن اعتبر وادكر ونهى النفس عن الشهوة الخفية المردية ، ألا وهي حب الرئاسة والتصدر .

---

(١) البداية (١٥١/١/٦) ، وانظر :وفيات الأعيان (١٤٣/٢) ، السير (٣٣٩/١٤) .

المبحث الثالث

التعصب

أولاً : التمهيد

لقد حذر أهل العلم رحمهم الله من الوقوع في التعصب للبدعة والضلال وأهلهما .

فالتعصب لغير كلام الله ورسوله وخاصة البدعة وأهلها مؤذن بوقوع الإنسان في بدع كثيرة متنوعة بعضها يجر بعضا ، ولذلك حذر شيخ الإسلام من التعصب للبدع فقال رحمه الله : "فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وماتفقت عليه الأمة ، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة وماتنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول ، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي ، غير النبي ﷺ وماجتمعت عليه الأمة ، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"[١] .

ولقد نهى النبي ﷺ عن التعصب حتى وإن كان ذلك التعصب للأسماء الفاضلة المستحبة لأنه قد يجر ذلك التعصب إلى الوقوع في الاختلاف والتفرق والبدع .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : اقتتل غلامان : غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر : ياللمهاجرين ، ونادى الأنصاري : ياللأنصار ، فخرج رسول الله ﷺ فقال ماهذا؟ دعوى أهل الجاهلية؟ قالوا : لا يارسول الله إلا أن غلامين اقتتلوا فكسع أحدهما الآخر ، قال : "فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه فإنه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره"[٢] .

---

(١) الدرء (١/٢٧٢) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب برقم (٢٥٨٤) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "لما دعى كل منهما طائفته منتصرا بها أنكر النبي ﷺ ذلك وسماها : (دعوى الجاهلية) حتى قيل له : إن الداعي بهما إنما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة ، فأمر بمنع الظالم وإعانة المظلوم ليبين النبي ﷺ أن المحذور إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقا فعل أهل الجاهلية فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسن واجب ، أو مستحب"[١] .

ثم قال رحمه الله مبينا أنه إذا كان النبي ﷺ نهى عن التعصب للأسماء المستحبة الشرعية فكيف بالتعصب للبدعة ــ كالتعصب لقول مبتدع أو شخص مبتدع أو طائفة وجماعة مبتدعة ــ أنه لاشك أولى بالمنع والإبطال والإنكار على من تعصب للبدع وأهلها "فإذا كان هذا التداعي في هذه الأسماء وهذا الانتساب الذي يحبه الله ورسوله فكيف بالتعصب مطلقا والتداعي للنسب والإضافات التي هي إما مباحة أو مكروهة"[٢] .

ثانياً : منشأ التعصب :

إن التعصب يعتبر بذرة من بذور الأهواء البدعية ، فالهوى هو المنشأ للتعصب وهو المحتضن للتعصب بشتى أشكاله وأنواعه ، والذي يدل على أن التعصب هو ربيب للهوى قول أبي بكر بن عياش رحمه الله عندما سئل عن السني فقال : "هو الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشئ منها"[٣] ، فبين رحمه الله أن الذي يتعصب للبدعة الناتجة عن هوى النفس ليس من أهل السنة أبدا ، فهنا تلازم بين التعصب للبدعة والهوى الدافع لذلك التعصب .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢١٥) .

(٢) المصدر السابق (١/٢١٧-٢١٨) ، وانظر مشكلة الغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق (١/٢٨٧،٢٨٨) .

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الاستقامة (١/٢٥٥) .

ثالثاً : مظاهر التعصب :

من أهم مظاهر التعصب البدعية الكثيرة :

(١) التعصب لشخص معين أو طائفة معينة .

(٢) التعصب لقول أو اعتقاد أو علوم معينة .

فالمتعصبون لايقبلون الحق الذي يأتي من عند غير إمامهم أو رئيسهم أو طائفتهم ، فكل ماخالف اعتقادهم من الأقوال والأفعال وإن كان حقا فهم يردونه ولاينظرون إليه ويتبعون أئمتهم وطائفتهم ، وماهم عليه من العقائد البدعية الباطلة ، وهذه الصفة في الحقيقة هي صفة اليهود المغضوب عليهم الذين لايقبلون الحق من غير طائفتهم . قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾[1] ، وذلك بعد أن قال : ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "فوصف اليهود أنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به والداعي إليه فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له وأنهم لايقبلون الحق إلا من الطائفة الذين هم منتسبون إليها مع أنهم لايتبعون مالزمهم في اعتقادهم ، وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين من المتفقهة أو المتصوفة أو غيرهم ، أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين ـ غير النبي ﷺ ـ فإنهم لايقبلون من الدين رأيا ورواية إلا ماجاءت به طائفتهم ، ثم إنهم لايعلمون ماتوجيه طائفتهم مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقا : رواية ورأيا من غير تعيين شخص أو طائفة ، غير الرسول ﷺ"[3] .

---

(١) سورة البقرة : آية (٩١) .

(٢) سورة البقرة : آية (٨٩) .

(٣) الاقتضاء (٧٤/١، ٧٥) .

رابعاً : بعض الصور الدالة على مايوديه التعصب من الوقوع في البدع :

هذه الصور الآتية تحمل في مضامينها علامات دالة على مايجره التعصب على صاحبه من الوقوع في البدع المضلة ، فمن هذه الصور مايلي :

(١) بغض نصوص الكتاب والسنة المخالفة للبدعة والسعي إلى كتمانها أو تبديلها وتحريفها :

إن المسلم الحق هو الذي يحب نصوص الكتاب والسنة وذلك لحبه لله الذي كتابه هو من كلامه ، ولحبه أيضا للرسول ﷺ التي السنة هي من كلامه ، لكن الفاقرة العظيمة أن يقود تعصب المبتدع لبدعته بأن يبغض كلام الله ورسوله المخالف لما عليه من البدعة فيحاول كتمان نصوصها أو تبديلها ، وهذه الكراهية من المبتدع للنصوص المخالفة لهم أمر متواتر مشهور عنهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فلا تجد مبتدعا إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها ويبغض من يفعل ذلك كما قال بعض السلف "ماابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه"[(١)] .

بل يبلغ بهم بغض النصوص الشرعية مع محاولة كتمانها وعدم إظهارها أن سعى بعضهم إلى تبديل كلام الله الموجود في المصحف ، ولقد أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى تمني بعض المبتدعة كشط ماخالف هواه من نصوص المصحف منه وتمنيه أيضا أن الأحاديث التي تخالف هواه أنها لم ترو قط ، فقال رحمه الله : "ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت وأن ذلك الحديث لم يرد ، ولو أمكنه كشط ذلك من المصحف لفعله"[(٢)] .

ولقد حدث أن نفذ بعض المبتدعة تبديل كتاب الله ولكنه لايستطيع ذلك من المصحف ، بل من الآيات التي كانت تكتب على ثوب الكعبة ، فلقد قال الإمام

---

(١) الدرء (٢٢١/١) .

(٢) الدرء (٢١٧/٥) .

الذهبي رحمه الله أنه في سنة ٢٢١هـ : "وحج فيها حنبل فقال رأيت كسوة الكعبة وقد كتب فيها في الدارات "ليس كمثله شئ وهو اللطيف الخبير" فحدثت به أبا عبد الله فقال : قاتل الله الخبيث عمد إلى كلام الله فغيره — يعني ابن أبي دؤاد"[١] .

فانظر كيف قاد تعصب المبتدعة لبدعهم أن وقعوا في جريمة تبديل كلام الله لأجل ألا يخالف ماهم عليه من البدع والضلالات .

(٢) تكفير المخالف للمذهب والاعتقاد :

من المصائب العظمى التي يقع فيها المتعصب لمذهبه البدعي تكفير من خالف قوله ومذهبه ، وفي الحقيقة أن هذا المنهج التكفيري للمخالف أصبح سمة من سمات أهل الابتداع ، فهم لايقوون على تحمل المخالف فبمجرد وجود المعارض لهم في اعتقادهم المعلن لمخالفتهم مايلبثوا حتى يخرجوه من دين الإسلام ويحكموا عليه بالكفر .

قال شيخ الإسلام رحمه الله مقررا أن تكفير المخالف الذي لايستحق الكفر هو سمة أهل الابتداع : "والخوارج هم أول من كفر المسلمين يكفرون بالذنوب ، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله ، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ويطيعون الله ورسوله فيتبعون الحق ويرحمون الخلق"[٢] .

فمن الأمثلة الدالة على تكفير المبتدع للمخالف له الذي هو أقرب إلى الحق منه :

(أ) تكفير الإمام أبي إسحاق الشيرازي من اعتقد غير عقيدة الإمام الأشعري :

قال : "فمن اعتقد غير ماأشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المنتسبين إلى الإمام أبي الحسن الأشعري فهو كافر"[٣] .

---

(١) السير (٢٩٣/١٠) .

(٢) الفتاوى (٢٧٩/٣) ، الدرء (٢٤٣/١) .

(٣) عقيدة أبي إسحاق الشيرازي ضمن شرح اللمع له (١١١/١) .

ويلزم بناء على قول أبي إسحاق تكفير كل من كان علـــى خـــلاف قـــول الأشعري ممن هو قبله من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ولاشـــك أن أبـــا إســـحاق الشيرازي لايتصور ماكان يلزمه بناء على اطلاقه ذلك التكفير الذي يشـــمل لزامـــا القرون المفضلة التي كانت قبل أبي الحسن الأشعري ، وهذه سقطة لاتغتفر ولايقـــال من عثارها أبي إسحاق الشيرازي ، لكن إذا عرف السبب بطل العجب من تصريـــح إمام كأبي إسحاق بمثل هذا التكفير ، فلاشك أن تعصبه لأبـــي الحســـن الأشـــعري والأشاعرة قاده لمثل هذا الكلام الباطل .

وعموما فإن أبا إسحاق له تاريخ كبير في التعصب للأشاعرة ، والأمثلة علـــى تعصبه كثيرة لكن تكفيره لأهل الإسلام لاشك أنه أعظم أنواع التعصب الذي وقع فيه أبو إسحاق الشيرازي .

وفي أمثاله يقول شيخ الإسلام : "إن كثيرا من هؤلاء يعظم أئمة ويذم أقوالا قد يلعن قائلها أو يكفره وقد قالها أولئك الأئمة الذين يعظمهم ، ولو علم أنهم قالوها لما لعن القائل وكثير منها يكون قد قاله النبي ﷺ وهو لايعرف ذلك"[1] .

ولاشك عندي أن أبا إسحاق الشيرازي رحمه الله كـــان معظمـــا للصحابـــة والتابعين وتابعيهم وأهل القرون المفضلة ، لكن لجهله بمذاهبهم الاعتقادية ظن أن الحق هو ماقاله أبو الحسن الأشعري ، ولاشك عنده أنه كان هو أيضا مذهـــب القـــرون السالفة التي سبقته ، وهذا باطل قطعا ، ولكنه ضيق العطن وعدم تحمل المخـــالف ، فانظر إلى حكم أبي إسحاق على مخالفه وانظر أيضا إلى حكم أهل السنة في مخالفيهم وكيفية تعاملهم معهم .

فهذا ابن القيم رحمه الله يقول عن شيخ الإسلام كيف أنه لم يسمع منه قط أنه دعا على أحد ممن عاداه لأجل تمسكه بعقيدة السلف وذلك من قبـــل مخالفيـــه مـــن الأشاعرة ونحوهم .

---

(١) منهاج السنة (٢٨١/٥) .

قال ابن القيم رحمه الله في حق شيخ الإسلام : "ومارأيته يدعو على أحد منهم قط وكان يدعو لهم وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له فنهرني وتنكر لي وأسترجع ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال : إني لكم مكانه ولايكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ونحو هذا الكلام فسروا به ودعوا له وعظموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضي عنه"(١) .

(ب) تكفير الرافضة لمن لم يقل بعصمة أئمتهم من الذنوب :

قال ابن بابويه متحدثا عن حكمهم فيمن نفى العصمة عن أئمتهم : "ومن نفى عنهم العصمة في شئ من أحوالهم فقد جهلهم ومن جهلهم فهو كافر"(٢) .

وطبعا هذا الحكم يشمل كل طوائف الملة الإسلامية ممن لايرى عصمة أئمة الرافضة ويدخل فيه دخولا أوليا أصحاب القرون المفضلة .

(٣) استباحة دماء المخالفين :

إن المتعصب للضلالة يكره أن ترى عيناه أهل السنة والهداية ولكن ماالحيلة لكي يتخلص من رؤياهم فتهنأ نفسه ويطيب خاطره ماأن ينقدح هذا السؤال في نفس ذلك المبتدع إلا ويجيبه داعي العصبية والحمية الجاهلية فيأتي الجواب بالتخلص من الأعداء فتسفك الدماء وتستباح الأبدان المسلمة الطاهرة المحرمة على السيف .

ومن هذه الأمثلة :

(أ) قتل الخليفة العباسي الواثق بالله لأحمد بن نصر الخزاعي :

كان الإمام أحمد بن نصر الخزاعي من المخالفين لما يدعو إليه الواثق من القول بخلق القرآن ، فلما جمع له الواثق علماء الجهمية من المعتزلة وغيرهم وناقشوا

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٣٤٥) ، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بن قاسم (١/١٢١) .

(٢) الاعتقادات لابن بابويه (ص١٠٨-١٠٩) .

الإمام أحمد بن نصر الخزاعي لكي يرجع إلى القول بخلق القرآن أصر على رفضه ذلك المذهب البدعي الباطل ، عند ذلك طلب الواثق من علماء البدعة والضلالة حكمهم في هذا الإمام المعاند لما يعتقدونه ويعتقده الواثق أيضا عندئذ أتته الفتاوى المعتزلية في إمام من أئمة السنة المحمدية فقال لهم الواثق : "ماتقولون في هذا الرجل؟ فأكثروا القول فيه فقال عبد الرحمن بن إسحاق — وكان قاضيا على الجانب الغربي فعزل وكان موادا لأحمد بن نصر قبل ذلك — هو حلال الدم . وقال أبو عبد الله الأرمني صاحب أحمد بن أبي دؤاد : اسقني دمه ياأمير المؤمنين ، فقال الواثق : لابد أن يأتي ماتريد ، وقال ابن أبي دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل فقال الواثق : إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي فإني أحتسب خطاي ، ثم نهض إليه بالصمصامة .. فلما انتهى إليه ضربه أخرى على رأسه ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فسقط صريعا رحمه الله على النطع ميتا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رحمه الله وعفا عنه ، ثم انتضى سيما الدمشقي سيفه فضرب عنقه وحز رأسه وحمل معترضا حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي فصلب فيها ، ولم يزل رأسه منصوبا من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة — أعني سنة إحدى وثلاثين ومائتين — إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين فجمع بين رأسه وجثته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المعروفة بالمالكية رحمه الله"[١] .

وذلك في أيام الخليفة المتوكل رحمه الله .

(ب) فتنة ابن القشيري :

ابن القشيري هو أبو نصر عبد الرحيم ابن الإمام شيخ الصوفية أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري المتكلم .

يعتبر ابن القشيري عبد الرحيم من المتعصبة للمذهب الأشعري ، بل إنه بلغ الغاية في تعصبه لهذا المذهب البدعي .

(١) البداية والنهاية (٣١٨/٢/٥) .

قال الإمام الذهبي عنه : "وبالغ في التعصب للأشاعرة والغض من الحنابلة"[(١)].

أما فتنته هذه التي أثارت البلابل وسفكت الدماء فكانت في سنة تسع وستين وأربعمائة وذلك عندما قدم بغداد قاصدا الحج ، فعند مروره ببغداد جلس في المدرسة النظامية يدرس فأخذ يذم الحنابلة ، وينسبهم إلى التجسيم .

قال ابن كثير : "وساعده أبو سعد الصوفي ومال معه الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ويسأله المعونة عليهم وذهب جماعة إلى الشريف أبي جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة وهو في مسجده فدافع عنه آخرون واقتتل الناس بسبب ذلك وقتل رجل خياط وجرح آخرون وثارت الفتنة"[(٢)] .

فانظر كيف قاد تعصب ذلك المبتدع إلى الوقوع في بدعة سفك دماء الأبرياء فأثار العامة المتعصبة من أمثاله على المسلمين حتى بلغ بهم الأمر أن أرادوا سفك دماء أهل الإسلام في بيت من بيوت الله لولا أن الله سلم ، ومع هذا قتل من المدافعين عن الشيخ من قتل وجرح من جرح ، فنعوذ بالله من العصبية للباطل ومن الساعين في ذلك .

(٤) تحريف القرآن تحريفا لفظيا والزيادة فيه لأجل المذهب :

وهذامثاله مايذكرونه عن أحد أئمة الرافضة الاثنا عشرية وهو الرضا علي بن موسى فهو قال في قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[(٣)] .

---

(١) السير (١٩/٤٢٥) .

(٢) البداية والنهاية (٦/٢/١٢٢،١٢٣) ، وانظر : الكامل لابن الأثير (٦/٢٧٢) .

(٣) سورة البقرة : آية (٢١٠) .

قال الرضا : "إنها هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت"[١] .

فانظر كيف قاد التصعب الرافضة إلى تحريف كتاب الله لأجل أن يوافق قولهم في إنكار مجئ الله وإتيانه يوم القيامة ، وهم في ذلك تبع للمعتزلة ونحوهم النافين لمجئ الله يوم القيامة ، لكن المعتزلة ونحوهم لم يجرؤوا على تحريف كتاب الله تحريفا لفظيا ، أما الرافضة فاجترؤوا على ذلك لأنهم لايقولون بتحريف هذه الآية فقط فهم كما عرفنا يقولون إن القرآن انقص منه ويعيبون ذلك على من يزعمون أنه فعله بينما هم لهم قدم السبق في الزيادة والنقص في كتاب الله .

(٥) الغلو في الأشخاص ورفعهم فوق منزلتهم :

قد يحب الإنسان شخصا ويتولاه لكنه قد يقوده ذلك إلى التعصب الذي بالتالي هو أول الطريق الموصل في النهاية إلى البدعة ، والأمثلة على هذا النوع كثيرة جدا ولكن أذكر هنا مثالا يدل على أن التعصب للأشخاص والغلو فيهم بدعة منكرة قال ابن حزم رحمه الله في اعتقاد طائفة من غلاة الشيعة تعصبهم للإمام علي رضي الله عنه : وادعت فيه النبوة وهم الغرابية وقولهم هو "أن محمدا ﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلى علي فغلط جبريل عليه السلام بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لأنه غلط ، وقالت طائفة منهم : بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه لعنهم الله .

قال أبو محمد : فهل سمع بأضعف عقولا وأتم رقاعة من قوم يقولون أن محمدا ﷺ كان يشبه علي بن أبي طالب فياللناس!! أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبي ابن احدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام ... ثم لو جاز أن يغلط جبريل ـــ وحاشا لروح القدس الأمين ـــ كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه فتركه على غلطه ثلاثا وعشرين سنة ، ثم أظرف من هذا كله : من أخبرهم بهذا الخبر؟ ومن خرفهم بهذه الخرافة؟ وهذا لايعرفه إلا من شاهد أمر الله تعالى

---

(١) بحار الأنوار (٣/١٣١٩) .

لجبريل عليه السلام ثم شاهد خلافه فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين مادام لله في عالمه خلق"(١) .

(٦) تبديل أحكام الشرع المطهر :

بلغ التعصب ببعض المبتدعة أنهم حرفوا أحكام الشرع الفرعية فأحلوا ماحرم الله أو حرموا ماأحل الله ، وذلك بدافع العصبية لما هم عليه من الأمور البدعية ، ويمثل هذا الاتجاه تمثيلا واضحا الرافضة .

ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمثلة عديدة عن الرافضة في تبديل أحكام الشرع فقال رحمه الله : "لانعلم طائفة أعظم تعصبا في الباطل من الرافضة حتى أنهم دون سائر الطوائف عرف منهم شهادة الزور لموافقهم على مخالفهم وليس في التعصب أعظم من الكذب ، وحتى أنهم في التعصب جعلوا للبنت جميع الميراث لقولهم : إن فاطمة رضي الله عنها ورثت رسول الله ﷺ دون عمه العباس رضي الله عنه وحتى أن فيهم من حرم لحم الجمل لأن عائشة قاتلت على جمل فخالفوا كتاب الله ورسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة والقرابة لأمر لايناسب ذلك فإن ذلك الجمل الذي ركبته عائشة رضي الله عنها مات ، ولو فرض أنه حي فركوب الكفار على الجمال لايوجب تحريمها ومازال الكفار يركبون جمالا ويغنمها المسلمون منهم ولحمها حلال لهم فأي شئ في ركوب عائشة للجمل مما يوجب تحريم لحمه وغاية مايفرضون أن بعض من يجعلونه كافرا ركب جملا مع أنهم كاذبون مفترون فيما يرمون به أم المؤمنين رضي الله عنها"(٢) .

ولقد ذكر عنهم شيخ الإسلام رحمه الله أمورا كثيرة تدل على تعصبهم لمذهبهم الباطل ، وتدل أيضا على قلة عقولهم وسفه أحلامهم ، ومن أعجب ماذكره شيخ الإسلام عن بعضهم وهو مما يضحك العقلاء عليهم أنه قال رحمه الله

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤٢/٥) .

(٢) المنهاج (١٣٧/٤-١٣٨) .

"ولقد حدثني ثقة أنه كان لرجل منهم كلب فدعاه آخر منهم : بكير بكير فقال صاحب الكلب : أتسمي كلبي بأسماء أصحاب النار؟ فاقتتلا على ذلك حتى جرى بينهما دم . فهل يكون أجهل من هؤلاء"[١] .

أقول هنيئا للرافضة بهذه العقول الفذة ، ثم انظر عقوبةِ الله العاجلة لهم حين سموا كلابهم بأسماء بعض الصحابة كما سموا هنا بالتصغير اسم أبي بكر وعقوبة الآخرة باقية لهم بإذن الله تعالى .

---

(١) المنهاج (٤/١٤٧-١٤٨) .

المبحث الرابع
الجدال والمراء في الدين بالباطل

أولا : التمهيد : وفيه مسائل :

المسألة الأولى : تعريف الجدل :

هو "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة"[١] .

وأما الجدال فهو : "عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها"[٢] .

وأما تعريف المراء فهو : "طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير"[٣] .

فمن خلال التعريفات السابقة للجدل والجدال والمراء يلاحظ أن معانيها متقاربة جدا بحيث يمكن أن نقول أن المقصود منها هو الانتصار لما يعتقده الإنسان وذلك إما عن طريق إفساد حجج الخصم بالتشكيك في حججه ، أو إلقاء الشبهة عليه لإيهام الخصم بفساد مذهبه وحقارته .

المسألة الثانية : ذم المراء مطلقا :

لقد حث النبي ﷺ على ترك المراء حتى وإن كان المرائي يبتغي الحق ، ولذلك قال ﷺ : "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا"[٤] .

---

(١)،(٢) التعريفات للجرجاني (ص٧٤،٧٥) ، الإحياء للغزالي (٣/٢٦٠،٢٦١) .

(٣) التعريفات للجرجاني (ص٧٤) .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب برقم (٤٨٠٠) ، وأخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة برقم (١٩٩٣) وقال : هذا الحديث جديث حسن .

فانظر هنا إلى ماأعد الله لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وهذا إنما يدل على حرص الرسول ﷺ أن لايكون لمراء سجية في أمته وطبيعة فإن تحول ذلك إلى صفة يتصف بها الإنسان قد يذهب عليه خير كثير ويوقعه في شر عظيم حتى ولو لم يكن يقصد تفويت الخير على نفسه والوقوع في الشر .

ومن الأمثلة على أن المراء والخصومة والاختلاف سبب في ذهاب الخير ماوقع من الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم عندما طلب منهم النبي ﷺ أن يأتوا إليه لكي يكتب لهم كتابا لايضلوا بعده أبدا .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : "لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ﷺ : "هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده" فقال عمر رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ لوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ، ومنهم من يقول ماقال عمر رضي الله عنه فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال قوموا عني"[١] .

فانظر كيف منع اختلاف الصحابة رضي الله عنهم وجدالهم في هذا الأمر خيرا أراد النبي ﷺ أن يلقيه عليهم ، ومعلوم أن النبي ﷺ لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وهو معصوم في أمور الدين من أن يقول غير الحق والصدق والعدل أو غير مايرضي الله سبحانه وتعالى ويأمر به ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما بعد روايته لهذه الواقعة وهو يتحسر لعدم استجابة الصحابة لأمر رسول الله ﷺ بالكتابة : "إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم"[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي برقم (٤٤٣١) .

(٢) ذم الكلام للهروي (١/١٤١،١٤٢) .

المسألة الثالثة : ذم الجدال والمراء في الدين بالباطل :

لقد ذم الله سبحانه وتعالى في كتابه المجادلين في الدين بالباطل فقال سبحانه وتعالى : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[5] .

فمن جادل في دين الله بالباطل فإنما له شبه بمن ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة عن أهل الكفر وكيف قادهم هذا الجدال بالباطل إلى الوقوع في الكفر ، بل والذب عنه .

أما ماجاء في السنة من ذم الجدال بالباطل فلقد روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"[6] .

قال النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم : "الألد شديد الخصومة مأخوذ من لد يدي الوادي وهما جانباه لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر وأما الخصم فهو الحاذق بالخصومة والمذموم هوالخصومة بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل"[7] .

---

(١) سورة غافر : آية (٤) .

(٢) سورة غافر : آية (٥) .

(٣) سورة الكهف : آية (٥٦) .

(٤) سورة غافر : آية (٥٦) .

(٥) سورة غافر : آية (٣٥) .

(٦) البخاري في كتاب المظالم برقم (٢٤٥٧) ، ومسلم ، كتاب العلم باب في الألد الخصم ، حديث رقم (٢٦٦٨) .

(٧) شرح مسلم (١٦/٤٥٩-٤٦٠) .

ولقد بين أيضا ﷺ أن الجدل سبب من أسباب الوقوع في الضلال فقال ﷺ "ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"[(١)] ، ثم قرأ : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلًا﴾[(٢)] .

ولقد علم أهل السنة والجماعة وأئمة السلف رضي الله عنهم خطورة الجدال والمراء في الدين بالباطل ومايؤدي إليه من ترك الدين ونبذه والوقوع في البدع والضلالات فسارعوا رضي الله عنهم لكشف ذلك الخطر .

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : "إذا أراد الله بقوم شرا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل"[(٣)] .

وقال الإمام مالك رحمه الله محذرا من اتباع المجادلين في الدين : "أو كلما جاء رجل أجدل من رجل تركنا مانزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله"[(٤)] .

وقال أيضا رحمه الله : "ليس هذا الجدل من الدين بشئ"[(٥)] .

بل إنه رحمه الله جعل الجدال في الدين علامة من علامات أهل البدع الذين أصابهم الشك في دينهم .

قال الشافعي رحمه الله عن الإمام مالك : "وكان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال : أما إني على بينة من ديني وأما أنت فشاك اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه"[(٦)] .

ولقد سئل الإمام الحكم بن عتيبة رحمه الله عن سبب دخول الناس في الأهواء والبدع فقال : "الخصومات"[(٧)] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن الكريم برقم (٣٢٥٣) وقال فيه : "هذا حديث حسن صحيح" .

(٢) سورة الزخرف : آية (٥٨) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٤٥) .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٤٤) .

(٥) السير (٨/٦٧) .

(٦) السير (٨/٩٩) .

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٢٨) .

أي الخصومات في الدين التي هي في الحقيقة نوع من أنواع الجدال والمـــراء في الدين بالباطل .

ولقد قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : "لاتمكنوا صاحب بدعة من جدل فيورث قلوبكم من فتنة ارتيابا"[١] .-

فهنا بين الأوزاعي رحمه الله أن المجادلة في الدين بالباطل والبدعة قد يضل مـــن كان سليما معافى منها .

وهذا إنما يدل على مايؤثره الجدل بالباطل في النفوس بحيث يصدها عن طريق السنة إلى طريق الهوى والبدعة .

ولقد نص الإمام اللالكائي رحمه الله على أن فتح باب المناظرة والجدال مـــع المبتدعة روج كثيرا للبدع ، وأدى إلى وقوع كثير من الناس في براثنها وشرها ، قـــال رحمه الله : "فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة ولم يكن لهم قهر ولاذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدا ولايجـــدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقا وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلا حتى كثرت بينهم المشاجرة وظهـــرت دعوتهـــم بالمنـــاظرة ، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة حتى تقابلت الشبه في الحجـــج وبلغوا من التدقيق في اللجج فصاروا أقرانا وأخدانا وعلى المداهنة خلانا وإخوانا بعد أن كانوا في الله أعداء وأضدادا"[٢] .

فانظر كيف جر فتح أبواب الجدال مع المبتدعة من قبل بعض المنتسبين للســـنة من باب نصرهم للحق والسنة لكنهم مالبثوا أن جرهم تيار البدعة في طريقه فبعد أن كانوا يحامون عن السنة ويذبون عنها صاروا إخوانا وخلانا لأهل البدع وهذا إنما يدل على عظم أثر الجدال في إيقاع الناس في البدعة ولو صنع مع المبتدعة صنيع الســـلف الأوائل معهم من تركهم لمناظرتهم لسلموا من الوقوع في البدعة والضلال فنسأل الله السلامة والعافية .

---

(١) البدع لابن وضاح (ص١٠٦) .

(٢) اللالكائي (١٩/١) .

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ في وصفه لمذهب السلف وموقفهم ممن يجادل في الدين بالباطل بما يسميه عقليات وإن كان قصده فعلا نصرة الدين ـ : "أن السلف والأئمة يذمون ماكان من الكلام والعقليات والجدل باطلا وإن قصد به نصرة الكتاب والسنة فيذمون من قابل بدعة ببدعة ، وقابل الفاسد بالفاسد فكيف من قابل السنة بالبدعة وعارض الحق بالباطل وجادل في آيات الله بالباطل ليدحض به الحق"[1] .

المسألة الرابعة : أنواع الجدال المذموم في الشرع :

يذكر أهل العلم رحمهم الله أن الله سبحان وتعالى ذم في القرآن ثلاثة أنواع من المجادلة وهي :

(١) المجادلة بالباطل ليدحض به الحق .

(٢) المجادلة في الحق بعدما تبين .

(٣) المجادلة فيما لايعلم المجادل .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وقد ذم الله تعالى في القرآن ثلاثة أنواع من المجادلة : ذم صاحب المجادلة بالباطل ليدحض به الحق ، وذم المجادلة في الحق بعدما تبين ، وذم المحاجة فيما لايعلم المحاج .

فقال تعالى : ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ﴾[4] .

والذي ذمه السلف والأئمة من المجادلة والكلام هو من هذا الباب"[5] .

---

(١) الدرء (١٦٥/٧) .

(٢) سورة غافر : آية (٥) .

(٣) سورة الأنفال : آية (٦) .

(٤) سورة آل عمران : آية (٦٦) .

(٥) الدرء (١٧٠/٧) .

المسألة الخامسة : ضوابط في مجادلة أهل البدع :

عندما نهى السلف رحمهم الله عن مجادلة ومناظرة المجادلين في الدين بالباطل كان ذلك النهي نابعا منهم عن حرصهم على عقائد الناس من أن تنحرف بسبب مجادلة المبتدعة، لكن نهيهم هذا ليس على إطلاقه فهم إنما نهوا عن مجادلة المبتدعة لمن لم يتصف ببعض الصفات الواجب توفرها في المناظر للمبتدعة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "والمقصود أنهم نهوا عن المناظرة من لايقوم بواجبها ، أو مع من لايكون في مناظرته مصلحة راجحة ، أو فيها مفسدة راجحة فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال"[١] .

فقوله من لايقوم بواجبها فهذا كمن كان لايعلم بتفاصيل وأدلة مايجادل ويناظر عنه ، أو أن يكون مثلا ضعيف العقل والفهم .

أما مقصوده بعدم المصلحة الراجحة كأن لايرجى هداية المناظر ورجوعه إلى الحق ، أو مفسدة راجحة كأن يخشى الإنسان لضعف علمه وحجته أن يعجز عن كشف حجج الخصم وإبطالها فيتأثر أناس بالبدعة من خلال المناظر ومن ثم يتلبسون بها والعياذ بالله .

ومع هذا فإن السلف رحمهم الله قد يوجبون أو يستحبون مناظرة المبتدعة لكشف باطلهم كما كان يصنع أئمة السلف كالإمام أحمد بن حنبل ، والإمام عبد العزيز الكناني ، والإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، وابن خزيمة ، ومن بعدهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة ومستحبة أخرى"[٢] .

ولكن إيجابهم لمناظرة المبتدعة أو استحبابهم لايعني أن يكون على إطلاقه ، بل لابد من توفر الشروط التالية :

(١) أن يكون المناظر عالما بما يناظر عليه ، مستحضرا لحججه ، قويا في إيرادها .

---

(١) الدرء (١٧٤/٧) .

(٢) الدرء (١٧٤/٧) .

(٢) أن يكون المناظر قادرا على كشف وإبطال شبه وحجج الخصم فيكون ذا قدرة على تزييف أدلته وبيان ضعفها .

(٣) أن يكون ذا فهم وفطنة وذكاء لكي لايلزمه الخصوم بما لايلزمه ، ولكي لايسلم لهم بعض المقدمات الفاسدة الباطلة التي من خلالها يحاولون إبطال حجته .

(٤) أن تكون هنالك مصلحة راجحة في مناظرته وذلك كأن يرجع المبتدع عن بدعته .

قال الإمام عبد الله بن عون رحمه الله : "سمعت محمد بن سيرين ينهى عن الجدال إلا رجلا إن كلمته يرجع"[(١)] .

فإن غلب على ظنك أن المبتدع إن ناظرته يرجع عن بدعته فهنا يجب مناظرته لوجود هذه المصلحة الراجحة ، وقد تكون المصلحة لايلزم منها رجوع المناظر ، لكن قد تكون في بيان ضعف مذهبه وتناقض أقواله وأدلته ، وكشف باطله أمام الناس وتعريته لكي يعرف الناس الحق من الباطل ، والسنة من البدعة ، والهدى من الضلال .

فإن لم يكن هناك مصلحة راجحة بل مفسدة راجحة فهنا يحرم على المناظر مناظرة أهل البدع والضلال .

فإذا اختل شرط من هذه الشروط يجب على من يلتزم مذهب السلف رحمهم الله أن يبتعد عن مجادلة ومناظرة أهل البدع بالكلية ، وهذا أسلم له ولعقائد الناس ، ولايظن ظان أن عدم مناظرتهم عند عدم توفر شروط المناظرة هو هروب من مواجهة المبتدعة لضعف الحجة ، أو أن فيه نصرا لأهل البدع ، أو أنه يترتب عليه آثار سلبية بالنسبة لحملة مذهب السلف الذي هو المذهب الحق .

أقول أن هذه الظنون كلها ظنون كاذبة ، بل على العكس أن التوقف عن مناظرة المبتدعة عند عدم توفر الشروط له آثار إيجابية كثيرة ، بل هو الأصل في قول

---

(١) الإبانة الكبرى (٢/٥٢٩) .

السلف في مناظرة أهل البدع ، فنحن نرجع إلى هذا الأصل الذي من آثاره الإيجابية قتل البدعة في مهدها ولباس أهلها لباس الذل والضعف والمهانة ، والدليل على هذا الأثر الإيجابي قول الإمام اللالكائي رحمه الله عندما لم يناظر السلف أهل الابتداع : "فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة و لم يكن لهم قهر ولاذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدا ، ولايجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا"[١] .

ثانياً : الأمثلة الدالة على أن المجادلة في الدين بالباطل توقع في البدعة :

قد أوقع الجدال في الدين بالباطل في البدعة لمن لم يكن من أهل البدع أصلا وجر ذلك الجدال المبتدع إلى بدع أخرى كثيرة لم يكن واقعا فيها لولا اشتغاله بالجدال في الدين بالباطل ، والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها مايلي :

المثال الأول : الجهم بن صفوان :

لقد وقع الجهم بن صفوان في بدع كثيرة وخطيرة بسبب الجدال في الدين بالباطل ، ولقد ذكر أهل العلم أن الجهم زاد انحرافه العقدي وعظمت بدعته بعدما تبنى بعض البدع بعد جدال دار بينه وبين طائفة من المشركين يقال لهم السمنية[٢] .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن الجهم بن صفوان : "فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان ، من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله تعالى فلقي أناسا من المشركين يقال

---

(١) اللالكائي (١٩/١) .

(٢) السمنية : معنى السمنية منسوب إلى سمن يقولون بقدم العالم وبإبطال النظر والاستدلال ، وزعموا أنه لامعلوم إلا من جهة الحواس الخمس وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت ، وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة ، وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب وروح الكلب إلى إنسان .

انظر الفهرست (ص٤١٩) ، الفرق بين الفرق (ص٢٧٠) .

لهم السمنية فعرفوا الجهم فقالوا له : نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له :

ألست تزعم أن لك إلها؟

قال الجهم : نعم .

فقالوا له : فهل رأيت إلهك؟

قال : لا .

قالوا : فهل سمعت كلامه؟

قال : لا .

قالوا : فشممت له رائحة؟

قال : لا .

قالوا : فوجدت له حسا؟

قال : لا .

قالوا : فوجدت له مجسا؟

قال : لا .

قالوا : فما يدريك أنه إله؟

قال : فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوما . ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح التي في عيسى هي روح الله من ذات الله فإذا أراد أن يحدث أمرا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء وهو روح غائبة عن الأبصار .

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمني :

ألست تزعم أن فيك روحا؟

قال : نعم .

فقال : هل رأيت روحك؟

قال : لا .

قال : فسمعت كلامه؟

قال : لا .

قال : فوجدت له حسا؟

قال : لا .

قال : فكذلك الله لايرى له وجه ولايسمع له صوت ولايشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار ، ولايكون في مكان دون مكان ، ووجد ثلاث آيات من المتشابه قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] ، ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾[2] ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[3] فبنى أصل كلامه على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ ، وزعم أن من وصف الله بشئ مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرا ، وكان من المشبهة فأضل بكلامه بشرا كثيرا"[4] .

فانظر كيف جرت هذه المناظرة على الجهم بن صفوان بدعا كثيرة التزمها وتبناها حتى عرف بها واشتهرت عنه وصار من أدعياء الضلالة ، وهذه البدع هي:

(١) إنكار صفة الوجه لله وذلك لقوله "لايرى له وجه" .

(٢) إنكار صفة الكلام لله وأن كلامه سبحانه وتعالى ليس بصوت وذلك لقوله "ولايسمع له صوت" .

(٣) إنكار رؤية المؤمنين لله وذلك لقوله "وهو غائب عن الأبصار" .

(٤) إنكار علو الله على خلقه وذلك لقوله "ولايكون في مكان دون مكان" .

(٥) تحريف آيات الكتاب العزيز المخالفة لكلامه وذلك لتأويله الآيات السابقة .

(٦) تكذيبه وطعنه لأحاديث الصفات وذلك لقول الإمام أحمد "وكذب بأحاديث رسول الله" .

---

(١) سورة الشورى : آية (١١) .

(٢) سورة الأنعام : آية (٣) .

(٣) سورة الأنعام : آية (١٠٣) .

(٤) الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص١٠٢-١٠٤) .

(٧) تكفيره لمن وصف الله بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ في سنته ، وذلك لقول الإمام أحمد : "وزعم أن من وصف الله بشئ مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرا" .

المثال الثاني : واصل بن عطاء ومجادليه من أهل البصرة :

ذكر صاحب كتاب ضحى الإسلام قصة نستفيد منها أن الجدال في الدين بالباطل أوقع أصحاب تلك القصة في الضلال والبدع فقال : "كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وبشار الأعمى ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجل من الأزد يقال له جرير بن حازم ، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده فأما عمرو بن عبيد وواصل فصارا إلى الاعتزال ، وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة ، وأما بشار فبقي متحيرا مخلطا ، وأما الأزدي فمال إلى قول السمنية وهو مذهب من مذاهب الهند وبقي ظاهره على ماكان عليه"[١] .

فانظر كيف قادهم اجتماعهم في بيت الأزدي للخصومة من انتحالهم بعد ذلك للمذاهب البدعية المردية فتعلق واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بالاعتزال حتى صارا رأسا فيه ، بل هما مؤسسا الاعتزال ، وأما الأزدي فانتحل والعياذ بالله مذهب السمنية المشركين وبقي ظاهره على الإسلام ، وأما أقلهم ضررا مع أنه والعياذ بالله عاش في تخليط ومتاهة واضطراب فبشار بن برد ، فهؤلاء وغيرهم كثير هم ضحايا للمجادلة والمراء والخصومة في الدين بالباطل .

المثال الثالث : أبو شعيب بن الحجام المتكلم :

لاشك أن الذين قاموا بفتنة الناس في مسألة القول بخلق القرآن كانوا من أهل الابتداع في الدين ، ومع وقوعهم في البدعة فإن مناظرتهم للإمام أحمد جعلتهم يقعون في بدع هي أعظم شرا من مسألة القول بخلق القرآن ، فلقد كان المعتصم

---

(١) ضحى الإسلام لأحمد أمين (٢٤١/١) .

يرسل المبتدعة الجهمية لمناظرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في السجن ، هذا غـــير مايقع بين يديه من المناظرة ، وكان ممن يبعثه المعتصم لمناظرة الإمام أحمد بن حنبل أبو شعيب بن الحجام المتكلم ، فبينما هو يجادل الإمام أحمد رحمه الله سأله الإمام عن علم الله سبحانه وتعالى فقال : "كان الله ولاعلم؟ وذلك في مقابل ماسألوه هل كـــان الله ولاقرآن . فأجاب ابن الحجام بأنه كان الله ولا علم فقال له الإمام أحمد : "يـــاويلك لايعلم حتى يكون ، فعلمه وعلمك واحد كفرت بالله عالم السر وأخفى عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ويلك يكون علمه مثل علمك تعلم خائنة الأعـــين ومـــاتخفي الصدور ... هذا هو الكفر بالله ماظننت أن القوم هكذا"[١] .

والذي جعل ابن الحجام وغيره يقعون في بدع عظام هو جرأتهم على المجادلـــة في دين الله بالباطل ، حتى عظم الإمام أحمد رحمه الله ماوقعوا فيه بســـبب الجـــدال والمراء في الدين فقال رحمه الله : "مارأيت أحدا طلب الكلام واشتهاه إلا أخرجه إلى أمر عظيم ، لقد تكلموا بكلام واحتجوا بشئ مايقوى قلـــبي ولاينطـــق لســـاني أن أحكيه"[٢] .

---

(١) الإبانة الكبرى (٢/٢٥٦) .

(٢) الإبانة الكبرى (٢/٢٥٥) .

الباب الثاني

الأسباب الخارجية التي كانت وراء وقوع المبتدع في البدعة

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول :
تزيين البدعة من قبل أهلها .

الفصل الثاني :
النشأة في المجتمعات البدعية أو الكفرية .

الفصل الثالث :
ترجمة كتب أهل الكفر والضلال .

الفصل الرابع :
ولاية المبتدعة لأمور المسلمين .

التمهيد

لاتقل أهمية هذا الباب ــ الذي هو كشف عن نوع آخر من الأسباب الـتي كانت عاملا مهما في وقوع من وقع في البدع ألا وهي الأسباب الخارجية ــ عـن الباب الأول الذي هو الأسباب الذاتية ، فكل من هذين البابين يمكن لهما أن يعطيـا تصورا واضحا عن الأسباب الداعية إلى الوقوع في البدعة ، وبهذا الباب الثاني تكمل وتتضح تلك الأسباب .

والباحث في هذا الباب سيحاول الكشف عن الأسباب الرئيسية والمهمة الـتي أوقعت من وقع في البدعة وذلك من خلال خارج ذات المبتدع ، فهـذه الأسـباب الخارجية لادخل للمبتدع في إيجادها غالبا بل هي خارجة عن ذاته وإرادته ، ومع هذا فإنها أيضا لايمكن أن تخلوا من تعلق بوجه من الوجوه بذات المبتدع وببعض صـور الجهل والهوى كما في الباب الأول ، لكن السمة الواضحة والرئيسية لهذه الأسـباب الخارجية هي عدم تأثير المبتدع فيها من حيث الإيجاد والعدم ، بل على العكس هـي خارجة عن قدرة وإرادة المبتدع ، وهذه الأسباب الخارجية يمكن أن نضعها في أربعة فصول وهي على النحو التالي :

الفصل الأول
تزيين البدعة من قبل أهلها

أولا : التمهيد

إن تزيين أهل الابتداع لبدعهم هو سبب في إغراء النـــاس في البدعـــة لكـــي يعتنقوها وينضموا إلى صف أهل الابتداع ، فالتزيين لأي شئ عمومـــا هـــو ســـبب لرواجه وانتشاره حتى لو لم يكن ذلك الانتشار كبيرا فكيف إذا كان التزيين بلغ القمة من حيث التشويق إلى تلك السلعة وجودة عرضها وهذا ماصنعه أهل الابتداع فلقـــد أجادوا التزيين لبدعهم والدعوة إليها بكل الوسائل الممكنة ولمعرفة السلف رضـــي الله عنهم بمهارة المبتدعة في عرض باطلهم وبدعهم ، ولمعرفتهم أيضا بضعف عقول الناس وعلومهم حذروا أشد التحذير من الانسياق وراء هذا التزيين فإنه من المعلوم أن كل بدعة لاتكون باطلة من كل الأوجه ولكنها يكون فيها نوع من الحق ذلك الحق هـــو الذي يتسبب في رواجها مع وجود التزيين .

قال الإمام ابن وضاح الأندلسي : "فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين فقد قال بعض من مضى كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى ، ومتحبب إليه بما يبغضه عليه ومتقرب إليه بما يبعده منه ، وكل بدعة عليها زينة وبهجة"[١] .

نعم إن للبدعة زينة وبهجة يزينها أصحابها فتبهج تلك الزينة أعـــين الجهـــلاء فيتبعونها ، وتزيين البدعة هو مايمكن أن نطلق عليه اطلاق ابن وضاح قلب المعروف منكرا والمنكر معروفا ، أي قلب الحق باطلا والباطل حقا لأجل نصـــرة مذهبهـــم وباطلهم ، فهم في ذلك قد شابهوا من حقت عليه لعنة الله من اليهود الملعونين كمـــا قال عنهم سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَـــاطِلِ وَتَكْتُمُـــوا الْحَـــقَّ وَأَنْتُـــمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢] فكما ألبس اليهود الحق بلباس الباطل وألبسوا الباطل بلباس الحق ألبس المبتدعة البدعة والضلال لباس السنة والهدى ليضلوا الناس عن دين الله .

---

(١) البدع لابن وضاح (ص٨٩) .

(٢) سورة البقرة : آية (٤٢) .

ثانيا : طرق المبتدعة في تزيين بدعهم

لقد تفنن المبتدعة في إحداث طرق وأساليب كثيرة لتزيين بدعهم الباطلة ، ولم يتورع المبتدعة في سبيل نشر بدعتهم عن سلوك كثير من الطرق والأساليب المبتذلة والخبيثة ، وكل أساليب الانحطاط والتشويه ، فمن إلصاق التهم والمزاعم الكاذبة ، إلى تشويه الحقائق المتواترة ، إلى الكذب في نسبة الضلالات والبدع والمحدثات إلى غير أهلها ، وغير ذلك مما يدمي القلب مما صنعه أهل الابتداع ولازالوا إلى هذه الأعصار يستخدمون تلك الأساليب مع بعض التجديد في الأساليب .

ويمكن لنا أن نحصر طرق المبتدعة في تزيين بدعهم في طريقين :

الطريقة الأولى : تشويه مذهب السلف وإلصاق المزاعم الكاذبة به وبأتباعه .

الطريقة الثانية : تزيين مذاهبهم البدعية وإظهارها في أحسن الصور .

الطريقة الأولى
تشويه مذهب السلف وإلصاق المزاعم الكاذبة به وبأتباعه

لما كان مذهب السلف النقي الصافي الذي زينه الله ورسوله ، والصحابة ومن سار بسيرهم هو كالمنارة البيضاء المضيئة التي تهدي بضوئها كل تائه وضال ، بل هو كالنبع الصافي البارد الذي يروي عطش كل هائم في طريق البدعة والضلالة إن هو قصد ذلك النبع ، وهو كالبلسم الذي يشفي جراح الشاكين في معرفة المذهب الحق المرضي عند الله ورسوله وصحابته وسائر المسلمين

فإن مذهبا بهذه الصفات العظيمة لايمكن للبدعة أن يقوم سوقها وتروج مع وجوده ، فكان أن ألزم المبتدعة أنفسهم بهدم هذا المذهب الحق وتشويهه بكل السبل الممكنة ، ومن صور هذا التشويه مايلي :

(١) نبز السلف بالألقاب الشنيعة :

بدلا من أن يستجيب أهل الابتداع لوصية الرسول ﷺ بأن يستوصوا بأصحابه — رضي الله عنهم وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين — كما قال ﷺ "استوصوا بأصحابي خيرا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[١] فإنهم سارعوا بحد ألسنتهم القذرة بالطعن على السلف رضي الله عنهم ونبزهم بأخس الأوصاف ورميهم بحقير الألقاب وهم في ذلك أيضا مخالفون لما أمرهم الله بالانتهاء عنه من اللمز والتنابز بالألقاب القبيحة السيئة ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم (١٠٩) .

(٢) سورة الحجرات : آية (١١) .

فهل هناك أشد ظلما من أن يتعرض أولئك المبتدعة للسلف رضي الله عنهم بسئ الأوصاف والألقاب؟

ومن الأمثلة على لمزهم ونبزهم للسلف بالألقاب السيئة ماحكاه الإمام أبو عثمان الصابوني عن أبي حاتم محمد بن إدريس أنه قال : "علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية يريدون بذلك إبطال الأثر ، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة ، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة . قال أبو عثمان قلت أنا : وكل ذلك عصبية ولايلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو "أهل الحديث" ثم قال رحمه الله : "رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة ، ولايلحقهم شئ منها فضلا من الله ومنة ، سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم الله مع رسول الله ﷺ فإنهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحرا وبعضهم كاهنا وبعضهم شاعرا وبعضهم مجنونا وبعضهم مفتونا وبعضهم مفتريا مختلقا كذابا ، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيدا بريئا ، ولم يكن إلا رسولا مصطفى نبيا ، قال الله عز وجل : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾[(١)] "[(٢)] .

وقال الإمام القاضي الحسين بن أبي يعلى : "وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنة يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم والوقيعة فيهم والازدراء بهم عند السفهاء والجهال ، فأما المرجئة فإنهم يسمون أهل السنة شكاكا ، وكذبت المرجئة بل هم بالشك أولى وبالتكذيب أشبه.

وأما القدرية فإنهم يسمون أهل السنة والإثبات مجبرة وكذبت القدرية بل هم أولى بالكذب والخلاف ، ألغوا قدر الله عز وجل عن خلقه وقالوا : ليس له بأهل تبارك وتعالى .

---

(١) سورة الفرقان : آية (٩) .

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص١١٨،١١٩) .

وأما الجهمية فإنهم يسمون أهل السنة : المشبهة وكذبت الجهمية أعداء الله بل هم أولى بالتشبيه[1] والتكذيب ، افتروا على الله عز وجل الكذب وقالوا الإفك والزور وكفروا بقولهم .

وأما الرافضة : فإنهم يسمون أهل السنة : الناصبة ، وكذبت الرافضة بل هم أولى بهذا لانتصابهم لأصحاب رسول الله ﷺ بالسب والشتم وقالوا فيهم بغير الحق ، ونسبوهم إلى غير العدل كفرا وظلما وجرأة على الله سبحانه وتعالى واستخفافا بحق الرسول ﷺ وهم أولى بالتعيير والانتقام منهم .

وأما الخوارج : فإنهم يسمون أهل السنة والجماعة : مرجئة وكذبت الخوارج في قولهم .

وأما أصحاب الرأي فإنهم يسمون أصحاب السنة : نابتة وحشوية[2] وكذب أصحاب الرأي أعداء الله بل هم النابتة والحشوية تركوا آثار الرسول ﷺ وحديثه وقالوا بالرأي وقاسوا الدين بالاستحسان وحكموا بخلاف الكتاب والسنة وهم أصحاب بدعة ، جهلة ضلال ، وطلاب دنيا بالكذب والبهتان .

رحم الله عبدا قال بالحق واتبع الأثر ، وتمسك بالسنة واقتدى بالصالحين وبالله التوفيق"[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا أن نبز المبتدعة للسلف عادة من عاداتهم القبيحة : "وقد جرت عادة هؤلاء المتكلمين أنهم يسمون بدعواهم منازعيهم بالأسماء المذمومة ويسمون أنفسهم بالأسماء المحمودة"[4] .

بل إنه رحمه الله جعل تعليق الذم أو الحمد بأسماء محدثة ليست مما أنزل الله بها سلطانا وهي من البدع في الدين ، قال رحمه الله : "ومن علق الحمد والذم

---

(١) لأنهم عندما نفوا عن الله أسماءه وصفاته شبهوه بالعدم المحض .

(٢) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٥٢٧) .

(٣) طبقات الحنابلة (١/٣٥،٣٦) .

(٤) تلبيس الجهمية (ص١٣٨) .

بأسماء ليست مما أنزل الله بها سلطانا بين فيه مايحمده ومايذمه فقد ابتدع من الدين مالم يأذن به الله تعالى"(١) .

بل وصل الأمر بالمبتدعة إلى حد سوء الأدب وبذاءة اللسان في حق السلف وذلك عندما قال عمرو بن عبيد مقارنا بين كلام واصل بن عطاء المعتزلي ، وكلام الحسن وابن سيرين : "ماكلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقة حيض ملقاة"(٢) .

(٢) نسبة العقائد الباطلة إلى السلف رضي الله عنهم :

ومن أعظم وأكبر التشويه لمذهب السلف رضي الله عنهم نسبة عقائد أهل الكفر والأوثان إلى أولياء الرحمن ، ومن الأمثلة على هذا التشويه الخطير والمتعمد ماذكره الخطيب الرازي من أن عباد الأوثان هم على مذهب المشبهة ، وذلك لأن الرازي يرى أن إثبات ماأثبته الله لنفسه وماأثبته له رسوله ﷺ مما هو ثابت في كتاب الله وسنة رسوله من الأسماء والصفات يعتبر تشبيها ، ولقد حكى هذا القول عن الرازي ونقله عنه من كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه قال : "وأما قول الرازي : وذكر أبو معشر المنجم : أن سبب إقدام الناس على اتخاذ عبادة الأوثان دينا لأنفسهم هو أن القوم في الدهر الأقدم كانوا على مذهب المشبهة وكانوا يعتقدون أن إله العالم نور عظيم فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا وثنا هو أكبر الأوثان على صورة الإله ، وأوثانا أخرى أصغر من ذلك الوثن على صورة الملائكة واشتغلوا بعبادة هذه الأوثان على اعتقاد أنهم يعبدون الإله والملائكة" .

ثم قال الرازي بعد نقله لكلام أبي معشر السابق : "فثبت أن دين عبادة الأصنام كالفرع على مذهب المشبهة"(٣) .

وطبعا المشبهة لدى الرازي هم السلف رضي الله عنهم وكل من أثبت ماأثبته الله ورسوله من الأسماء والصفات .

---

(١) تلبيس الجهمية (ص١٣٣) .

(٢) الاعتصام (٢٣٣/١) .

(٣) أساس التقديس للرازي (ص٣٠) .

ولقد سحق شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الفرية الرازية أيما سحق وأبطلها أيما إبطال فقال رحمه الله رادا على كلام الرازي : "فالكلام على هذا من وجوه :

أحدها : أنه من العجب أن يذكر عن أبي معشر مايذم به عبادة الأوثان وهو الذي اتخذ أبا معشر أحد الأئمة الذين اقتدى بهم في الأمر بعبادة الأوثان لما ارتد عن دين الإسلام وأمر بالإشراك بالله تعالى وعبادة الشمس والقمر والكواكب والأوثان في كتابه الذي سماه : "السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم" ، وقد قيل إنه صنفه لأم الملك علاء الدين بن محمد أبي بكر بن جلال الدين وأنها أعطته عليه ألف دينار وكان مقصودها مافيه من السحر والعجائب والتوصل بذلك إلى الرئاسة وغيرها من المآرب ، وقد ذكر فيه عن أبي معشر أنه عبد القمر وأن في عبادته ومناجاته من الأسرار والفوائد ماذكر ، فمن تكون هذه حاله في الشرك وعبادة الأوثان كيف يصلح أن يذم أهل التوحيد الذين يعبدون الله تعالى لايشركون به شيئا و لم يعبدوا لاشمسا ولاقمرا ولاكوكبا ولاوثنا بل يرون الجهاد لهؤلاء المشركين الذين ارتد إليهم أبو معشر والرازي وغيرهما مدة؟! وإن كانوا قد رجعوا عن هذه الردة إلى الإسلام فإن سرائرهم عند الله ، لكن لانزاع بين المسلمين أن الأمر بالشرك كفر وردة إذا كان من مسلم وأن مدحه والثناء عليه والترغيب فيه كفر وردة إذا كان من مسلم ... ثم قال رحمه الله : يوضح ذلك أن هذا الرازي اعتمد في الإشراك وعبادة الأوثان على مثل "تنكلوشاه البابلي" ومثل طمطم الهندي ، ومثل ابن وحشية أحد مردة المتكلمين بالعربية ، ومعلوم أن الكلدانيين والكشدانيين من أهل بابل وغيرهم أتباع نمرود بن كنعان البابلي وغيره وأهل الهند هم أعظم الأمم شركا وهم أعداء إبراهيم الخليل عليه السلام معيرين باتباع المشركين لأهل الملة الحنفية الذين اتبعوا إبراهيم وآل إبراهيم في إثبات صفات الله وأسمائه وعبادته ، فإن هؤلاء الجهمية ينكرون حقيقة خلة الله تعالى وتكليمه كما أنكره سلفهم أعداء الخليل وأعداء الكليم .

الوجه الثاني : أن الاستدلال في توحيد الله تعالى الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه بمثل كلام أبي معشر المنجم ونقله عن الأمم المتقدمة يليق بمثل الرازي

وذويه أترى أبا معشر لو كان من علماء أهل الكتاب المسلمين ــ كمن أسلم من الصحابة والتابعين ــ ونقل لنا شيئا عن الأنبياء المتقدمين أكان يجوز لنا في الشريعة تصديق ذلك الخبر إذ لم نعلم صدقه من جهة أخرى إذا كان الناقل لنا إنما أخبره عن أهل الكتاب؟! وفي الصحيح عن نبينا ﷺ أنه قال : "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه وأما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه"(١) .

فكيف وأبو معشر الناقل لذلك؟! وإنما خبرة الرجل بكلام الصابئة المشركين عباد الكواكب ونحوهم وهم من أقل الناس خبرة ومعرفة بالتوحيد الذي بعث الله به رسله وبحال أهل المؤمنين مع الكفار المشركين .

الوجه الثالث :أن هذه الحكاية تقتضي أن الناس كانوا قبل ابتداع الشرك على المذهب الذي سماه "مذهب المشبهة" وأنهم كانوا حينئذ يعتقدون أن إله العالم نور عظيم فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا وثنا كما ذكره فيكون هذا الاعتقاد وهو مذهب القوم في الدهر الأقدم قبل عبادة الأوثان ، ثم إنه بسبب هذا الاعتقاد استحسنوا عبادة الأوثان ومعلوم أن الناس كانوا قبل الشرك على دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها وهي دين الإسلام العام الذي لايقبل الله من أحد غيره كما قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(٣) .

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام"(٤) .

---

(١) أخرجه أحمد في مسند الشاميين برقم (١٦٥٩٢) .

(٢) سورة يونس : آية (١٩) .

(٣) سورة البقرة : آية (٢١٣) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٣٤٧) .

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه ذكر في حديث الشفاعة عن نوح قول أهل الموقف له : "وأنت أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض"(١) .

وقد قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٢) .

فإذا كان الله قد بعث في كل أمة رسولا يدعوها إلى عبادة الله وحده لاشريك له واجتناب الطاغوت ، ونوح أول من بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض علم أنه لم يكن قبل قوم نوح مشركون كما قال ابن عباس ، وإذا كان كذلك وأولئك على الإسلام ومذهبهم هو المذهب الذي سماه "مذهب المشبهة" ثبت بموجب هذه الحكاية أن هذا هو مذهب الأنبياء والمرسلين والمسلمين من كل أمة .

الوجه الرابع : أنه إذا كان الإشراك متضمنا لما سماه تشبيها فمن المعلوم أن المرسلين كلهم ليس فيهم من تكلم بنقيض هذا المذهب ولانهى الناس عن هذا الذي سماه تشبيها ، فليس في القرآن عن محمد ﷺ ولا عن المرسلين المتقدمين ، ولا في التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب ولا في الأحاديث المأثورة عن أحد من المرسلين أنهم نهوا المشركين أو غيرهم أن يقولوا أن الله تعالى فوق السموات أو فوق العرش أو فوق العالم ، أو أن يصفوه بالصفات الخبرية التي يسميها هؤلاء تشبيها بل ولاعنهم حرف واحد بأن الله ليس بداخل العالم ولاخارجه ولايشار إليه ، ولا ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا نحو ذلك ، فإن كان الشرك متضمنا لما سموه تشبيها والرسل لم تنه عما سموه تشبيها ولا ذموه ولا أنكروه ولا تكلموا بما هو عند هؤلاء توحيد وتنزيه ينا في هذا التشبيه عندهم أصلا : ثبت أن المرسلين صلوات الله عليهم وسلامه كلهم كانوا مقررين لهذا الذي سموه تشبيها ، وذلك يقتضي أنه حق ، فهذا النقل الذي نقله أبو معشر واحتج به الرازي إن كان حقا فهو من أعظم الحجج على صحة مذهب خصومهم الذين سموهم "مشبهة" وإن لم يكن حقا فهو كذب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٧١٢) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٩٤) .

(٢) سورة النحل : آية (٣٦) .

فهم إما كاذبون مفترون ، وإما مخصومون مغلوبون كاذبون في نفس المذهب الذي انتصروا عليه .

الوجه الخامس : قوله ـ أي الرازي ـ : فثبت أن دين عبادة الأصنام كالفرع على مذهب المشبهة .

يقال له : الثبوت إنما يكون بذكر حجة عقلية أو سمعية ، وحسب ماذكره أبو معشر إنما هو خبر عن أمم متقدمين لم يذكرهم و لم يذكر إسناده في معرفة ذلك وليس أبو معشر من يحتج بنقله في الدين بإجماع أئمة الدين فإنه إن لم يكن كافرا منافقا كان فاجرا فاسقا ، وقد قال الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1] .

فلو قدر أن هذا لنقل نقله بعض أئمة التابعين عن رسول الله ﷺ لكان هذا عنده خبرا مرسلا لايثبت به حكم في فرع من الفروع ، فكيف والناقل له مثل أبي معشر عن أمم متقدمة فهذا خبر في غاية الانقطاع ممن لاتقبل روايته ، فهل يحسن بذي عقل أو دين أن يثبت بهذا شيئا في أصول الدين؟!

ومن العجب أن هذا الرجل المحاد لله ولرسوله عمد إلى الأخبار المستفيضة عن رسول الله ﷺ التي توارثها عنه أئمة الدين ، وورثة الأنبياء والمرسلين واتفق على صحتها جميع العارفين ، فقدح فيها قدحا يشبه قدح الزنادقة المنافقين ثم يحتج في أصول الدين بنقل أبي معشر أحد المؤمنين بالجبت والطاغوت أئمة الشرك والضلال[2] .

---

(١) سورة الحجرات : آية (٦) .

(٢) انظر : تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/٤٤٦) .

الطريقة الثانية
تزيين مذاهبهم البدعية وإظهارها في أحسن الصور

وفي الجانب المقابل من تشويههم لمذهب السلف رضي الله عنه فـإنهم سـعوا سعيا حثيثا في تزيين مذاهبهم البدعية الباطلة بشتى صور التزيين والمظـاهر الكاذبـة والأقوال المعسولة الخادعة لعقول الضعفاء طمعا منهم في نشر بضاعتهم المزجاة الـتي لايقبل عليها وعلى موائدهم البدعية إلا المنخنقة والمتردية والنطيحة ومـاأكل السـبع وكل ضعيف عقل وفاسد طوية . ويمكن لنا أن نحدد بعض صور تزيينهم لبدعهم فيما يلي :

(١) نسبة مذاهبهم البدعية الباطلة إلى بعض أئمة السلف :

ويصنع المبتدعة ذلك لكي يضمنوا انتشار مذاهبهم لأنهم يزعمـون أنهـم لم يحدثوا هذه المذاهب البدعية من عند أنفسهم ، بل هم متبعون فيما هم عليه لأئمـة السلف رضي الله عنهم ، فعندما يسمع ذلك من لايعرف مذهب السلف من الصحابة والتابعين فإنه لايملك إلا اتباعهم على ماهم عليه من البدعة فيضل من ضـل بسـبب ادعاء تلك النسبة ، ومن الأمثلة على ذلك مايلي :

(أ) نسبة الرافضة مذهبهم الشيعي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنـه فهـو المؤسس لمذهب التشيع عندهم :

قال القمي : "فأول الفرق الشيعة وهي فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ وبعده ، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته منهم المقداد بن الأسود الكندي ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر جندب الغفاري ، وعمار بن ياسر المذحجي ، وهم أول من سموا باسم التشيع من هذه الأمة"[١] .

ولاشك في كذب نسبة التشيع إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنـه وهـذا الادعاء الكاذب من الرافضة لايستغرب منهم فهم معروفـون باسـتحلال الكـذب

---

(١) المقالات والفرق للقمي (ص١٥) .

وهذا المثال صورة من صور ذلك الكذب الفاضح ، ولذلك فإن السلف رضي الله عنهم لايحدثون عن الرافضة لما اشتهر عنهم من استحلالهم الكذب .

(ب) دعوى الخوارج أن بعض السلف كان موافقا لهم في بدعهم :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله : "والخوارج تدعي من السلف أبا الشعثاء جابر بن زيد وعكرمة وإسماعيل بن سميع وأبا هارون العبدي وهبيرة بن مريم"[(١)] .

(ج) نسبة المعتزلة تأسيس مذهبها إلى الصحابة رضي الله عنهم ولرسول الله ﷺ :

يزعم المعتزلة أن الصحابة رضي الله عنهم هم ممن ينسب إلى المذهب المعتزلي ولذلك عدوهم في طبقات المعتزلة فلقد نسب ابن المرتضى في طبقاته الاعتزالية "الخلفاء الأربعة وهم علي عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، عبد الله بن العباس ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم كعبد الله بن عمر وأبي الدرداء وأبي ذر الغفاري وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب"[(٢)] .

ولم يكتف ابن المرتضى في نسبة مذهبه إلى الصحابة رضي الله عنهم بل إنه زعم أن عقائد المعتزلة البدعية إنما أخذت عن طريق الرسول ﷺ فقال :

"وسند المعتزلة لمذهبهم أوضح من الفلق إذ يتصل إلى واصل وعمرو[(٣)] اتصالا ظاهرا شاهرا وهما أخذا عن محمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ، ومحمد هو الذي ربى واصلا وعلمه حتى تخرج واستحكم ، ومحمد أخذ عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام عن رسول الله ﷺ"[(٤)] .

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/٢٠٠) .

(٢) طبقات المعتزلة (ص٩،١٣) .

(٣) هما واصل بن عطاء الغزال ، وعمرو بن عبيد .

(٤) طبقات المعتزلة (ص٧) .

(د) نسبة بعض الأشاعرة مذهب الأشاعرة الذي أسسه أبو الحسن الشعري إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الصحابي والعالم الجليل :

ولقد ذكر نسبة مذهب الأشاعرة إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الشهرستاني في كتابه الملل والنحل فقال : "وسمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يقرر عين مايقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه ، وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو : أين أجد أحدا أحاكم إليه ربي . فقال أبو موسى : أنا ذلك المتحاكم إليه فقال عمرو : أويقدر علي شيئا ثم يعذبني عليه؟ قال : نعم . قال عمرو : ولم؟ قال : لأنه لايظلمك . فسكت عمرو ، ولم يحر جوابا"[1] .

فانظر كيف دفع تزيين البدعة الشهرستاني وأمثاله من نسبته المذاهب البدعية إلى صحابة رسول الله ﷺ ، أي إلى أبي موسى الأشعري ، بل ولم يكتف بذلك حتى ساق لنا قصة خرافية مكذوبة على صحابيين جليلين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ، ومعلوم مافي هذه القصة من سوء الأدب ، فكيف يحاكم عمرو بن العاص ربه . أقول قاتل الله الأهواء وأصحابها الذين لايردعهم خوف من الله ولااستحياء ولاأدب مع صحابة رسول الله ﷺ .

(هـ) أما المتصوفة فإنهم قد اتهموا عبد الله بن عمر رضي الله عنه بأنه أباح السماع الصوفي الذي تحدث فيه المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء وشراب المسكر وغيرها ، إضافة إلى كون إقامته بحد ذاته بدعة ضلالة .

فهذا أبو القاسم القشيري يقول : "وقد روي عن ابن عمر آثار في إباحته للسماع وكذلك عبد الله بن جعفر بن أبي طالب"[2] .

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على دعوى القشيري بقوله :

---

(١) الملل والنحل (ص٩٤) .

(٢) الرسالة القشيرية (٢/٦٣٩) .

"أما النقل عن ابن عمر فباطل بل المحفوظ عن ابن عمر ذمه للغناء ونهيه عنه وكذلك عن سائر أئمة الصحابة كابن مسعود وابن عباس وجابر وغيرهم ممن ائتم بهم المسلمون في دينهم . وأما مايذكر من فعل عبد الله بن جعفر في أنه كان له جارية يسمع غناءها في بيته فعبد الله بن جعفر ليس ممن يصلح أن يعارض قوله في الدين — فضلا عن فعله — لقول ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم ، ومن احتج بفعل مثل عبد الله في الدين في مثل هذا ، لزمه أن يحتج بفعل معاوية في قتاله لعلي وبفعل ابن الزبير في قتاله في الفرقة ، وأمثال ذلك مما لايصلح لأهل العلم والدين أن يدخلوه في أدلة الدين والشرع لاسيما النساك والزهاد ، وأهل الحقائق لايصلح لهم أن يتركوا سبيل المشهورين بالنسك والزهد بين الصحابة ويتبعوا سبيل غيرهم"[١] .

(٢) تسميتهم أنفسهم بالأسماء والألقاب المحمودة :

وهم في ذلك لهم شبه بالكفار من أهل الكتاب والمشركين الذين تسموا بأسماء لايستحقونها كتسمية اليهود أنفسهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه ، قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٢] ، أو كقول المشركين عن آلهتهم التي اشتقوا لها من أسماء الله فقالوا اللات والعزى ، ومناة التي هي مشتقة من الإله ، والعزيز ، والمنان : ﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[٣] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وكذلك تسمية أهل البدع لأنفسهم بأسماء لايستحقونها كما تسمي :

الخوارج أنفسهم : "المؤمنين" دون بقية أهل القبلة ويسمون دارهم "دار الهجرة" .

---

(١) الاستقامة (١/٢٨١،٢٨٢) .

(٢) سورة المائدة : آية (١٨) .

(٣) سورة النجم : آية (٢٣) .

وكذلك الرافضة تسمي أهلها : "المؤمنين" و"أولياء الله" دون بقية أهل القبلة وكذلك الجهمية ونحوها يسمون أنفسهم "الموحدين" ويسمون نفي الصفات "توحيد الله" .

وتسمي المعتزلة ذلك : "توحيدا" ، وتسمي التكذيب بالقدر "عدلا" ، وتسمي القتال في الفتنة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ، وكذلك تسمية الصابئة لعلومهم وأعمالهم "الحكمة" أو "الحكمة الحقيقية" ، أو "المعارف اليقينية" مع أن فيها من الجهل والشبه والضلال مالايحصيه إلا ذو الجلال .

وكذلك تسمية الاتحادية أنفسهم "أهل الله" و"خاصة الله" ، و"المحققين" وهم من أعظم الناس عداوة لله وأبعد الناس عن التحقيق .

وما من اسم من هذه الأسماء الباطلة في الحمد والذم إلا ولابد لأصحابه من شبهة يشتبه فيها الشئ بغيره ؛ بل قد يفعل المبطلون أعظم من ذلك كتسمية بعض الزنادقة المتفقرة المسجد "اسطبل البطالين" ، وهذا كثير في من يسمي الحق باسم الباطل ، والباطل باسم الحق ، وتلك كلها أسماء سموها هم وآباؤهم ماأنزل الله بها من سلطان"[١] .

ولم يكتف المبتدعة عندما أرادوا تزيين بدعهم بانتحال أسماء ليسوا لها بأهل ، بل إن الشيطان أغراهم بالجرأة على رسول الله ﷺ فكذبوا عليه فوضعوا على لسانه ﷺ أحاديث في فضل بدعهم ومؤسسي مذاهبهم ، فهذا ابن المرتضي المعتزلي يذكر لنا حديثا عن النبي ﷺ في ذكر فضائل واصل بن عطاء المعتزلي فقال عن واصل : "وقد روي فيه حديث ذكره ابن يزداد بإسناده عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ يكون في أمتي رجل يقال له واصل بن عطاء يفصل بين الحق والباطل"[٢] .

---

(١) تلبيس الجهمية (١٣٥/٢، ١٣٦) .

(٢) طبقات المعتزلة (ص٢٩) .

فإنك لو ذهبت تفتش عن هذا الحديث في كتب الموضوعات الحديثية فأنا لك ضمين أنك لن تجده فضلا عن الصحاح والمسانيد والسنن المشهورة بالأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة ، فهذا الحديث لاأصل له البته ، ولكن ماذا نصنع إذا كان المعتزلة بلغ بهم التفاني في نشر مذهبهم وتزيينه بأن وضعوا لأئمتهم أحاديث وفضائل ، أما علموا أن الرسول ﷺ قال في الحديث الصحيح المتواتر : "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"(١) .

أقول بلى علموا ولكن حب البدعة يعمي ويصم نعوذ بالله من الخذلان ونسأله السلامة والغفران .

(٣) تجميلهم لقبائح بدعهم بالعبارات المجملة الموهمة :

إن المبتدع لايجرؤ غالبا على الإنكار الصريح لما يعارض بدعته من الكتاب والسنة ، ولكنه يسوق بدعته في قوالب مجملة وعبارات موهمة تتضمن حقا وباطلا وهذا مقصود منهم للتعمية على حقائق بدعهم الباطلة لكي لاتعرف فيفتضح المذهب البدعي فيرد حينئذ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كاشفا بعض تلاعب المبتدعة بالعبارات المجملة الموهمة التي يزنون بها بدعهم : "فإنهم إذا قالوا "إن الله منزه عن الأعراض" لم يكن في ظاهر هذه العبارة ماينكر لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزه عن الاستحالة والفساد كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام ، ولاريب أن الله منزه عن ذلك ، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولاقدرة ولاحياة ولاكلام قائم به ولاغير ذلك من الصفات التي يسمونها هم أعراضا .

وكذلك إذا قالوا : "إن الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات" أوهموا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لاتحصره المخلوقات ، ولاتحوزه المصنوعات .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٢٩١) .

وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم : أنه ليس مباينا للخلق ولامنفصلا عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولاعلى العرش إله ، وأن محمدا لم يعرج به إليه ولم ينزل منه شئ ، ولايصعد إليه شئ ولايتقرب إليه شئ ، ولايتقرب إلى شئ ، ولاترفع إليه الأيدي في الدعاء ، ولاغيره ونحو ذلك من معاني الجهمية .

وإذا قالوا : "إنه ليس بجسم" أوهموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ولامثل أبدان الخلق ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك أنه لايرى ولايتكلم بنفسه ولايقوم به صفة ولاهو مباين للخلق ، وأمثال ذلك .

وإذا قالوا : "لاتحله الحوادث" أوهموا الناس أن مرادهم أنه لايكون محلا لتغيرات والاستحلات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ولا له كلام ولافعل يقوم به يتلعق بمشيئته وقدرته ، وأنه لايقدر على استواء أو نزول أو إتيان أو مجئ ، وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلا ، بل عين المخلوقات هي الفعل ليس هناك فعل ومفعول ، وخلق ومخلوق ، بل المخلوق عين الخلق والمفعول عين الفعل ونحو ذلك"[1] .

(٤) ثناء المبتدعة على العلوم الضالة البدعية :

عندما يسمع من لم يعلم ثناء ــ بعض من يجهل أنه مبتدع ــ على علوم معينة وهذا المثني ممن يشار إليه بالبنان فإنه غالبا سينساق وراء ذلك الثناء الذي هو في غير محله فيبدأ ذلك الجاهل بالأخذ من تلك العلوم البدعية المضلة ، فبالتالي لايلبث أن يتشرب قلبه تلك العلوم البدعية ، إلا أن يعصمه الله .. ومن الأمثلة على ذلك :

ماذكره شيخ الإسلام من ثناء أئمة علم الكلام على علم الكلام وماجره هذا الثناء والإطراء لذلك العلم الذي هو في حقيقته غاية الجهل من دخول أمم لايعلمهم إلا الله في أتباع أئمة الكلام المبتدعة فيما يقررونه من مسائل علمهم المشئوم ، فإنه قال رحمه الله :

---

(١) الدرء (٢/١١،١٢) .

"فصل : مهم عظيم القدر في هذا الباب .
وذلك أن طوائف كثيرة من أهل الكلام من المعتزلة وهو أصل هذا الباب كأبي علي وأبي هاشم وعبد الجبار وأبي الحسين وغيرهم ومن اتبعهم من الأشعرية كالقاضي أبي بكر وأبي المعالي وأبي حامد والرازي ومن اتبعهم من الفقهاء يعظمون أمر الكلام الذي يسمونه أصول الدين حتى يجعلوا مسائله قطعية ، ويوهنون من أمر الفقه الذي هو معرفة أحكام الأفعال حتى يجعلوه من باب الظنون لا العلوم ، وقد رتبوا على ذلك أصولا انتشرت في الناس حتى دخل فيها طوائف من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث لايعلمون أصلها ولا ماتؤول إليه من الفساد ، مع أن هذه الأصول التي ادعوها في ذلك باطلة واهية"[1] .

فانظر كيف أغوى ثناء أئمة الكلام على ذلك العلم طوائف من الفقهاء والصوفية حتى دخلوا في مسائل علم الكلام البدعية وماذلك إلا لإطرائهم لعلم الكلام ، ووضعهم في المقابل من قيمة علم الفقه ، وانظر أيضا كيف استشعر شيخ الإسلام أهمية قلب الحق باطلا والباطل حقا معنونا له بفصل مستقل وقال عنه أنه مهم عظيم القدر ، وصدق رحمه الله فإنه من أبصر الناس بما يؤول إليه قلب الحقائق على أيدي المبتدعة من إضلال الناس وصدهم عن دين الله وسبيل المؤمنين .

(٥) استعمالهم للمخاريق والحيل :

كما ذكر سابقا أن أهل البدع لايتورعون عن سلوك أي طريق شائنة مفروشة بالكذب والتزييف والاستخفاف بعقول من يدعونه إلى بدعتهم وضلالهم ، ومن الطرق التي يسلكونها لتزيين بدعهم استعمالهم للمخاريق والأكاذيب والحيل الكثيرة المتنوعة التي تنطلي على كثير من الناس ولايكاد يسلم منها إلا من وفقه الله ومن هذه الحيل مايلي :

---

(١) الاستقامة (١/٤٧،٤٨،٤٩) .

١- ماسبق أن ذكرناه عن المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ضحك على أتباعه وأخرج لهم حيلة من حيلة لكي يتبعوه فأخرج لهم الكرسي المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب الذي قال فيه المختار أنه فيه من العلم والحكم وأنه يستمد منه النصر على الأعداء ، فكان يخرج به إذا أراد قتال خصومه فتعلق به كثير من أتباعه واعتقدوا فيه ماذكره المختار بن أبي عبيد عن ذلك الكرسي فافتتن به أتباعه[1] .

٢- ومن الأمثلة أيضا ماذكره أهل التاريخ والسير عن المهدي ابن تومرت من أنه كان يستعمل المخاريق والحيل لجذب الأتباع والأنصار ، فمن حيله :

أ- أنه كان في صحبته الفقيه عبد الله الونشريسي وكان جميلا نحويا فاتفقا على أن يخفي علمه وفصاحته ويتظاهر بالجهل واللكن مدة ثم يجعل إظهار نفسه معجزة ، ففعل ذلك بعد مدة من الزمن ، فإن المهدي بن تومرت خرج يوما فقال : تعلمون أن البشير ــ يريد الونشريسي ــ رجل أمي ولايثبت على دابة فقد جعله الله مبشرا لكم مطلعا على أسراركم وهو آية لكم قد حفظ القرآن وتعلم الركوب وقال اقرأ فقرأ الختمة في أربعة أيام وركب حصانا وساقه فبهتوا وعدوها أية لغباوتهم"[2] .

ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الحكاية أيضا فقال عن صنيع المهدي ابن تومرت هذا : "ومن الحكايات التي يأثرونها عنه أنه واطأ رجلا على إظهار الجنون وكان ذلك عالما بحفظ القرآن والحديث والفقه فظهر بصورة الجنون والناس لايعرفونه إلا مجنونا ثم أصبح ذات يوم وهو عاقل يقرأ القرآن والحديث والفقه وزعم أنه علم ذلك في المنام وعوفي مما كان به ، وربما قيل : أنه ذكر لهم أن النبي ﷺ علمه ذلك فصاروا يحسنون الظن بذلك الشخص"[3] .

---

(١) سبق ذلك مفصلا (ص) .

(٢) السير (٥٤٣/١٩،٥٤٥) ، الكامل لابن الأثير (٥٦٣/٦) .

(٣) الفتاوى (٤٧٧/١١،٤٧٨) .

وهذا الرجل الونشريسي هو الذي أشرف مباشرة على مهمة التمييز التي سبق أن ذكرناها[(١)] فأطاعوه لأنه آية وملهم فهو إذا لايمكن أن يكذب فسفك دماءهم واستحل أموالهم .

ب- ومما يذكر عن المهدي ابن تومرت من استخدامه للحيل :

ماذكره عنه أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما سئل عن ابن تومرت وكتابه المرشدة ، فقال عن ابن تومرت : "ولما رفع إلى المغرب صعد إلى جبال المغرب إلى قوم من البربر وغيرهم جهال لايعرفون من دين الإسلام إلا ماشاء الله فعلمهم الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام واستجاز أن يظهر لهم أنواعا من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين فصار يجئ إلى المقابر يدفن بها أقواما ويواطئهم على أن يكلموه إذا دعاهم ويشهدوا له بما طلبه منهم مثل أن يشهدوا له بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ الذي يواطئ اسمه اسمه واسم أبيه اسم أبيه وأنه الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ، وأن من اتبعه أفلح ومن خالفه خسر ، ونحو ذلك من الكلام ، فإذا اعتقد أولئك البربر أن الموتى يكلمونه ويشهدون له بذلك عظم اعتقادهم فيه وطاعتهم لأمره ، ثم إن أولئك المقبورين يهدم عليهم القبور ليموتوا ولايظهروا أمره واعتقد أن دماء أولئك مباحة بدون هذا ، وأنه يجوز له إظهار هذا الباطل ليقوم أولئك الجهال بنصره واتباعه .

وقد ذكر عنه أهل المغرب وأهل المشرق الذين ذكروا أخباره من هذه الحكايات أنواعا وهي مشهورة عند من يعرف حاله عنه"[(٢)] .

ولقد ذكر الذهبي في السير عن ابن تومرت ماذكره عنه هنا شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : "وقد بلغني ــ فيما يقال ــ أن ابن تومرت أخفى رجالا في قبور دوارس وجاء في جماعة ليريهم آية يعني فصاح : أيها الموتى أجيبوا ، فأجابوه : أنت المهدي المعصوم ، وأنت وأنت . ثم إنه خاف من انتشار الحيلة فخسف فوقهم القبور فماتوا"[(٣)] .

---

(١) (ص) .

(٢) الفتاوى (١١/٤٧٧) .

(٣) السير (١٩/٥٥١) .

٣- ومن الأمثلة أيضا مايستعمله كثير من المتصوفة من المخاريق والحيل والألاعيب لكي يزينوا للناس ماهم عليه من الأحوال البدعية بل الشيطانية الباطلة ، وهذا التزيين من قبل المتصوفة المبتدعة لايقتصر فقط على العامة من الناس ، بل إنه يتعداهم إلى الخاصة من الوزراء والأمراء والأكابر ، ولاأدل على ذلك ماحصل من تلبيس المتصوفة المعاصرين لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على العامة والخاصة فانبرى شيخ الإسلام رحمه الله للرد على أولئك المتصوفة البطائحية[1] والمنتسبين إلى طريقة أحمد الرفاعي .

ولقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ماحدث للناس من الفتنة والبلاء الصادر من أولئك المبتدعة فقال رحمه الله ذاكرا جمع أمير دمشق له بأعيان هذه الطائفة المتصوفة المبتدعة وماحدث في ذلك الاجتماع فقال رحمه الله : "فلما أصبحت ذهبت للميعاد وماأحببت أن أستصحب أحدا للإسعاد لكن ذهب أيضا بعض من كان حاضرا من الأصحاب والله هو المسبب لجميع الأسباب ، وبلغني بعد ذلك أنهم طافوا على عدد من أكابر الأمراء وقالوا أنواعا مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء الذين استحوذوا به على أكثر أهل الأرض من الأكابر والرؤساء ، مثل زعمهم أن لهم أحوالا لايقاومهم فيها أحد من الأولياء ، وأن لهم طريقا لايعرفها أحد من العلماء ، وأن شيخهم هو في المشايخ كالخليفة وأنهم يتقدمون على الخلق بهذه الأخبار المنيفة ، وأن المنكر عليهم هو آخذ بالشرع الظاهر ، غير واصل إلى الحقائق والسرائر ، وأن لهم طريقا وله طريق وهم الواصلون إلى كنه التحقق ، وأشباه هذه الدعاوى ذات الزخرف والتزويق"[2] .

ولقد ذكر رحمه الله رواج سوق أولئك المبتدعة المتصوفة عند علية القوم والسبب في ذلك فقال :

---

(١) البطائحية هم الذين يقال لهم الأحمدية والرفاعية نسبة إلى أحمد الرفاعي ، مؤسسها في أم عبيدة من قرى البطائح بين البصرة وواسط .
انظر : وفيات الأعيان (١/١٧١-١٧٢) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/٤٥٦) .

"وكانوا لفرط انتشارهم في البلاد واستحواذهم على الملوك والأمراء والأجناد لخفاء نور الإسلام واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام ، وطموس آثار الرسول في أكثر الأمصار ، ودروس حقيقة الإسلام في دولة التتار لهم في القلوب موقع هائل ، ولهم فيه من الاعتقاد مالايزول بقول قائل"[1] .

فانظر كيف بلغت منزلتهم بسبب تزيينهم للباطل ، وكيف تعلق بهم وصدقهم الأصاغر ، والفضلاء الأماثل .

ثم ذكر رحمه الله أنواعا من هذا التلبيس الصوفي البدعي فقال : "وذكرت تلبيسهم على طوائف من الأمراء وأنهم لبسوا على الأمير المعروف باليدمري وعلي قفجق نائب السلطنة وعلى غيرهما ، وقد لبسوا أيضا على الملك العادل كتغا في ملكه وفي حالة ولاية حماه ، وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصر ، وضاق المجلس عن حكاياة جميع تلبسهم فذكرت تلبيسهم على الايدمري وأنهم كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيته الباطنة ، ثم يخبرونه بها على طريق المكاشفة ووعدوه بالملك ، وأنهم وعدوه أن يروه رجال الغيب فصنعوا خشبا طوالا وجعلوا عليها من يمشي كهيئة الذي يلعب باكر الزجاج ، فجعلوا يمشون على جبل المزة وذاك يرى من بعيد قوما يطوفون على الجبل وهم يرتفعون عن الأرض وأخذوا منه مالا كثيرا ، ثم انكشف له أمرهم .

وأما (قفجق) فإنهم أدخلوا رجلا في القبر يتكلم وأوهموه أن الموتى تتكلم ، وأتوا به في مقابر باب الصغير إلى رجل زعموا أنه الرجل الشعراني الذي بجبل لبنان ولم يقربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته ، وقالوا أنه طلب منه جملة من المال ، قال (قفجق) الشيخ يكاشف وهو يعلم أن خزائني ليس فيها هذا كله ، وتقرب (قفجق) منه وجذب الشعر فانقلع الجلد الذي ألصقوه على جلده من جلد الماعز"[2] .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٥٨/١١) .

(٢) المصدر السابق (١١/) .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله مايتعاطونه أولئك الصوفية من التلبيس على الناس من دخولهم النار وخروجهم سالمين ، وبين رحمه الله كيفية هذا التلبيس وكشف باطلهم بأن تحداهم بأن يدخلوا النار بعدما يغتسلون بالماء الحار والخل فقال : "قلت للأمير ... هم يزعمون أن لهم أحوالا يدخلون بها النار وأن أهل الشريعة لايقدرون على ذلك ويقولون لنا هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع ليس لهم أن يعترضوا علينا بل يسلم إلينا مانحن عليه ـــ سواء وافق الشرع أو خالفه ـــ وأنا قد استخرت الله سبحانه أنهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله وكان مغلوبا وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار فقال و لم ذاك؟ قلت : لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع ، وباطن قشر النارنج ، وحجير الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم ، وأنا لاأطلي جلدي بشيء فإذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق ، وقلت لهم ومع هذا فلو دخلتم النار ثم خرجتم منها سالمين حقيقة ولو طرتم في الهواء ومشيتم على الماء ، ولو فعلتم مافعلتم لم يكن في ذلك مايدل على صحة ماتدعونه من مخالفة الشرع ، ولاعلى إبطال الشرع فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر ، وللأرض انبتي فتنبت ، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه ، ويقتل رجلا ثم يمشي بين شقيه ثم يقول له قم فيقوم ، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون لعنه الله ، ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب"[1] .

قلت بل إن شيخ الإسلام رحمه الله ذكر أيضا أن من المبتدعة من يراه الناس يطير في الهواء حقيقة ، ويمشي كذلك على الماء حقيقة لكنه بمعونة شياطين الجن ، وكذلك ماقد يراه بعض الناس من ضرب بعضهم لأنفسهم بالحديد المحمي على النار ، وهو مع ذلك لايحس بهذا الضرب المؤلم الذي قد يصل إلى احتراق ذلك الحديد للبدن وشقه له ، لكن ذلك كله بفعل شياطين الجن الذين يعينون أولئك المبتدعة الضلال .

---

(١) الفتاوى (٤٥٦/١١، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٦) .

قال رحمه الله : "وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط[١] ، فإن الشياطين تلابس أحدهم بحيث يسقط إحساس بدنه ، حتى أن المصروع يضرب ضربا عظيما وهو لايحس بذلك ولايؤثر في جلده ، فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين وتدخل بهم النار ، وقد تطير بهم في الهواء وإنما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كما يلبس الشيطان المصروع ، وبأرض الهند والمغرب ضرب من الزط يقال لأحدهم : المصلي ، فإنه يصلى النار كما يصلي هؤلاء وتلبسه ويدخلها ويطير في الهواء ويقف على رأس الزج ... وقد باشرنا من هذه الأمور مايطول وصفه وكذلك يفعل هذا هؤلاء المتولهون والمنتسبون إلى بعض المشائخ إذا حصل له وجد سماعي ، وعند سماع المكاء والتصدية منهم من يصعد في الهواء ، ويقف على زج الرمح ، ويدخل النار ، ويأخذ الحديد المحمي بالنار ثم يضعه على بدنه ، وأنواع من هذا الجنس ولاتحصل له هذه الحال عند الصلاة ولاعند الذكر ولاعند قراءة القرآن ، لأن هذه عبادات شرعية إيمانية إسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين ، وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين"[٢] .

ومع هذا التزيين المختلف والمتنوع من المبتدعة الذين هم أيضا فرق ومذاهب شتى لايستغرب الإنسان استجابة العامة من الناس لكثير من هذه البدع المختلفة التي بعضها يقترب إلى السنة ، والآخر يشتط ويبعد كثيرا عن عقائد أهل السنة ، ولكنه يعجب أشد العجب من استجابة بعض العلماء من الفقهاء وغيرهم وموافقته لبعض المبتدعة فيما ابتدعوه وأحدثوه .

---

(١) سبق هذا الكلام ذكره لبعض من لايتقن بعض كلام الفرس والترك أنه يتكلم به في مجالس السماع الصوفية البدعية وأن ذلك بسبب تلبس الشياطين بهم .

(٢) الفتاوى (١١/٥٧٤،٥٧٥) .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله أسباب استجابة بعض العلماء لبعض البدع ولتزيين المبتدعة لبدعهم وباطلهم ، وكان كلامه بالذات على مثبتة الصفات كالكلابية[1] والأشاعرة فقال :

أحدها : كثرة الحق الذي يقولونه ، وظهور الأثارة النبوية عندهم .

الثاني : لبسهم ذلك بمقاييس عقلية بعضها موروث عن الصابئة ، وبعضها مما ابتدع في الإسلام واستيلاء مافي ذلك من الشبهات عليهم ، وظنهم أنه لم يمكن التمسك بالأثارة النبوية من أهل العقل والعلم إلا على هذا الوجه .

الثالث : ضعف الأثارة النبوية الدافعة لهذه الشبهات والموضحة لسبيل الهدى عندهم .

الرابع : العجز والتفريط الواقع في المنتسبين إلى السنة والحديث : تارة يروون مالايعلمون صحته ، وتارة يكونون كالأميين الذين لايعلمون الكتاب إلا أماني ، ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور"[2] .

هذا هو تزيين المبتدعة لبدعهم ، وهذه هي وسائلهم وطرقهم في التزيين فبئس الزينة والمزين ، وأعاذنا الله من الوقوع في مصير من وقع في حبائل ذلك التزيين .

---

(١) الكلابية : اسم لفرقة تنتسب إلى أبي محمد عبد الله بن سعيد القطان ، المعروف بابن كلاب والمتوفي بعد سنة ٢٤٠هـ ، وافق المعتزلة في نفي أفعال الله تعالى المتعلقة بمشيئته وقدرته ، وأثبت الصفات الأخرى ، وهو أول من أحدث مقالة أن كلام الله هو عنى قائم بنفسه سبحانه وتعالى .
انظر : الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٧٧/٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧٤/١١-١٧٥) .

(٢) الفتاوى (٣٣/١٢) .

الفصل الثاني

النشأة في المجتمعات البدعية أو الكفرية

ويشمل على :

تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول :
النشأة في المجتمعات البدعية .

المبحث الثاني :
حمل بعض الداخلين في الإسلام لموروثاتهم الفكرية .

التمهيد

يعتبر الإنسان ابن بيئته التي نشأ فيها منذ نعومة أظفاره ، فهو لم يختر مجتمعه بنفسه ، ذلك المجتمع الذي تربى وترعرع بين جنباته ، هذه البيئة التي غالبا ماتصقل فكر واعتقاد وسلوك من عاش فيها ، فيعتبر الإنسان في الحقيقة صدى لما يحمله مجتمعه من الأفكار والاعتقادات والأخلاق ، فإن كان مجتمعه مجتمعا صالحا سليم الاعتقاد لايتخلله بدع أو شركيات فغالبا مايكون الإنسان صورة من ذلك المجتمع وإن كان العكس كأن يكون مجتمعه فاسدا فسادا عقديا ، موطنا للبدع والخرافات والشركيات فغالبا مايكون إنسان ذلك المجتمع صورة تعبر عن مجتمعه ، ولذلك فإن الإنسان لايستطيع في الغالب أن ينفك عن أفكار ومعتقدات مجتمعه سواء كان صالحا أو فاسدا ، ولذلك فإن من الأسباب الخارجية التي تؤثر في وقوع الإنسان في البدعة هو أن ينشأ في مجتمع بدعي فهو يرى أهل بيته كبيرهم وصغيرهم وأصدقاءه ومعارفه وأهل مجتمعه يدينون بتلك العقائد البدعية فيؤثر ذلك المجتمع في اعتقاد الشخص ووقوعه في البدعة ، مع ملاحظة ماذكرناه سابقا أن الإنسان لم يختر مجتمعه بنفسه وإنما الموفق هو الذي إذا عرف أن ماعليه أهل مجتمعه هو بدعة ترك تلك البدع وأخذ بالسنة ، وهذا أيضا ينطبق على من كان مشركا أو كافرا ثم دخل الإسلام لكنه مازال يحمل بعض موروثاته الفكرية والعقدية التي مازالت مخزونة في ذهنه عندما كان في مجتمع الكفر والجاهلية التي سبقت إسلامه ، فإن هذا حاله كحال من نشأ في مجتمع مسلم لكنه ملئ بالبدع المحدثة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة .

ولذلك فإننا سنعرض في هذا الفصل لأمرين :

(١) النشأة في المجتمعات البدعية .

(٢) حمل بعض الداخلين في الإسلام لموروثاتهم الفكرية .

وسنفرد لكل من هذين الأمرين مبحثا مستقلا نبحث فيه جوانب كل منهما

المبحث الأول
النشأة في المجتمعات البدعية

أولا : التمهيد

لقد سطر أهل العلم رحمهم الله في كلامهم أن النشأة في المجتمعات البدعية سبب من أسباب وقوع الإنسان في البدعة ، وأن الإنسان يتأثر بما يعايشه في مجتمعه من الأفكار والاعتقاد .

ولذلك استعاذ الإمام يونس بن عبد الأعلى أنه لم ينشأ في الكوفة لأنها كانت دار بدعة تأصلت فيها بدعة التشيع فقال رحمه الله : "إني لأعدها من نعمة الله أني لم أنشأ بالكوفة"[١] .

ولذلك فإن الإمام الذهبي رحمه الله عندما ترجم للإمام عبيد الله بن موسى باذام العبسي الكوفي قال عنه : "كان صاحب عبادة وليل صحب حمزة ــ الزيات ــ وتخلق بآدابه إلا في التشيع المشؤوم فإنه أخذه عن أهل بلده المؤسس على البدعة"[٢].

ولقد نبه أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أن الإنسان يتأثر بنشأته فإن نشأ في مجتمع بدعي فإنه غالبا ماسيتأثر بما نشأ عليه ، ولقد عقد مقارنة رحمه الله بين بعض ممن تأثر بنشأته البدعية وكيف أن كلا منهم أثرت فيه تلك النشأة فتبنى ماكان عليه ذلك المجتمع من الأفكار والاعتقادات فقال رحمه الله : "ولكن ابن سينا نشأ بين المتكلمين النفاة للصفات وابن رشد نشأ بين الكلابية"[٣] .

فانظر كيف علل شيخ الإسلام ماكان عليه ابن سينا وابن رشد من الأفكار والاعتقاد وربط ذلك بما كان نشأ عليه كل منهما .

---

(١) السير (٦/٢٩٤) .

(٢) السير (٩/٥٥٥) .

(٣) منهاج السنة النبوية (١/٣٥٤) .

ولقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله أن سبب ماكان عليه القاضي أبـــو القاســـم علي التنوخي من التشيع والاعتزال أنه كان ممن نشأ في الدولة البويهية الشيعية .

فقال رحمه الله : "وقال شجاع الذهلي : كان يتشيع ويذهب إلى الاعتزال قلت : نشأ في الدولة البديهية وأرجاؤها طافحة بهاتين البدعتين"[1] .

فكلام ابن تيمية رحمه الله والذهبي هنا برهان ساطع على أن الإنسان ابن بيئته التي نشأ فيها غالبا وأن هذه النشأة إن كانت في مجتمع بدعي فإن الإنسان يتأثر بما في ذلك المجتمع من البدع كما مر معنا .

---

(١) السير (١٧/٦٥٠) .

ثانيا : الأمثلة الدالة على أن النشأة في المجتمع البدعي تؤدي غالبا إلى الوقوع في البدعة

المثال الأول : أبو الحسن الأشعري (ت٣٣٠هـ) :

نشأ الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في أول أمره في بيت أهله من أهل السنة والحديث ، فلقد كان والد أبي الحسن سنيا حديثيا إلا أنه مالبث أن مات فأوصى والد أبي الحسن بتربية ابنه وكفالته إلى الإمام أبي يحيى زكريا بن يحيى الساجي وكان إماما في الفقه والحديث[1] .

ولقد قال الإمام الذهبي رحمه الله عن الساجي : "وكان من أئمة الحديث"[2]

إلا أن أبا الحسن الأشعري لم يكتب له الاستمرار في العيش في هذه البيئة السنية الخالية من البدع فانتقل من هذه البيئة في العاشرة من عمره وذلك للعيش في بيت زوج أمه أبي علي الجبائي المعتزلي الذي تزوج أم أبي الحسن الأشعري بعد وفاة والده ، ومن ثم تتلمذ عليه وأخذ عنه المذهب المعتزلي .

قال في الخطط عن أبي الحسن الأشعري : "وتلمذ لزوج أمه أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة ... وقال مسعود بن شيبة في كتاب التعليم : كان حنفي المذهب معتزلي الكلام لأنه كان ربيب أبي علي الجبائي وهو الذي رباه وعلمه الكلام"[3] .

فانظر رحمك الله كيف كتب لأبي الحسن الأشعري أن يكون إماما من أئمة المعتزلة وذلك بسبب نشأته في مجتمع معتزلي هيأه له زوج أمه أبي علي الجبائي الذي أخذ عنه مذهب الاعتزال حتى برع فيه ، وهذا إنما يدل على أثر النشأة في حياة

---

(١) تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري لابن عساكر (ص٣٥) .

(٢) السير (١٤/١٩٨) .

(٣) الخطط للمقريزي (٤/١٩٣-١٩٤) .

الإنسان ، وأنها تعتبر سببا من أسباب ضلال الإنسان أو استقامته ، ومثال أبي الحسن الأشعري رحمه الله شاهد صدق على ذلك ، ثم رجع إلى مذهب الكلابية ثم رجع عنه في آخر حياته إلى مذهب أهل السنة والجماعة[١] .

المثال الثاني : أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت٤٢٨هـ) :

نشأ ابن سينا وتربى في بيئة بدعية منحرفة ضالة وترعرع في بيت تملأ البدعة كل ركن من أركانه ، فوالد ابن سينا كان أحد الدعاة للمذهب الإسماعيلي في مدينة بخارى ، ولقد أثبت العلماء هذه الحقيقة كما أثبتوا تأثر ابن سينا ببعض الأفكار الإسماعيلية الضالة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا تأثر ابن سينا بالمعتقدات الإسماعيلية ، بل أنه جعله من ائمة الإسماعيلية : "فابن سينا وأمثاله من أئمة هؤلاء ، وكان أهل بيته من أهل دعوة الحاكم وأمثاله من أئمة القرامطة الباطنية الإسماعيلية"[٢] .

وقال رحمه الله متحدثا عن بقايا الإسماعيلية بقوله : "وكان أهل بيت ابن سينا من المستجيبين لدعوتهم زمن الحاكم"[٣] .

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمته لابن سينا : "وكان أبوه من دعاة الإسماعيلية"[٤] .

وقال في شذرات الذهب : "وكان أبوه من دعاة الإسماعيلية فأشغله في الصغر وحصل عدة علوم قبل أن يحتلم"[٥] .

---

(١) انظر : الملل والنحل (ص٩٤) ، السير (٨٥/١٥) ، البداية (٩٩/١١) ، الشذرات (٣٠٣/٢) وفيات الأعيان (٢٨٤/٣) .

(٢) الصفدية (١٨/٢) .

(٣) المنهاج (٤٨٢/٣) .

(٤) السير (٥٣١/١٧) .

(٥) (٥٣٤/٣) .

بل إن ابن سينا اعترف صراحة بنشأته في ذلك البيت البدعي وماكان عليه أبواه فقال : "كان أبي تولى التصرف بقرية كبيرة ثم نزل بخارى ، فقرأت القرآن وكثيرا من الأدب ولي عشر ، وكان أبي ممن أخى داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية"[١] .

ولقد عقب ابن القيم رحمه الله على اعتراف ابن سينا بقوله : "فكان من القرامطة الباطنية الذين لايؤمنون بمبدأ ولامعاد ولارب خالق ، ولارسول مبعوث جاء من عند الله"[٢] .

ولم تكن تلك النشأة البدعية التي نشأها ابن سينا في بيت والده قاصرة على ضلال وكفر الإسماعيلية ، بل إن أباه زاده ضلالا على ضلاله فكان يحثه على تعلم الفلسفة ، وذلك لكون والد ابن سينا ممن كان له إلمام بعلوم الفلسفة اليونانية ، بل تجاوز الأمر مجرد حث ابنه فكان أن استقدم له فيلسوفا صديقا له وأسكنه في بيته ليتمكن ابنه من الدراسة عليه والأخذ عنه .

قال في وفيات الأعيان : "ثم توجه نحوهم الحكيم أبو عبد الله الناتلي فأنزله أبو الرئيس أبي علي عنده فابتدأ أبو علي يقرأ عليه كتاب إيساغوجي ، وأحكم عليه علم المنطق وإقليدس والمجسطي"[٣] .

هذه النشأة البدعية هي التي كونت فكر ابن سينا وذلك من خلال دراسته في هذه البيئة لكتب الإسماعيلية والفلاسفة فكان أن تأثر بها ابن سينا فوقع ــ لاأقول في البدعة وحسب ــ بل وقع في أقوال كفرية والعياذ بالله كقوله بقدم العالم ، وإنكاره للصفات والأفعال القائمة بذات الباري سبحانه وتعالى ، وإنكاره علم الله بالأعيان الحادثة ، وقوله بأن النبوة مكتسبة ، وأن البعث إنما هو للأرواح لا للأبدان ، ولقد

---

(١) السير (٥٣١/١٧) .

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢٦٦/٢) ، وانظر : تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ (ص٤٠٥) .

(٣) (١٥٨،١٥٧/٢) ، البداية والنهاية (٤٥،١٢/٦) ، شذرات الذهب (٢٣٤/٣) ، تاريخ الفكر العربي (ص٤٠٥) ، تاريخ فلاسفة الإسلام لحمد جمعة (ص٥٣) .

كفر علماء الإسلام ابن سينا في هذه المقالة وذلك كأبي حامد الغزالي وابـــن تيميـــة وغيرهم[١] .

المثال الثالث : الشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي الرافضي (ت٤١٣هـ):

لن أتحدث هنا عن نشأة المفيد البدعية ، إلا أن ماقام به "المفيد" من تهيئة لبيئة رافضية بدعية ضالة وسعيه إلى إيجاد أجواء بدعية منحرفة هو في نظري أهم من الكلام عنه وعن نشأته .

فلقد ذكر علماء الإسلام أن المفيد كان يتميز بحرصه الشـــديد علـــى إيجـــاد مجتمعات رافضية يتعلم فيها الصبيان الصغار وهو بصنيعه هذا أضل أمما من النـــاس ، ولذلك كثر تلامذته .

قال الإمام الخطيب البغدادي في ترجمة المفيد : "وكان أحد أئمـــة الضـــلال ، هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه"[٢] .

فانظر إلى كلام الخطيب رحمه الله وتأمل كيف كان وجود المفيـــد ســـببا في إضلال الناس فعده من أئمة الضلال ، وأن خلقا من الناس هلكوا بسببه وليس الهلاك هنا الموت بل أنه أعظم ألا وهو فساد الاعتقاد ، وكيف أنه كان مصدر قلق لأهـــل السنة ، وكيف أن الله أراح المسلمين منه .

ويحدثنا الإمام الذهبي رحمه الله ناقلا قول أحد مترجمي الإماميـــة في شـــيخهم المفيد : "وكان من أحرص الناس على التعليم يدور على المكاتب وحوانيت الحاكـــة فيتلمح الصبي الفطن فيستأجره من أبويه ــ يعني فيضله ــ قـــال : وبذلـــك كـــثر تلامذته"[٣] .

---

(١) انظـــر : منهـــاج الســـنة (١/١٥٤،١٨٢،٣٣٤،٣٥٤) ، (٢/١٣٠،٥٧٥) ، (٣/٢٧٥،٢٨٧) ، (٥/٤٣٣) ، (٨/٢٣) ، الملل والنحل للشهرستاني (ص٤٢٨،٤٥٢) ، تـــاريخ الفكـــر العربـــي (ص٤٠٥) .

(٢) تاريخ بغداد (٣/٢٣١) .

(٣) السير (١٧/٣٤٤) ، وانظر : شذرات الذهب (٣/١٩٩) .

فهؤلاء الصبيان الصغار كانوا ضحية لما كان يقوم به المفيد من تهيئة المجتمع البدعي الذي عاشوا فيه ، وكان هو سبب ضلالهم نسأل الله السلامة والعافية .

المثال الرابع : ابن القيم الجوزية رحمه الله (ت ٧٥١هـ) :

وممن كتب الله له النشأة في المجتمعات البدعية ابن القيم رحمه الله الذي يعتبر إماما من أئمة أهل السنة والجماعة بعدما كان قد شب في مجتمع بدعي جهمي ينفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى .

ونحن إذا نظرنا في ذلك المجتمع البدعي الذي نشأ فيه ابن القيم وجدناه يعج بكثير من علماء المذهب الأشعري البدعي ، وهؤلاء العلماء منهم صفي الدين الهندي ، وابن جماعة ، وتقي الدين السبكي ، وصدر الدين ابن الوكيل وغيرهم كثير .

ولقد تأثر ابن القيم بهم فهم شيوخه ، وممن تتلمذ على أيديهم فلقد درس ابن القيم رحمه الله على صفي الدين الهندي الأصلين : أصول الفقه ، والتوحيد على طريقة الأشاعرة المتكلمين فقرأ عليه كتابين من أهم كتب الرازي وهما الأربعين والمحصل[1] .

فإن ابن القيم رحمه الله درس أكثرهما عليه فتلقن ابن القيم المذهب الأشعري رحمه الله من شيوخه الذين نشأ ابن القيم .

فانظر كيف أثرت تلك النشأة في فكر واعتقاد ابن القيم الذي مالبث أن خلع تلك المذاهب البدعية وتعلم مذهب السلف واعتنى به أتم عناية وذلك عندما التقى شيخ الإسلام ابن تيمية وذلك في عام ٧١٢هـ . وعمر ابن القيم حينئذ بضعة وعشرون عاما فلازم شيخ الإسلام من ذلك التاريخ حتى وفاته وانتفع به نفعا عظيما حتى عد ابن القيم من أكبر أئمة أهل السنة وعلما من أعلامهم

(١) ذكر ذلك في الوافي بالوفيات (٢/٢٧٠) ، المنهل الصافي لابن تغري بردي (٣/٦١) ، البدر الطالع (٢/١٤٣) ، ابن قيم الجوزية وآثاره وموارده لبكر بن عبد الله أبو زيد (ص١٣٠) .

في ذلك العصر ، وإلى هذا الوقت ، بل ووارث علم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

ولقد ذكر ابن القيم رحمه الله ماكان عليه من المذاهب الكلامية البدعية النافية للصفات عن الله ، وكيف أنه بلغ في معرفة تلك المذاهب الغاية القصوى ، وأنه كان ممن جرب تلك المذاهب فلم ينتفع منها بشئ البته ، وأنه لولا الله ثم من أتى من حران وهو شيخ الإسلام ابن تيمية الذي دله على المذهب الحق ، المذهب السلفي النقي الصافي لبقي على بدع الجهمية وضلالهم ، ولذلك فهو يحث متكلمي عصره على نبذ تلك المذاهب الكلامية البدعية ، وعلى تعلم واعتقاد المذهب السلفي ، هذا كله ذكره ابن القيم في نونيته المشهورة المعروفة "بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" فإنه قال رحمه الله :

ياقوم والله العظيم نصيحة	من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في	تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله	من ليس تجزيه يدي ولسانى
فتى أتى من أرض حران فيا	أهلا بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله	من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم	حتى أرانى مطلع الإيمان
ورأيت أعلام المدينة حولها	نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثارا عظيما شأنها	محجوبة عن زمرة العميان
ووردت كأس الماء أبيض صافيا	حصباؤه كلآلئ التيجان
ورأيت أكوابا هناك كثيرة	مثل النجوم لوارد ظمآن
ورأيت حول الكوثر الصافي الذي لازال يشخب فيه	ميزابان
ميزان سنته وقول إلهه	وهما مدى الأيام لا ينيان
والناس لايردونه إلا من	الألف إفراد ذوو إيمان

وردوا عذاب مناهل أكرم بها   ووردتم أنتم عذاب هوان[1]

(١) النونية مع شرح ابن عيسى (٧٣،٧٢/٢) ، وانظر في ترجمة ابن القيم : البداية والنهاية (٢٤٦/١٤) ، ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٧/٤) ، الدرر الكامنة (٢١/٤) ، شذرات الذهب (٦/) ، ابن القيـــم حياته وآثاره لبكر بن عبد الله أبو زيد (ص١٣٠) .

المبحث الثاني
حمل بعض الداخلين في الإسلام لموروثاتهم الفكرية

أولا : التمهيد

لقد كان لانتشار الإسلام في القرن الأول الهجري ودخوله إلى مساحات شاسعة من الدول والأماكن دور في دخول كثير من أهل تلك البلاد في الإسلام ، ومع أن الدخول في الإسلام مكسب عظيم للإسلام وأهله ، إلا أن هذا المكسب العظيم حمل في طياته بعض المصائب التي مالبثت أن أغرقت المجتمع الإسلامي ، ومن أعظم هذه المصائب مصيبة انتشار البدع والمخالفات العقدية المناقضة للإسلام ومنهجه فإن بعض الداخلين في الإسلام لم يتركوا ويتخلوا عن ماألفوه وعرفوه واعتقدوه من العقائد التي كانت عقيدة لهم قبل دخولهم الإسلام (الدين الجديد) فهم لم ينخلعوا بالكلية عن الجاهلية التي سبقت إسلامهم ، فما زالت نفوسهم وعقولهم تعمل فيها بعض تلك العقائد الباطلة حتى قادتهم إلى الوقوع في البدع والضلالات .

ومما يدل على أن حديث الإسلام قد يكون متلبسا ببعض اعتقاداته السابقة على الإسلام ماورد في السنة النبوية من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه أنه قال : "خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون[1] بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل

---

(١) ينوطون : يعلقون .

لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ ، لتركبن سنن من كان قبلكم"[١] .

فالشاهد هنا في هذا الحديث قول أبي واقد الليثي رحمه الله ـــ مبررا سبب طلبهم من النبي ﷺ أن يضع لهم سدرة يتبركون بها ويعلقون بها أسلحتهم كما هو حال المشركين ـــ ونحن حدثاء عهد بكفر فهو رضي الله عنه علم أنه في ذلك الوقت عندما طلب بعض من أسلم حديثا التبرك بسدره إنما هو بسبب حداثة عهده بالكفر فهو لايزال متلبسا ببعض اعتقاداته التي كانت قبل الإسلام من التبرك بالأشجار والأحجار ونحوهما .

وفي هذا دليل على أن المرء إذا أسلم فإنه في الغالب لايزال فكره يحمل بعض اعتقاداته وأفكاره الجاهلية التي كانت قبل الإسلام الذي دخله حديثا مما قد يوقعه في البدع والضلالات دون أن يشعر ظانا أنه تخلص من اعتقاداته السابقة .

ولقد أشار أهل العلم رحمهم الله إلى أن عدم التخلي عن الموروث العقدي السابق على الإسلام قد يقود الإنسان إلى البدع وحذروا أشد التحذير من عدم التخلي عن هذه العقائد ، فمن ذلك تحذير أطلقه هشام بن عروة رحمه الله مبينا كيف أن صنفا ممن دخل في الإسلام وهم أبناء السبايا قد يجرون البدع وتبديل الدين على المسلمين كما صنع أبناء السبايا في بني إسرائيل عندما دخلوا في دينهم ومن ثم بدلوه وحرفوه .

قال رحمه الله : "إن بني إسرائيل لم يزل أمرهم معتدلا حتى نشأ فيهم مولدون سبايا الأمم فأخذوا فيهم بالرأي فضلوا وأضلوا"[٢] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن برقم (٢١٨٠) ، وقال فيه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه أحمد في مسند الأنصار برقم (٢٠٨٩٢) .

(٢) الاعتصام (٣٣٤/٢) وهو مروي أيضا عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، السير (٢٠١/٩) .

فانظر رحمك الله كيف جعل هشام بن عروة سبب ضلال سبايا الأمم وإضلالهم للناس بعد ذلك هو أخذهم بآرائهم الاعتقادية السابقة على دخولهم الدين الجديد ، ولقد وقع ماحذر منه هشام بن عروة فإنه مالبث أن عرف عن أبناء السبايا في الإسلام وقوع كثير منهم في البدع الضالة المضلة ، ولاأدل على ذلك من قول الإمام البغدادي رحمه الله ـ العالم بالمذاهب والفرق ـ عندما ذكر اعتقاد أبي هذيل العلاف وعلل ماوقع فيه أبو الهذيل من الانحرافات العقدية أن سببه أنه كان من أبناء سبايا الأمم الذين عرف عنهم وانتشر عن طريقهم البدع الضالة فقال رحمه الله : "وقد جرى ـ أبي الهذيل ـ على منهاج أبناء السبايا لظهور أكثر البدع منهم"[١] .

أما سفيان الثوري رحمه الله فلقد أشار إلى صنف آخر ممن دخلوا في الإسلام وهم بعد لم يتخلوا عن عقائدهم السابقة التي كانت قبل الإسلام ، هذا الصنف هم النبط[٢] .

قال الفريابي : "كان سفيان الثوري إذا رأى النبط يكتبون العلم تغير وجهه فقلت له ياأبا عبد الله أراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك فقال : كان العلم في العرب وفي سادات الناس فإذا خرج عنهم وصار إلى هؤلاء ـ يعني النبط والسفلة ـ غير الدين"[٣] .

فهنا جعل سفيان الثوري رحمه الله تعالى النبط الذين دخلوا في الإسلام حديثا سببا من أسباب تغير الدين وتبديله وتحريفه وظهور البدع فيه بسبب مايحملونه من العقائد الباطلة المخالفة للإسلام .

---

(١) الفرق بين الفرق (ص١٢٢) .

(٢) النبط : الأنباط شعب عربي قديم كان يعيش في الإقليم الصحراوي الذي يمتد مابين شبه جزيرة سناء وحوران ، وكان للأنباط حضارة مازالت آثارها تتمثل في أطلال مدينة بطرا أو البتراء وعند ظهور الإسلام كانت هناك بقايا من الأنباط اختلطت بغيرها من شعوب المنطقة كالسريان والأراميين .

انظر : منهاج السنة النبوية (الحاشية) (١٩٥/٢) .

(٣) البدع للطرطوشي (ص٥٥،٥٦) .

ولقد صدق ظن سفيان الثوري رحمه الله فلقد اشتهر عن النبط انحرافهم العقدي المتمثل في وقوعهم في البدع والضلالة حتى أصبحوا محاضن للبدع تفرخ فيها ثم تنتشر عن طريقهم وعلى أيديهم ، فهذا الإمام أبو مصعب الزهري يسأل عن بدعة محدثة نشأت في العراق فحكم على هذه البدع التي لم يذكر له قائلها بأنها كلام مبتدع أحدثه نبطي خبيث ، قال الذهبي في السير : "أتى قوم أبا مصعب الزهري فقالوا : إن قبلنا ببغداد رجلا يقول : لفظه بالقرآن مخلوق فقال : هذا كلام خبيث نبطي"[1] .

فكلام هذا الإمام وحكمه على هذا القول الذي لم يذكر له قائله بأنه كلام نبطي من أقوى الأدلى على أن النبط تواتر عنهم القول بالمحدثات والبدع المضلات .

ومن الأصناف الذين دخلوا في هذا الدين وهم متأثرون بمعتقداتهم السابقة على الإسلام (النصارى) وخاصة أتباع الفرقة النسطورية[2] الذين كانوا يعيشون في العراق والشام عند دخول الإسلام لتلك البلدان ، هذه الفرقة النسطورية كانت عقيدتها في القدر هي عقيدة القدرية النفاة من المعتزلة ، ولذلك قال الشهرستاني : "ومن النسطورية من ينفي التشبيه ويثبت القول بالقدر ، خيره وشره من العبد كما قالت القدرية"[3] .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/٩٧) .

(٢) النسطورية : فرقة نصرانية أسسها نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه . قال : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة . وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ، ولاهي هو . واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريقة الامتزاج كما قالت الملكانية ولاعلى طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية ، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة وكظهور النقش في الشمع إذا طبع الخاتم .
انظر : الملل والنحل للشهرستاني (ص٢٢٥) .

(٣) الملل والنحل (ص٢٢٦) .

ويقصد الشهرستاني أن إثباتهم لمذهب القدر هو على طريقة المذهب المعتزلي الذي يقال عنهم ــ قدرية ــ فهم يقولون إن العبد يخلق فعله بنفسه سواء ماكان من ذلك الخير أو الشر ، والذي يدلنا على أن هؤلاء النصارى دخلوا في الدين بمعتقداتهم السابقة لدخولهم الإسلام ، ومن ذلك القول بالقدر ، قول داود بن أبي هند : "مافشت القدرية بالبصرة حتى فشا من أسلم من النصارى"[1] .

ولقد أشار بعض الباحثين إلى مانحن بصدده من حمل بعض الداخلين في الإسلام لموروثاتهم الفكرية ، فقال صاحب فجر الإسلام :

"أتظن أن الفارسي أو السوري النصراني أو الروماني أو القبطي إذا دخل في الإسلام امحت منه كل العقائد التي ورثها من آبائه وأجداده قرونا ، وفهم الإسلام كما يريد الإسلام من تعاليمه؟ كلا لايمكن أن يكون ذلك ، وعلم النفس يأباه ، كل الآباء ، فللفارسي صورة للإله غير صورة النصراني الروماني وهما غير صورة النصراني المصري وللألفاظ المستعملة في الديانات كجهنم والجنة وإبليس والملائكة والآخرة والنبي ونحو ذلك من معان عند كل من هؤلاء تخالف المعاني التي يتصورها الآخر ، فلا تظن أن هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام من الأمم الأخرى فهموه بحذافيره كما فهمه العرب ، حتى المخلصون منهم في اعتناقهم الإسلام إنما فهمه كل قوم مشوبا بكثير من تقاليدهم الدينية القديمة وفهموا ألفاظه قريبة من الألفاظ التي كانت تستعمل في ديانتهم والشواهد على ذلك كثيرة ، كالذي رواه الأزدي في كتابه فتوح الشام من أ ن رجلا من مسلمي الشام تصالح مع آخر على أن يرعى له غنمه في نظير أن يهبه زوجته تبيت عنده ، وقد دعاهما عمر بن الخطاب فأقرا بأن ليس عندهما علم بحرمة ذلك ، وكالذي ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد من تشدد الموالي في الدين تشددا لايعرفه عرب البادية ، وقد ظهر تأثير هؤلاء القوم في أواخر القرن الأول للهجرة لظهور المذاهب المختلفة . ولعل هذا المعنى هو الذي أخاف عمر بن الخطاب عند الفتح ، فقد روى أبو حنيفة الدنيوري في كتابه "الأخبار الطوال" أن المسلمين أصابوا يوم جلولاء غنيمة لم يغنموا مثلها قط وسبوا

---

(١) الإبانة الكبرى (٢/٣٠٠) .

سبيا كثيرا من بنات أحرار فارس فذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقـــول "اللهم إني أعوذ بك من أولاد سبايا الجلوليات فأدرك أبناؤهن قتال صفين .

نعم إنه استعاذ بالله وحق له أن يستعيذ منهم ومن كل الموالي ونســـلهم فقــد كانت لهم عصبية سياسية غير العصبيةِ العربية وضدها ولها تقاليد دينية لابد أن ينزعوا إليها ويخالفوا بهذه النزعة الإسلام العربي في بساطته"[1] .

هذه هي بعض الدلائل العامة التي تدلنا على أن الموروث العقــدي والفكــري السابق على دخول الإسلام لمن دخل فيه وهو بعد لم يتخل عن تلـــك الموروثـــات العقدية والفكرية قد توقعه تلك الموروثات في البدع والضلالات التي هـــي مخالفــة للإسلام ، وسواء كان انتشار البدع والضلالات عمن دخل في الإسلام عـــن قصــد لإفساد الدين ، أو عن غير قصد وإنما هو ضلال فكري خاص بصاحبه وليـــس عـــن تخطيط منهجي للإفساد ، فإن هذا وإن كان مهما معرفته والوقوف عليه فإنه ليـــس مقصودنا في هذا المبحث ، وإنما المهم والمقصود بالنسبة لنا في هذا المبحث إثبـــات أن هنالك بعض الداخلين في الإسلام ضلوا في باب الاعتقاد وكان سبب ضلالهم ماكانوا يحملونه من العقائد الموروثة لديهم قبل دخولهم الإسلام ، وهذا هو بيت القصيد .

ولانجزم بأن كل أبناء السبايا ولا كل النبط ظلوا متمسكين بتلك الموروثـــات الفاسدة ، بل إن منهم من وفقهم الله للدراسة على أيدي كبار الصحابـــة والتـــابعين والاقتداء بهم وصاروا من خيرة العلماء العاملين بالسنة والمحاربين للبدعة مـــن أمثـــال الحسن البصري ومحمد بن سيرين رحمهما الله وغيرهما .

---

(١) فجر الإسلام لأحمد أمين (ص٩٤-٩٥) ، ضحى الإسلام له (٧/٣) .

ثانيا : الأمثلة الدالة على أن من لم يتخل عن موروثاته الفكرية التي قبل الإسلام فإنه غالبا مايقع في البدع

هذه هي بعض الأمثلة الشاهدة على أن عدم التخلي عن المـــوروث الفكـــري والعقدي السابق على الإسلام تقود معتنقيهــــا إلى الوقـــوع في الضـــلال والبـــدع والانحرافات العقدية .

المثال الأول : عبد الله بن سبأ اليهودي :

كان عبد الله بن سبأ اليهودي من أهل صنعاء ، ثم أنه مالبث أن دخل الإسلام عندما انتشر هذا الدين الجديد وطبق أصقاع المعمورة ، وسواء كان عبد الله بن سبأ الذي ظهر في خلافة عثمان رضي الله عنه أسلم يبتغي الإسلام رغبة ومحبة فيه ، أو أنه اتخذ دخول الإسلام ستارا لنفث سمومه وهدم الإسلام من داخله ونشر الفتنة بين أهله ، إلا أنه كان مما نشره من البدع والانحرافات العقدية الضالة ماله تأثر بما كان عليــــه قبل الإسلام عندما كان معروفا بيهوديته ، ومن أمثلة ذلك قوله بـــــالنص والوصيـــة والولاية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد النبي ﷺ وقوله في علي بعدما بلغـــــه موته بأنه سيرجع إلى الدنيا ، ثانية وهي عقيدة الرجعة المعروفة لدى اليهود ، ومن ثم ادعى ألوهية علي رضي الله عنه[1] .

قال الشهرستاني : "السبئية : أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه : أنت ، أنت يعني أنت الإله فنفاه إلى المدائن ، زعموا أنه كان يهوديا فأسلم ، وكان في اليهودية يقول في يوشع ابن نون وصي موسى عليهما السلام ماقال في علي رضي الله عنه وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضـــي الله عنـــه ومنـــه انشعبت أصناف الغلاة"[2] .

---

(١) المقالات للأشعري (٨٦/١) ، الفرق بين الفرق (ص٢٣٥) ، الخطط (١٨٩/٤) ، التنبيه للملطـــي (ص٢٩) .

(٢) الملل والنحل (ص١٧٤) ، بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١٤٤/١، ١٦٧، ٢٧٥) .

هذا هو أصل فكرة القول بالنص على إمامة علي ، أما القول بالرجعة فأصلها أيضا مأخوذ من اليهودية فابن سبأ انتحلها من اليهودية وذلك لأن عندهم النبي الياس صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون[١] .

فتبين إذا أن سبب ضلال ابن سبأ وإضلاله للناس هو حمله لمعتقداته اليهودية التي سبقت دخوله الإسلام فضل بها وأضل فئاما من الناس .

المثال الثاني : سوسن أو سنسوية البقال النصراني :

سبق أن ذكرنا في التمهيد لهذا المبحث أن القدر لم يفش في البصرة إلا عندما دخل بعض نصارى البصرة في الإسلام وذلك لأنهم يوافقون القدرية النفاة الذين حدثوا بعد ذلك في أن العبد هو الذي يخلق فعله سواء ماكان منه من خير أو شر ، وأن الله ليس له قدرة في فعل العبد وكان ممن دخل في الإسلام من نصارى البصرة رجل نصراني اسمه سوسن أو سنسويه فيما قيل ، وعن هذا الرجل ـ الذي دخل الإسلام ثم ارتد بعد ذلك ـ انتشرت بدعة القدر ، ولذلك قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : "أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد"[٢] .

وقال ابن عون رحمه الله : "أدركت الناس ومايتكلمون إلا في علي وعثمان حتى نشأ هاهنا حقير يقال له سنسويه البقال"[٣] .

فانظر كيف حمل ذلك النصراني البقال الذي اسمه سوسن أفكاره وعقائده النصرانية عندما دخل الإسلام ، وكيف أنه ابتدع هذه البدعة الشنعاء التي ضل بها وأضل بها أناسا آخرين كان منهم قطبي القدرية في ذلك الزمان الذين تتلمذوا على يد سوسن وهما معبد الجهني وغيلان الدمشقي .

---

(١) فجر الإسلام (ص٢٦٩، ٢٧٠) ، الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير (ص٦١) .
(٢) الإبانة الكبرى (٢/٢٩٨) .
(٣) شرح أصول السنة للالكائي (٢/٧٤٩) .

المثال الثالث : الفرس :

عندما انتشر الإسلام في الأرض ودخل أهل فارس في الإسلام أو عامتهم فيه ظهرت البدع فيهم وذلك لأن دخولهم في الإسلام لم يسبقه تخل منهم عن عقائدهم الفارسية السابقة ، وهذا مما أثر فيهم بعد ذلك فانحرف منهم عن طريق السنة إلى طريق البدعة .

قال صاحب فجر الإسلام عن الفرس ودخولهم في الإسلام :

"اعتنقوا الإسلام فصبغوه بصبغة الفارسية و لم يتجردوا من كل عقائد الدين القديم وتقاليده ففهموا الإسلام بالقدر الذي يسمح به دين قديم اعتنقه قومه أجيالا ونشأ فيه ناشئهم وشب عليه ، كذلك تعلم الكثير منهم العربية ولكن لم يترك خياله الفارسي و لم ينس ماكان لقومه من شعر ومثل وحكمة كان من أثر ذلك طبيعيا أن تدخل تعاليم في الإسلام جديدة ونزعات دينية جديدة ظهر أثرها فيما بعد وأظهرها في الإسلام التشيع والتصوف"[١] .

والذي يدل على ذلك مايلي :

أولا : نظرتهم إلى الملك نظرة وراثة لعائلة مقدسة وأثر ذلك عليهم .

"أن العرب كانت تدين بالحرية والفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك ولايعرفون معنى الانتخاب للخليفة ، وعندما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى و لم يترك ولدا فأولى الناس بعده عندهم ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان فقد اغتصب الخلافة من مستحقها ، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته وقالوا : إن طاعة الإمام واجبة ، وطاعته طاعة الله سبحانه وتعالى ، وكثير من الفرس دخلوا في الإسلام و لم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالا ، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية"[٢] .

(١) فجر الإسلام لأحمد أمين (ص٩٨) .

(٢) أصول الشيعة ، د. النقاري (٨٤/١) .

وعند النظر إلى التصنيف البدعي الذي وقع فيه الفرس نجدهم يصنفون من قبل أهل العلم بالمقالات بأنهم من أتباع المذهب الشيعي ، هذا إذا لم نقل أنهم هم ممن أسس المذهب الشيعي وبث فيه بعض عقائد الفرس .

قال الشيخ محمد أبو زهرة : "إنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة ، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس"(١) .

ثانيا : تقديس الدم الملكي الإيراني :

"حينما فتح المسلمون بلاد فارس تزوج الحسين بن علي رضي الله عنه ابنة يزدجرد أحد ملوك إيران بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين ، ورأوا أن الدم الذي يجري في عروق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه ابنة يزدجرد والذي هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم"(٢) .

فنحن إذا نظرنا إلى هذين الأمرين الذين وقع فيهما الفرس نجد أن الأمر الأول وهو اعتقاد أن الملك إنما هو عن طريق الوراثة فقط يتبين فيما وجد بعد ذلك في المذهب الشيعي من القول بالإمامة المقتصرة على أئمة من أهل البيت النبوي الشريف وخاصة الرافضة الاثنى عشرية الذين جعلوا الأئمة هم فقط اثني عشر إماما من سلالة الإمام علي رضي الله عنه .

أما الأمر الثاني وهو تقديسهم للدم الملكي الساساني الإيراني الذي امتزج بالدم العربي ، أي دم أهل البيت وخاصة أبناء الحسين بن علي فلقد قادهم إلى الغلو في أئمة أهل البيت حتى ادعوا عصمتهم من الخطأ والجهل والنسيان ، بل إنهم

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية (٣٨/١) .

(٢) أصول الشيعة للقفاري (٨٥/١) ، وانظر في أن أم علي بن الحسين هي ابنة يزدجرد : تاريخ اليعقوبي (٢٤٧/٢) ، وجاء دور المجوس ، لعبد الله الغريب (ص٧٧) ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١١١/٢) .

جعلوا لهم بعض خصائص الربوبية كالاطلاع على الغيب ومشاركة الله في تسيير أمور هذا الكون ، وتكفيرهم لمن أنكر إمامة الإثنى عشر[١] .

فانظر كيف جرت تلك العقائد الفارسية الجاهلية البائدة المخالفة للإسلام على الداخلين فيه من الفرس من الضلال ، وماجروه هم بعد ذلك على بعض المسلمين الذين اعتنقوا المذهب الشيعي البدعي ، ولذلك فإن الإمام ابن حزم رحمه الله رد سبب ضلال كثير من أتباع المذهب الشيعي إلى الفرس ، وماحملوه معهم من عقائدهم الفارسية الباطلة ، بل إن ابن حزم رحمه الله لم يقف عند حد كون الفرس كانوا سببا في إضلال أتباع المذهب الشيعي ، بل أنه تجاوز ذلك إلى قوله بأن هذا الإضلال الفارسي كان عن عمد وعن تخطيط وعن عداء نابع للإسلام وأهله ، وهذا تفسير من ابن حزم في عدم تخلي الفرس عن عقائدهم التي كانت قبل الإسلام قال رحمه الله :

"الأصل في خروج هذه الطوائف[٢] عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، ففي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق ، وكان من قائمتهم منقاذ ، والمقنع واستاييين ، وبابك وغيرهم . وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا وأبو مسلم السراج فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ ، واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام"[٣] .

---

(١) أصول الشيعة (٢/٦٥٦،٧٣٣) .

(٢) المنتسبة إلى التشيع .

(٣) الفصل لابن حزم (٢/٢٧٣) ، وانظر : فجر الإسلام لأحمد أمين (ص١١٢) .

الفصل الثالث
ولاية المبتدعة لأمور المسلمين

أولا : التمهيد
وفيه بيان أثر ولاة البدعة في إضلال الناس

كثيرا ماذكر الله في كتابه أن ولاة الأمر أو السلاطين والملوك هم السبب في بقاء الناس على الشرك وهم دائما وراء صد الناس عما جاءت به الرسل من التوحيد والهداية وأولئك الولاة لأمور الناس هم الذين يرد تسميتهم في القرآن (بالملأ أو السادة والكبراء) ، قال تعالى عن موقف قوم نوح من دعوته : ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[١] .

وقال سبحانه عن قوم هود : ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٢] .

وقال سبحانه أيضا عن قوم صالح : ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٣] .

قال ابن كثير رحمه الله : "والملأ هم السادة والكبراء من الكافرين"[٤] .

ومما يدل أيضا على دور ولاة الأمر أو السادة والكبراء في إضلال الناس ماحكاه الله سبحانه وتعالى عن اتباع السادة والكبراء من أن سبب ضلالهم عن دين الله الحق وشركهم هو طاعتهم واتباعهم لولاة أمرهم وأهل الحل والعقد فيهم فقال

---

(١) سورة هود : آية (٢٧) .

(٢) سورة الأعراف : آية (٦٦) .

(٣) سورة الأعراف : آية (٧٥-٧٦) .

(٤) تفسير ابن كثير (٦٨٥/٢) .

تعالى عنهم : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[١] ، ولذلك ذكر الله سبحانه وتعالى عن رأس من رؤوس الكفر وهو فرعون أنه كان سبب ضلال شعبه وكفرهم بالله فقال تعالى : ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٢] .

ثم اعلم رحمك الله أن تأثير ولاة الأمور الضالين من أهل الشرك والابتداع على أتباعهم ورعيتهم لم يكن مقصورا على الأمم السالفة التي سبق ذكرها ، بل كان لهذه الأمة المحمدية نصيب وافر ، فلقد ابتليت هذه الأمة في القديم والحديث على حد سواء بولاة أمور سعوا لإفساد عقائد الناس وانحرافهم عن الدين الحق ، وهذا أمر متواتر ومعروف لايحتاج إلى أدلة وبراهين إلا إذا احتاجت الشمس في رابعة النهار دليلا على ظهور نورها ، ولقد ذكر أئمة الإسلام دور ولاية المبتدعة في إضلال الناس وصدهم عن الصراط المستقيم .

فلقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله دور ولاة البدعة في إضلال الناس والزامهم بالبدعة وذلك عندما تسلطت الجهمية على مقاليد أمور المسلمين في بدايات القرن الثالث الهجري وذلك في عهد كل من المأمون والمعتصم والواثق .

فقال رحمه الله : "وابتدعت الجهمية رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه لما كانت لهم قوة في دولة الخلفاء الثلاثة الذين امتحن في زمانهم الأئمة ليوافقهم على رأي جهم الذي مبدؤه أن القرآن مخلوق ، وعاقبوا من لم يوافقهم على ذلك"[٣] .

وقال أيضا الإمام الصنعاني رحمه الله مبينا هذا الدور المشبوه في كلامه على نشرة ولاة الشرك والبدعة لبعض بدعهم وخاصة تعمير المشاهد المقامة على القبور والأضرحة التي أقاموها :

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٦٧) .
(٢) سورة الزخرف : آية (٥٤) .
(٣) التسعينية (١/١٧٦) .

"فإن هذه المنكرات أسسها من بيده السيف والسنان ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه وأعراضهم تحت قوله وكلامه فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد فإن هذه القباب والمشاهد أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه وغالب — بل كل — من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه"[1] .

ولذلك قال ابن المبارك رحمه الله مؤكدا إفساد الولاة الضلال والمبتدعة للدين ومن ثم إفسادهم للناس في بيت شعره المشهور :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها[2]

وإفساد الدين من قبل الملوك الضلال المبتدعة يشمل عقائد الناس بالدرجة الأولى ، وكذلك أخلاقهم وسلوكهم ، وسيظهر لنا حجم إفساد ولاة الأمر المبتدعة لعقائد الناس ومصالحهم ومعاشهم من خلال الأمثلة الآتية :

---

(١) تطهير الاعتقاد (ص٤١) .

(٢) الداء والدواء لابن القيم (ص٨٢) .

ثانيا : أمثلة لبعض البدع التي أحدثها الولاة المبتدعة

لاشك أنه من أعظم واجبات الإمام الأعظم الذي هو ولي الأمر حفظ الدين مما يشوهه أو يضعفه ، أو مايجري عليه من البدع والانحرافات العقدية ، وهذا كله يعتبر من مقاصد تولية الإمام وولي الأمر .

قال الإمام أبو يعلى : "إن على الإمام حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة ، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحق وأوضح له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسا من الخلل والأمة ممنوعة من الزلل"[١] .

فإذا أخل الإمام بأولى واجباته وهو حفظ الدين ومن ثم وقع في البدع الشنيعة والانحرافات العقدية فعلى الأمة وعقائدها السلام إن لم يتداركها الله بلطفه ورحمته ويقيض للأمة من يعلمها سنة نبيها ويظهر عوار الولاة المبتدعة .

وإن من ولاة المبتدعة التي ابتليت بهم الأمة ودعوا الناس إلى البدعة وألزموهم بها حكام الجهمية الذين دعوا إلى العقائد الكلامية الباطلة ، ويمثل هذا الصنف المأمون الخليفة العباسي المتوفي عام ٢١٨هـ فإنه دعى إلى القول بخلق القرآن وأجبر الناس على اعتناق هذا المذهب البدعي وذلك بما عرف في التاريخ الإسلامي بفتنة القول بخلق القرآن ، واستمرت هذه البدعة ودعم الحكام لها في خلافة المعتصم بعد المأمون ثم الواثق ثم نصر الله الإسلام والسنة بالخليفة العباسي المتوكل ، وذلك عندما تولى عام ٢٣٢هـ فاستمرت فتنة الخلق بهذه البدعة الكلامية من عام ٢١٨هـ إلى ٢٣٢هـ ، أي مايقارب أربعة عشر عاما[٢] .

---

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي (ص٢٧) ، وانظر : مقاصد الإمامة كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدكتور عبد الله الدميجي (ص٧٩) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٢٨٧/٢/٥) .

ثم أتى بعد ذلك بدهر وذلك في القرن الرابع الهجري ذلك القرن الذي يعتبر من أسود وأحلك فترات التاريخ الإسلامي والأمة الإسلامية التي ابتليت فيه بحكام وولاة مبتدعة ضلال من الرافضة وغلاتهم من الإسماعيلية[1] .

قال الإمام الذهبي رحمه الله عن هذه الفترة التاريخية في حياة الأمة الإسلامية : "فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب وبالدولة البويهية بالمشرق وبالأعراب القرامطة[2] فالأمر لله تعالى"[3] .

وقال رحمه الله في ترجمة أحد الأعلام في سيره وهو يحكي تلك الفترة التي عاش فيها ذلك العلم وهي القرن الرابع الهجري : "ولكن غلت الشام في زمانه بالرفض بل ومصر والمغرب بالدولة العبيدية بل والعراق وبعض العجم بالدولة البويهية واشتد البلاء دهرا وشمخت الغلاة بأنفها وتواخي الرفض والاعتزال حينئذ والناس على دين الملك نسأل الله السلامة في الدين"[4] .

وقال المقريزي رحمه الله واصفا انتشار المذهب الرافضي البدعي وغلاتهم من الإسماعيلية في القرن الرابع عندما تولوا الحكم في العالم الإسلامي :

---

(١) الإسماعيلية : هي فرقة باطنية ، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ، ظاهرها التشيع لآل البيت وحقيقتها هدم عقائد الإسلام .
انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص٥٥) ، التعريفات للجرجاني (ص٢٦) .

(٢) القرامطة : القرامطة حركة باطنية هدامة ، اعتمدت التنظيم السري العسكري ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والشيوعية والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية . سميت بهذا الاسم نسبته إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ .
انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص٣٩٥) ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها للدكتور محمد أحمد الخطيب (ص١٣٥) .

(٣) السير (١٦/١٦٤) .

(٤) السير (١٧/٥٠٧) ، (١٥/١٦٤) .

"فانتشرت مذاهب الرافضة في عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وماوراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين"[1] .

فانظر كيف انتشرت المذاهب البدعية عندما تولى المبتدعة أمور الناس ، وكيف أن الناس انساقوا وراء هذه البدع ولكن الناس كما قيل على أديان ملوكهم ثم انظر كيف اسودت الدنيا وأظلمت بتولي أولئك الزنادقة لأمور المسلمين .

هذا تقويم عام لحالة العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري وسيظهر أثر تولي أولئك المبتدعة من الجهمية والرافضة والإسماعيلية عند السرد التفصيلي للبدع التي أحدثوها .

---

(١) الخطط (١٩١/٤) .

أولا : ماأحدثه حكام الجهمية من البدع وأثر ذلك على الناس

(١) المأمون : أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد (١٧٠-٢١٨هـ) :

كان السواد الأعظم من المسلمين علماؤهم وعامتهم يدينون لله باعتقاد السلف الصالح رضي الله عنهم حتى أظهر المأمون تلك البدعة المضلة وألزم الناس بأن يعتقدوها ، وجرد سيفه وسلطانه وجنده وأعوانه لامتحان الناس وفتنتهم عن دينهم ، فهو يعتبر أول خليفة من خلفاء الإسلام أظهر البدع وألزم الناس بها وعاقب من لم يعتقدها .

قال الإمام البيهقي رحمه الله عن المأمون : "ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء ــ أي الجهمية ــ فحملوه على ذلك ــ أي القول بخلق القرآن ــ وزينوا له"[١] .

ولقد ذكر علماء الإسلام ماكان عليه المأمون من الاعتقاد الفاسد والبدعة الباطلة كالاعتزال والتشيع .

فمن ذلك قول الإمام ابن كثير رحمه الله عن المأمون : "وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة"[٢] .

وقال فيه أيضا : "وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المريسي فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل"[٣] .

وقال عنه الذهبي : "وكان شيعيا"[٤] .

---

(١) البداية والنهاية (٣٤٦/٢/٥) .

(٢) البداية (٢٨٧/٢/٥) .

(٣) البداية (٢٨٨/٢/٥) .

(٤) السير (٢٨١/١٠) .

وقال عنه ابن العماد الحنبلي : "وكان في اعتقاده معتزليا شيعيا"[١] .

أما الأدلة على ماكان عليه من اعتقاد مذهب الجهمية المعتزلة فهو إنكاره للصفات مع القول بأن القرآن مخلوق ليس هو كلام الله تكلم به سبحانه بحرف وصوت مسموع .

قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة اثني عشرة ومائتين : "وفي ربيع الأول أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين إحداهما أطم من الأخرى وهي القول بخلق القرآن"[٢] .

إلا أن المأمون فتر عن ذلك إلى وقت عندما رأى إنكار الناس عليه وإعراضهم عن دعوته .

قال الذهبي رحمه الله : "وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة ومائتين فأنكر الناس ذلك واضطربوا ولم ينل مقصوده ففتر إلى وقت"[٣] أي إلى سنة ثمان عشرة عندما ألزم الناس بها وصمم على امتحانهم ، ولم يزل المأمون معتقدا هذا الاعتقاد الفاسد حتى أنه مات عليه بل وأوصى أخاه المعتصم أن يستمر في فتنة الناس عن دينهم فأطاعه أخوه .

قال ابن كثير رحمه الله عند ذكره لوفاة المأمون : "وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم وفيها القول بخلق القرآن ولم يتب من ذلك بل مات عليه وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه ... وأوصاه أن يعتقد ماكان يعتقده أخوه المأمون في القرآن وأن يدعو الناس إلى ذلك"[٤] .

وقال الذهبي رحمه الله ناقدا نص وصية المأمون لأخيه المعتصم : "وخذ بسيرة أخيك في القرآن"[٥] .

---

(١) الشذرات (٢/٣٩) .

(٢) البداية (٥/٢/٢٧٨) .

(٣) السير (١٠/٢٨١) .

(٤) البداية (٥/٢/٢٩٣) .

(٥) السير (١٠/٢٨٩) .

وكان أن صدر وصية المأمون وذكر فيها بأنه يعتقد "أن الله وحده لاشريك له وأنه خالق وماسواه مخلوق ولايخلو القرآن من أن يكون شيئا له مثل والله لامثل له"[١] . وهذا تقرير من المأمون بأن القرآن مخلوق مثل باقي مخلوقات الله فله مثل من الخلق .

أما الأدلة على وقوع المأمون في التشيع فهي مايلي :

أ- تفضيله علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر .

قال الذهبي رحمه الله : "وفي سنة اثنتي عشرة ... أظهر المأمون تفضيل علي على الشيخين"[٢] .

وقال ابن كثير رحمه الله : "ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائتين ... وفي ربيع الأول أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين إحداهما أطم من الأخرى وهي القول بخلق القرآن والثانية تفضيل علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيرا فاحشا وأثم إثما عظيما"[٣] .

وقال أيضا رحمه الله عن تفضيل المأمون لعلي على الشيخين : "وهذا المذهب ثاني مراتب الشيعة وفيه تفضيل علي على الصحابة ، وقد قال جماعة من السلف والدارقطني : من فضل عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار يعني في اجتهادهم ثلاثة أيام ثم اتفقوا على عثمان وتقديمه على علي بعد مقتل عمر ... وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : "لاأوتي بأحد فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري . وتواتر عنه أنه قال : خير الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ، فقد خالف المأمون الصحابة كلهم حتى علي بن أبي طالب"[٤] .

---

(١) السير (٢٨٩/١٠) .

(٢) السير (٢٨٦/١٠) .

(٣) البداية (٢٧٨/٢/٥) .

(٤) البداية (٢٨٩/٢/٥-٢٩٠) .

ب- ومن الأدلة أيضا على تشيعه قوله بجواز المتعة وإباحتها حتى رده عن ذلك القاضي يحيى بن أكثم ، قال الذهبي في السير : "إن المأمون لتشيعه أمر بالنداء بإباحة المتعة ـــ متعة النساء ـــ فدخل عليه يحيى بن أكثم فذكر له حديث علي رضي الله عنه بتحريمها فلما علم بصحة الحديث رجع إلى الحق وأمر بالنداء بتحريمها"[١] .

ج- ولايته العهد لعلي الرضا بن موسى الكاظم .

قال الخطيب البغدادي : "ثم استخلف وبايع لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وسماه الرضي وطرح السواد وألبس الناس الخضرة"[٢] .

وقال الذهبي رحمه الله : "ثم بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضي ونوه بذكره ونبذ السواد وأبدله بالخضرة فهاجت بنو العباس وخلعوا المأمون ثم بايعوا عمه إبراهيم بن المهدي"[٣] .

وجرت بينهم حروب وقتل وفتن حتى تمكن منهم المأمون .

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله سبب تولية المأمون العهد لعلي بن موسى فقال "ومن ذلك أن المأمون رأى أن عليا الرضي خير أهل البيت وليس في بني العباس مثله في عمله ودينه فجعله ولي عهده من بعده"[٤] .

وبغض النظر عن صحة التعليل الذي ذكره ابن كثير رحمه الله أو عدم صحته فإن الدافع للمأمون هو ـــ والله أعلم ـــ تشيعه لآل البيت ، ذلك التشيع البدعي الذي قاده لتفضيل علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر ، وقاده إلى إباحة المتعة ، ولذلك ولى العهد علي بن موسى الكاظم ، بل إنه أراد أن ينزل له عن الخلافة .

---

(١) السير (٢٨٣/١٠) .
(٢) تاريخ بغداد (١٨٤/١٠) .
(٣) السير (٢٨٤/١٠) .
(٤) البداية (٢٥٨/٢/٥) .

قال ابن كثير رحمه الله : "كان المأمون قد هم أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك فجعله ولي العهد من بعده"[١] .

وإضافة إلى ماأحدثه المأمون من بدع الاعتزال والتشيع فإنه أحدث بدعة أخرى هي أشبه ببدع المتصوفة في الأذكار ، وهي بدعة التكبير الجماعي من قبل المأمومين وهم قيام بعد انتهائهم من الصلاة .

قال ابن كثير رحمه الله ذاكرا هذه البدعة في حوادث سنة ست عشرة ومائتين :
"وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقيب الصلوات الخمس ، فكان أول مابدئ بذلك في جامع بغداد والرصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان وذلك أنهم كانوا إذا قضوا الصلاة قام الناس قياما فكبروا ثلاث تكبيرات ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات ، وهذه بدعة أحدثها المأمون أيضا بلا مستند ولادليل ولامعتمد ، فإن هذا لم يفعله قبله أحد ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله ﷺ ليعلم حين ينصرف الناس من المكتوبة ... قال النووي : وقد روي عن الشافعي أنه قال : إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع فلما علم ذلك لم يبق للجهر معنى ... وأما هذه البدعة التي أمر بها المأمون فإنها بدعة محدثة لم يعمل بها أحد من السلف"[٢] .

(٢) المعتصم بالله : محمد بن هارون الرشيد (١٨٠-٢٢٧هـ) :

استمر المعتصم بالله على عقيدة أخيه المأمون وهي القول بأن القرآن مخلوق وهو الذي جرت على يديه فتنة الإمام أحمد رحمه الله . ولقد قارع الإمام أحمد رحمه الله المعتصم ومن كان معه من الجهمية بالحجة وذب عن الإسلام والسنة وأبان طريق المحجة ، وطالبهم بآية من كتاب الله أو حديث من سنة رسول الله ﷺ تؤيد

(١) البداية (٥/٢/٢٦١) .
(٢) البداية (٥/٢/٢٨٣) .

مايدعو إليه المعتصم وأعوانه من البدع والضلالات فأقام الحجة عليهم ، ولكن المعتصم أعرض عن ذلك كله وأغواه من كان معه من أهل البدع وزينوا له البدعة حتى جرى تعذيب الإمام أحمد رحمه الله على يدي المعتصم[١] .

بل بلغ الأمر في عهد المعتصم من تسلط المبتدعة عليه وعلى الناس أن حرفوا القرآن الكريم لأجل بدعة القول بخلق القرآن .

قال الإمام الذهبي رحمه الله في سنة ٢٢١هـ : "وحج فيها حنبل فقال رأيت كسوة الكعبة وقد كتب فيها في الدارات "ليس كمثله شئ وهو اللطيف الخبير" فحدثت به أبا عبد الله فقال : قاتل الله الخبيث عمد إلى كلام الله فغيره ـ يعني ابن أبي دواد"[٢] .

(٣) الواثق بالله : هارون بن المعتصم بالله (١٩٦-٢٣٢هـ) :

لقد سار الواثق بالله بسيرة أبيه وعمه من الدعوة إلى القول بخلق القرآن ونشط في ذلك نشاطا كبيرا ، ولم يزل معتقدا مادعا إليه إلى أن مات .

قال الخطيب البغدادي رحمه الله عن الواثق وماكان عليه من البدعة : "استولى أحمد بن أبي دؤاد على الواثق وحمله على التشدد في المحنة والدعاء إلى خلق القرآن"[٣] .

وقال ابن كثير رحمه الله عن الواثق : "وكان الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن يدعو إليه ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، اعتمادا على ماكان عليه أبوه قبله وعمه المأمون من غير دليل ولابرهان ولاحجة ولابيان ولاسنة ولاقرآن"[٤] .

---

(١) السير (٢٩٠/١٠) ، البداية (٢٩٣/٢/٥) ، الشذرات (٦٣/٢) .
(٢) السير (٢٩٣/١٠) .
(٣) تاريخ بغداد (١٩/١٤) .
(٤) البداية والنهاية (٣١٧/٢/٥) .

وقد وصف ابن كثير رحمه الله الواثق بأنه خبيث القلب سئ الطوية وذلك لما كان يعتقده من البدع المضلة ، ولامتحان الأمة على البدعة ونشاطه في ذلك نشاطا يسود الوجوه[١] .

وقال ابن العماد الحنبلي واصفا ماكان عليه الواثق من الضلال : "وكان الواثق شديد الاعتزال وقام في أيام المحنة بخلق القرآن القيام الكلي وشدد على الناس في ذلك"[٢] .

أثر حكام الجهمية في إضلال الناس وإيقاعهم في البدع :

أما أثر هؤلاء الحكام الجهمية والولاة المبتدعة على الناس من حيث فتنتهم عن دينهم وكونهم سببا في إيقاعهم في البدعة ، فالأمثلة على ذلك كثيرة وسنعرض لبعض هذه الأمثلة . وبغض النظر عن كون استجابة الناس لأولئك الولاة المبتدعة كانت عن إكراه ، أو عن رضا وموافقة لولاتهم وذلك دخولا في دين الملك ، ولنيل رضاه ونيل شئ من حطام الدنيا الفاني ، فإن المقصود أن أولئك الولاه المبتدعة جروا على الأمة جمعاء فتنة جعلتهم يرددون وراء أولئك الولاة البدعة ، بل البدع الضالة المضلة التي أفسدت عقائد من استجاب لهم في بدعتهم .

ولقد أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى بعض صور الفتنة التي فتن بها حكام الجهمية عامة المسلمين فقال : "اجترؤوا على دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن وامتحانهم على ذلك وعقوبة من لم يجبهم بالحبس والضرب والقتل وقطع الأرزاق والعزل عن الولايات ومنع قبول الشهادة وترك افتدائهم من أسر العدو إلى غير ذلك من العقوبات التي إنما تصلح لمن خرج عن الإسلام وبدلوا بذلك الدين نحو تبديل كثير من المرتدين"[٣] .

---

(١) البداية (٥/٢/٣٢١) .

(٢) الشذرات (٢/٧٦) .

(٣) التسعينية (١/٢٣٠-٢٣١) .

فانظر كيف عد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فتنة الناس بما ذكره سببا في تبديل الدين وإضلال المسلمين الذي يتسبب فيه عادة من كان من المرتدين .

ومن الأمثلة علىماابتلي به الناس وماجرى عليهم من الفتنة في الدين على أيدي أولئك الولاة مايلي :

(١) امتحان العلماء من الفقهاء والمحدثين والقضاة واستجابة عامتهم على ذلك

ذكر ابن الأثير في سياقه لفتنة ومحنة القول بخلق القرآن أن المأمون أمر واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم أن ينفذ إليه بسبعة من أئمة المحدثين والفقهاء ليمتحنهم بالقول بالقرآن فقال : "وأمره بإنفاذ سبعة نفر منهم : محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون ، ويحي بن معين ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن الدورقي فأشخصوا إليه فسألهم وامتحنهم عن القرآن فأجابوا جميعا : إن القرآن مخلوق فأعادهم إلى بغداد فأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فأقروا بذلك فخلى سبيلهم .

وورد كتاب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم بامتحان القضاة والفقهاء فأحضر إسحاق بن إبراهيم أبا حسان الزيادي ، وبشر بن الوليد الكندي ، وعلي بن أبي مقاتل ، والفضل بن غانم ، والذيال بن الهيثم ، وسجادة ، والقواريري ، وأحمد بن حنبل ، وقتيبة ، وسعدويه الواسطي ، وعلي ابن الجعد ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الهرش ، وابن علية الأكبر ، ويحيى بن عبد الرحمن العمري ، وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة ، وأبا نصر التمار وأبا مسعر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح المضروب ، وابن الفرخان . وجماعة منهم : النضر بن شميل ، وابن علي بن عاصم ، وأبو العوام البزار وابن شجاع ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، فأدخلوا جميعا على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ماتقول في القرآن؟ فقال : قد عرف مقالتي أمير المؤمنين غير مرة . قال : فقد تجدد من كتاب أمير

المؤمنين ماترى ، فقال : أقول القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أمخلوق هو؟ قال الله خالق كل شئ ، قال القرآن شئ؟ قال : نعم ، قال : فمخلوق هو؟ قال : ليس بخالق . قال : ليس أسألك عن هذا أمخلوق هو؟ قال : ماأحسن غير ماقلت لك وقد استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه وليس عندي غير ماقلت لك . ثم امتحنهم بعد ذلك واحدا واحدا .

قال ابن كثير : "وكتب مقالات القوم رجلا رجلا ووجهت إلى المأمون فأجاب المأمون يذمهم ويذكر كلا منهم ويعيبه ويقع فيه بشئ وأمره أن يحضر بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي ويمتحنهما فإن أجابا وإلا فاضرب أعناقهما ، وأما من سواهما فإن أجاب إلى القول بخلق القرآن وإلا حملهم موثقين بالحديد إلى عسكره مع نفر يحفظونهم فأحضرهم إسحاق وأعلمهم بما أمر به المأمون فأجاب القوم أجمعون إلا أربعة نفر وهم أحمد بن حنبل ، وسجاده ، والقواريري ، ومحمد بن نوح المضروب فأمر بهم إسحاق فشدوا في الحديد فلما كان الغد دعاهم في الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة والقواريري فأطلقهما وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما فشدوا في الحديد ووجها إلى طرسوس وكتب إلى المأمون بتأويل القوم فيما أجابوا إليه فأجابه المأمون ـــ بأن يشخصهم إليه ـــ فأشخصهم جميعا إلى طرسوس ليقيموا بها إلى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم فأحضرهم إسحاق وسيرهم جميعا إلى العسكر ... فلما صاروا إلى الرقة بلغهم موت المأمون فرجعوا إلى بغداد"[1] .

فانظر رحمك الله إلى حجم هذه الفتنة في الدين والمحنة التي ابتلى بها المأمون أئمة الدين في عصره وكيف قادهم ذلك المبتدع الذي ولي أمرهم إلى القول بخلق القرآن خوفا من السيف كما قال الذهبي عن ابن معين معللا إجابتهم لما دعاهم إليه المأمون من البدعة : "جبنا خوفا من السيف"[2] ، وتأولوا أيضا في تلك الاستجابة

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢٢٢/٤،٢٢٢٣،٢٢٤،٢٢٥) ، السير (٢٨٨/١٠) ، البداية (٢٨٤/٢/٥،٢٨٥) .

(٢) السير (٢٨٨/١٠) .

للبدعة كما قال ابن كثير رحمه الله : "فلما امتحنهم إسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى : ﴿إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ﴾(1) .

وكما ذكر ابن كثير رحمه الله أن "أولئك الأئمة أجابوا مكرهين ، قال ابن العماد الحنبلي عن تلك الفتنة عند ذكره لأحداث سنة ثماني عشرة ومائتين : "وفيها امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن وكتب في ذلك إلى نائبه على بغداد وبالغ في ذلك وقام في هذه البدعة قيام متعبد بها فأجاب أكثر العلماء على سبيل الإكراه"(2) ولم يبق من علماء العراق ممن لم يجب إلا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح يرحمهما الله سيرهما إسحاق بن إبراهيم إلى المأمون فلما بلغوا الرقة بلغهم موت المأمون وتولي المعتصم ، ثم ردوا إلى بغداد ، ومات محمد بن نوح في الطريق فصلى عليه الإمام أحمد ورجع إلى بغداد فدخلها في رمضان(3) .

والذي يدل على أن العلماء من الفقهاء والقضاة وغيرهم أصبح عندهم القول بهذه البدعة متقررا ولو ظاهرا ، وأنه لايعرف أن أحدا منهم يخالفها ظاهرا استدلال أحمد بن أبي دؤاد في مناظرة الإمام أحمد على أن الحق هو ماهم عليه من القول بخلق القرآن ، وأن من خالفه ضال مضل مبتدع بموافقة القضاة والفقهاء على ذلك .

قال أحمد بن أبي دؤاد في الإمام أحمد : "هو والله ياأمير المؤمنين ضال مضل مبتدع ، وهنا قضاتك والفقهاء فسلهم فقال لهم : ماتقولون؟ فأجابوا بمثل ماقال ابن أبي دؤاد"(4) .

وهذا البلاء كله من اتباع الفقهاء والمحدثين وسائر العلماء للولاة المبتدعة في القول بخلق القرآن كاد أن يجر الفساد العقدي العظيم والبلاء الجسيم على الأمة من عامة وطلاب علم وعلماء لو لم يقيض الله لهذا الدين من ينصره ألا وهو الإمام

---

(1) سورة النحل : آية (١٠٦) .

(2) الشذرات (٣٩/٢) .

(3) انظر : البداية (٣٤٦/٢/٥) .

(4) البداية (٣٤٧/٢/٥) .

أحمد بن حنبل رحمه الله ، ولقد وصف ابن كثير رحمه الله ابتلاء أولئك الولاة المبتدعة للأمة بأبلغ الوصف فقال رحمه الله : "ووقعت فتنة صماء ومحنة شنعاء وداهية دهياء فلا حول ولاقوة إلا بالله"[١] .

(٢) امتحان الأئمة والمؤذنين وفقهاء المكاتب واستجابتهم على ذلك :

قال الذهبي رحمه الله عن المعتصم وعن دوره في المحنة : "وامتحن الناس بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار وأخذ بذلك المؤذنين وفقهاء المكاتب ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد أربعة عشر عاما"[٢] .

وقال الذهبي أيضا رحمه الله عن دور الواثق بالله في المحنة : "وأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن"[٣] .

(٣) امتحانهم لقواد الجيش واستجابتهم على ذلك :

قال الذهبي : "عن يحيى بن أكثم قال : كنت عند المأمون وعنده قواد خراسان وقد دعا إلى القول بخلق القرآن فقال لهم : ماتقولون في القرآن؟ فقالوا : كان شيوخنا يقولون : ماكان فيه من ذكر الحمير والجمال والبقر فهو مخلوق ، فأما إذا قال أمير المؤمنين هومخلوق ، فنحن نقول : كله مخلوق . فقلت للمأمون : أتفرح بموافقة هؤلاء؟"[٤] .

وقال ابن كثير رحمه الله في حوادث سَنة إحدى وثلاثين ومائتين :

"وفيها قدم خاقان الخادم من بلاد الروم وقد تم الصلح والمفاداة بينه وبين الروم وقدم معه جماعة من رؤوس الثغور فأمر الواثق بامتحانهم بخلق القرآن وأن الله

---

(١) البداية (٢٨٦/٢/٥) .

(٢) السير (٢٩١/١٠) .

(٣) السير (٣١٢/١٠) .

(٤) السير (٢٨١/١٠) .

لايرى في الآخرة فأجابوا إلا أربعة فأمر بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا بـــالقول بخلــق القرآن وأن الله لايرى في الآخرة"[١] .

(٤) امتحانهم الأسرى المسلمين الذين بأيدي النصارى فمن استجاب للبدعــة فودي وإلا بقي أسيرا :

قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة إحدى وثلاثين ومائتين : "وأمر الواثق أيضا بامتحان الأسارى الذين فودوا من أسرى الفرنج بالقول بخلق القـــرآن وأن الله لايرى في الآخرة فمن أجاب إلى القول بخلق القرآن وأن الله لايرى في الآخرة فـــودي وإلا ترك في أيدي الكفار وهذه بدعة صلعاء شنعاء عمياء صماء لامستند لهـــا مـــن كتاب ولاسنة ولاعقل صحيح"[٢] .

قلت : ولامروءة أيضا فكيف يرضى الواثق وفي الأسرى نساء مســـلمات أن يبقين في الأسرى لو أنهن مثلا لم يجبنه على بدعته ، ماهو ياترى موقف ذلك الواثـــق بالله؟ هل يترك عرض المسلمين يدنس من قبل النصارى الفرنج؟ إن الحمية والشـــهامة والغيرة العربية تأنف من ذلك وترفضه وتأباه أشد الإباء فضلا عن الدين أم أن البدعة أعمت وأصمت وختمت علىقلب وسمع وعقل ومروءة الواثق فقاتل الله ولاة البدعة وحبسهم في أنفسهم ، ولذلك لايستغرب وصف ابن كثير رحمه الله للواثق بأنه خبيث القلب سئ الطوية[٣] .

وماذلك إلا لما اطلع عليه ابن كثير من أخلاق الواثق بالله التي دعته لأن يصفه بذلك .

ومن أخلاقه تلك الاستهانة بعرض المسلمين والمسلمات في عينيه ومع هذا فلقد استجاب كل من كان في الأسر لهذه البدعة الضالة من الرجال والنساء والصبيان على حد سواء وعددهم يبلغ الألوف .

---

(١) البداية (٣٢٠/٢/٥) .

(٢) البداية (٣٢٠/٢/٥) ، وانظر : السير (٣١٢/١٠) ، الكامل (٢٩٩/٤) .

(٣) البداية (٣٢١/٢/٥) .

قال ابن كثير رحمه الله : "وكان عدد أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربع مائة وستين نفسا ، والنساء والصبيان ثمانمائة"[١] .

والذي يدل على كون جميع الأسرى استجابوا لما دعاهم إليه الواثق من البدعة هو إطلاق جميع الأسرى الذين كانوا بأيدي النصارى .

قال ابن الأثير عن طريقة الفداء التي تمت على نهر اللامس[٢] : "فكان المسلمون يطلقون الأسير فيطلق الروم الأسير من المسلمين فيلتقيان في وسط النهر ويأتي هذا أصحابه فإذا وصل الأسير إلى المسلمين كبروا وإذا وصل الأسير إلى الروم صاحوا حتى فرغوا"[٣] أي من إطلاق جميع الأسرى فلم يبق منهم أحد لكونهم قالوا بخلق القرآن ونفي رؤية الله في الدار الآخرة وإلا لم يطلقوا .

أما من لم يستجب من أولئك الممتحنين الذين مرت أصنافهم قبل قليل فإنه تتخذ ضده الإجراءات الصارمة والعقوبات الظالمة . ومن المعلوم ضرورة أنه لاأحد يمكن له أن يقف في وجه ولاة البدعة إلا العلماء المخلصون الذين يحملون ميراث النبوة المحمدية والذين في أعناقهم مهمة نشر الدين وتبليغه كما أتى به محمد ﷺ ، أما باقي الأصناف الممتحنة السابقة فهي لاتجرؤ على الوقوف في وجه المبتدعة الضلال من الولاة والسلاطين ، ولذلك اتخذ الولاة الظلمة بعض العقوبات ضد من رفض الاستجابة لبدعهم الجهمية وبدأوا معهم بالأشد فالأشد ، ومن هذه العقوبات مايلي :

(١) عدم توليته أعمال ووظائف الدولة والاستعانة به :

ذكر ابن الأثير رحمه الله أن المأمون كتب إلى إسحاق بن إبراهيم في سنة ثماني عشرة ومائتين فقال واصفا ذلك الكتاب : "وطول كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك"[٤] .

---

(١) الكامل (٤/٢٩٩،٣٠٠) .

(٢) نهر اللامس : "بالميم المهملة وكسر الميم وهي قرية على شط بحر الروم من ناحية طرسوس" . معجم البلدان لياقوت الحموي ، باب اللام والألف ومايليهما .

(٣) الكامل (٤/٢٩٩) .

(٤) الكامل (٤/٢٢٢) .

وذكر الذهبي أيضا رحمه الله نص رسالة المأمون إلى والي بغداد بقوله : "واعلمهم أني غير مستعين في عمل ولا واثق بمن لايوثق بدينه"[١] .

(٢) عزله عن عمله إن كان ذا عمل وقطع رزقه من بيت المال إن كان له منه رزق :

أما العزل عن الوظائف لمن لم يستجب للبدعة من أهل العلم فهو أمر واقع وإن كان من العلماء من لم يعزل وماذلك كما قال ابن كثير إلا أنه وافقهم على بدعهم وباطلهم فلم يعزلوه عن وظيفته .

قال ابن كثير رحمه الله : "وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصانعة مكرها لأنهم كانوا يعزلون من لايجيب عن وظائفه"[٢] .

وأما قطع الأرزاق الجارية على بعض العلماء ممن لم يستجب للبدعة فمثاله ماحكاه صاحب الإبانة من قصة الإمام عفان بن مسلم الباهلي مع المأمون ووالي بغداد إسحاق بن إبراهيم فقال رحمه الله : "عن حنبل ابن عم الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : حضرت أبا عبد الله ـــ أحمد بن حنبل ـــ ويحيى بن معين عند عفان وكان أول ماامتحن عفان وسأله يحيى بعدما امتحن من الغد فقال له ياأبا عثمان أخبرنا بما كلمك به إسحاق وماكان مرده عليك؟ فقال : ياأبا زكريا لم اسود وجهك ولاوجوه أصحابك ـــ يعني بذلك أني لم أجب ـــ فقال له : كيف كان؟ قال : قرأ علي الكتاب الذي كتب به المأمون من أرض الجزيرة من الرقة فإذا فيه امتحن عفان وادعه إلى أن يقول : القرآن ـــ يعني مخلوق ـــ فإن أجاب فأقره على أمره وإن لم يجبك إلى ماكتبت به فاقطع عنه الذي تجري عليه . قال عفان : فلما قرأ علي قال لي إسحاق : ماتقول؟ فقرأت عليه : ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال لي إسحاق : ياشيخ إن

---

(١) السير (١٠/٢٨٨) .

(٢) البداية (٥/٢/٢٨٦) .

أمير المؤمنين يقول : إنك إن لم تجبه إلى مايدعوك إليه يقطع عنك مايجري عليك ، وإن قطع عنك أمير المؤمنين قطعنا نحن أيضا . فقال : قال عفان : فقلت له : فقول الله عز وجل : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1] قال : فسكت عني وانصرفت فسر أبو عبد الله بذلك ويحيى وأصحابهم"[2] .

ولقد كان المأمون يجري عليه خمسمائة درهم وكان إسحاق يجري عليه ثلاثمائة درهم وذلك كل شهر فقطع عنه ذلك وهو شيخ كبير مريض[3] .

(٣) إسقاط عدالته وذلك برد شهادته إذا شهد عند القضاة :

قال الذهبي رحمه الله ناقلا لنص كتاب المأمون ذلك الكتاب المشئوم الذي بعث به إلى إسحاق بن إبراهيم : "ورد شهادة من لم يقر أنه مخلوق"[4] .

(٤) المنع من التدريس والإفتاء لمن لم يجب :

من المعلوم أن من أشد العقوبات التي يمكن أن يواجه بها العلماء المخلصون والناصحون هو منعهم من نشر العلم النافع وتبليغ الرسالة المحمدية الخالدة فالعالم كالسمك لايعيش إلا في الماء فكذلك العلماء لايحيون ويعيشون إلا إذا بلغوا ونشروا الدين للعالمين وقتلهم حقيقة هو منعهم من ذلك وإلا فالدنيا الفانية هي أهون شئ عندهم ولاتساوي عندهم مثقال ذرة أو وزن جناح بعوضة .

قال ابن كثير رحمه الله عن العقوبة هذه التي أعدها حكام وولاة الجهمية : "وإن كان مفتيا منع من الإفتاء وإن كان شيخ حديث ردع عن الأسماع والأداء"[4].

---

(١) سورة الذاريات : آية (٢٢) .

(٢) الإبانة (٢/٢٩٣،٢٩٤) (الوابل) .

(٣) الإبانة (٢/٢٩٥) (الوابل) .

(٤) السير (١٠/٢٨٨) .

(٥) التعذيب والسجن والمعتقلات :

فإن لم تنفع تلك المحاولات السابقة زج بالعالم الصادق في غياهب السجون والمعتقلات وسيم أنواع العذاب وأصناف الإرهاب ومن ذلك مايلي :

(أ) سجن وتعذيب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (١٦٤-٢٤١هـ) :

عندما رجع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من طريقه إلى المأمون ودخل بغداد كان أول ماصنع به أن أدخل السجن .

قال ابن كثير رحمه الله : "فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان فأودع في السجن نحوا من ثمانية وعشرين شهرا وقيل نيفا وثلاثين شهرا ثم خرج إلى الضرب بين يدي المعتصم وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصلي في أهل السجن والقيود في رجليه"[٢] .

وقال عنه عندما ذكر ضربه بين يدي المعتصم : "لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده قال أحمد : فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في التكة وحملتها بيدي ثم جاؤوني بداية فحملت عليها فكدت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يمسكني"[٣] .

وعندما أصر الإمام أحمد رحمه الله على عدم القول بخلق القرآن في المناظرة التي جرت بينه وبين علماء الجهمية بين يدي المعتصم ثار علماء الجهمية وأئمتهم وأوباشهم وأثاروا معهم المعتصم على الإمام أحمد ، والإمام مع كل ذلك يرفض الاستجابة لهم وله حتى قال المعتصم للإمام أحمد رحمه الله : "لعنك الله طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني ثم قال : خذوه واخلعوه واسحبوه . قال الإمام أحمد : فأخذت وسحبت وخلعت وجئ بالعاقبين والسياط وأنا أنظر وكان معي شعرات من شعر

---

(١) البداية (٥/٢/٢٨٦) .

(٢) البداية (٥/٢/٣٤٦) .

(٣) البداية (٥/٢/٣٤٧) .

النبي ﷺ مصرورة في ثوبي فجردوني منه وصرت بين يدي العقابين فقلت : ياأمير المؤمنين الله الله إن رسول الله ﷺ قال : "لايحق دم امرئ مسلم يشهد أن لاإله إلا الله إلا بإحدى ثلاث ..." [١] وتلوت الحديث وأن رسول الله ﷺ قال : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم"[٢] فبم تستحل دمي و لم آت شيئا من هذا؟ ياأمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك فكأنه أمسك . ثم لم يزالوا يقولون له : ياأمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر . فأمر بي فقمت بين العقابين وجئ بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين فلم أفهم فتخلعت يداي وجئ بالضرابين ومعهم السياط فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له ـــ يعني المعتصم ـــ شد قطع الله يديك ويجئ الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك فضربوني أسواطا فأغمي علي وذهب عقلي مرارا ، فإذا سكن الضرب يعود علي عقلي وقام المعتصم إلي يدعوني إلى قولهم فلم أجبه وجعلوا يقولون : ويحك . الخليفة على رأسك فلم أقبل وأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه فأعادوا الضرب ثم جاء إلي الثالثة فدعاني فلم أعقل ماقال من شدة الضرب ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب.

قال ابن كثير : "وكان جملة ماضرب نيفا وثلاثين سوطا وقيل ثمانين سوطا لكن كان ضربا مبرحا شديدا جدا"[٣] .

(ب) الإمام أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي (١٤٠-٢١٨هـ):

قال الذهبي رحمه الله عن أبي مسهر أنه : "دخل على المأمون بالرقة وقد ضرب رقبة رجل وهو مطروح فأوقف أبا مسهر في الحال فامتحنه فلم يجبه فأمر به فوضع في النطع[٤] ليضرب عنقه فأجاب إلى خلق القرآن فأخرج من النطع فرجع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات برقم (٦٨٧٨) ، وأخرجه مسلم في كتاب القسامة برقم (١٦٧٦) ، وإكمال الحديث : "الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة" .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم (٢٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٢٢) .

(٣) البداية (٥/٢/٣٤٨-٣٤٩) ، السير (١١/٢٣٢،٢٥٠) .

(٤) النطع : بالكسر والفتح وبالتحريك وكعنب بساط من الأديم . القاموس (٣/١١٧) .

عن قوله فأعيد إلى النطع فأجاب فأمر به أن يوجه إلى العراق و لم يثق بقوله فما حذر وأقام عند إسحاق بن إبراهيم ـــ يعني نائب بغداد ـــ أياما لاتبلغ مائة يوم ومات رحمه الله"(١) .

وهذه الإجابة من أبي مسهر لاتعد في الحقيقة اعترافا بقول المأمون ولذلـــك لم يثق به وأمر بحبسه ، بل إن الإمام أبا داود السجستاني أسقط مـــن حســابه هــذا الاعتراف واعتبر أبو مسهر ممن لم يجب إلى القول بخلق القرآن فلقد قــال أبــو داود السجستاني عن أبي مسهر رحمه الله أبا مسهر لقد كان من الإسلام بمكان حمل على المحنة فأبى ، وحمل على السيف فمد رأسه وجرد السيف فأبى فلما رأوا ذلك منه حمل إلى السجن فمات"(٢) .

قال الذهبي رحمه الله عن أبي مسهر وموقف المأمون منــه : "وحبــس إمــام الدمشقيين أبا مسهر بعد أن وضعه في النطع للقتل فتلفظ مكرها"(٣) .

وأيا كان أجاب مكرها أم لم يجب كما قال أبو داود فإن عاقبته كانت هـــي السجن ومثاقيل الحديد فتوفي فيه عن عمر يناهز التاسعة والسبعين فلم يرحم المــأمون شيخوخته ولا كبر سنه .

(ح) البويطي : الإمام أبو يعقوب يوسف بن يحيى صاحب الإمام الشافعي (٠٠٠-٢٣١هـ) :

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة إحدى وثلاثين ومائتين : وفــاة البويطي فقال : "والبويطي صاحب الشافعي مات في السجن مقيدا على القول بخلــق القرآن فامتنع من ذلك"(٤) .

قال الإمام الذهبي رحمه الله قال البويطي : "إنما خلق الله الخلق بكن فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقا خلق بمخلوق ولئن أدخلت عليــه لأصدقنــه ، يعــني : الواثــق

(١) السير (٢٣٤/١٠،٢٨٨) .
(٢) السير (٢٣٦/١٠) .
(٣) البداية (٣٢١/٢/٥،٣٤٩) .
(٤) البداية (٣٢١/٢/٥،٣٤٩) .

ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قـــوم في حديدهم"[١] .

قال الإمام الذهبي رحمه الله : "مات الإمام البويطي في قيده مسجونا بالعراق في سنة إحدى وثلاثين ومائتين"[٢] .

(د) الإمام نعيم بن حماد الخزاعي (٠٠٠-٢٢٨هـ) :

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا بالكلية فذكـــر منهم نعيم بن حماد الخزاعي[٣] .

قال الإمام الذهبي رحمه الله : قال محمد بن سعد : "طلب نعيم الحديث كثيرا بالعراق والحجاز ثم نزل مصر فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق ـــ يعني المعتصم ـــ فسئل عن القرآن فأبى أن يجيب فيه بشئ مما أرادوه عليه فحبـــس بسامراء فلم يزل محبوسا بها حتى مات في السجن سنة ثمان وعشرين ومائتين"[٤] .

قال الإمام الذهبي : "زاد نفطويه : وكان مقيدا محبوسا لامتناعه من القول بخلق القرآن فجُرَّ بأقياده فألقي في حفرة و لم يكفن و لم يصل عليه . فعل به ذلك صـــاحب ابن أبي دؤاد"[٥] .

يقصد بصاحب ابن أبي داود الخليفة المعتصم .

---

(١) السير (٥٩/١٢) .
(٢) السير (٦١/١٢) .
(٣) البداية (٣٤٩/٢/٥) .
(٤) السير (٦١١/١٠) .
(٥) السير (٦١٢/١٠) .

(٦) القتل وإزهاق الأنفس :

هذه هي حالة العاجز واليائس من الولاة والحكام المتلبسين بالبدعة فإنهم إذا وجدوا من يرفض الانسياق معهم في بدعهم وضلالهم لم يطيقوا أن يروه حيا من بين الأحياء فيأمرون مباشرة بقتله هذا إذا لم يشارك ذلك الوالي المبتدع في إزهاق الأنفس البريئة والدماء الزكية بيديه ليشفي نار الانتقام المشتعلة بين جنبيه من ذلك الرافض للانحراف في العقيدة والدين وهذه الحالة الثانية وهي مشاركة الوالي بنفسه بل القيام بذلك لوحده ومنفردا من دون مشاركة في إزهاق أنفس المسلمين هو المثال الذي سنسوقه الآن ألا وهو :

قتل الإمام أحمد بن نصر الخزاعي : (٠٠٠-٢٣١هـ) :

قال الخطيب البغدادي رحمه الله في قصة مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله : "كان أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي من أهل الحديث وكان جده من رؤساء نقباء بني العباس ، وكان أحمد وسهل بن سلامة ـ حين كان المأمون بخرسان ـ بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن دخل المأمون بغداد فرفق بسهل حتى لبس السواد وأخذ الأرزاق ، ولزم أحمد بيته ؛ ثم إن أمره تحرك ببغداد في آخر أيام الواثق واجتمع إليه خلق من الناس يأمرون بالمعروف إلى أن ملكوا بغداد وتعدى رجلان من أصحابه يقال لأحدهما طالب في الجانب الغربي ويقال للآخر أبو هارون في الجانب الشرقي وكانا موسرين فبذلا مالا وعزما على الوثوب ببغداد في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، فنم عليهم قوم إلى إسحاق بن إبراهيم فأخذ جماعة فيهم أحمد بن نصر وأخذ صاحبيه طالبا وأبا هارون فقيدهما ووجد في منزل أحدهما أعلاما؟ وضرب خادما لأحمد بن نصر فأقر أن هؤلاء كانوا يصيرون إليه ليلا فيعرفونه ماعملوا فحملهم إسحاق مقيدين إلى سر من رأى فجلس لهم الواثق وقال لأحمد بن نصر : دع ماأخذت له ماتقول في القرآن؟ قال : كلام الله . قال : أفمخلوق هو؟ قال هو كلام الله . قال افترى ربك في القيامة؟ قال : كذا جاءت الرواية . فقال ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم؟ يحويه مكان؟ ويحصره الناظر . أنا أكفر برب هذه صفته ماتقولون فيه؟ فقال

عبد الرحمن بن إسحاق ـــ وكان قاضيا على الجانب الغربي ببغداد فعزل ـــ هو حلال الدم وقال جماعة من الفقهاء : كما قال . فأظهر ابن أبي دؤاد أنه كاره لقتله فقال للواثق : ياأمير المؤمنين شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقل يؤخر أمره فقال الواثق مأراه إلا مؤديا لكفره قائما بما يعتقده منه . ودعا الواثق بالصمصامة[1] وقال : إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معي ، فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربا لانعبده ولانعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم أمر بالنطع فاجلس عليه وهو مقيد وأمر بشد رأسه بحبل وأمرهم أن يمدوه ومشى إليه حتى ضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياما وفي الجانب الغربي أياما"[2] .

وهنا إشكال قد يرد على بعض الناس ـــ وذلك يتمثل في إيرادنا لقصة أحمد بن نصر الخزاعي كمثال نمثل به على أن الحاكم المبتدع قد تقوده البدعة إلى أن يسفك الدماء من أجلها ـــ وهو أن قتل الواثق لأحمد بن نصر لم يكن لأجل فتنة القول بخلق القرآن وإنما لأنه خرج عليه وهو إمام المسلمين ومن خرج على المسلمين وهم مجتمعون على رجل واحد فجزاؤه القتل ، هذا من الناحية الشرعية والواثق حينئذ لايلام على قتل أحمد بن نصر الخزاعي لأنه ارتكب جرما كان عقابه في الشرع مالاقاه به الواثق .

والجواب على هذا الإشكال هو أنه وجد من الدلائل الثابتة والصريحة أن قتل الواثق لأحمد بن نصر الخزاعي لم يكن لأجل خروجه عليه بل لأنه رفض أن يستجيب للقول بخلق القرآن عندما دعاه الواثق إلى ذلك ، ومن هذه الدلائل الدالة على ماذكرناه مايلي :

١- أن أئمة التاريخ والسير ذكروا عند إيرادهم لقصة مقتل أحمد بن نصر الخزاعي أن الواثق لم يسأله عندما التقاه عن خروجه عليه بل أعرض عن ذلك كله وبدأ في امتحان أحمد بن نصر الخزاعي الذي رفض الاستجابة للقول بخلق القرآن فقتله حينئذ .

---

(١) الصمصامة : هي السيف الصارم الذي لاينثني . مختار الصحاح (ص١٥٥) .

(٢) البداية (٣١٧/٢/٥) .

قال الخطيب البغدادي رحمه الله : "فجلس لهم الواثق وقال لأحمد بن نصر دع مأأخذت له ، ماتقول في القرآن؟"[١]

وقال ابن الأثير رحمه الله : "فلما حضر أحمد عند الواثق ، لم يذكر له شيئا من فعله والخروج عليه ولكنه قال له : ماتقول في القرآن؟"[٢]

وقال ابن كثير رحمه الله : "فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق لم يعاتبه على شئ مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره بل أعرض عن ذلك كله وقال له : ماتقول في القرآن"[٣] .

٢- أن الواثق بنفسه علل قتله لأحمد بن نصر الخزاعي بقوله : "فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربا لانعبده ولانعرفه بالصفة التي وصفه بها"[٤] .

فكلام الواثق هنا فيه تصريح منه بتكفير أحمد بن نصر الخزاعي لكونه لم يجب إلى القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى ، وأنه لم يقتله إلا لذلك لا لكونه خارجا عن طاعته وولايته ولو كان قتله لأحمد بن نصر الخزاعي لكونه خارجا عليه فإنه من المعلوم ضرورة أن خروج المسلم المتأول المجتهد كأمثال أحمد بن نصر الخزاعي الذي هو من أئمة العلم على إمام المسلمين لايبلغ درجة الكفر قطعا بل إن بولغ في وصفه قيل له مبتدع خارجي فيثبت بذلك أن قتل الواثق لأحمد بن نصر الخزاعي إنما كان لعدم موافقته للواثق على اعتقاد الجهمية من القول بنفي الصفات ، ولذلك كفره واستحل دمه . ومن المعلوم والمشتهر في كتب المقالات والفرق أن أهل البدع يكفرون بعضهم بعضا ، ويستحلون دماء بعضهم بعضا ، وفعل الواثق بأحمد بن نصر الخزاعي هومن هذا القبيل الذي يصنعه المبتدعة مع مخالفيهم .

---

(١) تاريخ بغداد (١٧٦/٥) .

(٢) الكامل (٢٩٧/٤) .

(٣) البداية (٣١٧/٢/٥) .

(٤) تاريخ بغداد (١٧٧/٥) .

٣- أن ولاة الأمر المبتدعة الذين مارسوا قتل أحمد بن نصر الخزاعي عللوا سبب قتلهم له بأنه لم يجب إلى القول ببدعة خلق القرآن وأنهم لأجل ذلك قتلوه وكتبوا هذا التعليل في بيان ومنشور حاكمي بدعي وعلقوه في أذن أحمد بن نصر الخزاعي .

قال ابن كثير رحمه الله في وصف صلب أحمد بن نصر الخزاعي : "وفي أذنه رقعة مكتوب فيها : هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي ممن قتل على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أ قام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح فالحمد لله الذي عجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه"[(١)] .

وهذا ماصرح به الخطيب البغدادي في سبب مقتل أحمد بن نصر الخزاعي فقال : "وكان قتله في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن"[(٢)] .

---

(١) البداية (٣١٨/٢/٥) .

(٢) تاريخ بغداد (١٧٦/٥) .

ثانيا : ما أحدثه حكام الرافضة من البدع وأثر ذلك على الناس

لقد ذكرنا سابقا أن القرن الرابع الهجري يعد من أحلك الفترات التاريخية السوداء التي مرت على العالم الإسلامي والسبب في ذلك أن مذهب الرافضة وغلاة الشيعة من الإسماعيلية قد أطبق على أرجاء العالم الإسلامي في المشرق والمغرب على حد سواء ، ومن ذلك قيام دولة الرافضة من آل بويه في بغداد وذلك من سنة ٣٣٤هـ إلى سقوطها سنة ٤٣٧هـ .

وفي هذه الفترة انتشر مذهب الرافضة والبدع الرافضية بسبب أن ولاة الأمر هم من الرافضة فوقع كثير من الناس في بدعهم ، وضعف أهل السنة عن إظهار ما معهم من الحق لأن سلطان الزمان رافضي .

ومن البدع التي أحدثها ولاة الرافضة مايلي :

(١) إظهار وانتشار لعن الصحابة رضي الله عنهم وتكفيرهم وكتابة ذلك على أبواب المساجد :

قال ابن كثير رحمه الله واصفا انتشار سب الصحابة ولعنهم ـ رضي الله عنهم من قبل الرافضة بقوله عند حوادث سنة سبع وأربعين وثلثمائة :

"امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بني بويه"[١] .

وقال المقريزي رحمه الله : "فلما قامت دولة بني بويه ببغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة واستمروا إلى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وأظهروا مذهب التشيع قويت بهم الشيعة وكتبوا على أبواب المساجد في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن من أغضب فاطمة ، ومن منع الحسن أن يدفن عند جده ، ومن نفى أبا ذر الغفاري ، ومن أخرج العباس من الشورى"[٢] .

---

(١) البداية (٢٤٧/١/٦) .

(٢) الخطط (١٩١/٤) .

وهم يقصدون بمن أغضب فاطمة أبا بكر ، وبمن منع الحسن أن يدفن عند جده "معاوية" ، وبمن نفى أبا ذر الغفاري عثمان ومن أخرج العباس من الشورى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) بناء وتشييد المشاهد على القبور :

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة عضد الدولة بن بويه : "وكان شيعيا جلدا أظهر بالنجف[١] قبرا زعم أنه قبر الإمام علي وبنى عليه المشهد"[٢] .

فإقامة المشاهد على القبور ليس أمرا بمستغرب على الرافضة فإنهم أول من اشتهر عنهم في العالم الإسلامي البناء على القبور وجعل المشاهد عليها والقباب وماشابه ذلك ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ولم يكن في العصور المفضلة "مشاهد" على القبور وإنما كثر بعد ذلك في دولة بني بويه لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار مقصودهم تبديل دين الإسلام وكان في بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك ... فبنوا المشاهد المكذوبة كمشهد علي رضي الله عنه وأمثاله"[٣] .

وقال رحمه الله أيضا عن دولة بني بويه الرافضية : "وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك ، وإنما دفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة"[٤] .

ولم يكتف ولاة البدعة من الرافضة وأشباههم بإقامة المشاهد فقط على القبور بل تبع هذه البدعة بدع أخرى أعظم منها كالدعاء عندها ، والاستغاثة بأهلها ، والتمسح بها ، بل إنهم صنفوا في ذلك كتبا سموها "مناسك حج المشاهد" فجعلوا زيارة المشاهد كزيارة البيت الحرام والحج إليه .

---

(١) النجف : بالتحريك ، قال السهيلي بالفرع عينان يقال لإحداهما الربض وللأخرى النجف تسقيان عشرين ألف نخلة وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها معجم البلدان ، باب النون والجيم ومايليهما .

(٢) السير (١٦/٢٥٠) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/١٦٧) .

(٤) المصدر السابق (٢٧/٤٦٦) .

قال ابن تيمية رحمه الله : "فظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك ثم لما تمكنت الزنادقة أمروا ببناء المشاهد وتعطيل المساجد ... ورووا في إنارة المشاهد وتعظيمها والدعاء عندها من الأكاذيب ما لم أجد مثله فيما وقفت عليه من أكاذيب أهل الكتاب حتى صنف كبيرهم ابن النعمان كتابا في (مناسك حج المشاهد) وكذبوا فيه على النبي ﷺ وأهل بيته أكاذيب بدلوا بها دينه وغيروا ملته وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد فصاروا جامعين بين الشرك والكذب"[1] .

وقال أيضا رحمه الله واصفا ماعليه الرافضة من البناء على القبور والطواف بها والاعتقاد فيها : "وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن ، وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال : "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر مافعلوا[2] .

وقال قبل أن يموت بخمس : "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلاتتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك" رواه مسلم[3] .

وقال : "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد"[4] . رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه ، وقال : "اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[5] ... وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ولاشرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين ، بل هذا من دين

---

(١) المصدر السابق (٢٧/١٦١-١٦٢) ، وانظر مزيدا لمعرفة ماعليه الرافضة من شرك القبور : كتاب أصول الشيعة الاثنا عشرية للقفاري (٢/٤٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٣٩٠) ، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٩) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٣٢) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن برقم (٧٠٦٧) ، وأخرجه أحمد في مسند عبد الله بن مسعود برقم (٤٣٤٢) ، وصححه ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان برقم (٢٣١٩).

(٥) أخرجه أحمد في مسند المكثرين عن أبي هريرة برقم (٧٠٥٤) .

المشركين الذين قال الله فيهم : ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[١] .

قال ابن عباس وغيره : "هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح لما ماتوا عكفوا على قبورهم فطال عليهم الأمد فصوروا تماثيلهم ثم عبدوهم"[٢] .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : "لاتجلسوا على القبور ولاتصلوا إليها"[٣] .

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب : "ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ أن لاأدع قبرا مشرفا إلا سويته ولاتمثالا إلا طمسته"[٤] .

فقرن بين طمس التماثيل وتسوية القبور المشرفة لأن كليهما ذريعة إلى الشرك كما في الصحيحين أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا للنبي ﷺ كنيسة رأينها بأرض الحبشة وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فقال : "إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"[٥] .

والله أمر في كتابه بعمارة المساجد ولم يذكر المشاهد فالرافضة بدلوا دين الله فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة للمشركين ومخالفة للمؤمنين"[٦] .

---

(١) سورة نوح : آية (٢٣) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ودا ولاسواعا ولايغوث برقم (٤٩٢٠) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٦١٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز برقم (٩٧٢) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز برقم (٩٦٩) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة برقم (٤٢٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٨) .

(٦) المنهاج (١/٤٧٤-٤٧٦) .

(٣) إقامة المآتم في يوم عاشوراء حزنا على مقتل الحسين رضي الله عنه :

لقد جعل الرافضة يوم عاشوراء وهو العاشر من محرم من كل عام يوم حزن وبكاء وعويل وصراخ وإراقة لدماء بعضهم بعضا وذلك بسبب مقتل الحسين رضي الله عنه ، و لم يكتفوا بالحزن والبكاء مع مافيه من الابتداع بتخصيص يوم من السنة للبكاء والنياحة على موت الحسين ، بل إن هذه البدعة صحبها بدع أخرى كثيرة ومخالفات شرعية كبيرة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ناقدا هذه البدعة الرافضية : "وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه يحدث للناس بدعتين : بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء ، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاء المراثي ومايفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنهم وإدخال من لاذنب له مع ذوي الذنوب حتى يسب السابقون الأولون وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة فإن هذا ليس واجبا ولامستحبا باتفاق المسلمين ، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ماحرمه الله ورسوله وكذلك بدعة السرور والفرح فأحدث أولئك الحزن وأحدث هؤلاء السرور ورووا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته .

قال حرب الكرماني : "سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال : لاأصل له وليس له إسناد يثبت" .

وهذه بدعة أصلها من المتعصبين بالباطل على الحسين رضي الله عنه وتلك بدعة أصلها من المتعصبين بالباطل له ، وكل بدعة ضلالة و لم يستحب أحد من أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم لاهذا ولاهذا ولافي شئ من استحباب ذلك حجة شرعية بل المستحب يوم عاشوراء الصيام عند جمهور العلماء ويستحب أن يصام معه التاسع ومنهم من يكره إفراده بالصيام"[١] .

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/٥٥٤-٥٥٥-٥٥٦) .

قال ابن كثير رحمه الله واصفا مايحدثه الرافضة من البدع في يوم عاشوراء :
"وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وماحولها فكانت الدبادب[١] تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ويذر الرماد والتين في الطرقات والأسواق ، وتعلق المسوح[٢] على الدكاكين ، ويظهر الناس الحزن والبكاء وكثير منهم لايشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشانا ، ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق ، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة"[٣] .

وقال أيضا رحمه الله عند ذكره لحوادث سنة اثنين وخمسين وثلثمائة : "وفي عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه قبحه الله أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وظهورهم وكون السلطان معهم"[٤] .

(٤) الاحتفال بغدير خم[٥] :

ومن البدع التي أحدثها الرافضة الاحتفال بغدير خم وهو في الثامن عشر من ذي الحجة .

---

(١) الدبادب : هي كثرة الصياح والجلبة . والدبداب : الطبل .
لسان العرب (١/٣٧٢) .

(٢) المسوح : المسح الكساء من الشعر والجمع القليل أمساح ، والكثير مسوح ، والمسيح المنديل الأخشن .
لسان العرب (٢/٥٩٦-٥٩٧) .

(٣) البداية (٤/٢/٢٠٤) .

(٤) البداية (٦/١/٢٥٩) ، وانظر : السير (١٦/٢٥٠) .

(٥) غدير خم : موضع بين مكة والمدينة بينه وبين الجحفة ميلان . معجم البلدان لياقوت الحموي باب الغين والدال ومايليهما .

قال ابن كثير رحمه الله في تاريخه واصفا هذه البدعة ومايحدث فيها وذلك في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة : "وفي عشر ذي الحجة منها أمر معز الدولة بني بويه بإظهار الزينة في بغداد وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد ، وأن تضرب الدبادب والبوقات وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء وعند الشرط فرحا بعيد الغدير ـ غدير خم ـ فكان وقتا عجيبا مشهودا وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة"[١] .

(٥) إشهار شعار الرافضة في الأذان وهو "حي على خير العمل" :

قال الإمام المقريزي رحمه الله واصفا إحداث هذه البدعة أي إشهارها في عهد ولاة الرافضة من بني بويه : "وجهر الشيعة في الأذان بحي على خير العمل في الكرخ"[٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على هذه البدعة الرافضية : "وهم[٣] قد زادوا في الأذان شعارا لم يكن يعرف على عهد النبي ﷺ ولانقل أحد أن النبي ﷺ أمر بذلك في الأذان وهو قولهم : "حي على خير العمل" ... ونحن نعلم بالاضطرار أن الأذان الذي كان يؤذنه بلال وابن أم مكتوم في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة وأبو محذورة بمكة وسعد القرظ في قباء لم يكن فيه هذا الشعار الرافضي ولو كان فيه لنقله المسلمون ولم يهملوه كما نقلوا ماهو أيسر منه . فلما لم يكن في الذين نقلوا الأذان من ذكر هذه الزيادة علم أنها بدعة باطلة"[٤] .

---

(١) البداية (٢٥٩/١/٦، ٣٧٠) .

(٢) الخطط (١٩١/٤) .

(٣) أي الرافضة .

(٤) المنهاج (٢٩٣/٦-٢٩٤) .

ثالثا : ما أحدثه حكام الإسماعيلية من البدع وأثر ذلك على الناس

حكام الإسماعيلية الذين نعنيهم في هذا المثال هم الحكام العبيديون المشهورون في التاريخ الإسلامي بحكام الدولة الفاطمية[١] .

وهؤلاء الحكام العبيديون الإسماعيليون كان حكمهم أولا على بلاد المغرب وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري على يد منشئ الدولة العبيدية أبي عبد الله المهدي ، وأنشأ هنالك مدينة المهدية[٢] ، ثم مالبث أن شمل حكمهم المغرب كله ثم امتد إلى المشرق ابتداء بمصر وذلك على يد الحاكم العبيدي المعز لدين الله وذلك سنة ٣٥٨هـ ، ثم امتد حكمهم إلى أجزاء كبيرة من الشام والعراق والحجاز وغير ذلك حتى تم سقوط هذه الدولة على يد المجاهد صلاح الدين الأيوبي وذلك في سنة ٥٦٧هـ[٣] فشمل حكم أولئك الزنادقة غالب العالم الإسلامي ولم يسلم من بلاد العالم الإسلامي إلا بغداد وماحولها .

وأما زمن حكمهم على الناس في المغرب والمشرق فقارب الثلاثة قرون ، ولاشك أنه مع اتساع حكمهم رقعة وزمنا ظهرت في تلك الدولة الباطنية من البدع الشئ العظيم ، وهذا ماسنعرض له إن شاء الله فيما يأتي :

---

(١) لقد أثبت العلماء المحققون كالباقلاني وشيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وابن كثير وغيرهم كذب نسبة العبيديين لآل البيت وإنما هم من نسل اليهود وقيل المجوس .
انظر في ذلك : السير (١٤٢/١٥-١٤٧-١٥١-٢١٣) ، البداية (٣٦٩/١/٦) ، (٢٨٦/٢/٦) ، الشذرات (٢٩٤/٢) ، وفيات الأعيان (١١٧/٣) ، المنهاج (٩٩/٤) ، (١١/٨) .

(٢) مدينة المهدية : هي مدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدي بينها وبين القيروان مرحلتان والقيروان في جنوبها . معجم البلدان لياقوت الحموي ، باب الميم والهاء ومايليهما .

(٣) البداية (٢٨٦/٢/٦) ، السير (١٤١/١٥-٢١٣) ، الخطط (١٨٠/٢) .

البدع التي أحدثها حكام الإسماعيلية :

(١) إظهار سب الأنبياء عليهم السلام :

إن من أظهر علامات الكفر والزندقة إعلان وإظهار سب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولقد أظهر العبيديون سب النبي ﷺ .

ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة القائم صاحب المغرب أبي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي أنه عندما تولى أظهر القائم سب الأنبياء .

فقال رحمه الله : "ذكر القاضي عبد الجبار المتكلم أن القائم أظهر سب الأنبياء وكان مناديه يصيح : العنوا الغار وماحوى"(١) .

(٢) إظهار سب الصحابة رضي الله عنهم :

أما سب الصحابة وإظهاره فهذا ليس بمستغرب على من ينتحل التشيع ويتخذه مذهبا ، وهذا قد وقع فيه بنو بويه قبل العبيديين ، وإنما أظهر العبيديون سب الصحابة رضي الله عنهم جهارا في ولاية العزيز بالله نزار بن المعز العبيدي .

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة العزيز : "وفي أيامه أظهر سب الصحابة جهارا"(٢) .

وقال أيضا رحمه الله في ترجمة الحاكم بأمر الله العبيدي : "أمر بسب الصحابة رضي الله عنهم وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع وأمر عماله بالسب"(٣) .

قلت بل أعلن العبيدية الإسماعيلية لعن أصحاب رسول الله ﷺ قبل ذلك بدهر وذلك عندما استولوا على مصر .

---

(١) السير (١٥/١٥٢) ، البيان المغرب (١/٢١٦) .

(٢) السير (١٥/١٧٠) .

(٣) السير (١٥/١٧٤) .

قال ابن كثير رحمه الله : "وكتبت لعنة الشيخين على أبـــواب الجوامـــع بهـــا وأبواب المساجد فإنا لله وإنا إليه راجعون"[١] .

(٣) إحداثهم للأعياد البدعية :

لقد تفنن العبيديون في إحداث الأعياد فخصوا بعض الأزمنة بأعياد وطقـــوس معينة ، وهذا كله من البدع المحدثة في الدين .

ولقد ذكر أهل العلم ماأحدثه العبيديون من الأعياد فبلغت أكثر من عشـــرين عيدا ومناسبة لهم في العام .

فلقد ذكر المقريزي رحمه الله في كتابه الخطط هذه الأعياد فقـــال : "وكـــان للخلفاء الفاطميين[٢] في طول السنة أعياد ومواسم وهي :

(١) موسم رأس السنة .
(٢) موسم أول العام .
(٣) يوم عاشوراء .
(٤) مولد النبي ﷺ .
(٥) مولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
(٦) مولد الحسين عليه السلام .
(٧) مولد الحسن عليه السلام .
(٨) مولد فاطمة الزهراء عليها السلام .
(٩) مولد الخليفة الحاضر .
(١٠) ليلة أول رجب .

---

(١) البداية (٢٨٤/١/٦) .

(٢) يرى الإمام المقريزي صحة نسبة العبيديين إلى آل البيت ، وقد ذكر المحققون من أهل العلم خلاف ذلك وهو الحق إن شاء الله .

(١١) ليلة نصفه .
(١٢) ليلة أول شعبان .
(١٣) ليلة نصفه .
(١٤) موسم ليلة رمضان .
(١٥) غرة رمضان .
(١٦) سماط رمضان .
(١٧) ليلة الختم .
(١٨) موسم عيد الفطر .
(١٩) موسم عيد النحر .
(٢٠) عيد الغدير .
(٢١) كسوة الشتاء .
(٢٢) كسوة الصيف .
(٢٣) موسم فتح الخليج .
(٢٤) يوم النوروز .
(٢٥) يوم الغطاس .
(٢٦) يوم الميلاد .
(٢٧) خميس العدس .
(٢٨) أيام الركوّبات"[١] .

فهذه قرابة الثلاثين عيدا أحدثها العبيدون إمعانا منهم في البدع والضلال وتأثر الناس بهذه الضلالات والبدع فاتخذوا تلك الأيام أعيادا موافقة منهم لدين الملك ولما يحصل لهم في هذه الآية من حطام الدنيا الفاني كالمأكل والمشرب والملبس فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) الخطط (٤٣٦/٢) .

ثم إن هؤلاء الضلال الزنادقة العبيدية لم يكتفوا بالاحتفال بما أحدثوه هم من البدع حتى جرهم ضلالهم إلى الاحتفال بأعياد الكفار صراحة كاحتفالهم بعيد النوروز القبطي[(١)] ، وعيد الغطاس[(٢)] ، وعيد الميلاد[(٣)] ، وخميس العهد الذي يسميه العامة خميس العدس ، وهذه الثلاثة من أعياد النصارى ، والسمة الغالبة لهذه الأعياد البدعية تفريق العبيديين المآكل والمشارب والملابس على عامة الشعب ، وهذا الفعل منهم القصد منه تحبيب الناس في البدعة وجرهم إليها عن طريق ملء بطونهم وكسوة أبدانهم .

ولقد ذم علماء السلف رضي الله عنهم إحداث هذه الأعياد وعدوها من الأمور المنكرة وذلك لأمرين :

أ- لدخولها في مسمى البدع المحدثة .

ب- ولما تشتمل عليها من المفاسد الدينية والدنيوية .

---

(١) عيد النوروز : هو عيد من أعياد أقباط مصر النصارى فكان موسما من مواسمهم تتعطل فيه الأسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال ، ووقت النيروز هو في جمادى الآخرة .
انظر : الخطط المقريزية للمقريزي (٢/٤٤١) .

(٢) عيد الغطاس : هو عيد وموسم من مواسم النصارى الأقباط بمصر وهو في اليوم الحادي عشر من كانون الثاني يجتمع في ليلة الغطاس المسلمون والنصارى في مكان واحد لايتناكرون كل مايمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف وتوقد فيها الشموع والمشاعل ، وتتميز هذه الليلة بكثرة من يغطس من الناس في ماء النيل .
انظر : الخطط المقريزية للمقريزي (٢/٤٤٤) .

(٣) عيد الميلاد : هو اليوم الذي ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيدا وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كانون الأول وكان من رسوم الدولة العبيدية "الفاطمية" فيه تفرقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية ، والمنارد فيها السمك وقرابات الجلاب .
انظر : الخطط المقريزية للمقريزي (٢/٤٤٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فما أحدث من المواسم والأعياد هو منكر ، وإن لم يكن فيها مشابهة لأهل الكتاب ، لوجهين :

أحدهما : أن ذلك داخل في مسمى البدع المحدثات فيدخل فيما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال : "كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ـــ ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ـــ ويقول أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"(١) ، وفي رواية للنسائي : "وكل ضلالة في النار"(٢) .

وفيما رواه أيضا في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"(٣) ، وفي لفظ في الصحيحين : "من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد"(٤) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ أنه قال : "إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة برقم (٨٦٧) .

(٢) أخرجها مسلم في كتاب الجمعة برقم (٨٦٧) ، وأخرجها النسائي في كتاب العيدين (١٥٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب رقم (٦٠) ، وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية برقم (١٧١٨) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب رقم (٦٠) ، ومسلم في كتاب الأقضية برقم (١٧١٨) .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب العلم برقم (٢٦٧٦) قال فيه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود في كتاب السنة برقم (٤٦٠٧) ، وأخرجه أحمد في مسند الشاميين برقم (١٦٥١٩) .

وهذه قاعدة قد دلت عليها السنة والإجماع مع مافي كتاب الله من الدلالة عليها أيضا ، قال الله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[1] فمن ندب إلى شئ يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو بفعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله ومن تبعه في ذلك فقد اتخذه شريكا لله شرع من الدين مالم يأذن به الله .

والوجه الثاني : في ذم المواسم والأعياد المحدثة : ماتشتمل عليه من الفساد في الدين ، واعلم أنه ليس كل أحد بل ولاأكثر الناس يدرك فساد هذا النوع من البدع لاسيما إذا كان من جنس العبادات المشروعة[2] .

بل أولوا الألباب هم الذين يدركون بعض مافيه من الفساد .

والواجب على الخلق : اتباع الكتاب والسنة ، وإن لم يدركوا مافي ذلك من المصلحة والمفسدة"[3] .

(٤) إعلان الأذان "بحي على خير العمل" :

عند أول مقدم العبيدية إلى مصر سارعوا إلى إعلان شعار الرافضة في الأذان وهي (حي على خير العمل) وهذا شعار من أبرز العلامات الظاهرة التي تميز الرافضة عن أهل الإسلام .

قال ابن كثير رحمه الله متحدثا عن حوادث سنة ثمان وخمسين وثلثمائة عندما دخل جوهر الصقلي القائد الإسماعيلي العبيدي إلى مصر : "وأذن فيها وفي نواحيها بحي على خير العمل أكثر من مائة سنة"[4] .

---

(١) سورة الشورى : آية (٢١) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٨١-٦٠٣) .

(٣) وذلك كالصلاة جنسها مشروع لكن إحداث صلاة الرغائب بدعة وإن كانت من جنس الصلاة المشروع لكن الفرع المحدث الذي هو صلاة الرغائب بدعة لقيام الدليل على بدعتها .

(٤) البداية (٢٨٤/١/٦) .

(٥) ومن البدع التي أحدثها حكام العبيدية مانشروه من الشركيات عند أصحاب القبور ونشرهم للشرك بشتى وسائله :

قال الإمام الذهبي رحمه الله واصفا مايحدث عند قبر السيدة الصالحة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب من الشرك والاعتقاد فيها الذي يصل إلى حد الاستغاثة بها في قضاء الحوائج الذي يعتبر من صور الشرك الأكبر الصراح : "ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ولايجوز مما فيه من الشرك ويسجدون لها ويلتمسون منها المغفرة وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية"(١) .

بعض المفاسد التي جرت على المسلمين في ولاية المبتدعة من الرافضة والإسماعيلية

لقد جرى على الإسلام وأهله بلاء عظيم بسبب ولاية الرافضة والإسماعيلية لأمور المسلمين ومن ذلك ماسبق ذكره من إحداث البدع ونشرها ودعمها ونصرتها مما أدى إلى وقوع بعض الناس فيها ، إلا أن ذلك لم يكن فقط هو البلاء المقصود بل ماذكر من نشر البدع هو جزء من المفاسد التي حدثت في أيام ولاية الرافضة الإسماعيلية ، وهناك من المفاسد مالايقل خطره عن الانحراف العقدي ، ومن هذه المفاسد مايلي :

(١) انتشار المذاهب والفرق المنحرفة والعلوم الضالة :

لقد ظهرت المذاهب البدعية وأطلت برأسها في عهد الرافضة والإسماعيلية فصار للجهمية من المعتزلة ونحوهم كالقرامطة والإسماعيلية والرافضة والفلاسفة صولة وجولة .

قال ابن كثير رحمه الله واصفا ماحدث من ذلك في أيام الدولة العبيدية : "ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية"(٢) .

---

(١) السير (١٠٦/١٠) .

(٢) البداية (٢٨٧/٢/٦) .

وقال المقريزي رحمه الله عن فترة حكم الرافضة والإسماعيلية : "واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الأرض ومامنهم إلا من نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ماوقع عليه اختياره فلم تبق مصر من الأمصار ولاقطر من الأقطار إلا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا"[١] .

ولم يكن هذا الانتشار للمذاهب والفرق الضالة والهدامة في فترة حكم الشيعة فقط بل إن هذا الحال لايتم إلا إذا تولى ولاة البدعة أمور المسلمين وهذه قاعدة لاتنخرم أبدا والدليل على ذلك أنه قبيل حكم الشيعة للعالم الإسلامي وذلك إبان حكم الجهمية كالمأمون ومن سار بسيره من بني العباس انتشرت هذه البدع ، ولذلك قال المقريزي عن عهد المأمون : "وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد لما شغف بالعلوم القديمة ، بعث إلى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة ، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها فانجر على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة مالايوصف من البلاء والمحنة في الدين وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا إلى كفرهم"[٢] .

وهناك في الحقيقة سبب آخر لانتشار المذاهب البدعية غير سماح ولاة البدعة لهذه المذاهب بالانتشار ألا وهو منع أهل السنة من نشر مالديهم من الحق والهدى والنور ، وهذا مر معنا مثاله عندما منع حكام الجهمية علماء السنة من نشر الحق والعلم الموروث عن محمد ﷺ عندما لم يستجيبوا لبدعهم وباطلهم ، وتكرر هذا المثال أيضا في فترة حكم الشيعة للعالم الإسلامي وذلك فترة حكم بني بويه عندما منعوا من نشر فضائل الصحابة في الجوامع والمساجد[٣] .

---

(١) الخطط (١٩١/٤) .
(٢) الخطط (١٩١/٤) .
(٣) البداية (٢٧٧/١/٦) .

(٢) تغلب الكفرة من الفرنج وغيرهم من أعداء الإسلام على بلاد المسلمين :

من الفواقر التي ابتليت بها الأمة الإسلامية تسلط أعدائها عليها من الداخل والخارج ، فمن الداخل ولاة البدعة والضلال ، ومن الخارج أعداءها من النصارى والمشركين ، ولم يتم التسلط الظاهر والقوي لأعدائها من الخارج عليها إلا عندما استلم زمام الحكم والأمر والنهي في بلاد المسلمين من هو من أعدائها الداخليين وهم حكام البدعة والهوى والباطل .

ولقد أشار السلف رضي الله عنهم قديما إلى حرمان الله نصرة أهل البدع والضلال وعللوا ذلك بسبب ماهم عليه من البدع والمحدثات .

فلقد علل الإمام عبد الله بن عون عدم نصر الله لأهل البصرة لما فيهم من انتشار بدعة القدر فقال رحمه الله : "وإني لأظن عامة من أهل البصرة إنما يصرف عنهم النصر لما فيهم من القدرية"[١] .

وإن التاريخ ليشهد ويفضح في شهادته حكام الشيعة من الرافضة والإسماعيلية لقد شهد التاريخ أياما سوداء مرت على الأمة الإسلامية رأى فيها المسلمون كيف يستولى على ديارهم ديار التوحيد والإيمان فصارت ديارا للشرك والصلبان ، لقد شهد التاريخ كيف كانت تسفك دماء المسلمين الزكية الطاهرة وكيف كانت تسبى نساؤهم وذراريهم وتنهب أموالهم ، هذا كله تم في عهد حكم الرافضة والإسماعيلية .

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة الحاكم العبيدي المستعلي بالله أنه في أيامه أخذت ديار المسلمين من قبل الفرنج : "فأخذت الفرنج أنطاكية من المسلمين في سنة إحدى وتسعين[٢] وكان لها في يد المسلمين نحو من عشرين سنة وأخذوا بيت المقدس واستباحوه وأخذوا أيضا المغرب في سنة اثنين وتسعين ثم استولوا على مدائن وقلاع"[٣] .

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٢٩٩) تحقيق الأثيوبي .

(٢) أي إحدى وتسعين وأربعمائة .

(٣) السير (١٥/١٩٦) .

وقال رحمه الله في ترجمة الحاكم بأمر الله : "وفي دولته أخذت الفرنج طرابلس الشام وصيدا ثم قصد الملك بردويل الفرنجي ديار مصر وأخذ الفرما وهي قرية من العريش فأحرق جامعها ومساجدها وقتل وأسر ... وكان قد أخذ القدس وعكا والحصون"[١] .

وقال ابن كثير رحمه الله في وصف تسلط النصارى على المسلمين في عهد حكام الشيعة من الإسماعيلية : "وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبريه وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وأنطاكية وجميع ماوالى ذلك إلى بلاد إياس وسيس واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك وقتلوا من المسلمين خلقا وأمما لايحصيهم إلا الله وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لايحد ولايوصف وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام وأخذوا من أموال المسلمين مالايحد ولايوصف وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته"[٢] .

أما تفاصيل ماحدث للمسلمين عند استيلاء النصارى على بلادهم فإنه مما تشيب لهوله الولدان .

قال ابن كثير رحمه الله واصفا ماحدث لمدينة حلب سنة ٣٥١هـ التي كانت في حكم سيف الدولة ابن حمدان الرافضي عندما استولى عليها الروم ودخلوها : "ودخلوا البلد يقتلون من لقوه فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وانتهبوا الأموال وأخذوا الأولاد والنساء وخلصوا من كان بأيدي المسلمين من أسارى الروم وكانوا ألفا وأربعمائة فأخذ الأسارى السيوف وقاتلوا المسلمين وكانوا أضر على المسلمين من قومهم وأسروا نحوا من بضعة عشر ألفا مابين صبي وصبية ومن النساء شيئا

---

(١) السير (١٥/١٩٨) .

(٢) البداية (٦/٢/٢٨٧) .

كثيرا ومن الرجال الشباب ألفين وخربوا المساجد وأحرقوها وصبوا في جباب الزيت الماء حتى فاض الزيت على وجه الأرض وأهلكوا كل شئ قدروا عليه وكل شئ لايقدرون على حمله أحرقوه وأقاموا في البلد تسعة أيام يفعلون فيها الأفاعيل الفاسدة العظيمة"(١) .

وعندما قتل المسلمون ابن أخي صاحب الروم الملك الدمستق فغضب الدمستق قال ابن كثير عند ذلك : "وأمر بإحضار من في يديه من أسارى المسلمين وكانوا قريبا من ألفين فضربت أعناقهم بين يديه لعنه الله"(٢) .

وقال أيضا رحمه الله عن دولة بني بويه الرافضية وماحدث فيها وذلك في حوادث سنة ثمان وخمسين وثلثمائة : "وفيها عاث الروم في الأرض فسادا وحرقوا حمص وأفسدوا فيها فسادا عريضا وسبوا من المسلمين نحوا من مائة ألف إنسان فإنا لله و إنا إليه راجعون"(٣) .

وقال أيضا في حوادث سنة تسع وخمسين وثلثمائة : "وفيها دخلت الروم أنطاكية فقتلوا من أهلها الشيوخ والعجائز وسبوا الصبايا والأطفال نحوا من عشرين ألفا فإنا لله وإنا إليه راجعون" .. وذلك كله بتدبير ملك الأرض نقفور لعنه الله ، وكل هذا في ذمة ملوك الأرض أهل الرفض الذين قد استحوذوا على البلاد وأظهروا فيها الفساد قبحهم الله"(٤) .

وقال رحمه الله عن حوادث سنة أربع وخمسين وثلثمائة : "في رجب منها جاء ملك الروم بجيش كثيف إلى المصيصة فأخذها قسرا وقتل من أهلها خلقا واستاق بقيتهم معه أسرى وكانوا قريبا من مائتي ألف إنسان فإنا لله وإنا إليه راجعون"(٥) .

---

(١) البداية (٢٥٥/١/٦،٢٥٦) .

(٢) البداية (٢٥٦/١/٦) .

(٣) البداية (٣٨٣/١/٦-٣٨٤) .

(٤) البداية (٢٨٤/١/٦) .

(٥) البداية (٢٧١/١/٦) .

فهذه البلايا كلها والرزايا التي أصابت المسلمين إنما جرت على أيدي الرافضة حقيقة ومع هذا فإن القتل لمن قتل من المسلمين على أيدي الكفار إنما هو إن شاء الله شهادة في سبيل الله ، وأما الأموال التي ذهبت فيمكن تعويضها وقد تم ذلك ولله الحمد بعد ذلك على يد صلاح الدين الأيوبي وغيره ولكن هنالك ماهو أعظم ألا وهو فقد الإنسان لدينه ودخوله في دين النصارى الشركي ، وهذا يعتبر من أعظم ماجرى على المسلمين في حروبهم مع النصارى .

قال ابن كثير رحمه الله واصفا هذه المصيبة : "وتنصر خلق كثير على أيديهم فإنا لله وإنا إليه راجعون"[١] .

ومع ذلك كله فإن الناظر ليعجب أين حكام الشيعة عندما كانت تقع هذه المجازر للمسلمين وأين جيوشهم الجرارة التي كانت تحرس ملكهم وسلطانهم ، أما كانت حاضرة موجودة لتدفع عن المسلمين هذا الشر المستطير ، أم أن هنالك أسبابا منعت حكام الشيعة وجيوشهم من حماية الإسلام وأهله؟

والجواب أن الأسباب التي منعت حكام الرافضة من الحفاظ على بيضة الإسلام يمكن إرجاعها إلى مايلي :

(١) خذلان الله لحكام الشيعة وجيوشهم لما هم عليه من البدع :

إن هذه الهزائم المتتالية التي حلت بالمسلمين في زمن حكام المبتدعة من الرافضة والإسماعيلية سببه خذلان الله لولاة البدعة وذلك لما هم عليه من البدع وفشوها في الناس بسببهم ، وانتشار المعاصي والمظالم وغير ذلك .

قال ابن كثير رحمه الله معللا سبب انهزام حكام الشيعة وجيوشهم مع مشاركتها النادرة في القتال بأنه بسبب ماهم عليه من البدع : "لاجرم أن الله لاينصر أمثال هؤلاء بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم وتقليدهم سادتهم

---

(١) البداية (٢٨٥/١/٦) .

وكبراءهم وآباءهم وتركهم أنبياءهم وعلماءهم ، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام وكان فيهم الرفض وغيره استحوذ الفرنج على سواحل الشام وبلاد الشام كلها حتى بيت المقدس ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماه ودمشق وبعض أعمالها ، وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج والنواقيس النصرانية والطقوس الإنجيلية تضرب في شواهق الحصون والقلاع وتكفر في أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شرف البقاع ... وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء"[١] .

وقال أيضا رحمه الله في موضع آخر مؤكدا هذا السبب عند ترجمته لملك الأرمن الدمستق الذي استولى على بلاد الشام : "وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم ، وفشو البدع فيهم ، وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام فانتزعوا مابأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من بلاد إلى بلاد فلايبيتون ليلة إلا في خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشرور المترادفة فالله المستعان"[٢] .

ولقد أكد شيخ الإسلام رحمه الله هذا المعنى وهو خذلان الله لرافضة المبتدعة وأنه لايعرف لهم جيوش منصورة ولادنيا قائمة ولاعز مؤثل فقال رحمه الله : "ولهذا لايوجد في أئمة الفقه الذي يرجع إليهم رافضي ولا في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة جيش رافضي ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي"[٣] .

---

(١) البداية (٦/١/٢٥٦-٢٥٧) .
(٢) البداية (٦/١/٢٥٩) .
(٣) منهاج السنة (٢/٨٠-٨١) .

ولمصداق كلام أولئك الأئمة في خذلان الله للرافضة أنه في عهدهم دفعت الجزية من قبل المسلمين إلى النصارى لكي يكفوا عن حربهم للمسلمين وأخذ ديارهم وهذا مالايعرف له سابقة إلا في حكم أولئك الرافضة الضلال .

قال ابن كثير رحمه الله عن حروب النصارى لمدينة حلب وكيف أن أميرها الرافضي صالحهم على مال يحمله إليهم كل سنة لكي يرجعوا عن ملكه : "وركبوا — أي النصارى — إلى حلب ... فحاصرها الروم فأخذوا البلد وامتنعت القلعة عليهم ثم اصطلحوا مع قرعويه — أمير حلب — على هدية ومال يحمله إليهم كل سنة وسلموا إليه البلد ورجعوا عنه"[(١)] .

وهذا كله من شؤم البدع وأهلها على الإسلام والمسلمين .

(٢) أن الرافضة لاترى الجهاد إلا مع أئمتها :

وهذا السبب هو من أهم الأسباب التي جعلت الرافضة لايقومون بالجهاد مع المسلمين ضد أعدائهم من اليهود والنصارى والمشركين ، وهذا مايفسر تركهم للجهاد فهم لايرون الجهاد إلا مع أئمتهم المعصومين .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله : "وأجمعت الروافض على إبطال الخروج وإنكار السيف ولو قتلت حتى يظهر لها الإمام وحتى يأمرها بذلك"[(٢)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على كلام أبي الحسن الأشعري السابق : "قلت : ولهذا لايغزون الكفار ولايقاتلون مع أئمة الجماعة إلا من يلتزم مذهبه منهم"[(٣)] .

وقال رحمه الله أيضا : "فإن الرافضة لاترى الجهاد إلا مع إمام معصوم"[(٤)] .

---

(١) البداية (٦/١/٢٨٥) .

(٢) مقالات الإسلاميين (١/١٢٣) .

(٣) المنهاج (٣/٤٦٦) .

(٤) المنهاج (٨/٥١٨) .

وليت الرافضة اكتفوا بعدم قتال الكفار كالنصارى ونحوهم عندما غزوا بلاد المسلمين التي كانت تحت حكمهم ، بل إنهم دائما مايشكلون عبئا على أهل الإسلام وذلك من خلال دعم الرافضة لكل من حارب المسلمين من أعدائهم من النصارى والمشركين وماذلك إلا لأنهم من أهل السنة والتاريخ يشهد على تكرار خيانة الرافضة للإسلام وأهله ، فمن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وصف الرافضة : "وهم يستعينون بالكفار على المسلمين فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين كما جرى لجنكيز خان ملك التتر الكفار فإن الرافضة أعانته على المسلمين ، وأما إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء إلى خراسان والعراق والشام فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد فكانوا بالعراق وخراسان من أعظم أنصاره ظاهرا وباطنا ، وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له ابن العلقمي منهم فلم يزل يمكر بالخليفة والمسلمين ويسعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين وضعفهم ، وينهى العامة عن قتالهم ويكيد أنواعا من الكيد حتى دخلوا فقتلوا من المسلمين مايقال أنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل ولم ير في الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين فهل يكون مواليا لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين"[١] .

هذا هو حال الرافضة مع التتر عندما غزوا المسلمين ، أما حالهم مع النصارى فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله عنهم : "وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى ينصرونهم بحسب الإمكان ويكرهون فتح مدائنهم كما كرهوا فتح عكا ويختارون إدالتهم على المسلمين حتى إنهم لما انكسر عسكر المسلمين سنة غازان سنة تسع وتسعين وخمسمائة وخلت الشام من جيش المسلمين عاثوا في البلاد وسعوا في أنواع من الفساد من القتل وأخذ الأموال وحمل راية الصليب وتفضيل النصارى على المسلمين

---

(١) المنهاج (١٥٥/٥) .

وحمل السبي والأموال والسلاح من المسلمين إلى النصارى أهل الحرب بقبرص وغيرها"[١] .

بل ذكر شيخ الإسلام عنهم أنهم السبب في سقوط بيت المقدس الذي كان من عهد فتح المسلمين له على عهد عمر من بلاد الإسلام حتى دنسه النصارى في عهد حكم الرافضة لبلاد الإسلام .

فقال رحمه الله : "وهم كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديما على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم"[٢] .

ثم بين رحمه الله أن تولي الرافضة للكفار ومعاونتهم على المسلمين هو ديدنهم في كل عصر ومصر : "فهذا أمر مشهود من معاونتهم للكفار على المسلمين ومن اختيارهم لظهور الكفر وأهله على الإسلام وأهله ... والرافضة إذا تمكنوا لايتقون"[٣] .

قلت : صدق ابن تيمية رحمه الله ومن أعظم الدلائل على ذهاب تقواهم إذا تمكنوا وعظيم فجورهم واخفارهم لأماناتهم إذا حكموا ماذكره ابن كثير رحمه الله عن الملك عز الدولة بختيار بن بابويه أنه أخذ أموال المسلمين التي جمعوها وأعدوها لجهاد الروم سنة ٣٦١هـ بعدما أضر بهم النصارى قتلا وسبيا وسلبا فوضعوا تلك الأموال في يد ذلك الملك الرافضي فما كان منه إلا أن أخذها لخاصة نفسه .

قال ابن كثير واصفا ذلك الحدث : "وأرسل بختيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب منه أموالا يستعين بها على هذه الغزوة فبعث إليه يقول : لو كان الخراج يجئ إلي لدفعت منه مايحتاج المسلمون إليه ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين إليها ضرورة ، وأما أنا فليس عندي شئ أرسله إليك ، فترددت الرسل بينهم وأغلظ بختيار للخليفة في الكلام وتهدده فاحتاج الخليفة أن يحصل له

(١) المنهاج (٣٧٥/٦) .

(٢) المنهاج (٤١٤/٧) .

(٣) المنهاج (٣٧٥/٦) .

شيئا فباع بعض ثياب بدنه وشيئا من أثاث بيته ، ونقض بعض سقوف داره وحصل له أربعمائة ألف درهم فصرفها بختيار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغزاة فنقم الناس للخليفة وساءهم مافعل به ابن بويه الرافضي من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد فلا جزاه الله خيرا عن المسلمين"(١) .

(٣) ضياع الأمن وانتشار القتل والنهب وهتك الأعراض :

من البلاء الذي حل بالمسلمين في عهد حكم ولاة البدعة من الرافضة والإسماعيلية انتشار القتل والنهب وضياع الأمن ، مع كونه في الحقيقة يحدث في كل عصر وزمن ، وفي عهد كل حاكم سواء من المبتدعة أو ليس منهم لكن يكون غالبا سببه التنافس على الدنيا .

أما ماأعنيه هنا من ضياع الأمن وانتشار القتل والنهب إنما كان سببه الخلاف العقدي بين الرافضة وأهل السنة ذلك الخلاف العقدي الناتج عن انتشار البدع وفشوها بسبب دعم حكام الرافضة لها ولأتباعهم من المبتدعة وتسلطهم على أهل السنة ، ومن ذلك مااشتهر من خلاف وتناحر بين الرافضة وأهل السنة وخاصة في يوم عاشورا فيحدث الرافضة بدعهم السابقة من النوح على موت الحسين وخروج النساء سافرات عن وجوههن وشعورهن ومايصحب ذلك الحزن من سب الصحابة ولعنهم وتكفيرهم من قبل الرافضة ، وهذا مايثير غيرة أهل السنة حمية لله ولرسوله ﷺ ولأصحابه ونصرة لدينه ، ولكن ذلك قد يؤدي إلى تجاوزات غير مرضية من كلا الطرفين .

قال المقريزي رحمه الله واصفا مايحدث بين أهل السنة والرافضة من الفتن : "وكانت بينهم وبين أهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل مالايمكن حصره لكثرته"(٢) .

---

(١) البداية (٢٨٩/١/٦) .

(٢) الخطط (١٩١/٤) .

ومن الأمثلة على انتشار الفتن والقتل والنهب بسبب تولي المبتدعة لأمور المسلمين ونشرهم وحمايتهم للبدعة وأهلها مايلي :

١- ماذكره ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة خمس وأربعين وثلثمائة بقوله "ووقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم بسبب سب الصحابة من أهل قم فثاروا عليهم أهل أصبهان وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا أموال التجار ، فغضب ركن الدولة ــ بن بويه ــ لأهل قم لأنه كان شيعيا فصادر أهل أصبهان بأموال كثيرة"[1] .

٢- وقال ابن كثير رحمه الله أيضا في حوادث سنة إحدى وخمسين وثلثمائة "وفيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل البصرة بسبب السب أيضا قتل فيها خلق كثير وجم غفير"[2] .

٣- وقال رحمه الله أيضا : "ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة : في عاشر المحرم منها عملت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم في السنة الماضية فاقتتل الروافض وأهل السنة في هذا قتالا شديدا وانتهبت الأموال"[3] .

وعموما فالاقتتال بين الرافضة وأهل السنة كان يحدث تقريبا كل عام لكن يخف سنة ويعظم أخرى ولذلك ذكر المقريزي رحمه الله أنه لايمكن حصر ماكان يحدث بين الرافضة وأهل السنة من الاقتتال وذلك لكثرته وتكرره كل عام تقريبا وذلك غالبا مايكون في عزاء الحسين العاشر من محرم الذي تقيمه الرافضة كل سنة.

أما ماجره الإسماعيلية من القتل وسفك الدماء بسبب المذهب البدعي الإسماعيلي وامتحان الناس في ذلك فنذكر منه مايلي :

---

(١) البداية (٤٥/١/٦) .

(٢) البداية (٢٥٦/١/٦) .

(٣) البداية (٢٦٩/١/٦) .

١ – قتلهم وسفكهم لدماء العلماء والعباد الصالحين لأنهم رفضوا الاستجابة لما يدعوهم إليه بنو عبيد .

قال الإمام الذهبي رحمه الله : "إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت . فقال سهل الشاعر :

وأحل دار النحر في أغلاله   من كان ذا تقوى وذا صلوات

ودفن سائرهم في المنستير وهو بلسان الفرنج المعبد الكبير"[(١)] .

وهذا القتل والسفك لدماء أولئك الأعلام كان عند أول قدوم عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب ومن هؤلاء العلماء الذين قتلهم ذلك الخبيث :

الإمام الشهيد المفتي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن البردون الضبي مولاهم الإفريقي المالكي .

قال الإمام الذهبي رحمه الله عن هذا الإمام العلم في سيره : "فدارت عليه دوائر في أيام عبيد الله وضرب بالسياط ثم سعوا به عند دخول الشيعي إلى القيروان وكانت الشيعة تميل إلى العراقيين لموافقتهم لهم في مسألة التفضيل ورخصة مذهبهم ، فرفعوا إلى أبي عبد الله الشيعي أن ابن البردون وأبا بكر بن هذيل يطعنان في دولتهم ولايفضلون عليا فحبسهما ثم أمر متولي القيروان أن يضرب ابن هذيل خمسمائة سوط ويضرب عنق ابن البردون فغلط المتولي فقتل ابن هديل وضرب ابن البردون ثم قتله من الغد .

وقيل لابن البردون لما جرد للقتل : أترجع عن مذهبك؟ قال : أعن الإسلام أرجع؟ ثم صلبا في سنة تسع وتسعين ومائتين"[(٢)] .

وكذلك ممن قتل على يد عبيد الله المهدي ــ بسبب تمسكه بمذهب أهل السنة ــ الإمام أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري مولاهم القرطبي .

---

(١) السير (١٠/١٤٥) .

(٢) السير (١٤/٢١٦) .

قال الذهبي رحمه الله في سيره عن هذا الإمام : "قال بعضهم كنت جالسا عند ابن أبي خنزير فدخل شيخ ذو هيئة وخشوع فبكى ابن أبي خنزير وقال : السلطان — يعني عبيد الله — وجه إلي يأمرني بدوس هذا حتى يموت . ثم بطحه ، وقفز عليه السودان حتى مات لجهاده وبغضه لعبيد الله وجنده"(١) .

وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله واصفا ماحل بالإسلام وأهله على يد عبيد الله المهدي : "فيا مالقي الإسلام وأهله من عبيد الله المهدي الزنديق"(٢) .

ولقد أتى بعد عبيد الله المهدي من ذريته من سام المسلمين وخاصة علماء الإسلام سوء العذاب ألا وهو الحاكم بأمر الله العبيدي ، فلقد ذكر ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة أربعمائة من الهجرة بناء الحاكم بأمر الله دارا للعلم ثم مالبث أن هدمها على أهل العلم حقدا منه على علماء الإسلام .

قال ابن كثير : "وبنى الحاكم فيها دارا للعلم وأجلس فيها الفقهاء ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل خلقا كثيرا ممن كان فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير"(٣) .

بل بلغ الأمر بالحاكم أن أفسد على الناس أمر معاشهم وذلك حينما أمر بحرق مصر وذلك عن طريق عبيده ومواليه وثارت فتنة بين الناس وبين موالي الحاكم . ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله وذكر ماحدث في تلك الفتنة من القتل والنهب وهتك أعراض المسلمات على أيدي موالي الحاكم وعبيده فقال عن الحاكم "لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن يذهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا مافيها من الأموال والمتاع والحريم فذهبوا فامتثلوا ماأمرهم به فقاتلهم أهل مصر قتالا شديدا ثلاثة أيام ، والنار تعمل في الدور والحريم وهو في كل يوم قبحه الله يخرج فيقف من بعيد وينظر ويبكي ويقول : من أمر هؤلاء العبيد بهذا؟ ثم اجتمع الناس في الجوامع

---

(١) السير (٢١٧/١٤) .
(٢) السير (٢١٧/١٤) .
(٣) البداية (٣٦٥/١/٦) .

ورفعوا المصاحف وصاروا إلى الله واستغاثوا به فرق لهم الترك والمشارقة وانحازوا إليهم وقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم وتفاقم الحال جدا ثم ركب الحاكم لعنه الله ففصل بين الفريقين وكف العبيد عنهم وكان يظهر التنصل مما فعله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه وكان ينفذ إليهم السلاح ويحثهم على ذلك في الباطن ، وماانجلى الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها ، ونهب قريب من نصفها وسبيت نساء وبنات كثيرة وفعل معهن الفواحش والمنكرات حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفا من العار والفضيحة واشترى الرجال منهم من سبي لهم من النساء والحريم"(١) .

ولقد نقل الإمام الذهبي رحمه الله حقيقة الحال التي صارت إليها هذه الفتنة وماحل بالمسلمين على يد الحاكم بأمر الله العبيدي فقال رحمه الله حاكيا عن خادم الحاكم وصفه لما فعله سيده : "ولما أمر بحريق مصر واستباحها بعث خادمه ليشاهد الحال فلما رجع ، قال كيف رأيت؟ قال : لو استباحها طاغية الروم مازاد على مارأيت ، فضرب عنقه"(٢) .

هذا هو بعض ماسطره التاريخ من المصائب والفتن والبلايا التي حلت بالإسلام وأهله على أيدي ولاة البدعة من الرافضة والإسماعيلية وماخفي كان أعظم فحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) البداية (١١/٢/٩٦) .

(٢) السير (١٧٧/١٥) .

الفصل الرابع
ترجمة كتب أهل الكفر المخالفة للإسلام

التمهيد :

لانبالغ إذا قلنا أن من أعظم أسباب الضلال والوقوع في الابتداع ــ التي تعد من الأسباب الخارجة عن ذات الإنسان ــ ترجمة كتب أهل الكفر من اليونان والفرس والهند والنصارى وماشابه ذلك المخالفة للإسلام . ولقد جرت ترجمة ونقل هذه الكتب ومافيها من الضلال ، الانحراف عن الشرعة المحمدية ومن ثم الانسياق وراء علوم ضالة مضلة ، ولذلك فإن موضوع الترجمة يتعلق به جوانب كثيرة ومهمة تم حصر هذه الأمور المتعلقة بالترجمة في الأمور التالية التي من خلالها سنناقش موضوع النقل والترجمة .

أولا : أسباب النقل والترجمة

لقد ذكر كثير من الباحثين أسبابا عديدة حاولوا من خلالها إبراز ومعرفة أسباب نقل وترجمة كتب اليونان والفرس وغيرهم إلى اللسان العربي ، وفي الحقيقة ليس هناك سبب واحد يقف وراء ظهور حركة النقل والترجمة ، بل هنالك أسبابا عديدة ساهمت وساعدت على الإقبال على نقل وترجمة كتب أهل الكفر والضلال فمن هذه الأسباب مايلي :

(١) الكيد للإسلام وأهله وذلك بإفساد عقائدهم ودينهم :

عز على الكفار من الفرس والنصارى ومن نحى نحوهم أن يروا الإسلام وأهله في عافية من علومهم الضالة المضلة فما لبثوا أن سعوا بترجمتها للمسلمين إمعانا منهم في إفسادهم وإضلالهم ، ويشهد لهذا قول الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد الفقيه المالكي فإنه قال رحمه الله : "رحم الله بني أمية لم يكن فيهم خليفة

ابتدع في الإسلام بدعة ، وكان أكثر عمالهم وأصحاب ولايتهم العرب فلما زالـــت الخلافة عنهم ودارت إلى بني العباس قامت دولتهم بالفرس وكانت الرياسة فيهم وفي قلوب أكثر الرؤساء فيهم الكفر والبغض للعرب ودولة الإسلام فأحدثوا في الإســلام الحوادث التي تؤذن بهلاك الإسلام ، ولولا أن الله تبارك وتعالى وعد نبيه ﷺ أن ملته وأهلها هم الظاهرون إلى يوم القيامة لأبطلوا الإسلام ولكنهم قد ثلموه وعوروا أركانه ، والله منجز وعده إن شاء الله ، فأول الحوادث التي أحدثوها إخراج الكتب اليونانية إلى أرض الإسلام فترجمت بالعربية وشاعت في أيدي المسلمين"[1] .

فهذا مثال واحد على كيد صنف من أعداء الإسلام للإســلام هــم الفــرس وسيظهر ذلك جليا عندما نتحدث عن تاريخ الترجمة وأجناس وديانة النقلة والمترجمين .

(٢) الاختلاط بين المسلمين والنصارى والفرس ونحوهم :

كان لاختلاط المسلمين عندما فتحوا البلدان بأهل تلك البلدان من النصــارى والفرس ونحوهم ودخولهم معهم في نقاشات ومجادلات عقدية دور في النقل والترجمة لأنهم يسمعون من مجادليهم من النصارى وغيرهم استدلالات منطقية وعلوم يونانيــة فكان هذا النقاش والجدال الشفوي الذي يحمل في طياته علوم اليونان ونحوهم دافعــا لهم للاطلاع على كتب اليونان فكان هذا سببا في نقلهم وترجمتهم لكتب اليونــان والفرس ونحوهما[2] .

---

(١) صون المنطق والكلام للسيوطي (ص٦،٧) .

(٢) انظر : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون لعمر فروخ (ص٢٧٠) ، تاريخ العلوم عند العــرب لعمر فروخ وزملائه (ص٤٢٥) ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ورجالهــا لعبــده الشمالي (ص١٥٤،١٥٥) .

(٣) حاجتهم إلى بعض علوم اليونان التي ليست عندهم :

جاء الإسلام بفروض كثيرة من الصيام والصلاة والحج مما يحتاج إلى حسبان وتقويم ، فاحتاج المسلمون إلى علوم تسهل عليهم هذا الحسبان فنقلوا إلى العربية كتب الرياضيات والفلك خاصة وكذلك احتاجوا في أول أمرهم إلى الطب ، لأن الطب العربي كان مبنيا على الاختبار وحده لا على العلم والاختيار معا وكان يصيب أحيانا إلا أن المعالجة به لم تكن دائما ذات نتائج سريعة .

وكما كانت الحاجة إلى الرياضيات والحساب أيضا في تنظيم مالية الدولة العباسية التي كانت غنية وافرة الخراج فقرب الخلفاء العباسيون علماء الرياضيات وشجعوهم على الترجمة وبذلوا مالا كثيرا في سبيل نقل الحساب من الهندية واليونانية إلى العربية[١] .

كما احتاجوا أيضا إلى نقل الهندسة من علوم اليونان وذلك لبناء الجسور والسدود وشق الطرقات ورفع الصروح وماإليها .

(٤) حب الاستطلاع والمعرفة لما عند الغير :

قد تكون الحاجة السابقة الذكر ليست موجودة عند بعض من نقل وترجم كتب اليونان وإنما هو حب الاستطلاع والمعرفة لما عند الغير ، وهو مانسميه بالترف الفكري والعقلي ، والإنسان عدو مايجهل فلقد قاد هذا الترف الفكري والعقلي إلى مصائب عقدية لايعلم مداها إلا الله[٢] .

(٥) الأمهات :

من أبرز العوامل التي دفعت الخلفاء العباسيين إلى الاهتمام بالعلوم وتشجيع العلماء والمترجمين أنهم تأثروا بأمهاتهم وكان معظمهن من الأعجميات الراقيات ،

---

(١) تاريخ الفكر العربي (ص٢٧٠) ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية (ص١٥٦) .

(٢) تاريخ الفكر العربي (ص٢٧١) .

ومن طبيعة الأم أن تحدث أولادها عن خؤولتهم ، إخوتها وتدفعهم إلى حبهم والتشبه بهم فقرب الخلفاء العباسيون أخوالهم وكان بعض هؤلاء من الفرس المثقفين فقربوا هم أبناء جلدتهم إرضاء لعصبيتهم الفارسية واتسع نفوذهم في البلاط العباسي[١] .

(٦) ضعف تمسك المسلمين بدينهم ونقص الشعور بكفايته دينا ودنيا :

من أعظم الأسباب الداعية إلى ترجمة كتب اليونان ونحوهم هو ضعف الإيمان والتمسك بالدين لمن سارع لاهثا وراء كتب اليونان مبتغيا مافيها من العلوم الضالة إضافة إلى ذلك الإعجاب الشديد بعلوم اليونان التي يرى فيها من الغناء والكفاية مالايراه فيما أتى به الدين ، وأنا هنا لاأتحدث عن العلوم العملية كالطب والفلك والهندسة ، بل إنهم شعروا بالاستغناء بعلوم اليونان عن علوم الإسلام حتى في القضايا العقدية والفكرية والأخلاقية والسلوكية ، وهذا هو بيت القصيد وقطب الرحى الذي من خلاله انجر البلاء على المسلمين فانحرفت عقائد من نظر في علوم اليونان نظر المعجب بها والمعظم والمصدق لكل مايقولونه ، ولذلك سارع بعض الخلفاء كالمنصور الخليفة العباسي الثاني إلى ترجمة كتب علم التنجيم وذلك لاعتقاده صحتها وشعوره بالحاجة إليها لمعرفة عقبى كل حرب ، وخير الأوقات لإعلانها ووقفها ، ولإفساد مايدبره خصومه ضده من انقلابات داخلية ، ولاختيار الوقت الملائم لبناء بغداد وغير ذلك[٢] .

---

(١) دراسات في الفلسفة العربية الإسلامية (ص١٥٥،١٥٦) .

(٢) المصدر السابق (ص١٥٧) .

ثانيا : النقلة أو المترجمين

لم تنقل كتب اليونان والفرس والهند ونحوهم عن طريق العرب بل كانت عن طريق النقلة أو المترجمين الذين يتقنون لغات الكتب المترجمة واللغة العربية ، وعند النظر في نوعية أولئك المترجمين وأديانهم يمكن تقسيمهم إلى مايلي :

(أ) **النقلة النصارى :**

لقد قام النصارى بدور كبير في ترجمة كتب اليونان ونخص من النصارى الأطباء منهم والقسس والرهبان الذين كان لهم الدور الفاعل والمهم في النقل والترجمة . ولقد ذكر ابن النديم عددا من أولئك فذكر منهم : "أصطفن القديم ونقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها ، البطريق وكان في أيام المنصور وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة ، ابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق وكان في جملة الحسن بن سهل ، الحجاج بن مضر فسر للمأمون وهو الذي نقل المجسطي واقليدس ، ابن ناعمه واسمه عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي ، سلام الأبرش من النقلة القدماء في أيام البرامكة ، ويوجد بنقله السماع الطبيعي ، وحبيب بن بهريز مطران الموصل فسر للمأمون عدة كتب"[١] .

وممن ذكرهم أيضا ابن النديم من مترجمي النصارى ممن كان له دور في هذا الموضوع وترجم لهم في كتابه :

- **حنين بن إسحاق العبادي :**

ويكنى أبا زيد ، والعباد نصارى الحيرة وكان فاضلا في صناعة الطب فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية ، دار البلاد في جمع الكتب القديمة ودخل بلد الروم وأكثر نقوله لبني موسى وتوفي يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين"[٢] .

---

(١) الفهرست لابن النديم (ص٣٠٢) .

(٢) الفهرست (ص٣٥٦) .

ومن الكتب التي ترجمها لليونان كتاب الجمهورية والنواميس لأفلاطون ، وترجم لأرسطو المنطق (المقولات ، البرهان ، المغالطات ، الجدل) وجزء من كتاب مابعد الطبيعة[١] .

- ابنه إسحاق بن حنين :

هو أبو يعقوب : إسحاق بن حنين بن إسحاق ، شهد أيام المعتمد والمعتضد والمقتدر فعاش إسحاق طويلا وفلج في آخر أيامه ثم توفي سنة ٢٩٨هـ ببغداد ، وكان إسحاق مثل أبيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها ، إلا أن نقله للكتب الطبية قليل نادر بالنسبة إلى مايوجد من كثرة نقله من كتب أرسطوطاليس في الحكمة وشروحها إلى لغة العرب ، فله من كتب الفلسفة اليونانية التي ترجمها : اختصار كتاب اقليدس ، كتاب المقولات ، كتاب إيساغوجي ، كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم ، مقالة في التوحيد[٢] .

- قسطا بن لوقا :

يوناني الأصل ولكنه ولد سنة ٢٠٥هـ في بعلبك فعرف بالبعلبكي ، ولما شب ذهب إلى آسية الصغرى ليدرس ثم عاد إلى العراق وقد جلب معه تصانيف يونانية كثيرة واستقر في بغداد لينقلها من اليونانية إلى العربية ، توفي سنة ٣٠٠هـ ، ولقد برع قسطا في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والموسيقى وترجم قطعة من الكتب القديمة منها كتاب الفرق بين النفس والروح ، وكتاب الجزء الذي لايتجزأ[٣] .

(١) دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية (ص١٦١-١٦٢) .

(٢) انظر : الفهرست (ص٣٦٠) ، تاريخ الفكر العربي (ص٢٨١-٢٨٢) .

(٣) الفهرست (ص٢٥٦) ، دراسات في الفلسفة الغربية الإسلامية (ص١٦٥) ، تاريخ الفكر العربي (ص٢٨٢) .

- يحيى بن عدي :

أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي ، ولد في تكريت على دجلة في الشمال من العراق ودرس اللغتين السريانية والعربية وتتلمذ على الطبيب النسطوري متى بن يونس وعلى الفارابي وذلك ببغداد ، وكان يحيى بن عدي يعقوبي النحلة ، دافع عن إيمان الكنيسة السريانية والمعتقدات النصرانية ولاسيما فيما يتعلق بالتثليث وقد انتهت إليه رئاسة أهل المنطق في أيامه فترجم كثيرا من كتب الفلسفة اليونانية منها : المقولات والمغالطات وماوراء الطبيعة لأرسطو ، وشروح الاسكندر الافروديسي لفلسفة أرسطو ، ونقل كتب أفلاطون وخصوصا القوانين ، فساعد على نشر الفلسفة في عصره ، توفي يحيى بن عدي في بغداد وذلك في سنة ٣٦٣هـ وله من العمر إحدى وثمانون سنة[١] .

(ب) النقلة الفرس :

ذكر منهم ابن النديم :

"ابن المقفع ، الحسن بن سهل ، إسحاق بن يزيد نقل من الفارسي إلى العربي فمما نقل كتاب سيرة الفرس المعروف باختيار نامه ، ومن نقلة الفرس محمد بن الجهم البرمكي ، هشام بن القاسم"[٢] .

ومن أشهر هؤلاء المترجمين الفرس :

- عبد الله بن المقفع :

فهو مجوسي الديانة ، فارسي الأصل ، أسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح وكتب له واختص به وكان فاضلا بارعا فصيحا ، ولد سنة ١٠٦هـ ، وتوفي سنة ١٤٥هـ . أمر المنصور بإهلاكه فقتله نائب البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فقطعه ورمى به في التنور .

---

(١) الفهرست (ص٣٢٤) ، دراسات في الفلسفة الإسلامية (ص١٦٦) ، تاريخ الفكر العربي (ص٢٨٣) .

(٢) الفهرست (ص٣٠٣) .

ولقد ترجم ابن المقفع كتب الفرس المجوس إلى اللغة العربية ومن ذلك كتاب كليلة ودمنة .

قال الإمام الذهبي رحمه الله : "وكان ابن المقفع يتهم بالزندقة وهو الذي عرب كليلة ودمنة ، وروي عن المهدي قال : ماوجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع"[١] .

(ج) النقلة من الهند والنبط والصابئة :

وممن كان لهم دور في حركة النقل والترجمة بعض الهنود والنبط والصابئة ، وهولاء كان لهم أثر محدود ليس كأثر النصارى والفرس في الترجمة ، ولقد ذكر ابن النديم أسماء بعض هؤلاء النقلة :

فمن الهنود : ابن دهن الهندي ، ومنكه الهندي .

ومن النبط : ابن وحشية :

واسمه أبو بكر أحمد بن علي بن المختار الكسداني الصوفي ، ومعنى كسداني : نبطي ، وكان يدعي أنه ساحر يعمل أعمال الطلسمات ويعمل الصنعة ، ومن الكتب التي نقلها من اللسان النبطي إلى العربي وهي كثيرة جدا : كتاب في الشعوذة والسحر هو كتاب حناطوثي أبايع الكسداني في النوع الثاني من الطلسمات[٢] . وهذا الكتاب في السحر والشعوذة والعياذ بالله.

ومن الصابئة : ثابت بن قرة :

هو أبو الحسن ثابت بن قرة بن مروان ، مولده سنة إحدى وعشرين ومائتين وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين ، كان صيرفيا فصحب ابن شاكر وكان يتوقد ذكاء فبرع في علم الأوائل وصار منجم المعتضد فكان يجلس مع الخليفة ووزيره واقف ونال من الرئاسة والأموال فنونا[٣] .

---

(١) السير (٦/٢٠٨) ، البداية والنهاية (٥/٢/٩٨) ، الفهرست (ص٢٠٢) .

(٢) الفهرست (ص٣٠٣،٣٠٤،٣٧٨) .

(٣) الفهرست (ص٣٣٣) ، السير (١٣/٤٨٥) .

قال فيه ابن خلكان : "وكان الغالب عليه الفلسفة"[١] .

وقال فيه الذهبي : "فابن قره هو أصل رئاسة الصابئة المجددة بالعراق"[٢] .

وكان من جهوده في الترجمة أن أعاد وهذب ونقح كتاب اقليدس الذي عربه حنين بن إسحاق العبادي فأوضح منه ماكان مستعجما ، وعموما ارتفعت منزلة الصابئة في العراق بسبب ثابت بن قرة وصارت لهم منزلة عظيمة عند الخليفة المعتضد[٣] .

---

(١) وفيات الأعيان (١/٣١٣) .

(٢) السير (١٣/٤٨٥) .

(٣) انظر : وفيات الأعيان (١/٣١٣) ، البداية (٦/١/٩١) ، شذرات الذهب (١/١٩٦) .

ثالثا : نوعية الكتب المترجمة

لقد شملت حركة الترجمة والنقل لكتب اليونان والفرس والهنود والصابئة وغيرهم كل مجالات العلوم النظرية منها والعملية ، فترجمت كتب الحساب والهندسة والجبر والطبيعيات والفلك والكيمياء وعلم النبات وعلم الحيوان والطب والصيدلة والموسيقى والفلسفة بشتى أقسامها والمنطق وتاريخ الأمم الغابرة وأديانهم ومذاهبهم وكل شئ يتعلق بهم حتى كتب السحر والشعوذة كان لها نصيب وحظ من الترجمة ، لكن يجب أن نتنبه لقضية معينة ، وهي أن ترجمة الكتب مرت بمرحلتين :

المرحلة الأولى : وكانت الترجمة فيها قاصرة في الغالب على العلوم العملية كالحساب والطب والهندسة والفلك ونحو ذلك ، وإن كان ترجم بعض كتب العقائد والشرائع والأخلاق للأمم الكافرة .

المرحلة الثانية : ترجم فيها كل مايتعلق بحياة وفكر أولئك الأمم فترجم المسلمون كل شئ مما يحتاج إليه ومالايحتاج إليه كالفلسفة والمنطق وكتب السحر وكل مايتعلق بالالهيات ومابعد الطبيعة ، أي الأمور الغيبية .

وهنا انجر على المسلمين فساد عظيم وفتح عليهم باب شر كبير ، لأن هذه الكتب النظرية التي يدخل فيها ماذكر من الكتب السابقة في هذه المرحلة الثانية تحمل في طياتها عقائد ومذاهب وأفكار وأساليب التفكير لدى الأمم السالفة من اليونان والفرس والهنود ونحوهم ، فبدأ الناس مثلا يتحدثون عن الفكر اليوناني تحدث المعجب والمغرم بما لديهم من أفكار وأنماط وطرق وأساليب في الفكر فتأثر الناس بهم في ذلك إلا من رحم الله ، وهذا الأثر السئ موجود حتى في الكتب العلمية فإنه مامن كاتب في علم من العلوم العملية إلا وهو مستصحب لأفكاره وعقائده التي من خلالها يقيس العلوم التي يتعلمها ، وهذا قد نلمسه في علم الفلك والطب ونحوهما .

ولكن يظهر هذا الأثر السئ والانحراف العقدي بصورة واضحة عندما ترجم ماله علاقة بالإلهيات والغيب كعلوم الفلسفة والمنطق ونحوهما .

وسنعرض إن شاء الله بصورة أوضح لأثر الترجمة في الإضـــــلال والوقـــوع في البدعة وذلك فيما يأتي إن شاء الله[1] .

(١) انظر : مقدمة في الفلسفة الإسلامية (ص٦٥-٦٦) ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإســـلامية (ص١٧٨) .

رابعا : مراحل تاريخ الترجمة

لقد مرت الترجمة بمراحل وأطوار مختلفة فكان لكل مرحلة من هذه المراحل طابعها الخاص والمتميز . ويمكن لنا أن حصر مراحل تاريخ الترجمة إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة الترجمة الفردية :

قام بعض الأفراد بتبني الترجمة لبعض كتب اليونان والفرس والهند ونحوها ، ومن أبرز من ذكرهم التاريخ من أولئك الأفراد :

خالد بن يزيد بن معاوية :

يعتبر خالد بن يزيد أول من عرف عنه الترجمة في الإسلام .

قال ابن النديم : "كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا في نفسه وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي ، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة"(١) .

وذكر ابن النديم أيضا عن محمد بن إسحاق أنه قال : "الذي عني بإخراج كتب القدماء في الصنعة : خالد بن يزيد بن معاوية وكان خطيبا شاعرا فصيحا حازما ذا رأي ، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء .

وذكر ابن النديم أنه رأى من كتبه المؤلفة في الكيمياء كتاب الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبير ، كتاب الصحيفة الصغير ، كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة"(٢) .

---

(١) الفهرست (ص٣٠٠) .

(٢) الفهرست (ص٤٣٤) .

وممن ذكر ثبوت الترجمة عن خالد بن يزيد بن معاوية ابن خلكان في ترجمته لخالد بن يزيد[١] .

ومع هذا فإن الإمام الذهبي رحمه الله ذكر كلام ابن خلكان عندما ترجم الذهبي لخالد بن يزيد ونفى أ ن يكون خالد ممن صح عنه شئ من ترجمة كتب اليونان أو غيرهم[٢] .

ولكن وقوف ابن النديم على شئ من رسائل خالد في الصنعة يقوى القول بأنه كان له دور في تاريخ الترجمة لأنه استقى رسائله المؤلفة مما أمر بترجمته من كتب اليونان والقبط إلى لسان العرب[٣] .

المرحلة الثانية : مرحلة الترجمة الرسمية من قبل الدولة العباسية :

تتميز هذه المرحلة بأنها مرحلة الترجمة الرسمية التي قامت بها الدولة العباسية ورعتها أتم رعاية فبذلت الأموال الطائلة في سبيل الحصول على كتب اليونان والفرس والهنود والقبط وغيرهم ، وسعت السعي الحثيث لترجمتها وإنشاء دور متخصصة ومكاتب تم فيها الترجمة فيما عرفت بعد ذلك "ببيت الحكمة" والإيعاز إلى المترجمين بالعمل المتقن في الترجمة ووعدوهم بإعطائهم الأموال الكثيرة في سبيل ذلك .

ويمكن أن تقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول : من خلافة أبي جعفر المنصور إلى آخر عهد الرشيد (١٣٦-١٩٣هـ) :

ومن أبرز رواد هذا الدور :

---

(١) وفيات الأعيان (٢/٢٢٤) .

(٢) السير (٤/٣٨٤) .

(٣) انظر : فجر الإسلام لأحمد أمين (ص١٣٣،١١٤) .

(١) أبو جعفر المنصور :

يعتبر أبو جعفر المنصور ممن ساهم في هذا الدور بالترجمة وذلك من خلال ترجمته لكتب الطب والفلك ، وكان السبب الذي دعاه إلى الاهتمام بالترجمة أنه كان مريضا ممعودا وقد اشتد عليه الداء حتى كان لايستمرئ طعامه ، وامتنع على الأطباء شفاؤه فاستقدم رئيس بيمارستان جنديسابور جورجيوس بن بختشيوع النسطوري النصراني وشفي بعلاجه فأكبر الطب وعظم رجاله وأمر بنقله إلى اللغة العربية ليواصل العناية بصحته .

وتولى جورجيوس نقل الطب إلى العربية ، وكان عمله نقطة انطلاق .

ووفد على المنصور رجل هندي يحمل مقالتين إحداهما رياضية والثانية فلكية وأدت ترجمة الأولى بأمر الخليفة إلى نشر الأرقام الهندية ، وعزز تعريب الثانية علم التنجيم وقد اعتقد المنصور صحته واشتهر ذلك عنه حتى قال فيه الذهبي : "وقد كان المنصور يصغي إلى أقوال المنجمين وينفقون عليه"[١] .

ولقد سعى المنصور إلى ترجمة بعض كتب التنجيم التي كانت في الأصل أحد علوم الفلك[٢] .

(٢) يحيى بن خالد البرمكي (وفاته ١٩٠هـ) :

يعتبر يحيى بن خالد البرمكي الوزير في عهد هارون الرشيد والمسير لأمور الدولة العباسية وذلك حينما فوض إليه الرشيد مقاليد الأمور أهم الشخصيات المهمة التي كان لها دور فعال ومؤثر في حركة الترجمة في هذا الدور خاصة .

فلقد ذكر ابن النديم أنه ممن اهتم بترجمة كتب الهند فقال : "قال محمد بن إسحاق الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند وإحضارها علماء طبها وحكمائها"[٣] .

---

(١) السير (٨٨/٧) ، الشذرات (٢٤٤/١) .

(٢) انظر : ضحى الإسلام (ص٢٦٤-٢٦٦) ، دراسات في الفلسة العربية الإسلامية (ص١٥٦) .

(٣) الفهرست (ص٤٢١) .

والحق يقال أن البرامكة وخاصة يحيى بن خالد لم يكن اهتمامهم محصورا بترجمة كتب الهند فقط بل شمل ذلك حتى كتب اليونان والفرس ، ومما يدل على ذلك ماذكره ابن النديم من أن أول من اهتم وعني بتفسير كتاب المجسطي وإخراجه للعربية يحيى بن خالد فقال : "وأول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك ففسره له جماعة فلم يتقنوه ولم يرض بذلك فندب لتفسيره أبا حسان ، وسلم صاحب بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه"[(١)] .

ومن شدة عناية البرامكة بالترجمة إنشاؤهم في عهد الرشيد لمكان خاص بالترجمة يتفرغ فيه المرتجمون لترجمة الكتب المختلفة العلوم ، وسمي ذلك المكان ببيت الحكمة[(٢)] .

ويتميز هذا الدور باهتمامهم بالعلوم العملية كالطب والفلك ، وترجم أيضا بعض كتب المنطق والفلسفة ولكنها قليلة .

الدور الثاني : من عهد المأمون (١٩٨-٣٠٠هـ) :

يعتبر هذا الدور أو المرحلة في تاريخ الترجمة من أخصب وأوسع المراحل التي تمت فيها الترجمة ، ورائد الترجمة في هذا الدور هو الخليفة العباسي المأمون ، فلقد تواتر عن المأمون اهتمامه وسعيه الحثيث لترجمة كتب اليونان والفرس وغيرهم حتى اشتهر ذلك عنه فكأنما لم يترجم قبل هذا الدور شئ ، والسبب في ذلك أنه ترجم في هذه المرحلة كل شئ من علوم اليونان والفرس والهنود والصابئة وغيرهم ، فترجمت كتب الفلسفة والمنطق وكان لها النصيب الأكبر والحظ الوافر من الترجمة ، واهتم بها اهتماما بالغا ، إضافة إلى ترجمة كتب الأخلاق والتاريخ والسير وأحوال تلك الأمم الكافرة الغابرة ، وكتب الطب والفلك والهندسة وسائر العلوم . هذا الانفتاح على الترجمة هو الذي ميز هذا الدور عن الدور الأول الذي اقتصرت فيه الترجمة غالبا على العلوم العملية .

---

(١) الفهرست (ص ٣٢٩) ، ضحى الإسلام (١٩٣/١) ، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (ص ٩) .

قال ابن النديم متحدثا عن رائد الترجمة في هذا الدور المأمون ومبينا كيف تمت الترجمة في عهده : "فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ مامن مختار من العلـــوم القديمـــة المخزونة المدخرة ببلد الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم فأخذوا مما وجدوا مااختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل"(١) .

وقال الإمام الذهبي رحمه الله متحدثا عن دور المأمون في الترجمـــة وذلـــك في سياق حديثه عن تاريخ ظهور البدع : "فظهر المأمون الخليفة ــ وكان ذكيا متكلما له نظر في المعقول ــ فاستجلب كتب الأوائل وعرب حكمة اليونان وقام في ذلـــك وقعد وخب ووضع"(٢) .

وقال الإمام المقريزي رحمه الله : "وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد لما شغف بالعلوم القديمة بعث إلى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة"(٣) .

الدور الثالث : من أتى بعد هؤلاء :

ومن أشهر المترجمين فيه الذين ساهموا في الترجمة وكان لهم دور بارز :

متى بن يونس كان في بغداد سنة ٣٢٠هـ ، وسنان بن ثابت بن قرة مـــات سنة ٣٦٠هـ ، ويحيى بن عدي سنة ٣٦٤هـ ، وابن زرعة سنة ٣٩٨هـ .

وأهم ماترجموا الكتب المنطقية والطبيعية لأرسطو وتفسيرها(٤) .

---

(١) الفهرست (ص٣٠١) .

(٢) السير (٢٣٦/١١) .

(٣) الخطط (١٩١/٤) .

(٤) انظر : ضحى الإسلام (٢٦٥/١) ، السير (٢٧٣/١٠) .

خامسا : دور الترجمة في إيقاع الناس في البدع والضلالات

كثيرا ماتحدث علماء الإسلام عن الآثار السلبية المصاحبة للترجمة من حيث تسببها في وقوع كثير من الناس في البدع ولذلك حذروا من تعاطي ودراسة كتب اليونان والفرس والهنود وخاصة ماكان له علاقة بمسائل الاعتقاد والأخلاق والتشريع.

وممن بين آثار الترجمة السيئة في الأمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الخبير بما جرته تلك الترجمة من الخطر فقال رحمه الله متحدثا عن دولة أبي العباس المأمون "وعرب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ماانتشر بسببه مقالات الصابئين وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة ، فلما ظهر ماظهر من الكفر والنفاق في المسلمين وقوي ماقوي من حال المشركين وأهل الكتاب ، كان من أثر ذلك : ماظهر من استيلاء الجهمية والرافضة ، وغيرهم من أهل الضلال ، وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلا وعدلا وإنما هو جهل وظلم ، إذ التسوية بين المؤمن والمنافق ، والمسلم والكافر أعظم الظلم ، وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل فتولد من ذلك محنة الجهمية حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته"(١) .

فهنا أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى ماجرته تلك الكتب الضالة المترجمة على المسلمين من انتشار المذاهب البدعية كنفي الصفات الثابتة لله وانتشار المذاهب الكفرية كمذاهب الصابئة وماظهر من إعزاز لأهل الشرك وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال ، وهذا كله بسبب رواج كتب أهل الكفر والنفاق التي ترجمت في التاريخ الإسلامي .

(١) مجموع الفتاوى (٢١/٤) .

وممن أشار أيضا إلى إضلال الكتب المترجمة للناس ولمن وقع أيضا في بدع سابقة فزادتهم بدعا على بدعهم ، وضلالا على ضلالهم الإمام المقريزي ، فلقد قال رحمه الله واصفا ماجرته الترجمة في عهد المأمون : "فانتشرت مذاهب الفلسفة في الناس واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار ، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها فانجر على الإسلام وأهله من علوم الفلسفة مالايوصف من البلاء والمحنة في الدين ، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا إلى كفرهم"(١) .

وقال أيضا الإمام السفاريني رحمه الله واصفا الترجمة في عهد المأمون وماجرته من البدع : "وبسبب ذلك حدثت الفتن بين المسلمين والبغي على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء ، وكثرت الوقائع والاختلافات"(٢) .

من خلال كلام الأئمة السابق نستفيد فائدة مهمة وهي تأكيد دور الترجمة وأثرها الواضح في إيقاع الناس في البدع ، ولكن لايتم لنا تصور هذا الدور أو الأثر للترجمة تصورا تاما إلا بعرضنا لأمثلة لضحايا الترجمة ممن زادتهم ترجمة كتب أهل الكفر بدعا على بدعهم ، وضلالا على ضلالهم .

بعض الأمثلة لضحايا الترجمة :

أولا : أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبيدالله العلاف المعتزلي (١٣٥-٢٢٦هـ)

لقد تشبع أبو الهذيل العلاف من العلوم الفلسفية تشبعا تاما ، وهذا التشبع أو الإلمام بالمذاهب الفلسفية لايوقع بذاته في البدع لمن كان محصنا منها وذلك بتمسكه بمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم ، وإنما يتأثر بعلوم الفلسفة وينقاد لأفكارها المنحرفة من كان بعيدا عن منهج السلف رضي الله عنهم ، وهذا هو حال أبي الهذيل العلاف ، فلقد عاد عليه تشبعه بالفلسفة وإلمامه بها إلى انحراف عقدي أضر به كثيرا ، بل إن أبا الهذيل العلاف يعتبر أول من مزج علم الكلام بالفلسفة اليونانية

---

(١) الخطط (١٩١/٤) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (١١/١) ، وانظر : نشأة الفكر الفلسفي (١١٠،٥٣،٥٢/١) ، فجر الإسلام (ص١٢٨) ، المقدمة لابن خلدون (ص٤٤١) .

قال صاحب كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام عن أبي الهذيل : "كـــان نقطة التحول الكبرى من المذهب المعتزلي الأول الساذج إلى المذهب المعتزلي الفلسفي القائم على أسس منهجية ثابتة"[١] .

وقال صاحب كتاب ضحى الإسلام عن أبي الهذيل : "كان رئيس الاعتزال في عصره وإليه يرجع الفضل في تطعيم مبادئ الاعتزال بمبادئ الفلسفة"[٢] .

وقال عنه أيضا : "وقد اقتبس أبو الهذيل مسائل كثيرة من الفلســـفة اليونانيـــة طبيعية وإلهية وربما كان هو أول من أثارها في الإسلام وتبعه الناس بعد"[٣] .

أما الأمثلة الدالة على تأثر أبي الهذيل بالفكر الفلسفي وتبع في أقوالـــه تلـــك فلاسفة اليونان فمنها مايلي :

(١) قوله بأن صفات الله هي الله تعالى :

قال أبو الحسن الأشعري عن مذهب العلاف في هذه المسألة : "فقال شيخهم ـــ أبو الهذيل العلاف ـــ : إن علم الباري سبحانه هو هو وكذلك قدرتـــه وسمعـــه وبصره وحكمته وكذلك كان قوله في سائر صفات ذاته"[٤] .

ثم قال الإمام أبو الحسن الأشعري مبينا مصدر قوله هذا ومن أيـــن أخـــذه : "وهذا أخذه أبو الهذيل عن أرسطاطاليس وذلك أن أرسطاطاليس قال في بعض كتبه : إن الباري علم كله ، قدرة كله ، حياة كله ، سمع كله ، بصر كله ، فحسن اللفظ عند نفسه وقال : علمه هو هو وقدرته هي هو"[٥] .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/٤٤٤) .
(٢) ضحى الإسلام (٣/٩٨) .
(٣) ضحى الإسلام (٣/١٠٣) .
(٤) مقالات الإسلاميين (٢/١٧٧) .
(٥) مقالات الإسلاميين (٢/١٧٨) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره لكلام أبي الحسن الأشعري السابق : "قلت : هو قول أرسطو وأصحابه إن العقل والعاقل والمعقول شئ واحد"(١)

ولقد ذكر هذا المذهب عن أبي الهذيل العلاف وتأثره فيه بالفكر اليوناني الإمام الشهرستاني وذلك عندما ذكر بعض ماانفرد به أبو الهذيل عن المعتزلة فقال : "الأولى : أن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته ، وإنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لاكثرة فيها بوجه وإنما الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته بل هي ذاته وترجع إلى أسلوب أو اللوازم"(٢) .

فمن خلال كلام الأئمة السابق تبين لنا تأثر أبي الهذيل العلاف بالفكر الفلسفي اليوناني في مسائل الصفات وذلك من خلال نفيها عن الله سبحانه وتعالى.

(٢) قوله بالجزء الذي لايتجزأ :

يعتبر أبو الهذيل العلاف أول من وضع مذهب الجزء الذي لايتجزأ في الإسلام فاشتهر عنه القول بهذا المذهب وأخذه عنه المعتزلة وغيرهم من المتكلمين .

قال صاحب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : "إن أبا الهذيل هو أول من وضع مذهب الجزء الذي لايتجزأ في الإسلام"(٣) .

- تعريف الجزء الذي لايتجزأ :

يعرف الجزء الذي لايتجزأ عند المتكلمين بأنه : "جوهر ذو وضع لايقبل الانقسام أصلا لا بحسب الخارج ، ولا بحسب الوهم أو الفرض العقلي تتألف

---

(١) التسعينية (٢/٣٨٨) .

(٢) الملل والنحل (ص٤٩-٥٠) .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي (١/٤٤٥) .

الأجسام من أفراده بانضمام بعضها إلى بعض"[١] .

– أما تصور العلاف لهذا المذهب الذي قال به فهو على النحو التالي :

يرى أبو الهذيل أن العالم يتكون عنده من عدد من الذرات أو الجواهر الفردة أو الأجزاء التي لاتتجزأ ، وهذه الجواهر أو هذه الأجزاء بسيطة لاتركيب فيها فعندما تتحرك هذه الجواهر وتتجمع يحدث الكون وعندما تنفصل عن بعضها يحدث الفساد[٢] .

– مصدر مذهب الجزء الذي لايتجزأ عند العلاف :

من غير الممكن أن تكون فكرة الجزء الذي لايتجزأ نابعة من عقل وفكر العلاف ، أو أنها من بنيات أفكاره ، ومن يحاول القول بذلك فإن صاحب كتاب نشأة الفكر الفلسفي يقول عنه : "من خرق القول أن نقول إن أبا الهذيل العلاف اكتشفها فإن للنظرية سوابق كبرى في تاريخ الفكر الفلسفي عامة"[٣] .

إذا فإن لأبي الهذيل العلاف مصدرا أخذ عنه واستقى منه أبو الهذيل ، وقد حاول بعض الباحثين ومنهم النشار معرفة هذا المصدر وتحديده فقال : "هو مذهب فلسفي اختلف في مصدره ومن الراجح أن يكون أبو الهذيل قد اطلع على أصوله في المذاهب اليونانية والهندية"[٤] .

ولكن في الحقيقة أن تحديد المصدر بعينه لايعنينا كثيرا ، بل الذي يعنينا هو أن هذا المذهب استقاه أبو الهذيل من مصادر خارجية فلسفية كانت الترجمة هي الوسيلة في نقل هذا المذهب إلى أبي الهذيل ، فتأثر فكره وعقيدته بفلسفة اليونان أو

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص٧٥) .

(٢) نشأة الفكر الفلسفي (٤٧١/١) .

(٣) المصدر السابق (٤٧٢/١) .

(٤) المصدر السابق (٤٤٥/١) .

الهنود مما ساهم في إضلاله ، ولكن مع هذا فإنه يمكن لنا أن نحدد المصدر الفلسفي بعينه إذا ماعرفنا أن أبا الهذيل يعتبر من أكابر من تشرب الفلسفة اليونانية بالذات وكاد أن يكون أحد فلاسفة اليونان في سعة الاطلاع على ماكتبوه وألفوه ، ومن أولئك الفلاسفة اليونان من يقول بالجزء الذي لايتجزأ ــ الذي عرف فيما بعد عند المتكلمين بمذهب الجوهر الفرد ــ ألا وهو ديمقريطس ، فلقد ذهب ديمقريطس إلى أن هذا العالم يتكون من ذرات مادية غاية في الدقة ، وهي صلبة أبدية دائمة غير قابلة للتغير الجوهري متحركة بذاتها ، ولما كانت هذه الذرات غاية في الصغر فهي غير قابلة للتجزء ولوجود أي جسم كبير فإنه يكفي أن تنفصل كميات من هذه الذرات وتلتقي بأخرى بطريق المصادفة فيتكون هذا الجسم ، وبهذه المصادفة المحضة تكون العالم[(١)] .

فنحن إذا نظرنا إلى قول ديمقرطيس وتصوره عن هذا الجزء الذي لايتجزأ وقارنا بينه وبين تصور أبي الهذيل العلاف عن الجزء الذي لايتجزأ تبين لنا وجه التشابه الكبير وهو اتفاقهما أن الكون يحدث عن طريق هذا الجزء الذي لايتجزأ ، أو الجواهر الفردة ، إلا أن ديمقريطس يرى أنها أبدية دائمة متحركة بذاتها ، أي لاخالق لها بينما أبو الهذيل يقرر أنها مخلوقة محدثة لاتتصل ولاتنفصل إلا بعلم الله ، ومن الطبيعي أن لايوافق أبو الهذيل ديمقريطس في قوله أنها أبدية دائمة ، لأن قول ديمقريطس يلزم منه الكفر والعياذ بالله حيث ادعى أنها قديمة كوجود الله ، وأن الله لايستطيع تحريكها ولاالتغيير فيها ، وأنها تحدث مصادفة من دون علم الله وقدرته ، فعدم موافقة العلاف لديمقريطس في كل وجه لايعني أنه لم يستق هذه الفكرة منه كما يحاول نفيه بعض الباحثين ، فالعلاف يعلم أنه لو وافق ديمقريطس في كل جوانب الفكرة لكفره وضلله المعتزلة كلهم قبل باقي المسلمين من أهل السنة والجماعة ، فأخذ من الفكرة ماقد يتقبله بعض مبتدعة المسلمين ، ومع هذا فإننا لو

(١) قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر ، د. سارة آل سعود (ص٢٦) .

دققنا في أثر قول العلاف بالجزء الذي لايتجزأ لعلمنا أنه يلزم منه نفي قدرة الله كما نفاها صراحة من قبل ديمقريطس ، وهذا ماسيظهر أثره من خلال أخذه بهذه الفكرة فيما سيأتي .

- أثر القول بالجزء الذي لايتجزأ عند العلاف :

أراد أبو الهذيل العلاف أن يثبت من خلال هذا المذهب أن الكون حادث ، وأن هذه المخلوقات لها نهاية وغاية تقف عندها فتتناهى في مجموعها وفي عدد أجزائها[١] .

ونحن إذا نظرنا إلى ماأراده أبو الهذيل من تبني هذه الفكرة فنحن نوافقه في أن هذا الكون حادث له محدث ، لكن لانوافقه في أن كل هذه المخلوقات لها نهاية وغاية تقف عندها فتتناهى حركاتها وأفرادها ، ولذلك فإن أبا الهذيل العلاف تبعا للتصور الذي ذكرناه عن الجزء الذي لايتجزأ وبناء على ماأراده من القول بهذا المذهب فبناء على كل ذلك فإنه أنكر استمرار حركات وأعمال أهل الجنة والنار .

قال أبو الهذيل : "إن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيسكنون سكونا دائما ويكونون سكونا بسكون باق متلذذين بالذات باقية"[٢] .

وهو لم يقل بفناء حركات أهل الجنة والنار إلا عندما قال إن للأشياء نهاية وغاية ، ولذلك فإن أعمال أهل الجنة تنتهي إلى غاية ونهاية .

ونحن إذا لاحظنا قول أبي الهذيل علمنا من خلال قوله بفناء حركات أهل الجنة والنار أنه يقول أيضا بفناء مقدورات الله فإنه لو كان يعتقد أن الله قادر أزلا وأبدا لعلم أن الله لايقطع حركات أهل الجنة والنار ، ولذلك فقوله هذا له علاقة أيضا بفناء قدرة الله عنده ، وهذا ماأشار إليه البغدادي بقوله : "من فضائح أبي الهذيل العلاف قوله بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لايكون بعد فناء

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي (٤٧٢/١) .

(٢) مقالات الإسلاميين (١٦٧/٢-١٧٨) .

مقدوراته قادرا على شئ ، ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهـــل النـــار يفنيان ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين لايقدرون على شئ ، ولايقدر الله عز وجل في تلك الحال على إحياء ميت ، ولاعلى إماتة حي ، ولاعلى تحريك ساكن ، ولاعلى تسكين متحرك ، ولاعلى إحداث شئ ، ولاعلى إفناء شئ مع صحة عقول الأحياء في ذلك الوقت"[١] .

فانظر رحمك الله كيف قادت تلك الكتب المترجمة ــ التي تحمـــل في طياتهـــا علوم أهل الكفر والضلال ــ أبا الهذيل العلاف إلى البدعة وذلـــك عندمـــا اتخذهـــا مصدرا من مصادر معارفه وعلومه .

ولقد ذم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقبله علماء السلف الكلام في الجزء الذي لايتجزأ الذي عرف فيما بعد عند المعتزلة والأشاعرة بالجوهر الفرد فقال رحمـــه الله : "ومازال السلف والأئمة وغيرهم من عقلاء الناس ينكرون على هؤلاء ماتكلموا به في الجوهر والجسم ويعدون هذا من الكلام الباطل المذموم"[٢] .

ولم يكتف السلف وسائر عقلاء بني آدم بذم الكلام في الجوهر الفرد أو الجـــزء الذي لايتجزأ بل إنهم أنكروا وجوده أصلا .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغـــيرهم ينكرون الجوهر الفرد حتى الطوائف الكبار من أهل الكلام كالنجاريـــة والضراريـــة والهشامية والكلابية وكثير من الكرامية مع أكثر الفلاسفة"[٣] .

---

(١) الفرق بين الفرق (ص١٢٢) .
(٢) الدرء (٤٤٤/٣) .
(٣) الدرء (٣٥٥/٣) .

ثانيا : إبراهيم بن سيار النظام (١٨٥-٢٢١هـ) :

يعتبر النظام من أكبر رموز المذهب المعتزلي في عصره وفي العصور التي أتت بعد ذلك ، فهو رجل ذكي واسع الثقافة وخاصة ماكان له علاقة بعلوم اليونان والفرس وغيرهم ، واشتهر بممارسته لهذه العلوم الفلسفية .

قال النشار واصفا عصر النظام وصلته بالفلسفة : "عاصر النظام الرشيد والمأمون واتصل بالبرامكة ولكن شهرته الحقيقية كانت في عهد المعتصم ، أي أنه كان في وسط الحركة العقلية الفلسفية التي بلغت أوجها في ذلك الحين ، وقد اتصل النظام بفلسفة أرسطو خاصة ، وفلسفة غيره من فلاسفة اليونان عامة ، وقد تم هذا إما بواسطة مناقشاته مع المسيحيين في ذلك العهد ، وأما بقراءته لبعض الكتب اليونانية ومن الأدلة على قراءته واتصاله بفلسفة اليونان بل والمذاهب الشرقية المختلفة مايلي :

١- مايذكره القاضي عبد الجبار من أن جعفر بن يحيى البرمكي ذكر أرسطوطاليس فقال النظام : "قد نقضت عليه كتابه" ، فقال جعفر : "كيف وأنت لاتحسن أن تقرأه" فقال : "أيهما أحب إليك أن أقرأه من أوله أم من آخره" ثم اندفع يقرأ شيئا فشيئا وينقض عليه .

٢- مايذكره ابن نباتة من أن العلة فيما انتهى إليه النظام من مذاهب استبشعت منه أنه اطلع على كتب الفلاسفة ومال في كلامه إلى الطبيعيين منهم والإلهيين ، وأنه استنبط من كتبهم مسائل خلطها بكلام المعتزلة ، وهذا مايذكره الشهرستاني أيضا فيقول أنه : "قد طالع كتب الفلاسفة"[(١)] .

٣- يبدو أيضا أنه اتصل بالفلسفة الشرقية اتصالا مباشرا .

يذكر البغدادي[(٢)] : "أن النظام كان يغشى في حداثته مجالس أصحاب

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (ص٥٣) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص١٣١) .

التثنية[١] من الفرس والسوفسطائية[٢] الذين كانوا يقولون بتكافؤ الأدلة" .
ثم تردد في شبابه على مجالس الفلاسفة الملحدين"[٣] .

- تأثر النظام بعلوم اليونان والفرس المترجمة :

من خلال وصف النشار للحياة الثقافية التي عاشها النظام يظهر جليا انكباب الرجل على علوم فلاسفة اليونان الطبيعيين[٤] منهم والإلهيين[٥] وشغفه بعلومهم ذلك الشغف الذي أدى به إلى حفظ كتبهم نصا كما نقلت عنهم مترجمة بل إن ابن نباتة في النص السابق يعلن صراحة أن السبب في الإنكار على النظام من قبل

---

(١) التثنية : هم الثنوية أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه . وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس ، والأبدان والأرواح" .
انظر : الملل والنحل للشهرستاني (ص٢٤٥) .

(٢) السوفسطائية : السفسطة : قياس مركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته والسوفسطائيون : جماعة من فلاسفة اليونان ، وزعيمهم بروتاجوراس الذي ولد سنة ٤٨٠ق.م.
ونظريتهم تقوم على أنه ليس هناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا ، فما يظهر للشخص أنه الحقيقة يكون هو الحقيقة له فإذا رأى السراب ماء فهو عنده حقيقة ماء .
انظر : التعريفات للجرجاني (ص١١٨) ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٥٢/١) ، الحاشية رقم (٤) .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي (٤٨٥/١) .

(٤) الفلاسفة الطبيعيون : هم الذين يقال لهم أيضا الفلاسفة الدهريون وهم الذين لايثبتون معقولا ولايؤمنون بما هو وراء هذا العالم المحسوس وهم ينكرون المعاد .
انظر : الملل والنحل للشهرستاني (ص٢٥٧) .

(٥) الفلاسفة الإلهيون : هم الذين يثبتون مايمكن للعقل إدراكه لكنهم لايقولون بحدود ، وأحكام ، وشريعة ، وإسلام وأثبتوا للعالم مبدأ ومعاد ، هذا مع تعظيمهم للعقل ورفع فوق منزلته .
انظر : الملل والنحل للشهرستاني (ص٢٥٧) .

المسلمين إنما هو بسبب ميله واتباعه للفلاسفة فيما ذكروه في كتبهم من المسائل التي ناقشوها واتبعهم النظام فيما قرروه وأدخله في كتبه وقال به ودافع عنه وحاما عليه.

بل إن الباحث الأستاذ أحمد أمين ذكر تأثر النظام صراحة بمذاهب الفلاسفة اليونان خاصة فقال : "فأقوال كثيرة من أقوال النظام وأبي الهذيل والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحث من أقوال فلاسفة اليونان وبعضها دخله شئ من التعديل"(١) .

بعض الأمثلة الدالة على تأثر النظام بالعلوم الضالة المترجمة :

المثال الأول : قوله بأن الله سبحانه وتعالى لايوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي :

ذكر الإمام الشهرستاني بعض المسائل التي انفرد بها النظام عن المعتزلة فقال عن أولى هذه المسائل :

"الأولى منها : أنه زاد على القول بالقدر خيره وشره منا قوله : أن الله تعالى لايوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ، وليست هي مقدورة للباري تعالى خلافا لأصحابه فإنهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه لايفعلها لأنها قبيحة ومذهب النظام أن القبيح إذا كان صفة ذاتية للقبيح ، وهو المانع من الإضافة إليه فعلا ؛ ففي تجويز وقوع القبيح منه قبحا أيضا ، فيجب أن يكون مانعا ، ففاعل العدل لايوصف بالقدرة على الظلم ، وزاد أيضا على هذا الاختباط فقال : إنما يقدر على فعل مايعلم أن فيه صلاحا لعباده ، ولايقدر على أن يفعل بعباده في الدنيا ماليس في صلاحهم . هذا في تعلق قدرته بما يتعلق بأمور الدنيا . وأما أمور الآخرة فقال : لايوصف الباري تعالى بالقدرة على أن يزيد في عذاب أهل النار شيئا ولاعلى أن ينقص منه شيئا وكذلك لاينقص من نعيم أهل الجنة ولاأن يخرج أحدا من أهل الجنة وليس ذلك مقدورا له"(٢) .

---

(١) ضحى الإسلام (٣/٩٥-٩٦) .

(٢) الملل والنحل (ص٥٤) .

وبعد أن ذكر الشهرستاني رحمه الله صورة هذه المقالة التي قال بها النظام ذكر مصدرها الذي أخذها عنه فقال : "وإنما أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بأن الجواد لايجوز أن يدخر شيئا لايفعله فما أبدعه وأوجده هو المقدور ولو كان في علمه تعالى ومقدوره ماهو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاما وترتيبا وصلاحا لفعله"[١] .

ولقد حاول بعض الباحثين تحديد قدماء الفلاسفة الذين ذكرهم الشهرستاني فذكر أنهم أصحاب المذهب الرواقي ، فالرواقية لديهم فكرة مشهورة تتلخص في المبدأ الشائع الذي يقول إنه ليس في الإمكان أبدع مما كان[٢] .

المثال الثاني : قوله بأن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ماهي عليه الآن :

ذكر الإمام الشهرستاني في المسألة الثامنة من المسائل التي انفرد بها النظام عن المعتزلة .

هذه المقولة السابقة الذكر قال الشهرستاني : "الثامنة : من مذهبه أن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ماهي عليه الآن : معادن ، ونباتا ، وحيوانا وإنسانا ، ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده ، غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها" .

ثم ذكر الشهرستاني مصدر هذه المقالة ـــ الباطلة نقلا وعقلا ـــ فقال "وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة وأكثر ميله أبدا إلى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الإلهيين"[٣] .

---

(١) المصدر السابق (ص٥٤) .
(٢) نشأة الفكر الفلسفي (٤٩٢/١) .
(٣) الملل والنحل (ص٥٦) .

ولقد أشار النشار إلى أولئك الفلاسفة الذين ذكر الشهرستاني أن النظام أخذ منهم هذا المذهب بقوله : "ويبدو أن الفلاسفة الطبيعيين الذين يشير إليهم الشهرستاني أنكساغوراس ، والشهرستاني نفسه في كلامه عن انكساغوراس يذكر أنه أول من قال بالظهور والكمون"[(١)] .

ثالثا : الكندي : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٥٢هـ) :

يسمونه فيلسوف العرب ، ومن خلال هذه التسمية يمكن أن نعرف حجم الكندي في تاريخ الفلسفة ، فهو لم تطلق عليه هذه التسمية من فراغ وإنما حصل عليها بعد أن برز في العلوم الفلسفية وأتقنها واشتهر بها .

قال الإمام الذهبي رحمه الله عن الكندي : "كان رأسا في حكمة الأوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وغير ذلك لايلحق شأوه في ذلك العلم المتروك وله باع أطول في الهندسة والموسيقى ، كان يقال له : فيلسوف العرب وكان متهما في دينه بخيلا ساقط المروءة ، وله نظم جيد وبلاغة وتلامذة هم بأن يعمل شيئا مثل القرآن فبعد أيام أذعن بالعجز"[(٢)] .

وقال فيه الأستاذ عبده الشمالي : "هو أول مسلم عربي تعمق في درس العلوم والفلسفة اليونانية تعمقا أثار الإعجاب به والدهشة من احاطته وتدقيقه"[(٣)] .

ثم إن هذا التعمق الفلسفي قاد الكندي إلى التأليف في علوم اليونان فلم يبق علم تقريبا إلا ألف فيه .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي (١/٤٩٦) .

(٢) السير (١٢/٣٣٧) .

(٣) دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية (ص٢٢٢) .

قال الأستاذ محمد لطفي جمعة : "أما تآليف الكندي فتكاد تشمل سائر العلوم فقد دون كتبا في الفلسفة وعلم السياسة والأخلاق والإرثماطيقي وعلم الكريات والموسيقى والفلك والجغرافيا والهندسة ونظام الكون والتنجيم والطب"[١].

- والسبب الذي جعل الكندي يعتبر أول من برز في علم الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفة حتى سمى فيلسوف العرب هو اتقانه للغتين الأجنبيتين الذائعتين في ذلك العهد وهما اليونانية والسريانية التي كانت عنهما تترجم علوم فلاسفة اليونان إلى اللغة العربية فاتقانه لهاتين اللغتين ساهم في اطلاعه على أكبر قدر ممكن من الفلسفة اليونانية من مصادرها الأصلية ، بل إن المأمون ندب الكندي فيمن ندب إلى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان[٢] .

- تأثر الكندي بالفلسفة اليونانية :

لقد تأثر الكندي بعلوم الفلسفة اليونانية وظهرت مظاهر هذا التأثر من خلال اتباعه لأرسطو في بعض مسائل الإلهيات .

أما وجود التأثر وثبوته فيحدثنا عنه الأستاذ عمر فروخ فيقول عن الكندي بأنه : "اتجه اتجاها أرسطوطاليسيا ولكن تسرب إلى آرائه وأغراضه كثير من المعاني الأفلاطونية والاسكندرانية من طريق الترجمات للكتب الاسكندرانية المنسوبة إلى أرسطو"[٣] .

أما مظاهر التأثر بأرسطو فهو موافقة الكندي لأرسطو في نفي الصفات عن الذات الإلهية ، وهذا الشئ اشتهر عن الكندي القول به حتى عابه به معاصروه من السلف رضي الله عنهم وغيرهم من علماء الكلام ونسبوا هذا القول الذي قال به الكندي وعرف عنه إلى تأثره بالفلسفة اليونانية وخاصة أرسطو .

---

(١) تاريخ فلاسفة الإسلام (ص٣) .

(٢) تاريخ فلاسفة الإسلام (ص١) .

(٣) تاريخ الفكر العربي (ص٣٠٧) .

قال في تاريخ فلاسفة الإسلام : "على أن خصوم الكندي لم يأخذوا عليـــه إلا قوله "بوحدة الوجود وبساطة ذاته العلية" وأن هذا القول أرسطي محض ومعنـــاه أن القائلين به لايعترفون لواجب الوجود بصفة مطلقة ، والصفات المطلقة هي المميزة عن الذات ، وكان أرسطو حقيقة ينكر الصفات ويقول بأنها والذات شئ واحد وهـــذا القصد من قولهم ببساطة واجب الوجود"(١) .

هذه هي بعض الأمثلة التي من خلالها يمكن لنا أن نعرف أثر الكتب المترجمة من علوم اليونان وغيرهم في إضلال وانحراف من وقعت في يده وقرأها وظن أن مافيهـــا من الإلهيات هو الحق فاتبع عباد الأوثان من اليونان وغيرهم فانجر الفســـاد إلى دينـــه وعقيدته .

وماهذه الأمثلة المذكورة آنفا إلا نماذج وإلا فإننا لو حاولنا جمع كل من تـــأثر بالمعتقدات اليونانية والفارسية والهندية المنقولة عن طريق الترجمة لعجزنا عن ذلـــك ، فإن من تأثر مباشرة بعلوم اليونان فإنه سرعان ماألف على طرقهم ومناهجهم ، فمن لم يكتب له الاطلاع على كتب اليونان المترجمة فإنه لامحالة اطلع على كتـــب ممـــن ينتسب إلى الإسلام من المعتزلة والفلاسفة المسمين بالإسلاميين لأنهـــم دونـــوا آراء اليونان وفلاسفتهم في كتبهم فيضل بطريق غير مباشر ، ولكن يبقى ســـبب ضلالـــه متصل بسبب أو آخر بهذه العلوم الفلسفية الضالة المضلة التي لم تعرف إلا عن طريق الترجمة(٢) .

---

(١) تاريخ فلاسفة الإسلام (ص٤) .

(٢) انظر لمزيد من الأمثلة : تاريخ فلاسفة الإسلام (ص٣٦،٥٣،٦٧،٧٩) ، دراسات في الفلسفة العربية الإسلامية (ص٦١٧،٦٤٤) ، تاريخ الفكر العربي (ص٣٧٧،٤٢٧) .

خاتمة البحث

في نهاية هذا البحث يمكن أن نخرج ببعض النتائج وأهمها مايلي :

(١) حرص السلف رضي الله عنهم على حماية عقائد الناس من كل بدعة وانحراف عقدي ، ولذلك اتخذوا التدابير اللازمة في التحرز من الوقوع في البدع وذلك من خلال إيجاد منهج لهم واضح في التعامل مع رموز الابتداع وذلك كذم البدعة وأهلها ونبذ كلامهم ، وإظهار باطلهم وفضحه ، وعدم الصلاة على بعض أهل البدع ، أو أخذ العلم عنهم ، أو السلام عليهم ، أو اتباع جنائزهم ، أو زيارتهم إلى غير ذلك .

(٢) لمن وقع في البدعة دور في إضلال نفسه وذلك إما بسبب جهله بالفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة ، وبمقاصد الشريعة ، وبما صح من الأدلة ، وبأهمية العلم الشرعي الذي يجب أن يؤخذ عن أهله ، أو جهله باللغة العربية ، أو بسبب اتباعه هواه ورده للحق الواضح وذلك عن طريق تبنيه لقواعد بدعية مضلة ، أو اتباع حب الرئاسة والتصدر والتعصب والجدال والمراء في الدين بالباطل .

(٣) كما كان لمن وقع في البدع دور في تلبسه بتلك البدعة ، فإن هناك أمورا ساهمت في وقوعه في البدعة هي في الغالب أسباب خارجة عن إرادته ومن ذلك :

(أ) تزيين أهل البدع لبدعهم وإغراؤهم للناس بمحاسن البدع المزعومة ، وتفننهم في اتخاذ أساليب كثيرة لتزيين تلك البدع كانت كفيلة لإضلال من ضل من الناس ، إضافة إلى إلصاق التهم والمزاعم الكاذبة بمذهب السلف رضي الله عنهم ، وتعمد تشويهه بكل الأساليب .

(ب) إن عدم تخلي الإنسان الذي عاش في مجتمعات بدعية أو كفرية عن تلك الموروثات العقدية المنحرفة كانت سببا في وقوعه في البدع الكثيرة والمتنوعة .

(ج) ظهر جليا أن لولاة الأمر المبتدعة دورا بارزا في إضلال الناس وإلزامهم بالبدع المحدثات وذلك إما عن طريق الترغيب كتقريب من وافقهم على بدعهم واعطائهم الأموال والمناصب ، أو عن طريق الترهيب وذلك عن طريق قطع أرزاقهم أو حرمانهم من نشر العلم ، أو سجنهم ، أو ضربهم ، أو حتى قتلهم إن احتاج الأمر إلى ذلك .

(د) كما كان لترجمة كتب أهل الكفر والضلال من اليونان والهنود والفرس وغيرهم دور في إضلال من ضل من الناس ، فترجمة كتب الفلسفة والمنطق والسحر وعادات أولئك الأمم الكافرة الغابرة ، وقد ساهم في الافتتان بتلك الكتب المترجمة التسهيلات التي قد قدمت للمترجمين من النصارى والهنود والفرس والصابئة وذلك من قبل ولاة البدعة والضلال .



تراجم الأعلام

(١) **إبراهيم بن أدهم بن منصور الخرساني البلخي** أبو إسحاق العجلي وقيل التميمي ، القدوة الإمام العارف ، ولد في حدود المائة وتوفي سنة ١٦٢هـ . السير (٣٨٧/٧) ، البداية والنهاية (١٣٥/١٠) .

(٢) **إبراهيم بن أمير المؤمنين محمد بن أبي جعفر الهاشمي العباسي** ، توفي سنة ٢٢٤هـ . السير (٥٥٧/١٠) ، البداية والنهاية (٢٤٧/١٠) .

(٣) **إبراهيم بن الأشتر النخعي** ، كان من أمراء مصعب بن الزبير ، قتل معه سنة ٧٢هـ . السير (٣٥/١) ، البداية والنهاية (٣٢٣/٨) .

(٤) **إبراهيم بن محمد بن البردون الضبي** مولاهم الأفريقي المالكي أبو إسحاق ، الإمام الشهيد المفتي . قتل رحمه الله في سنة ٢٩٩هـ . السير (٢١٦/١٤) .

(٥) **أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث الزهري المدني** أبو مصعب الزهري ، قاضي المدينة ، ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ . السير (٤٣٦/١١) ، تهذيب التهذيب (٤٣١/٥) .

(٦) **أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي** ، أبو عبد الله العبدي ، إمام حافظ . السير (١٣٠/١٢) .

(٧) **أحمد بن المستنصر معد بن الظاهر علي العبيدي المهدوي المصري** ، مات سنة ٤٩٥هـ . السير (١٩٦/١٥) ، البداية والنهاية (١٦٢/١٢) .

(٨) **أحمد بن عبد الواحد بن المحدث** أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي الحديد السلمي الدمشقي ، مات سنة ٤٦٩هـ . السير (٤١٨/١٨) .

(٩) **أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي المغربي** ، أبو العباس ، قيل كان مولده سنة ٥٠٠هـ ، وتوفي سنة ٥٧٨هـ . السير (٧٩/٢١) ، البداية والنهاية (٣١٢/١٢) .

(١٠) **أحمد بن عيسى البغدادي** أبو سعيد الخراز شيخ الصوفية ، قيل توفي سنة ٢٨٦هـ وقيل ٢٧٧هـ . السير (٤١٩/١٣) ، البداية والنهاية (٥٨/١١) .

(١١) **أحمد بن فارس بن زكريا القزويني** ، المعروف بالرازي ، المالكي اللغوي ، كان رأسا في الأدب ، بصيرا بفقه مالك ، له مصنفات ورسائل ، توفي سنة ٣٩٥هـ السير (١٠٣/١٧) ، البداية والنهاية (٣٣٥/١١) .

(١٢) **أوس بن عبد الله الربعي البصري** ، من كبار العلماء ، قتله الحجاج يوم الجماجم رحمه الله . السير (٣٧١/٤) .

(١٣) **إسحاق بن إبراهيم بن كامجر** ، إمام حافظ ثقة ، ولد سنة ١٥٠هـ ، وتوفي سنة ٢٤٥هـ . السير (٤٧٦/١١) ، البداية والنهاية (٣٤٦/١٠) .

(١٤) **إسماعيل بن أبي مسعود** ، أبو إسحاق البغدادي الثقة كاتب الواقدي . تاريخ بغداد (٢٥٠/٦) .

(١٥) **إسماعيل بن إبراهيم بن معمر الهذلي** الهروي القطيعي أبو معمر ، إمام حافظ كبير ثبت ، ولد سنة نيف وخمسين ومائة ، وتوفي سنة ٢٣٦هـ . السير (٦٩/١١).

(١٦) **إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي** مولاهم البصري أبو بشر ، إمام علامة حافظ ثبت ، ولد سنة ١١٠هـ ، وتوفي سنة ١٩٣هـ . السير (١٠٧/٩) .

(١٧) **إسماعيل بن داود بن وردان المصري** البزاز أبو العباس ، توفي سنة ٣١٨هـ . السير (٥٢١/١٤) .

(١٨) **إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني** ، أبو عثمان ، ولد سنة ٣٧٣هـ وتوفي سنة ٤٤٩هـ ، قال الذهبي : كان من أئمة الأثر ، له مصنف في السنة واعتقاد السلف . السير (٤٠/١٨) ، البداية والنهاية (٧٦/١٢) .

(١٩) **إسماعيل بن محمد بن الفضل** الحافظ الكبير أبو القاسم الأصبهاني ، قوام السنة التيمي الطليحي الأصبهاني الشافعي ، ذكره أبو موسى المديني فقال أبو القاسم إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه ، له تصانيف شهيرة مشهورة منها الحجة في بيان المحجة ، توفي سنة ٥٣٥هـ . شذرات الذهب (١٠٥/٤-١٠٦) .

(٢٠) **انكساغورس** : عالم وفيلسوف يوناني من أهل ملطية ، قال إن مبدأ الموجودات هو جسم أول متشابه الأجزاء وهي أجزاء لطيفة لايدركها الحس ولاينالها العقل ، وهو أول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الأشياء كلها

كامنة في الجسم الأول ، وإنما الوجود ظهورها من ذلك الجسم ، توفي سنة ٥٤٧ق.م . الملل والنحل للشهرستاني (ص٣١٨،٣١٩) .

(٢١) **بختيار بن الملك معز الدولة أحمد بن بويه بن فناخسرو الديلمي** ، مات سنة ٣٦٧هـ . السير (٢٣١/١٦) ، البداية والنهاية (٢٩١/١١) .

(٢٢) **بشر بن الوليد الكندي الحنفي** ، أبو الوليد قاضي العراق ، إمام علامة محدث صادق ، ولد سنة ١٥٠هـ ، وتوفي سنة ٢٣٨هـ . السير (٦٧٣/١٠)

(٢٣) **جعفر بن محمد البلخي** ، أبو معشر المنجم ، صاحب التصانيف في النجوم والهندسة ، مات سنة ٢٧٢هـ . السير (١٦١/١٣) ، البداية والنهاية (٥٤/١١) .

(٢٤) **جوهر الرومي المعزي** من نجباء الموالي ، أبو الحسن ، كان قائد جيوش المعز لدين الله العبيدي ، مات سنة ٣٨١هـ . السير (٤٦٧/١٦) ، البداية والنهاية (٣١٠/١١) .

(٢٥) **حبيب بن أبي ثابت** القرشي الأسدي مولاهم ، أبو يحيى ، إمام حافظ ، فقيه الكوفية ، توفي سنة ١١٩هـ . السير (٢٨٨/٥) .

(٢٦) **حرب بن إسماعيل الكرماني** الفقيه أبو محمد تلميذ الإمام أحمد ، توفي رحمه الله سنة ٢٨٠هـ . السير (٢٤٤/١٣) .

(٢٧) **الحسن بن بويه الديلمي** ، السلطان ركن الدولة ، أبو علي ، مات سنة ٣٦٦هـ . السير (٢٠٣/١٦) ، البداية والنهاية (٢٨٨/١١) .

(٢٨) **الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمي** البغدادي أبو علي ، إمام قدوة محدث أثري ، توفي سنة ٢٤١هـ . السير (٣٩٢/١١) .

(٢٩) **الحسن بن عثمان بن حماد البغدادي** الزيادي أبو حسان ، إمام حافظ مؤرخ ولد سنة ١٦٠هـ وتوفي سنة ٢٤٢هـ . السير (٤٩٦/١١) ، البداية والنهاية (٤٤٣/١٠) .

(٣٠) **الحسن بن علي النيسابوري الشافعي** أبو علي الدقاق ، الزاهد ، شيخ الصوفية وهو من أتباع طريقة الجنيد أحد أعلام الصوفية ، توفي في ذي الحجة سنة ٤٠٦هـ . شذرات الذهب (١٨٠/٣) .

(٣١) **الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعاني** ، أبو عبد الله ، داع خبيث قام بالدعوة العبيدية ، قتل سنة ٢٩٨هـ . السير (٥٨/١٤) ، البداية والنهاية (١١٦/١١، ١٨٠) .

(٣٢) **الحسين بن منصور بن محمي** ، أبو عبد الله الفارسي البيضاوي الصوفي ، قتل سنة ٣٠٩هـ . السير (٣١٣/١٤) ، البداية والنهاية (١٣٢/١١-١٤٤) .

(٣٣) **حماد بن أبي حنيفة** . توفي سنة ١٧٦هـ . السير (٤٠٣/٦) .

(٣٤) **خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري** الدمشقي أمير العراقين والشام ، قاتل الضال الجعد بن درهم ، قتل رحمه الله سنة ١٢٦هـ .

(٣٥) **خسرو شاه ابن السلطان بهرام شاه** ابن السلطان مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن فاتح الهند السلطان محمود بن سبكتكين ، مات سنة ٥٥٦هـ . السير (٣٨٩/٢٠) ، البداية والنهاية (٢٤٢/١٢) .

(٣٦) **داود بن دينار بن عذافر** من موالي بني قشير فيما قيل ، أبو محمد البصري الحافظ ، توفي سنة ١٣٩هـ . السير (٣٧٦/٦) ، تهذيب التهذيب (١٢٥/٢) .

(٣٧) **ديمقريطس** : فيلسوف يوناني عرف عنه الإلحاد وهو يقول أن العالم يتكون من ذرات مادية غاية في الدقة وهي صلبة أبدية دائمة متحركة بذاتها ، توفي سنة ٣٦١ق.م . الملل والنحل للشهرستاني (ص٣٥٤) .

(٣٨) **زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الضبي البصري الشافعي** ، أبو يحيى ، محدث البصرة وشيخها ومفتيها وكان من أئمة الحديث ، مات سنة ٣٠٧هـ . السير (١٩٧/١٤) ، البداية والنهاية (١٣١/١١) .

(٣٩) **زهير بن حرب بن شداد الحرشي النسائي** الحافظ الحجة أحد أعلام الحديث ولد سنة ١٦٠هـ وتوفي سنة ٢٣٤هـ . السير (٤٨٩/١١) ، البداية والنهاية (٣١٢/١٠) .

(٤٠) **سعد بن عائذ** ويقال ابن عبد الرحمن المؤذن مولى الأنصار ، ويقال مولى عمار ، قال ابن عبد البر : كان يؤذن بقباء فلما ترك بلال الأذان بمسجد رسول الله ﷺ نقله أبو بكر إلى مسجد النبي ﷺ . تهذيب التهذيب (٢٨٢/٢) .

(٤١) **سعيد بن سليمان الضبي الواسطي البزاز** ، أبو عثمان ، سعدويه ، إمام حافظ ثبت ، ولد سنة بضع وعشرين ومائة ومات سنة ٢٢٥هـ . السير (٤٨١/١٠) .

(٤٢) **سليمان بن يسار المدني** مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية ، عالم المدينة وفقيهها ، أبو أيوب ، واختلف فيه . السير (٤٤٤/٤) ، البداية والنهاية (٢٥٤/٩).

(٤٣) **سهل بن سلامة أبو حاتم الأنصاري** من أهل خرسان . البداية والنهاية (٢٥٨/١٠) .

(٤٤) **سهل بن سلامة الأنصاري** ، أبو حاتم ، من أهل خراسان ، دعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالكتاب والسنة وأنكر على بني العباس ماهم عليه من المنكرات ثم أخذه إبراهيم بن المهدي فضربه وحبسه ثم بعد ذلك أكرمه المأمون عندما تولى الخلافة ووصله وقربه إليه . الكامل لابن الأثير (١٦٢/٤-١٧٤-١٨٠) .

(٤٥) **سهل بن عبد الله بن الفرخان الأصبهاني** أبو طاهر أحد الثقات ، مات سنة ٢٧٦هـ . السير (٣٣٣/١٣) .

(٤٦) **سهل بن عبد الله بن يونس التستري** ، أبو محمد ، الصوفي الزاهد ، توفي رحمه الله سنة ٢٨٣هـ . السير (٣٣٠/١٣) ، البداية والنهاية (٧٩/١١) ، السير (٤٢٥/١) ، البداية والنهاية (١٧/١٠-٢٢) .

(٤٧) **شعبة بن عياش بن سالم الأسدي** ، أبو بكر ، المقرئ شيخ الإسلام فقيه محدث ، توفي سنة ١٩٣هـ . السير (٤٩٥/٨) .

(٤٨) **عائذ الله بن عبد الله** ، وقيل : عبد الله بن إدريس بن عائذ أبو إدريس الخولاني ، قاضي دمشق وعالمها وواعظها ، ولد عام الفتح سنة ٨هـ ، وتوفي سنة ٨٠هـ . السير (٢٧٢/٤) ، البداية والنهاية (٣٤/٩) .

(٤٩) **عاصم بن علي بن عاصم** ، حدث عنه البخاري في صحيحه ، توفي سنة ٢٢١هـ . السير (٢٦٢/٩) .

(٥٠) **عبد الرحمن بن إسحاق بن إبراهيم الضبي** مولاهم ، ولي القضاء على الرقة ثم مدينة المنصور ، كان على مذهب أبي حنيفة ، توفي سنة ٢٣٢هـ ببغداد تاريخ بغداد (٢٦٠/١٠-٢٦١) .

(٥١) **عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي** ، أبو يحيى ، إمام بليغ ، خطيب زمانه . توفي رحمه الله سنة ٣٧٤هـ . السير (٣٢٢/١٦) ، البداية والنهاية (٣٠٣/١١) .

(٥٢) **عبد العزيز بن ميمون بن بدر الأزدي المكي** ، مولى الأمير المهلب بن أبي صفرة ، توفي سنة ١٥٩هـ . السير (١٨٤/٧) .

(٥٣) **عبد العزيز بن ميمون بن بدر الأزدي المكي** مولى الأمير المهلب بن أبي صفرة . توفي سنة ١٥٩هـ . السير (١٨٤/٧) .

(٥٤) **عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي** ، أبو محمد ، يقال له : مالك الصغير إمام علامة قدوة فقيه . السير (١٠/١٧) .

(٥٥) **عبد الله بن الزبير بن عيسى الحمدي** ، الإمام الحافظ الفقيه ، شيخ الحرم ، أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي المكي ، صاحب المسند ، شيخ البخاري السير (٦١٦/١٠) ، البداية والنهاية (٢٨٢/١٠) .

(٥٦) **عبد الله بن زيد بن عمرو** ، أبو قلابة ، الإمام ، شيخ الإسلام ، توفي سنة ١٠٧هـ . السير (٤٦٨/٤) ، البداية والنهاية (٢٣١/٩) .

(٥٧) **عبد الله بن عون بن أرطبان** ، أبو عون المزني ، مولاهم البصري ، عالم البصرة إمام قدوة حافظ . ولد سنة ٦٦هـ وتوفي سنة ١٥١هـ . السير (٣٦٤/٦) .

(٥٨) **عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك القشيري** مولاهم النسوي الدقيقي أبو نصر التمار ، إمام ثقة زاهد ، ولد سنة ١٣٧هـ ، وتوفي سنة ٢٢٨هـ . السير (٥٧١/١٠) .

(٥٩) **عبيد الله بن عمر بن ميسرة أبو سعيد الجشمي القواريري** ، إمام حافظ ، ولد سنة ١٥٠هـ ، وتوفي سنة ٢٣٥هـ . السير (٤٤٢/١١) ، البداية والنهاية (٣١٥/١٠) .

(٦٠) **عبيد الله بن محمد بن محمد العكبري الحنبلي** ، مصنف كتاب "الإبانة الكبرى" ، ولد سنة ٣٠٤هـ ، وتوفي سنة ٣٨٧هـ . السير (٥٢٩/١٦) ، البداية والنهاية (٣٢١/١١) .

(٦١) **عثمان بن سعيد بن خالد** الإمام ، العلامة ، الحافظ ، الناقد ، أبو سعيد التميمي ، الدارمي صاحب المسند الكبير والتصانيف ، ولد قبل المائتين بيسير وتوفي سنة ٢٨٠هـ . السير (٣١٩/١٣) ، البداية والنهاية (٦٩/١١) .

(٦٢) **عطاء المقنع الساحر العجمي** ، الذي ادعى الربوبية ، بعث إليه المهدي معاذ ابن مسلم فحاصره إلى أن استعجل على نفسه فمص سما في سنة ١٦٣هـ . السير (٣٠٦/٧) ، البداية والنهاية (١٤٥/١٠) .

(٦٣) **عفان بن مسلم بن عبد الله** ، إمام حافظ ، محدث العراق أبو عثمان البصري الصفار ، ولد سنة ١٣٤هـ ، وتوفي سنة ٢٢٠هـ . السير (٢٤٢/١٠) .

(٦٤) **علي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق** ، أبو الحسن ، ولد بالمدينة سنة ١٤٨هـ ، وتوفي سنة ٢٠٣هـ رحمه الله . السير (٣٨٧/٩) ، البداية والنهاية (٢٥٠/١٠) .

(٦٥) **علي بن إسماعيل المرسي الضرير** ، أبو الحسن ابن سيده صاحب كتاب المحكم في لسان العرب . السير (١٤٤/١٨) ، البداية والنهاية (٩٥/١٢) .

(٦٦) **علي بن الجعد بن عبيد البغدادي الجوهري** مولى بني هاشم أبو الحسن ، إمام حافظ ، ولد سنة ١٣٤هـ ، وتوفي سنة ٢٣٠هـ . السير (٤٥٩/١٠) .

(٦٧) **علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي البصري القاضي** ، أبو القاسم ، صاحب كتاب "الطوالات" ، ولد سنة ٣٦٥هـ ، وتوفي سنة ٤٤٧هـ . السير (٦٤٩/١٧) ، البداية والنهاية (٦٧/١٢) .

(٦٨) **علي بن عبد الله بن حمدان** ، صاحب حلب ، كان أديبا ، فيه تشيع ، ولد سنة ٣٠١هـ ، وتوفي سنة ٣٥٦هـ . السير (١٨٨/١٦) ، البداية والنهاية (٢٦٣/١١) .

(٦٩) **علي بن يوسف بن تاشفين البربري** ، أبو الحسن ، السلطان صاحب المغرب نهى عن الكلام وتهدد عليه وأمر بإحراق كتبه ، توفي سنة ٥٣٧هـ رحمه الله السير (١٢٤/٢٠) ، تاريخ ابن خلدون (١٨٨/٦) .

(٧٠) **غيلان بن يونس الدمشقي** ، أبو مروان ، أظهر القول بالقدر في أيام عمر بن عبد العزيز فأحضره عمر واستتابه فتاب ثم عاد إلى الكلام في القدر أيام هشام

بن عبد الملك فأمر بقتله بعد أن قطعت يده ورجلاه ثم صلب . الكامل لابن الأثير (٣/٣٩٣) .

(٧١) **الفضل بن غانم الخزاعي المروزي** ، سكن بغداد ، وحدث بها عن مالك وغيره ، قال عنه يحيى بن معين : ليس بشئ . السير (١١/١٠٣) ، ميزان الاعتدال (٣/٣٥٧) .

(٧٢) **فنا خسرو ابن السلطان** ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي أبو شجاع ، كان شيعيا جلدا . مات سنة ٣٧٢هـ . السير (١٦/٢٤٩) ، البداية والنهاية (١١/٢٩٩) .

(٧٣) **قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي** ، مولاهم البلخي البغلاني ، من موالي الحجاج بن يوسف ، أبو رجاء إمام محدث ثقة . ولد سنة ١٤٩هـ ، وتوفي سنة ٢٤٠هـ . السير (١١/١٣) .

(٧٤) **مؤمل بن إسماعيل العدوي** مولاهم البصري ، أبو عبد الرحمن ، إمام حافظ توفي رحمه الله سنة ٢٠٦هـ . السير (١٠/١١٠) .

(٧٥) **مؤيد الدين محمد بن محمد بن العلقمي** البغدادي الرافضي وزير المستعصم ، نشر الرفض في بداء الإسلام بسبب منصبه وبسببه دخل هولاكو بغداد فاستباح دماء المسلمين وذلك لتآمره مع هولاكو ضد أهل الإسلام ، مات غبنا وغما عندما سلب منه هولاكو الوزارة سنة ٦٥٦هـ . السير (٢٣/٣٦١-٣٦٢) .

(٧٦) **مالك بن وهيب** أحد وزراء أمير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين ، اشتهر بعلم الفلسفة وله دراية بالفقه . الكامل لابن الأثير (٦/٥٦١) .

(٧٧) **محمد بن أحمد بن الأزهر** الأزهري اللغوي الشافعي ، أبو منصور ، له كتاب تهذيب اللغة ، تفسير ألفاظ المزني ، وشرح ديوان أبي تمام ، مات سنة ٣٧٠هـ . السير (١٦/٣١٥) .

(٧٨) **محمد بن المهدي عبيد الله** ، أبو القاسم صاحب المغرب ، ولد سنة ٢٧٨هـ ومات سنة ٣٣٤هـ . السير (١٥/١٥٢) ، البداية والنهاية (١١/٢١٠) .

(٧٩) **محمد بن خفيف بن اسفكشار الضبي** الفارسي أبو عبد الله ، شيخ الصوفية قال الذهبي : قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل ، وعلو السند

والتمسك بالسنن . مات سنة ٣٧١هـ . السير (٣٤٢/١٦) ، البداية والنهاية (٢٩٩/١١) .

(٨٠) **محمد بن خيرون المعافري** مولاهم القرطبي ، الإمام أبو جعفر ، قتل رحمه الله سنة ٣٠٠هـ ، قتله عبيد الله العبيدي . السير (٢١٧/١٤) .

(٨١) **محمد بن سعد بن منيع** ، أبو عبد الله البغدادي مصنف الطبقات الكبرى ، ولد سنة ١٦٨هـ ، وتوفي سنة ٢٣٠هـ . السير (٦٦٤/١٠) .

(٨٢) **محمد بن سهل بن محمد الشاذياخي** السراج أبو نصر السراج ، توفي رحمه الله سنة ٤٨٣هـ . السير (٥٢٩/١٨) .

(٨٣) **محمد بن عبد الله بن عيسى الأندلسي** الالبيري المالكي ابن أبي زمنين ، أبو عبد الله ، شيخ قرطبة ومفتيها وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والزهد كان راسخا في العلم مقتفيا لآثار السلف صاحب عبادة وإنابة وتقوى ، توفي سنة ٣٩٩هـ . شذرات الذهب (١٥٦/٣) .

(٨٤) **محمد بن علي بن الحسن بن بشر** أبو عبد الله صاحب كتاب "ختم الولاية" و"علل الشريعة" الذي أخرج من ترمذ بسببه . السير (٤٣٩/١٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٤٥/٢) .

(٨٥) **محمد بن علي بن الطيب البصري** ، أبو الحسين شيخ المعتزلة ، وصاحب التصانيف الكلامية . مات سنة ٤٣٦هـ . السير (٥٨٧/١٧) ، البداية والنهاية (٥٣/١٢،٥٤) .

(٨٦) **محمد بن كعب بن سليم** وقيل ابن حيان القرظي المدني أبو حمزة الإمام العلامة الصادق . السير (٦٥/٥) ، البداية والنهاية (٢٥٧/٩) .

(٨٧) **محمد بن نوح** ، أبو الحسن الجنديسابوري الفارسي ، إمام حافظ ثبت ، توفي سنة ٣٢١هـ . السير (٣٤/١٥) .

(٨٨) **محمد بن وضاح بن يزيد المرواني** ، أبو عبد الله ، مولى عبد الرحمن الداخل إمام حافظ ، محدث الأندلس مع بقي بن مخلد ، ولد سنة ١٩٩هـ ، وتوفي سنة ٢٨٧هـ . السير (٤٤٥/١٣) .

(٨٩) **محمد بن يعقوب الرازي الكليني** شيخ الشيعة وعالم الإمامية ، مات سنة ٣٢٨هـ . السير (٢٨٠/١٥) .

(٩٠) **معاذ بن معاذ بن نصر التميمي** ، أبو المثني العنبري البصري ، إمام حـافظ ، ولد سنة ١١٩هـ ، وتوفي سنة ١٩٦هـ . السير (٩/٥٤) .

(٩١) **معبد بن عبد الله بن عويمر** ، وقيل ابن عبد الله ، الجهني ، أول مـن تكلـم بالقدر في زمن الصحابة ، قيل مات قبل التسعين . السير (٤/١٨٥) ، البدايـة والنهاية (٩/٣٤) .

(٩٢) **معد بن المنصور إسماعيل بن القائم العبيدي** المهدوي المغربي ، أبو تميم . مات سنة ٣٦٥هـ . السير (١٥/١٥٩) ، البداية والنهاية (١١/٢٨٣) .

(٩٣) **منصور بن العزيز نزار بن المعز** معد بن المنصور العبيدي المصـري الرافضـي الإسماعيلي الزنديق مدعي الربوبية ، ولد سنة ٣٧٥هـ وقتل سنة ٤١١هـ . السير (١٥/١٧٣) ، البداية والنهاية (١٢/٩-١١) .

(٩٤) **منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي** السمعاني المروزي الشافعي ، ولـد سنة ٤٢٦هـ ، له كتاب الاصطلام والأمالي في الحديث ، مات سنة ٤٨٩هـ السير (١٩/١١٤) ، البداية والنهاية (١٢/١٥٣) .

(٩٥) **موسى الكاظم بن جعفر الصادق** ، أبو الحسن والد الإمام علي بن موسـى الرضى ، ولد سنة ١٢٨هـ ، وتوفي سـنة ١٦٩هـ رحمـه الله . السـير (١/٢٧٠) ، البداية والنهاية (١٠/١٨٩) .

(٩٦) **ميمون بن مهران الرقي** ، أبو أيوب ، قاضي الجزيرة الفقيه ، كان من العلماء العاملين ، توفي سنة ١١٧هـ . شذرات الذهـب لابـن العمـاد الحنبلـي (١/١٥٤) .

(٩٧) **نزار بن المعز معد بن إسماعيل العبيدي** المهدوي المغربي ، أبو منصور ، ولـد سنة ٣٤٤هـ ، ومات سنة ٣٨٦هـ . السير (١٥/١٦٧) .

(٩٨) **النعمان بن محمد بن منصور المغربي** أبو حنيفة قاضي الدولة العبيدية ، كـان مالكيا ، فارتد إلى مذهب الباطنية . مات سنة ٣٦٣هـ . السير (١٦/١٥٠)

(٩٩) **هبة الله بن الحسن بن منصور** الطبري الرازي الشافعي اللالكائي ، أبو القاسم إمام حافظ مجود ، توفي سنة ٤١٨هـ . السير (١٧/٤١٩) ، البداية والنهايـة (١٢/٢٤) .

(١٠٠)**هشام بن عروة بن الزبير بن العوام** الإمام الثقة شيخ الإسلام أبو المنذر القرشي ، ولد سنة ٦١هـ ، وتوفي سنة ١٤٦هـ . السير (٣٤/٦) ، تهذيب التهذيب (٣٣/٥) .

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس المصطلحات والمذاهب والكلمات الغريبة

فهرس المصادر والمراجع

(١) الأحكام السلطانية ، لأبي يعلى الحنبلي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

(٢) الأحكام في أصول الأحكام ، للإمام علي بن محمد الآمدي ، تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ.

(٣) الأخلاق المتبولية ، لعبد الوهاب الشعراني .

(٤) الأذكار ، للإمام محيي الدين أبي زكريا النووي ، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، دار الهدى ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠هـ .

(٥) أساس التقديس في علم الكلام ، للإمام فخر الدين الرازي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .

(٦) أصول الدين ، للإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ .

(٧) أصول السنة ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الأندلسي ، تحقيق عبد الله بن محمد البخاري ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

(٨) أصول الكافي ، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، مؤسسة دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٨١هـ .

(٩) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، عرض ونقد ، الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري ، دار الحرمين للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(١٠) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، لعبد الوهاب الشعراني ، دار جوامع الكلم ، القاهرة .

(١١) الإبانة الكبرى ، للإمام أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري الحنبلي ، تحقيق ودراسة كل من : د. يوسف بن عبد الله الوابل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، د. رضا نعسان معطي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ ، د. عثمان عبد الله الأثيوبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، دار الراية للنشر والتوزيع .

(١٢) الإحكام في أصول الأحكام ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، للإمام عبد الملك بن عبد الله الجويني ، تحقيق محمد يوسف موسى ، وعلي عبد المنعم ، مكتبة الخانجي بمصر .

(١٤) إرشاد الفحول ، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل ، دار الكتبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .

(١٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الفكر .

(١٦) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ، الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ .

(١٧) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره وموارده ، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

(١٨) اجتماع الجيوش الإسلامية ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق الدكتور عواد بن عبد الله المعتق ، مطابع الفرزدق التجارية الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(١٩) الاستقامة ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

(٢٠) الاعتصام ، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق محمد رشد رضا ، المكتبة التجارية الكبرى .

(٢١) الاعتقادات ، لابن بابويه القمي .

(٢٢) الاقتصاد في الاعتقاد ، للإمام أبي حامد الغزالي ، تقديم د. سامي عفيفي حجازي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

(٢٣) اقتضاء الصراط المستقيم ، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق الدكتور ناصر العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ .

(٢٤) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط المعتزلي ، تقديم ومراجعة محمد حجازي ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة .
(٢٥) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، للإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر
(٢٦) بحار الأنوار ، لمحمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .
(٢٧) البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم وآخرين ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
(٢٨) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للإمام محمد بن علي الشوكاني مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٨هـ .
(٢٩) البدع والنهي عنها ، للإمام محمد بن وضاح القرطبي ، تحقيق ودراسة عمرو عبد المنعم سليم ، الناشر دار ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ.
(٣٠) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ، لعبد الله الجميلي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ .
(٣١) براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة ، للدكتور عبد العزيز بن أحمد الحميدي ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
(٣٢) البرهان ، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، تحقيق الدكتور عبد العظيم محمود الديب ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
(٣٣) بغية المرتاد ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق موسى الدويش ، دار العلوم والحكم ، المدينة ، الثالثة ، ١٤١٥هـ .
(٣٤) البلغة في أصول اللغة ، للإمام محمد صديق خان القنوجي ، تحقيق نذير مكتبي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٣٥) البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
(٣٦) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، بتصحيح وتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مؤسسة قرطبة .
(٣٧) تاريخ العلوم عند العرب ، د. عمر فروخ وآخرون ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤١٠هـ .
(٣٨) تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، لعمر فروخ ، دار العلم للملايين الطبعة الرابعة ، ١٩٨٣م .
(٣٩) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، بيروت .
(٤٠) تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
(٤١) تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب ، لمحمد مصطفى جمعة ، المكتبة العلمية ، بيروت .
(٤٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لأبي القاسم علي بن حسن بن عساكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
(٤٣) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، لفالح بن مهدي آل مهدي ، تصحيح وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .
(٤٤) التدمرية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق محمد بن عودة السعوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
(٤٥) ترضيع الجواهر المكية ، لعبد الغني الرافعي ، المطبعة العامرية ، مصر ، ١٣٠١هـ .

(٤٦) التسعينية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق محمد بن إبراهيم العجلان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الأولى ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
(٤٧) تطهير الاعتقاد ضمن مجموعة الرسائل الكمالية ، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، مكتبة المعارف ، الطائف .
(٤٨) التعريفات ، للشريف علي الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .
(٤٩) تفسير ابن كثير ، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة .
(٥٠) تفسير الجامع لأحكام القرآن ، للإمام أبو عبد الله محمد القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٥١) تفسير الطبري ، للإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى ، ١٤١٢هـ .
(٥٢) تفسير القمي ، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي ، مطبعة النجف ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ .
(٥٣) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن ، للعلامة صديق حسن خان القنوجي ، تقديم ومراجعة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
(٥٤) تفسير معالم التنزيل ، للإمام محيي السنة أبي محمد البغوي ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان ضميريه وسليمان الحرش ، دار طيبة .
(٥٥) تفسير مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
(٥٦) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق عبد الرحمن عثمان ، دار الفكر ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٥٧) تلبيس إبليس ، للحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ، تحقيق آدم أبو سنينة ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الأردن .

(٥٨) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، تحقيق محمد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

(٥٩) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

(٦٠) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ، للإمام جمال الدين بن محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي ، تحقيق د. محمد حسن هيتو ، طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٦١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي ، تحقيق يمان بن سعد الدين المياديني ، دار رمادي للنشر ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٦٢) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

(٦٣) تهذيب الأحكام ، محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق حسن الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٠هـ .

(٦٤) تهذيب التهذيب ، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٦٥) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٦٦) الجامع لشعب الإيمان ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد ، الدار السلفية ، بومباي ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

(٦٧) الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٦٨) جمع الجوامع بشرح المحلى ، للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، ضبطه وخرج آياته الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
(٦٩) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، لمحمود أبو الفيض المتوفي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
(٧٠) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، للإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني ، تحقيق د. محمد ربيع مدخلي ، د. محمد محمود أبو رحيم ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
(٧١) حقيقة البدعة وأحكامها ، لسعيد بن ناصر الغامدي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
(٧٢) الحوادث والبدع ، للإمام أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة المؤيد ، الطائف ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ/١٩٩١م .
(٧٣) ختم الولاية ، للحكيم الترمذي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .
(٧٤) الخطط المقريزية ، لتقي الدين أبي العباس أحمد المقريزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .
(٧٥) الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم ، لناصر بن عبد الله السعوي ، دار المعراج الدولية للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
(٧٦) الداء والدواء ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تقديم الدكتور محمد جميل غازي ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٣هـ .
(٧٧) درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية .
(٧٨) دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، للدكتور أحمد جلي مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٧٩) دراسات في التصوف ، لإحسان إلهي ظهير ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

(٨٠) دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ، لعبده الشمالي دار صادر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٨١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

(٨٢) ذم التأويل ، للإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق بدر بن عبد الله البدر ، دار ابن الأثير ، الكيوت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

(٨٣) ذم الكلام وأهله ، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، تحقيق ودراسة عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .

(٨٤) الذيل على طبقات الحنابلة ، للإمام زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

(٨٥) رجال الكشي ، لمحمد بن عمر الكشي ، المطبعة الصفوية ببلدة بمبئي باي دهوني .

(٨٦) الرد على الجهمية ، للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، قدم له وخرج أحاديثه بدر البدر ، دار ابن الأثير ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ .

(٨٧) الرد على المنطقيين ، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ .

(٨٨) رسائل العدل والتوحيد ، للإمام يحيى بن الحسين الزيدي ، مؤسسة الهلال سنة ١٩٧١م .

(٨٩) الرسالة ، لعبد الكريم بن هوازن القشيري ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

(٩٠) الرسالة ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق الشيخ أحمد شـاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٩١) رسالة التربيع والتدوير للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيـل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٩٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة عشرة ، ١٤١٧هـ .

(٩٣) زوابع في وجه السنة قديما وحديثا ، لصلاح الدين مقبول أحمد ، دار عـالم الكتب .

(٩٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للشيخ محمد ناصر الدين الألبـاني ، المكتـب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٩٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة ، للعلامة المحدث محمد ناصر الديـن الألبـاني ، مكتبـة المعـارف للنشـر والتوزيـع ، الريـاض ، الطبعـة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

(٩٦) السنة ، للإمام أبي بكر أحمد بن محمد الخلال ، دراسة وتحقيق الدكتور عطيـة الزهراني ، دار الرايـة للنشـر والتوزيـع ، الريـاض ، الطبعـة الثانيـة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(٩٧) السنة ، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ ، تحقيق د. باسم الجوابرة ، دار الصميعي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .

(٩٨) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، للدكتور مصطفى السباعي ، المكتـب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٩٩) سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، إعـداد وتعليق عزت الدعاس ، وعادل السيد ، دار الحديث ، بـيروت ، لبنـان ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(١٠٠) سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
(١٠١) سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(١٠٢) سنن الدارمي ، للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، طبعة ١٤٠٧هـ .
(١٠٣) سنن النسائي ، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، اعتناء عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
(١٠٤) سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
(١٠٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للعلامة عبد الحي بن العماد الحنبلي دار الفكر ، بيروت .
(١٠٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ .
(١٠٧) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .
(١٠٨) شرح السنة ، للإمام أبو محمد الحسن بن علي البربهاري ، تحقيق خالد الردادي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .
(١٠٩) شرح العقيدة الطحاوية ، للإمام ابن أبي العز الحنفي ، حققه وراجعه جماعة من العلماء ، وخرج أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(١١٠) شرح الكوكب المنير ، للعلامة محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار ، تحقيق د. محمد الزحيلي ، د. نزيه حماد ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، طبعة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(١١١) شرح اللمع في أصول الفقه ، لأبي إسحاق إبراهيم الشيرازي ، تحقيق عبد المجيد التركي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.
(١١٢) شرح المواقف في علم الكلام ، للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، بتعليق الدكتور أحمد المهدي ، مكتبة الأزهر ، القاهرة .
(١١٣) شرح صحيح مسلم ، للإمام أبي زكريا يحيى النووي ، مراجعة خليل الميس دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى .
(١١٤) شرح نونية ابن القيم ، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
(١١٥)الشريعة ، للإمام محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
(١١٦)الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ، لإحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(١١٧)الشيعة والقرآن ، لإحسان إلهي ظهير ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(١١٨)الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي ، بدران للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م ، بيروت .
(١١٩)الصارم المنكي في الرد على السبكي ، للحافظ أبي عبد الله بن عبد الهادي الحنبلي ، تحقيق فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري ، مكتبة ابن تيمية .
(١٢٠)الصحاح ، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(١٢١) صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
(١٢٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .

(١٢٣) صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
(١٢٤) صفة الصفوة ، للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ، إخراج إبراهيم رمضان ، وسعيد اللحام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .
(١٢٥)الصفدية ، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .
(١٢٦) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، علق عليه علي سامي النشار ، مطبعة السعادة ، بمصر الطبعة الأولى .
(١٢٧) ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العاشرة .
(١٢٨) طبقات الحنابلة ، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الحنبلي ، دار المعرفة ، بيروت .
(١٢٩) طبقات الصوفية ، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ، تحقيق نور الدين شريبه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ .
(١٣٠)الطبقات الكبرى ، لعبد الوهاب الشعراني ، طبعة دار العلم للجميع ، والمطبعة العامرية العثمانية ، ١٣٠٥هـ ، القاهرة .
(١٣١) طبقات المعتزلة ، أحمد بن يحيى بن المرتضى ، عني بتحقيقه مجموعة من المستشرقين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
(١٣٢) عقائد الإمامية الاثنى عشرية ، لمحمد رضا المظفر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٢م .
(١٣٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، حققها بدر البدر ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(١٣٤) عوارف المعارف ، لعبد القاهر السهروردي .
(١٣٥) غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية ، لمحمد بن إبراهيم النفري الرندي ، تحقيق د. عبد الحكيم محمد ، د. محمود بن الشريف ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
(١٣٦) الفتاوى الحديثية ، لابن حجر الهيثمي ، دار المعرفة ، بيروت .
(١٣٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، وقام بتحقيقه وشرحه محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
(١٣٨) الفتوحات الإلهية ، لابن عجيبة الحسني ، عالم الفكر ، القاهرة ، دار المعرفة بيروت .
(١٣٩) الفتوحات المكية ، لمحيي الدين ابن عربي ، دار صادر ، بيروت .
(١٤٠) فجر الإسلام ، لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٧٥م .
(١٤١) الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
(١٤٢) الفروق ، للإمام شهاب الدين أبي العباس القرافي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
(١٤٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر ، الدكتور عبد الرحمن عميرة دار الجيل ، بيروت .
(١٤٤) الفهرست ، لابن النديم ، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت .
(١٤٥) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، مصر الطبعة الأولى ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

(١٤٦) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام وعبادة أهل الشرك والنفاق ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق سليمان الغصن ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(١٤٧)القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزآبادي ، المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الخامسة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

(١٤٨)القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(١٤٩) قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي ، دراسة نقدية في ضوء الإسلام ، د. سارة بنت عبد المحسن آل سعود ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

(١٥٠) قواعد الأحكام ، للعز بن عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

(١٥١)القواعد النورانية الفقهية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .

(١٥٢)القواعد والفوائد الأصولية ، للإمام أبي الحسن علاء الدين ابن اللحام ، تحقيق محمد حامد الفقي .

(١٥٣) قوت القلوب ، لأبي طالب المكي ، دار صادر ، بيروت .

(١٥٤) كتاب العرش ، للإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، تحقيق الدكتور محمد بن خليفة التميمي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

(١٥٥) كفاية المنصف في فهم التصوف ، جمع محمد إبراهيم سالم .

(١٥٦)الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٥٧) لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور المصري ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

(١٥٨) لسان الميزان ، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق خليل محمد العربي وغنيم عباس غنيم ، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .

(١٥٩) اللمع ، لأبي السراج الطوسي ، دار الكتب الحديثة ، مصر .
(١٦٠) متشابه القرآن ، للقاضي عبد الجبار ، تحقيق د. عدنان محمد زرزور ، دار التراث بالقاهرة .
(١٦١) مجمع البيان في تفسير القرآن ، للفضل بن الحسن الطبرسي الرافضي ، مكتبة الحياة ، بيروت .
(١٦٢) مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد .
(١٦٣) مجموعة رسائل ابن رجب الحنبلي ، جمع وتخريج عادل بن يوسف العزازي مكتبة التربية الإسلامية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
(١٦٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ، الدكتور عبد الرؤوف محمد عثمان ، بتقديم الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، مكتبة الضياء ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
(١٦٥) مختار الصحاح ، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة ١٩٨٨م .
(١٦٦) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
(١٦٧) مدارج السالكين ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، تحقيق حامد محمد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .
(١٦٨) مدارج السلوك إلى مالك الملوك ، لأبي بكر محمد نباتي ، المطبعة الجمالية ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٠هـ .

(١٦٩)المدخل إلى الصحيح ، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، تحقيق د. ربيع المدخلي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .
(١٧٠)المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة والجماعة ، د. محمد بن علي الصامل ، مركز الدراسات والأعلام ، دار اشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .
(١٧١)المدونة الكبرى ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي ، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي ، مطبعة السعادة بمصر .
(١٧٢) مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله ، تحقيق سليمان المهنا ، مكتبة الدار بالمدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
(١٧٣)المسامرة شرح المسايرة ، للكمال بن أبي الشريف ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثانية ، طبعة أخرى الأولى ١٣١٧هـ ، بولاق .
(١٧٤)المستدرك على الصحيحين ، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، تحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
(١٧٥)المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، لمحمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .
(١٧٦)المستصفى من علم الأصول ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٢هـ ، مصر .
(١٧٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، طبعة ١٩٨٥م ، دار الفكر ، طبعة ١٤١٤هـ .
(١٧٨) مشكل الحديث وبيانه ، للإمام أبي بكر بن فورك ، تحقيق موسى محمد علي ، دار عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .
(١٧٩) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر ، للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .
(١٨٠) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، للعلامة برهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، طبعة ١٤١٥هـ .

(١٨١) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السئ على الأمـــة ، تـــأليف إدريس محمود إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـــ ١٩٩٨م .

(١٨٢)المعتمد في أصول الفقه ، لأبي الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي ، تحقيق محمد حميد الله وآخرين ، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للدراســـات العربيـــة بدمشق ، ١٣٨٥هـــ/١٩٦٥م .

(١٨٣) معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(١٨٤)المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، تحقيق حمدي السلفي ، الدار العربية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـــ/١٩٧٩م .

(١٨٥) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية .

(١٨٦)المغني ، للإمام موفق الدين أبي عبد الله بن قدامة ، تحقيق عبد السلام شـــاهين دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـــ .

(١٨٧)المغني في أبواب العدل والتوحيد ، للقاضي عبد الجبار الهمذاني المعـــتزلي ، دار الثقافة والإرشاد ، مطبعة دار الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٠هـــ/١٩٦٠م .

(١٨٨) مقاصد الشريعة ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع .

(١٨٩) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية ، للدكتور محمد ســـعد اليوبي ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـــ/ ١٩٩٨م .

(١٩٠) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، للإمام أبي الحسن علي بن إســـماعيل الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيـــدا ، بيروت ، طبعة ١٤١١هـــ/١٩٩٠م .

(١٩١)المقالات والفرق ، سعد بن عبد الله القمي ، تصحيح وتعليق محمـــد جـــواد مشكور ، مطبعة حيدري هران ، ١٩٦٣م .

(١٩٢)المقدمة ، للمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتب العلميـــة ، بـــيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـــ .

(١٩٣) مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، د. عمر الشيباني ، الدار العربية للكتاب .
(١٩٤) مكاشفة القلوب ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار الشعب ، القاهرة .
(١٩٥)الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
(١٩٦)المنثور في القواعد الفقهية ، للإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي ، تحقيق تيسير فائق محمود ، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت.
(١٩٧)المنقذ من الضلال ، للإمام أبي حامد الغزالي ، المكتبة الثقافية ، بيروت .
(١٩٨) منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ .
(١٩٩) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، لعثمان بن علي حسن ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
(٢٠٠)المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، لابن تغري بردي ، تحقيق محمد محد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
(٢٠١)الموافقات في أصول الشريعة ، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي تحقيق مشهور سلمان ، دار ابن عفان ، الخبر ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الله دراز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
(٢٠٢)الموضوعات ، للإام ابن الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة ، ١٣٨٦هـ .
(٢٠٣) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ، الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى لعام ١٤١٥هـ .

(٢٠٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

(٢٠٥) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضا ونقدا ، الدكتور سليمان بن صالح الغصن ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٢٠٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

(٢٠٧) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق د. عبد السميع الأنيس ، وعصام فارس ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

(٢٠٨) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور علي سامي النشار ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السابعة .

(٢٠٩) نظرية المقاصد عند الشاطبي ، لأحمد الريسوني ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ .

(٢١٠) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد ، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق الدكتور رشيد بن حسن الألمعي ، تقديم الشيخ عبد العزيز الراجحي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

(٢١١) نهاية الإقدام في علم الكلام ، للإمام عبد الكريم الشهرستاني ، صححه الفرد جيوم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

(٢١٢) نهاية السول في شرح منهاج الأصول ، للإمام جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي ، دار عالم الكتب .

(٢١٣)النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين ابن الأثير ، تحقيق محمود الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي ، أنصار السنة المحمدية ، لاهور .

(٢١٤) نهج البلاغة ، المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، تحقيق صبحي صالح ، دار الكتاب اللبناني ، ١٣٨٧هـ .

(٢١٥) وجاء دور المجوس ، لعبد الله محمد الغريب ، الطبعة لاسادسة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٢١٦) وفيات الأعيان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .

فهرس الموضوعات